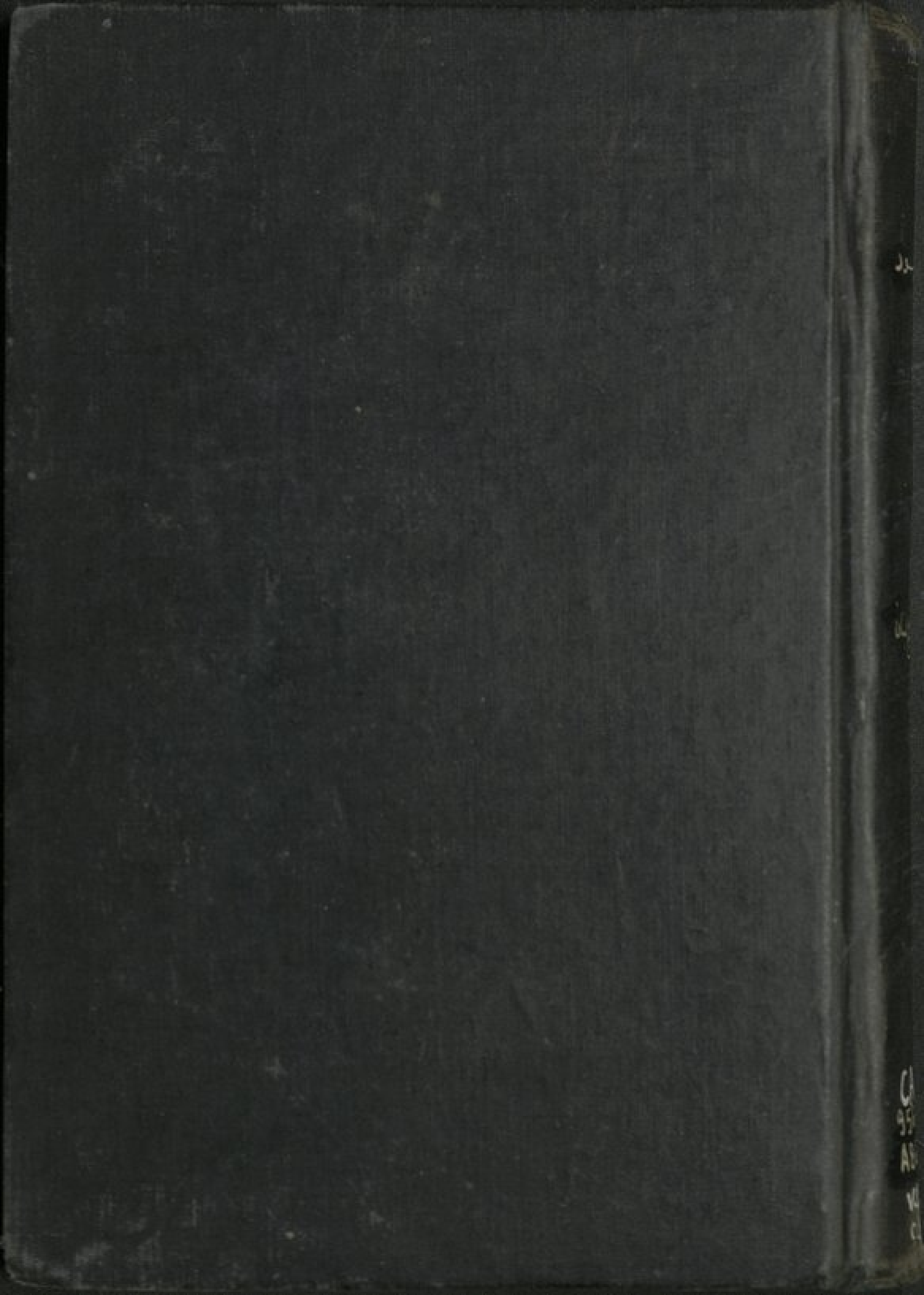
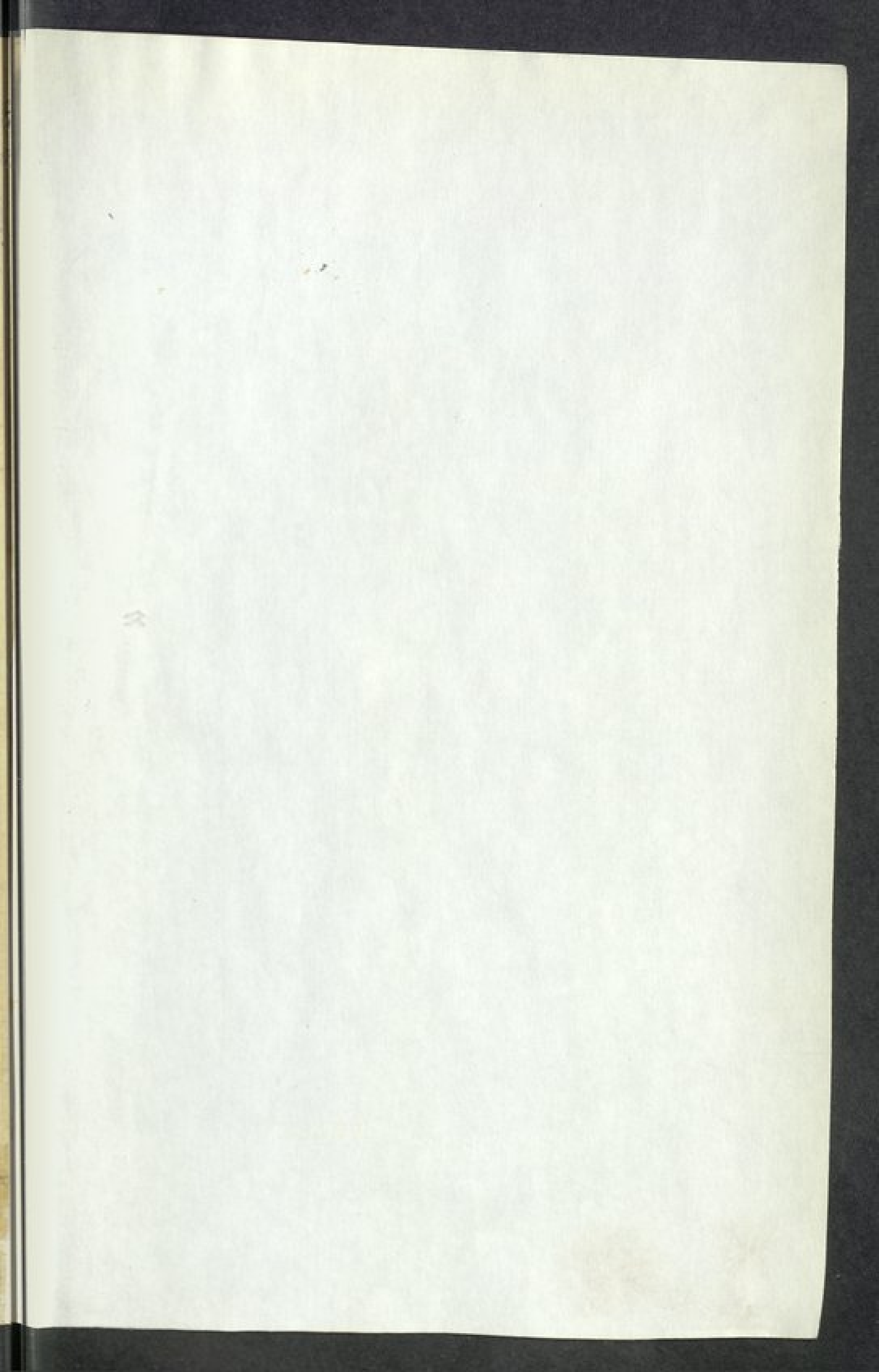



AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY



كتاب

تنوير الأذهان

في

تاريخ لبنان

لمؤلفه

ابراهيم بك الأسود

المجلد الأول

سنة ١٩٢٥

مطبعة القديس جاورجيوس * « بيروت »



المسيو دي جوفنيل

المفوض السامي

جفونيل يا رجل الزمان ودافع الخطب الجليلِ

قدجئت مرفوع اللوآء — بظل دولتك الظليلِ

فاكبح جماح الحادثات — بحد صارمك الصقيلِ

فالحادثات تكاد تسلمنا الى هم طويل
بك قد زهت امالنا وتلونت بعد الذبول

كتاب مفتوح

يا فخامة المفوض السامي

بعد ان وضعت مقدمة كتابي هذا الذي زينت صدره برسمك الكريم ودفعتها الى الطبع مع القصيدة المثبتة بعدها في الكتاب اضطررت بعد مجيئك الى هذه البلاد الى اعادة طبعها لانني الحقت بها ابياتاً نظمتها فيك جاعلاً اياها حلية لها

اما المقدمة فلم ارَ موجباً الى تبديلها لان الكلمة التي رمت ان اقولها لك فيها قد قلتها في كتابي هذا الذي جعلته قلادة في عنقها وهي

ان مستقبل هذه البلاد التي تظللها راية انتداب دولة فرنسا العظيمة بنوابغها وتقاليدها وما ثرها الحسان اضحى منوطاً بك

فاذا احسنت فانما باسم فرنسا تعمل وتضيف مآثر كريمة على مآثرها القديمة

وليس خفياً عليك ان الرجل الفرد امة في نفسه فاذا احسن العمل رفع شأن امته كلها

فارستديس الاثيني الحكيم المشهور بالعدل تمكن بحكمته وعدله ان يجعل شعوب اليونان كافة ان تضع الثقة بشعبه انه الشعب الرصين الامين وانت بما سيصدر منك ستكون الرجل الذي يحسب مبدأه مبد

امته طراً

لسنا نذكر لك عِللاً ولكننا نقول المس بيدك مواضع الضعف وانظر بعينك اثر الجراح وانت الطبيب السياسي الحاذق فداوِ ما هو في حاجة للمداواة ومتى تم لك ذلك فانك ولا ريب ستنال ما ناله امثالك ممن تركوا في تاريخ الشعوب ذكراً خالداً

لقد كان في كلماتك في مصر وفي هذه الديار وفي ما قمت به من الاعمال لحد اليوم ما يشف عن الدقائق التي سترسو عليها حالة هذه البلاد ولما بدأت خطاباك في قاعة المجلس التمثيلي ببيروت ذلك الخطاب الذي اجزت فيه لمجلسنا التمثيلي الموقر وضع الدستور لدولة لبنان الكبير شعرنا باهتزاز تلك القاعة طرباً وقلنا لقد مضى والحمد لله الليل بديجوره واقبل النهار بنوره وآلينا على انفسنا نحن اللبنانيين ان يعلق كل منا رسمك الكريم تعويذة على صدره متى تحققت عن يدك اماني البلاد

عرفنا ايها الوزير الخطير سمو مكانتك السياسية قبل ان تطأ قدماك ارضنا بما قرأناه عن مآتيك الحسان في كل عمل خطير عهد اليك القيام به وباعادة المسيو دي ريني الى منصبه السابق عندنا لتجديد خدماته للبلاد لانك عرفت فيه من الحزم وحسن الادارة ما عرفناه نحن

اما الثورة فلا يصعب عليك قمعها بالتي هي احسن والتعويض على المنكوبين الذين فرقتهم ايدي الظلم تحت كل كوكب . قلنا لا يصعب عليك قمعها لاننا نعلم انك انت الذي لم تلقِ بنفسك في هذا المعترك الهائل الا بعد ان وثقت من نفسك وثوق الطير من جناحيه

واعلم يا رعاك الله ان في البلاد من المسلمين ومن المسيحيين ومن الدروز ايضاً رجالاً عرفوا باصالة الرأي واخذوا لانفسهم الحيادة فيناصرونك على قمعها فتحقن الدماء البريئة

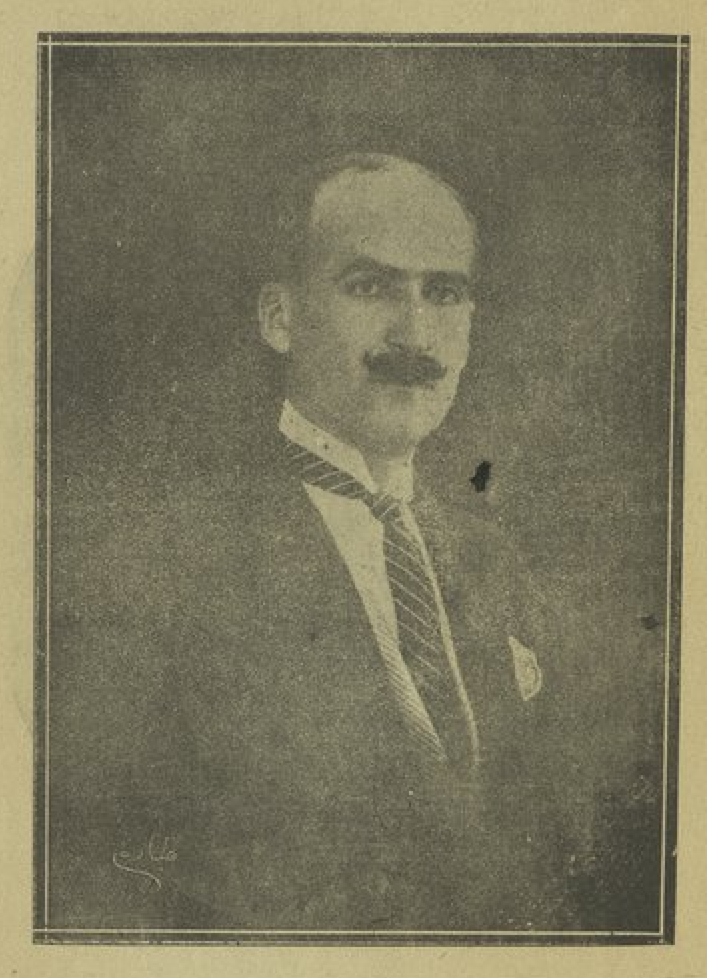
وبصورة مخصوصة نسألك تحقيق اسباب هذه الثورة حتى اذا كانت نشأت كما قيل من سوء ادارة المأمور الذي القيت اليه مقاليد السلطة وجب انفاذ حكم العدل فيه والقاء مقاليد السلطة الى من يحسنون القيام بها فلا تكفي الموظف معرفته اللغة الافرنسية ولا كونه حسن البزة وواسع الثروة ومكور العمامة بل يجب ان يكون ممن هذبهم العلم وصقلتهم التجارب ومما تجب مراعاته ايضاً عدم تسليم زمام المقاطعات الى حاكم بين طبعه وطبائع اهل تلك المقاطعة بون عظيم فلا هو يرضى عن تقاليدهم الموروثة ولا هم يطيقون النير الذي يروم وضعه على رقابهم فيندفعون الى الفوضى والمرء ابن اعصابه ومبادئه

فوجبت والحالة هذه مراعاة النسبة بين الحاكم والمحكوم والارتقاء الى حيث يلزم الارتقاء تدريجاً

ولا يخفى ان حكومة الشعب صورة افراده فاذا فاقت الشعب لا تلبث ان تتقهقر اليه واذا انحطت عنه لا تلبث ان ترقى اليه



دولة المسيو كايلا
حاكم لبنان الكبير



عطوفة موسى بك نمور

رئيس المجلس النيابي

هو صحافي ماهر وله مقالات كريمة تشهد بطول باعه وشاعر مجيد عدا عن انه ممتاز بالروية والتعمق في العلم واقواله في المجلس حجة في الاصابة ومرجع لزملائه وبالجملة انه يعد في الطبقة الاولى بين ادباء لبنان



الامير سليم ابي اللمع

مناقب آل اللمع كالانجم الزهر	طوالع في افق المحامد والذكر
خوالد في لبنان تخليد ارزه	وابقى على الايام من هرمي مصر
وحسب سليم وهو فرع اصولهم	فخاراً رسا في مفرق المجد والفخر
بنى ما بنى اباؤه من مفاخر	ستبقى بقاء الدهر معجزة الدهر

حوى ادباً جماً وعلماً وقد حوى   اميرة قصر دونها بيضة الخدر

وان تسأل الاسفار عن مأثراته   يجبك وان لم يحو ايسرها سفرى

رضيت عن الايام لما اتخذته —   صديقاً وقد زينت في مدحه شعرى

فيا ابن الذي شاد المعالي بجده   وبالهمة الشماء والعدد الدثر

جمعت مزايا جمة وخلائقاً   تجنبت فيها شيمة التيه والكبر

وحسبك فخراً من خليفة بطرس   وسام به حلقت شأواً على النسر

اليك ثناءً ابرمته مودتى   وماهو الا بعض حقك من شكرى

قلائد حمد لم ازدك بنظمها   فخاراً ولكن قد وفيت بها نذري

اذا اخذت من رقة الخم رقة   وما دقَّ من سحر البيان من السحر

مقدمة الكتاب

تعريف التاريخ

التاريخ علم تعرف به احوال الامم الحاضرة والغابرة ولا سيما ما كان يتعلق بالاقاليم والقبائل مع تعيين اوقاتها و بيان اسبابها

و يؤخذ من الاثار والرسوم ومما حفظ من الاوراق والسجلات والمخطوطات

وكان فريق من الاقدمين يؤرخون حوادثهم باسنادها الى ما قبل الوقائع الشهيرة او الى ما بعدها كالطوفان مثلاً

واول من سبق الى تدوين التاريخ العربي محمد بن اسحق في كتابه عن المغازي والسير ولم يكن التاريخ قبله معروفاً ثم وضع محمد المعروف بالواقدي كتاباً في فتوح الشام ضمنه كثيراً من سير الخلفاء الراشدين (١)

وقد دون التاريخ بعده حماد الراوية والاصمعي ثم انتشر هذا الفن

وقسم المؤرخون ازمنة التاريخ الى ثلاثة اقسام الاول تاريخ القرون الاولى ومبداؤها من عهد الخليفة الى زمن انقراض السلطنة الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ م

---

(١) الخلفاء الراشدون هم ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وابنه الحسن وكانت المدينة مركز خلافة الثلاثة الاولين منهم والكوفة مركز خلافة الاخيرين

وكانت مدة خلافتهم كلهم ٢٩ سنة من سنة ١١ للهجرة الى سنة ٤٢

وهو يتضمن تاريخ اليهود واشور وبابل والفرس والصين والهند ومصر واليونان والرومان

والثاني تاريخ القرون الوسطى من سنة ٤٧٦ م الى سنة ١٤٥٣ م حيثما سقطت السلطنة الرومانية الشرقية واستولت الدولة العثمانية على القسطنطينية

ويشتمل هذا القسم على ظهور الاسلام وامتداد سلطة خلفائه وامرائه وعلى اخبار البرابرة وعلى تاريخ مملكة شارلمان وقيام المملكة الالمانية ومنازعات ملوكها مع احبار رومية وعلى تاريخ الحروب الصليبية

والثالث تاريخ الوقائع من سنة ١٤٥٣ الى يومنا هذا وهو يشتمل على الاكتشافات العظيمة كاميركا واستراليا والفيلبين وغيرها وعلى الحروب التي وقعت بين فرنسا والمانيا وبين روسيا واليابان وبين روسيا والدولة العثمانية وعلى الحروب البلقانية وعلى الحرب اليونانية التركية وعلى الحرب الكونية الاخيرة التي غيرت جغرافية الكرة الارضية وكان من نتائجها تقلص ظل الدولة العثمانية عن بلادنا وارتفاع لواء الدولة المنتدبة فوق ربوعها دولة فرنسا التي طالما حلم بها اجدادنا واحبوها على رجاء انهم يصلون بواسطتها الى الكفاءة

❊الباعث على تأليف هذا الكتاب❊

لما كنت قد عنيت قبلاً بوضع تاريخ مختصر للبنان دعوته (ذخائر لبنان) وهو احد مؤلفاتي التي سيأتي ذكرها وخدمت المعارف بلبنان بمؤلفاتي المحكي عنها وبجريدتي لبنان وبمطبعتها ومطبوعاتها على

قد عنّ لي وانا في عصر الحياة ان اضع تاريخاً للبنان اكثر اتساعاً من كتاب ذخائر لبنان فسهرت على مؤلفي الجديد الليالي الطوال وجمعت فصوله مما كنت ادونه في مذكراتي في اثناء وجودي مأموراً في حكومة لبنان وفي مدة اعتزالي ايضاً ومن مجموعات جريدة لبنان ومما التقطته من كتب القوم الذين سانوه بذكرهم فجاء بحوله تعالى كتاباً واعياً جامعاً شتات الحوادث اللبنانية وفروعها

وقد الحقت بكل حادثة منها تاريخاً مختصراً لكل دولة مر ذكرها فيها من الدول التي كان لها علاقة في لبنان على اختلاف الانواع وشرحت ما لزم شرحه وعلقت على بعض فصول الكتاب من الحواشي ما تهم معرفته وتلذ مطالعته ودعوته

﴿ تنوير الاذهان في تاريخ لبنان ﴾

وقسمته الى جزئين جعلت الاول منها هدية لسعادة الصديق الكريم القومندور الامير سليم امين ابي اللمع لما توسمت فيه من الارتياح الى نشر لواء المعارف وصدرته بقصيدة من نظمي مؤلفة من مئة وسبعين بيتاً ضمنتها جميع ما تضمن الكتاب من الحوادث التاريخية فهي اشبه بخلاصة يقف من يتصفحها على لباب ما انطوى عليه الكتاب

ولما كنت ممن يهيمون بلبنان لانه الوطن المحبوب الذي ابصرت فيه النور وعرفت بهجة الحياة وذقت لذة الالفة وصحبة الاهل والخلان فلا غرو اذا اسهبت في وصفه بكتابي هذا وفي العصبية له لان الوطنية عمل من الاعمال الشريفة وقد جعل الله حب الوطن غريزياً في كل انسان

بل ايماناً ولذلك قيل حب الوطن من الايمان

وشديد حرصي على مصلحة لبنان حملني على تسطير (كتاب مغفوح) مفتوح
اوجه اليه نظر الدولة المنتدبة قبل الدخول في المباحث التاريخية وهو

X ايتها الدولة المنتدبة العالية المنار

تعلمين ايدك الله ان لبنان كان في عهده الاول مسرحاً تمثل عليه العظمة اعظم ادوارها و يظهر عليه القوم اموراً يعجز عن الاتيان بمثلها ابناء هذا الزمان

وها ان الارض اللبنانية وما قام عليها من الآثار الجليلة التي تركتها الامم في العهد الماضي اكبر شاهد على عظمة لبنان

ومن كان يعلم ان جميع الدول التي رفعت بنودها فوق ارجائه يتقلص ظلها عن هذه الارجاء

بلى لقد تقلص ظلها عنها وهي ثابتة لا تتغير تودع الراحل وتستقبل القادم ضاحكة من مطامع الانسان

فيجب الا يغتر ملك اذاً بما يرى من عظمة الدنيا وبهاء التاج فان كل ذلك ظل زائل

قال فكتور هيكو . انت ايها المستقبل ندعوك بالغد وتسير وايانا جنباً الى جنب فمهما كان الانسان عظيماً ومهما كان التماسه منك خطيراً لا يقدر ان يعرف منك شيئاً قبل حينه ولا يمكن ان تفرج شفتاك عن الخبر اليقين الا متى آن اوانه

فالمستقبل اذاً ارض واسعة يلقي فيها المرء بذار آماله والله ادرى

متى تجنى ثمارها

بل هو برق خاطف لا ندري ما يكون بعده من عواصف الايام وسحاب سارٍ لا نعلم متى تنكشف من تحتهُ نجوم السماء وهادم عنيد يهدم صروح الآمال ونجم سيار لا يلبث في مكانه بل هو شوك المذلة يثبت على العرش الذي كان بالامس لامعاً

فكم لنا في مراجعة التاريخ من عبرة مؤثرة وذكرى مؤلمة فالاولى تستثير الهمم والثانية تستذرف الدموع

نحن ايتها الدولة المعظمة في زمان اشرق فيه نور العلم وجرت فيه اعمال عظيمة قام بها رجال كبراء ملأوا العالم بجمال آثارهم ولا نشك في ان بلادك مبعث هذا النور وان رجالك العظام في مقدمة هؤلاء الرجال كيف لا وبونابرت من اعاظم الفاتحين وباستور من افاضل المكتشفين

عرفت ايتها الدولة الكريمة ان محبة اللبنانيين لك قديمة العهد وتحققت تهافتهم على اثبات رغائبهم في القاء مقاليد الانتداب اليك يوم جاءت اللجنة موفدة من لدن جمعية الامم الكريمة للوقوف على رغبة الشعب اللبناني الواثق على اختلاف المذاهب بحكمة غبطة البطريرك الياس الحويك الكلي الاحترام الذي بالغ في الجهاد بالوكالة عن اللبنانيين عموماً في سبيل رفع لوائك الزاهر وظهر لك انقياد اللبنانيين الى اوامرك ونواهيك بعدان استظلوا بظل حمايتك ولم يغب عن اذانك صدى انين اولئك المنكوبين منهم لاجلك ابان الحرب الكونية

افلا يستحقون بعد هذا عطفك باختيار لجنة منهم على الاقل تضع

للبلاد قانوناً ينطبق على حالتهم ومنهم كثيرون مشهود لهم بطول الباع وسعة الاطلاع وبمعرفة الشرائع والقوانين عدا عن ان صاحب البيت ادرى بالذي فيه

الرجال الذين كانوا يعملون لاستقلال بلادهم واكثرهم من لبنان والذين كانوا يقولون سورية للسوريين وعلى مبدأهم قامت النهضة متسلسلة منذ سنة ١٩١١ حتى يوم الاحتلال كانت باريس ملجأ لهم وفيها عقدوا موءتمرهم مما يدل على ثقتهم بحسن نية فرنسا وبمساعدتها لهم لينالوا استقلالهم

لقد ساروا في سبيل الاستقلال ولكن سورية استفادت اكثر من لبنان بجعل حكامها وطنيين فكيف أعطي السوريون ما نحرمه نحن وكيف وجب لهم ما لم يجز لنا

اننا نتوق لان تدار شوءوننا مثلهم بايدينا بل لان يكون لنا ميزة ادارية لاننا اقرب الى نيل عطف فرنسا من سوانا كيف لا وقد اتعبت اقلامنا قطرات التمني ونزوات الآمال بالحصول على حمايتها

نحن لا نطلب الآن الاستقلال التام ليس لاننا قاصرون بل حباً بالبقاء تحت انتدابك الى ان يتيح لنا الحظ ذلك الاستقلال

والاستقلال الذي نسعى وراءه اليوم هو الاستقلال الذي تستغني به الامة ببلادها عن كل بلاد وبمصنوعات سكانها عن مصنوعات الاجنبي وبضروريات معاشها عن جلب هذه الضروريات من غيرها ونعلم علم اليقين ان الاستقلال ليس هو بان يحكمها ابناوءها ولا بان يخرج المحتلون منها كما اننا نعلم ان الاستعباد ليس هو تولى بعض الموظفين الاجانب لمناصب

الوطن بل الاستعباد هو اضطرار الامة الى جلب لباسها وآنية طعامها وشرابها واثاثها و بلاط بيوتها وقرميد اسطحتها وانوارها ومركباتها وكل قليل وكثير من بلاد الاجانب

لقد رأيتها الدولة العزيزة على انتدابك سنوات عديدة ولم نر من اهتمامك الشديد الا اهتماماً منصرفاً الى تشكيل الدوائر وتنظيم المجالس واستبدال هذا التنظيم بسواه والى استبدال اسماء الوظائف باسماء غيرها والى الادغام القضائي الذي كان ضربة على البلاد وسبباً لقتل اللغة العربية والى تكثير الضرائب لصرفها في سبيل تعظيم دوائر دولة لبنان الكبير وتكثير رواتب موظفيها في حين ان دوائر لبنان الصغير كانت تقوم مقامها وكان راتب اكبر مأمور اذ ذاك لايتجاوز الفي غرش فان راتب رئيس مجلس الادارة الذي كان رئيساً للحكومة في كل شهر كان نحو الفي غرش وكان راتب اكبر مأمور في العدلية الف وخمساية غرش

القيت مقاليد بعض المناصب العالية الى رجال لم تصقلهم التجارب واهملت كثيرين من اصحاب المواهب العقلية الذين تعودوا الادارة فكان ذلك باعثاً على عدم انتظام الاعمال كما يجب على انه لم يكن الذنب كله ذنب الدولة المنتدبة بل ذنب من صار اختياره مؤسساً لدولة لبنان الا وهو المسيو ترابو الذي مع احترامنا لذاته الكريمة نقول من اين اوتي معرفة الادارة وسياسة بلاد كبلادنا لم تزل النعرة الدينية عاملاً مهماً فيها وهو غريب الدار ومن ضباط البحر الصغار

المعارف اساس لاتقان الصناعة والتجارة وام للاختراعات وينبوع للثروة وركن لانتظام احوال الحياة الاجتماعية وادراك طرق السياسة ومعرفة الشرائع والقوانين والنظامات

فاين المدارس العلمية والصناعية والزراعية العالية التي اقيمت من قبلك في هذه البلاد

وان قلت ان المدارس فيها كثيرة قلنا نعم ولكن اكثرها مقتصر على تعليم اللغات وفن الطب والمحاماة وما اشبه مما لا فائدة له في الموضوع الذي نحن في صدده

الصناعة امنية لبنان لان الاراضي الزراعية فيه ضيقة والتجارة منوطة بالدرجة الاولى بالاصلاح الصناعي لانها تقوم بمبادلة السلع من المصنوعات بين المتجرين فاذا توفرت هذه السلع في بلاد زادت صادراتها فزادت ارباحها

اما احوال التجارة في بيروت فقد كانت قبلاً احسن مما هي اليوم بسبب ضيق النطاق الذي احدثه تقسيم البلاد الى دويلات صغيرة وبسبب الحاق كثير من الامكنة باملاك حكومات اجنبية وبالتنازل عن كليكيا وباضطراب حبل الامن

واما لبنان الكبير فان الزراعة عامل مهم فيه لسعة اراضيه الزراعية وجميعنا في حاجة ماسة الى اصلاح طرق الزراعة فيه واصلاحها يقوم اولاً بتمهيد سبل الري ليشمل جميع جوانبه فان المياه متوفرة فيه وثانياً باتقان الآلات الزراعية ولا يخفى ان اتقان هذه الآلات

يتوقف على اتقان الصناعة فان قلت اننا نجلب هذه الآلات من اوروبا قلنا حسن ولكن الحاصلات لا توازي المصاريف اللازمة فاذاً حاجتنا الى اصلاح الصناعة شديدة واهمالها هو غاية تأخرنا

ولا شك في اننا اذا احكمنا الصنائع استغنينا بمصنوعاتنا عن مصنوعات اوروبا وترقت في الوقت نفسه زراعتنا وبالتبعية تجارتنا ونسجت أنوالنا محصولاتنا الحريرية والقطنية فزاد بذلك دخلنا وقل مصروفنا وتخلصنا من ضيق احوالنا وعاد الينا ابناؤنا الضاربون في كل مكان من ديار الهجرة فيعمرون بلادهم بسواعدهم القوية وبما حصلوا عليه من الاموال الجزيلة ومن المعارف الزاهرة في اثناء هجرتهم

الا يعز علينا ان نلبس فضلات غيرنا من النسيج وكان اجدادنا يلبسون الارجوان الذي هو من ملابس الملوك العظام

العلم هو الذي اكتشف نواميس الطبيعة وذلل اعناقها وسلمها للصناع فاستخدموها في كثير من اعمالهم

وبالجملة اننا نرجو ان يكون اصلاحك لنا كاصلاحك لنفسك فان عيوبنا معقودة بعيوبك والحسن عندنا هو ما فعلته والقبيح هو ما تركته

رفعت في بلادك الزاهرة شأن العلم والصناعة والتجارة والزراعة والاختراعات وجردت من عزمك صارماً شق ديجور الجهالة فلماذا تبخلين علينا بعناية صغيرة وانت مصدر للمكارم ومورد للمغانم



سعادة علي بك جنبلاط

سنجيء على تاريخ حياته وتاريخ اسرته الكريمة عند ذكرنا العائلات الممتازة

في المجلد الثاني

(***)

القصيدة اللبنانية

١ لبنان هل في غيرك ارتبع المجد	مناط الثريا انت والعلم الفرد
٢ كأنك للشامات هضبة اهلها	وفي جيد سوريا الجمانة والعقد
٣ كأن جبال الارض روض كأنما	لها منك نوار الخميلة والورد
٤ يقبل منك البحر اخمص ارجل	لها موطئ منه الترائب والخد
٥ تماديت شأواً في العلو كأنما	لك الري من نهر المجرة والورد
٦ شمخت فنسر النجم دونك واقع	وتنحط عن عليائك الانسر الربد
٧ وقفت خطيباً لم يكن قس خاطباً	بابين رشداً منك ان ابهم الرشد
٨ كأنك لفظ في معاجم دهرنا	تترجم عما اضمر الزمن الوغد
٩ تذكرنا المجد الفنيقي زاهراً	بارضك ممتداً بارجائك الرغد
١٠ على شأنه السامي جبيل تدلنا	باجمل آثار لاعيننا تبدو
١١ تردد ذكرى امة لقديمها	مآثر لم تذمم ولا مسها جحد
١٢ وتردد بيت القدس ذكرك ذمة	نعم وعليها قبلك قد أخذ العهد
١٣ وهيكلها ما انفك يروي مآثراً	لارزك حادي الحمد في نشرها يحدو
١٤ وطودان هذا [1] اقرع اصمت به	صروف الليالي فالتوى شعره الجعد
١٥ يرد اناسيّ العيون حواسراً	قمم حملايا اذ بها تفخر الهند

(١) الجبل الاقرع

١٦ اطل على الايام يروي طريفه من المجد ما اسدته ايامك التلد

١٧ وشيخ [١] اشارته الدهور وقارها قد ابيض من فوديه ما هو مسود

١٨ يكافح عنك الحادثات كانه هو السد في الاحداث او دونه السد [٢]

١٩ وهل دافع صنين عنك نوائباً وافقك من سود الوقائع مربد

٢٠ بسفح فم الميزاب سال اتيها فقشعه اذ سيل عارضه النكد [٣]

٢١ واغربة فيك العقاب وانما هو الطائر البازي في زهوه يشدو [٤]

٢٢ وماشاق قلبي غير ازك ضارباً الى النجم لا بان المحصب والرند

٢٣ وما المجد بالبان مثواك في العلا ولكنما في جد ابنائك المجد

٢٤ وان بلاداً تنبت الجد ارضها لتلك بلاد لا عدا ارضها الجد (٥)

٢٥ اذا المرء لم تضمن له نجح قصده مواطنه يوماً فلا حمد القصد

٢٦ وان لم يقارن حظه نجم سعده باوطانه لا حل في ربعه السعد

٢٧ وماؤك لا ماء العذيب لذي هوى وذي ظماء منه على كبد برد [٦]

٢٨ وماشاقني الاعليل (نسائم) [٧] بجوك من انفاسها يأرج الند

٢٩ وينساب في حصبائك الماء ناظما برقراقه ما ليس ينظمه العقد

٣٠ وفيك هضاب ماسويسرة بها تقاس بحكم العدل ان صرح النقد [٨]

٣١ (ومنتزهات) [٩] فيك همت بوصفها اذا هيمت غيري باوصافها هند

---

(١) جبل الشيخ (٢) الحاجز (٣) القليل (٤) سنجيء في المجلد الثاني على بيان جميع انواع الطيور و لحيوانات اللبنانية (٥) الرزق (٦) بارد (٧) جمعت على غير القياس للضرورة (٨) التمييز (٩) حقها ان تكون منتزهات والضرورة دعت الى جعلها منتزهات

٣٢ امابك سوق الغرب للغرب غادة ومنظرها الفتان ليس له ضد [١]

٣٣ وفي صوفر للزائرين موارد تدفق ايناساً وما ماؤها ثمد [٢]

٣٤ كأن بحمدونا رداح عشيرة وفي كل قلب من محبتها وجد

٣٥ وكم هام في عاليه قوم فعيشها رغيد وفيها الماء منفجر برد

٣٦ وهل اهدن عدن التي وعدت بها رجال ولم يكذب وقد أنجز الوعد

٣٧ وزحلة يجري الماء فيها كأنه وقد طاب للظمآن مازجه الشهد

٣٨ كذاك برمانا باحراجها غدت على دفع ما يخشى من الداء تشتد

٣٩ هي الوطن المحبوب والبلدة التي رأيت بعيني النور في جوها يبدو

٤٠ وضهر الشوير الطائر الصيت ارزه تسامى فاضحى دون مبلغه السد [٣]

٤١ وفيك بييت الدين قصر ممنع بناه امير زان محتده المجد

٤٢ بشير [٤] الذي كانت اياديه جمة ولم يك بين الحاكمين له عد [٥]

٤٣ وشاد البشير الجنبلاطي قصره وفيه لراجي الرفد كم بذل الرفد [٦]

٤٤ تولى (٧) علي امره بعد عمه نسيب الذي لم يكب يوماً له زند

٤٥ وفي رأس انطلياس قد قام مصنع — الامير الذي فيه قد افتخر المهد (٨)

---

(١) مثيل (٢) ماء قليل يتجمع في الشتاء وينضب في الصيف (٣) السحاب (٤) هو الامير بشير شهاب الكبير الذي سيجيء ذكره (٥) مثيل (٦) هو القصر الذي بناه الشيخ بشير جنبلاط في قرية المختارة وكان محطاً لرحال الوفود (٧) هو سعادة علي بك جنبلاط (٨) هو مصنع الدقيق المختص بسعادة القومندور الامير سليم امين ابي اللمع وسيجيء وصفه

٤٦ واودآء (١) حمانا التي في جمالها ... لمرتين قبلاً هام ما مثلها سد (٢)

٤٧ نسيم سرى منها بليلاً وقد بدا ... بكل مكان من حدائقها نـد (٣)

٤٨ وغينا (٤) التي فيها ادونيس قد بنت ... لعاشقها برجاً بها قد حلا الورد (٥)

٤٩ وريفون بكفيا وحصرون بتمري ... بشري وميروبا والقلوق والجرد (٦)

٥٠ ومكين بسكنتا وجزين والصفا (٧) ... وعيناب ثم الدير (٨) ثم كفر حلد (٩)

٥١ وروم (١٠) التي الحجار (١١) في ظلها نشا ... واعبيـه رأس المتن ثم الشرامند (١٢)

٥٢ وقرنايـل فالوغـة وبحنس ... ودومةُ لولم يعي قاصدها البعد (١٣)

٥٣ منازل اضحت للبدور منازلاً ... ومقترن في كل برج لها سعد

٥٤ مصائف اضحت للمصافاة جنة ... على انهـا للزائرين هي الخلد

٥٥ يحاذر ان يلقي بها الداء رحله ... وليس بها يومـاً لوافده وفد

---

(١) لمرتين هو الشاعر الافرنسي المشهور الذي جاء لبنـان من اكثر من جيل وكان معجباً بوادي حمانا ونظم فيـه قصيدته المشهورة واودآء جمع وادٍ (٢) واد (٣) عود يتبخر به (٤) هي قرية الغينة الكائنة في فتوح كسروان القائم فيها تمثال ادونيس عشيقة تموز وسيجيء وصفها عند ذكرنا مياه نهر ابرهيم (٥) الاقبال على الماء (٦) جرد كسروان (٧) نهر الصفا الجاري في اسفل قرية عين زحلته (٨) دير القمر (٩) الكلمات السريانية المنتهية بحرف الألف تلفظ مضمومة الآخر يدلنا على ذلك اهالي شمالي لبنان فيلفظون دوما مثلاً دومو (١٠) قرية ذات مناظر جميلة قائمة على اكمة قريبة من قصبة جزين (١١) هو سيادة المطران غريغوريوس حجار مطران عكا للروم الكاثوليك المشهور بفضله وسعة معارفه وسنثبت تاريخ حياته في المجلد الثاني (١٢) مزرعة مطلة على البحر في مديرية القاطع بقضاء المتن (١٣) اشارة الى ان قصبة دوما الكائنة بقضاء البترون مستكملة شروط الحضارة لو لم تكن بعيدة

٥٦ وهل تلك اديار التقى ام كواكب   تسامت الى افيائها ينتهي الوخد (١)

٥٧ اقامت مصابيح الهداية حيثما   على سالكيه عمي الغور والنجد

٥٨ تريك كامثال (٢) القسي شواحباً   طواها الطوى واستام راحتها الزهد

٥٩ تقاسم شظف العيش كهل ويافع   بها وتحرى العفة الشيب والمرد

٦٠ وفاقهم الاحبار (٣) فضلاً وحكمة   وجودة اثار يطيب لها سرد

٦١ فان جاء للعذال انكار فضلهم   فقد انكرت شمس الضحى الاعين الرمد

٦٢ وكم شيخ (٤) دين قدس الله سره   وكم شيخ (٥) عقل فاضل زاهد حمد (٦)

٦٣ وكم معهد (٧) للعلم زين بعامل   سريرته صدق وسيرته قصد (٨)

٦٤ وما نهده الا ذراع تسنمت   ذراه بنان الكف لا الاشقر النهد (٩)

٦٥ ويحلو به منه صرير بغامه   اذا اطرب القوم المسومة الجرد

٦٦ يرى هائماً في وصف كل فضيلة   اذا خلبت قلباً لعاشقها دعد

٦٧ وكم عالم (١٠) ان خاض بحر معارف   بدا البحر لا جزر له وله مد

---

(١) السير السريع (٢) اشارة الى الرهبان المتقشفين (٣) هم البطاركة والاساقفة ورؤساء الاساقفة المحترمون (٤) اشارة الى مشايخ المسلمين «٥» اشارة الى مشايخ عقال الدروز ومنهم اثنان في لبنان هما كل من حضرة الشيخ حسين حماده «اليزبكي» والشيخ حسين طليع «الجنبلاطي» وكلاهما معروف بمحاسن الاخلاق «٦» محمود «٧» سنذكر معاهد العلم اللبنانية جميعها في المجلد الثاني «٨» استقامة «٩» الفرس الجميل «١٠» اعددنا باباً مخصوصاً في المجلد الثاني لعلماء لبنان وادبائه فنذكرهم كل واحد بمعارفه وعلمه «١١» جعلنا في المجلد الثاني فصلاً تحت عنوان سوق عكاظ سنذكر فيه الشعراء اللبنانيين وغيرهم من ذوي الشهرة ونثبت فيه بعض منظومات البعض منهم

٦٨ وكم شاعر (١) يسمو زهيراً بنظمه · على حين يبدو في شبيبته العبد (٢)
٦٩ ولبنان في لبنان (٣) كانت حديقة · جناها شهيٌّ نفح ازهارها نـد
٧٠ قد اغتربت ابناؤك الغر كي يرى · بهم لك خفاقاً بكل على بند
٧١ اذا العلم لم ينجدك اما دعوته · لمكرمة لم يسق معهـده عهد (٤)
٧٢ الا كل سعي لا لذكر جهالة · وكل جهاد لا لمحمدة جهد (٥)
٧٣ رعوا الافانين الصناعة (٦) عهدها · ولولاهم لم يرع يوماً لها عهـد
٧٤ ففي الزوق نسج لا يضاهى جماله · وفي الدير نسج منه ليس به رد (٧)
٧٥ ولم يحك تحنان الاغار يد حنة · به (٨) لدواليب هي الورق اذ تشدو
٧٦ وكم سحبت فيك الزراعة (٩) ذيلها · فاثمر خفض العيش في ارضك الكد
٧٧ وكم ثمرجان بارضك خيمت · له شجرات ريها في الصفا العد (١٠)
٧٨ وكم فيك من (١١) زيتونة نور زيتها · يضيء وان لم يور يوماً لها زند

«١» هو طرفة ابن العبد الشاعر المعروف «٢» لبنان هي جريدتنا لبنان التي كانت بكر الجرائد اللبنانية وخدمت المعارف بلبنان نحواً من ربع جيل وسنخصص لها فصلاً في المجلد الثاني نصفها فيه ونصف مطبوعات مطبعتها ونعددها واحداً واحداً «٣» اشارة الى مهاجري لبنان الكرام الذين اثبتنا تراجم بعضهم في هذا المجلد وسنثبت التراجم التي ترد الينا من سواهم في المجلد الثاني «٤» مطر «٥» مشقة «٦» افردنا باباً واسعاً في المجلد الثاني للصناعة «٧» اشارة الى منسوجات الزوق المشهورة بجمالها «٨» اشارة الى ما كان ولم يزل في دير القمر من المنسوجات البديعة المعروفة بالالاجه وغيرها وقولنا ليس به رد اي ردي «٩» اشارة الى دواليب معامل الحرير التي سنذكر في المجلد الثاني اسم كل واحد من اصحابها ومكانه وعدد دواليب معمله والى ما في لبنان من معامل الحياكة ايضاً كما هو في بيت شباب التي لها القدح المعلى بهذه الصناعة «١٠» هيأنا مقالا واسعاً في الزراعة والري سنثبته في المجلد الثاني

٧٩ وكم كرمة (١) ان لاح بارق راحها تريك شموس البشر من كاسها تبدو

٨٠ وفيك العلاء المحض والشرف الذي تفرع عن اوراقه الحسب العد (٢)

٨١ وصيدٌ (٣) غطاريف اذا استنجد الورى بهم فهمُ في كل نازلة نجد

٨٢ مغاوير ان شدوا امناجيد ان دعوا كرام اذا اسدوا مراجيح ان عدوا

٨٣ وكم مزقت احشاء قومك فرقة وفرقهم ايدي سبا الجهل والحقد

٨٤ تلاعب فيهم عامل الدهر حقبة كانهم في كف لاعبه نرد

٨٥ وكم رفعت فيك (٤) المساواة راية تفيأ دهراً ظلها الحر والعبد

٨٦ وقد غرسوا فيك الاخاء فغرسه ونام ومن اشجاره اثمر الود

٨٧ ومجلس (٥) حزب العاملين بحكمةٍ يدير شؤون الحزب طرا و يقتد (٦)

٨٨ وكم زان منك الجيد فضلاً ونائلاً مليك له في عصره الحل والعقد

٨٩ حميدٌ (٧) حليف المجد والفضل من له بارضك رفد ليس يشبهه رفد

٩٠ وكم ولي الاحكام من متصرف حكيم له من حزمه والنهى جند

«١» ما لا ينقطع «٢» ذكرنا في هذا المجلد شيئاً يتعلق بالكرمة وبعامل العرق اللبنانية وسنوفي هذا الموضوع حقه في المجلد الثاني «٣» اشارة الى امراء لبنان ومشائخه واعيانه «٤» اشارة الى الماسونية «٥» حزب العمال في بيروت رئيسه الاول حضرة انيس بك الحاني ورئيسه الثاني مؤلف هذا التاريخ والمندوب القومندور الامير سليم ابي اللمع ونائب المندوب فيليب افندي انتيان والسكرتير يوسف افندي نجا والخطيب يوسف افندي غابرني وهو مجلس قانوني يطبق اعماله على قانونين القانون الاساسي المصدق عليه من قبل الحكومة والقانون الداخلي الذي سنه لنفسه «٦» يدير «٧» هو السلطان عبد الحميد الذي كان في عهده لبنان راتعاً في بحبوحة

٩١ فداوود ذو الايدي الذي اطردت به ... امور وللاحداث في باسه طرد

٩٢ بدا(١) كرم في عهده وهو مصلت ... حساماً صقيلا لم يثلم له حد

٩٣ وبعد قتال دام بضعة اشهر ... ومن راى ذا برق ومن باس ذا رعد

٩٤ تغلب داود عليه بجيشه ... لذلك قد كان الجزاء له البعد

٩٥ ونصري فرنقو كان بالعدل حاكماً ... كأن ملاكاً ضم من شخصه البرد

٩٦ روى رستم بالبأس صولة رستم ... ومن هيبة صم الصفا منه ينقد

٩٧ هو السيف بل امضى من السيف عزمه ... وليس له الا النهي والعلى غمد

٩٨ وقد كان واصا حازم الرأي باسلاً ... فقد كان يخشى بأسه الاسد الورد(٢)

٩٩ وكم شام من نعوم بارق نعمة ... لقد كفلت الا يغيبه اللحد

١٠٠ وسقياً لقبر ضم جسم مظفر ... ففيه ثوى المعروف والكرم الجعد

١٠١ وكان له في عهد يوسف حاكم ... به المجد موصول به الامن ممتد

١٠٢ وقد كان اوهانيس غراً ولم يكن ... لازر العلى في عهد دولته شد

١٠٣ ففي عهده للسلم غاضت موارد ... تطيب وللحرب(٣) الضروس بدا وقد

١٠٤ فكم محنة اقصت عن الام نجلها ... وكم مقلة اذ ذاك قرحها السهد

١٠٥ وكم ذاب قلب من جواه وحزنه ... وكم ضربة من هولها شابت الولد

الرغد وكان له على لبنان اياد بيضاء فقد كان في مقر السلطنة كل من حضرة سليم باشا ملحمه واخيه نجيب باشا اللذين بالغا في مساعدة بني لبنان وقد كان بيت احدهما نجيب باشا محطاً لرحال كثيرين منهم ومن الذين افادوا بلادهم في الاستانة المرحوم يوسف بك الرامي «١» اشارة الى الحرب التي اثارها حينئذ يوسف بك كرم وسيجيء ذكرها «٢» الشجاع «٣» الحرب الكونية

١٠٦ فجاء رضى(١) باشا وقد كان ظله ... ظليلاً على كل الاماكن يمتد

١٠٧ وسيرته بين الورى لم يكن لها ... اذا سئلوا عنها سوى مدحها رد

١٠٨ وكانت فينا(٢) مصدراً المصائب ... توالت على الدنيا وليس لها عد

١٠٩ حروب طوال لم يكن قط مثلها ... حروب بها الاموال تفقد والمجد

١١٠ مضت سنوات اربع لشبوبها ... وكل نهار من دجى الليل مسودُّ

١١١ وكم من ملوك(٣) انزلوا عن عروشهم ... كأنهمُ في الكون ما وجدوا بعد

١١٢ وفيها جمال(٤) ساد في القطر كله ... وكان غشوماً (٥) لا يطاق له صد

١١٣ اقام على الاعواد رهطاً(٦) افاضلاً ... وكانت خيول الظلم في قطرنا تعدو

١١٤ واجلى عن الاوطان قوماً(٧) انبلهم ... كأن عليه كل ذي شرف يعدو

١١٥ وكم بزَّ اموالاً وارمل نسوةً ... كأن دماء الناس في فمه قند(٨)

١١٦ وجاء منيف (٩) حينذاك وعهده ... بدا فيه في لبناننا البؤس والمدُّ(١٠)

١١٧ فعم الجراد الارض والجوع قد فشا ... فكان به من ذخر ابائنا جرد

«١» هو محمد رضى باشا الذي تولى قيادة الفرقة الرابعة عشرة في لبنان بعد تحسين بك وكان في مدة وجوده بلبنان التي كانت عبارة عن سنتين واربعة شهور مظهراً للشكر لما كان متصفاً به من الصفات الكريمة وسنذكر تاريخ حياته في موضع اخر من هذا الكتاب «٢» اشارة الى ان الحرب الكونية سببها قتل ولي عهد النمسا وقتل زوجته في بلاد السرب كما سيجي في باب الحرب الكونية في المجلد الثاني «٣» اشارة الى العروش التي ثلت كعرش روسيا وما اشبه «٤» هو جمال باشا الذي كان في ايام الحرب حاكماً بامره وسنذكر في باب الحرب في الجزء الثاني كل اعماله «٥» الظالم «٦» اشارة الى الذين قتلوا صلباً وسنذكرهم في المجلد الثاني «٧» اشارة الى الذين ابعدوا وسنذكر اسماءهم «٨» عسل قصب السكر «٩» هو اول متصرف نصب في الحرب «١٠» الشر

١١٨ وقد كانت الاديار في كل بقعة ملاجيء والارزاء ليس لها حد

١١٩ وكان غريغوري (١) لدى القحط باسطاً يد البذل وهو الغوث للناس والرفد

١٢٠ وانشاء للعافين عواد (٢) مطعماً لهم كان موفوراً به الرزق والنقد

١٢١ وبالنجمة (٣) البيضاء كم من بلية عدتك وشابت فيك من هولها المرد

١٢٢ وليس منيف بالاذى متفرداً فان رجال (٤) الشر ساعده شدوا

١٢٣ احاطوا به مثل السوار بمعصم وليس لما تبغي ظباؤهم (٥) ردّ

١٢٤ ويتلوه اسمعيل (٦) حقي وقد مشى على مبدإ لاميل فيه ولا إدّ (٧)

١٢٥ وممتازٌ (٨) بالاموال فرّ فانه كما شهدت اعماله الرجل الجحد

١٢٦ وارواد (٩) كانت مورد الرزق للألى يلين على بلواهم الحجر الصلد

١٢٧ وبولس (١٠) عقل كان للرزق جالباً وقد خبأته في عرائنها الاسد

«١» هو البطريرك غريغوريوس بطريرك الروم الارثوذكس الذي بالغ في الاحسان في ايام الحرب «٢» اشارة الى المطعم الذي انشأه سيادة المطران بولس عواد في ايام الحرب في قرية انطلياس وكان يشتمل على اربعماية فقير يقدم لهم فيه الطعام مرتين في كل يوم من ايام الحرب كما سيجيء «٣» النجمة البيضاء اسم لجمعية مشتقة من جمعية الصليب الاحمر وسيأتي بيانها «٤» هم الرجال الذين التفوا حول على منيف بك وعقدوا الخناصر معه على شركة القمح «٥» وكل لبيب بالاشارة يفهم «٦» هو المتصرف الثاني المنصوب من قبل الباب العالي «٧» امر فظيع «٨» هو المتصرف الثالث والاخير الذي نصبه الباب العالي واخذ من خزينة لبنان مبلغاً وافراً خلسة وفر وسنذكر ذلك في تاريخ حياته «٩» اشارة الى ان الدولة المنتدبة كانت ترسل الاعانات من ارواد الى المنكوبين

«١٠» بولس عقل هو سيادة المطران بولس عقل اليوم وهو الذي كان يطرح

١٢٨ ومذ(١) جاء اللنبي بجيش عرمرم ورزق جزيل كاد يكتمل القصد

١٢٩ ولاقاهمُ لبنان والبشر طافح وكان بهم للترك من ارضه كرد(٢)

١٣٠ وقد قام بين الترك اذ ذاك قائد يزيد على صرف الزمان و يشتد

١٣١ هو المصطفى(٣) الغازي كمال الذي له جيوش تزينهم مثقفة ملد

١٣٢ فكان بما يبغيه للترك فائزاً وكان جزا اعلام اعدائه الخضد

١٣٣ وباسم فرنسا جاء بيكو(٤) مبشراً بلاداً لها في قلبها استحكم الود

١٣٤ و بيكو بنو لبنان يدرون انه هو الساعد الاقوى للبنان والزند

١٣٥ وكان له من دام(٥) اقوى مساعد وخير صديق صادق قوله بِدِ

١٣٦ ومن بعد بيكو جاء غورو(٦) ومجرداً حساماً له من صادق العزم افرند

بنفسه في الاخطار و يذهب بين الحراب في لجات البحر المضطربة على زورق صغير الى ارواد لجلب الرزق لبني لبنان على ماسيجي، في تاريخ حياة هذا الحبر الفدائي الكبير «١» اللنبي هو قائد الجيوش الانكليزية ورئيس حملة الاحتلال الذي انعش لبنان لدى وصوله اليه بما صار توزيعه على المعوزين من الاحسان و بما كان يبذل جنوده من الرزق كرماً على مجاوريهم فان بعض اللبنانيين ما زالوا يذكرون اولئك الجنود بالشكر حتى اليوم معجبين بكرمهم و كرم روسائهم فقد روى احد كبار اللبنانيين في شمالي لبنان انه قدم لاحد الضباط الانكليز قطعة قماش مطرزة تطريزاً جميلا ولكن قيمتها لا تتجاوز المئة غرش فاهداه بغلة كانت تساوي في ذلك العهد ستة الاف غرش فتأمل «٢» الكرد بمعنى الطرد «٣» اشارة الى البطل المشهور مصطفى كمال باشا الذي احيى الدولة التركيه بعد موتها وقام باعمال لا يقوم بها اعظم الفاتحين «٤» هو جورج بيكو وهو اول مفوض سام جاء البلاد السورية من قبل دولة فرنسا وكان مرافقاً جيوش الاحتلال «٥» هو الكابتن دام وقد جاء مع المسيو بيكو كاتباً لاسراره وهو من الرجال المعروفين بالحزم وقد عين بعد وصوله رئيساً للحجرة السياسية في عهد الموسيو بيكو فقام باعباء وظيفته خير قيام

١٣٧ وسار الى باريس وفد برأسه الحويك (١) بالرأي المسدد يعتد

١٣٨ فامضى كليمنصوله (٢) الصك قائلاً

ثقوا ليس من ادراك مطلبكم بد

١٣٩ وقد اعلنوا في بدء ايلول انه — استقل ورسم الارز للدولة البند

١٤٠ وولوا عليه حاكماً نادر الحجى ترابو الذي في الناس ليس له ند (٣)

١٤١ تولى وفي لبنان ليس له ضد وولى في لبنان ليس له ضمد (٤)

١٤٢ وسن له روبرت ديكه شرائعاً اصاب بها لبناننا العسف والبد «٥»

١٤٣ وفي الشام قد قامت لفيصل دولة فكانت كظل الرمح في الشمس يمتد

١٤٤ اراد لها غورو بقاء بالفقر فعافت ولاء وارتعى صدرها الحقد

١٤٥ فجرد غورو سيفه لقتالها فبددها غورو وادركها الأد «٦»

١٤٦ وبتنا نحيي فيه عهداً مجدداً وقلنا بغورو اليوم تم لنا الوكد «٧»

١٤٧ ولكن هي الايام لا عهد عندها فكم ضاع في اصلاح فاسدها وكد «٨»

١٤٨ وكم كونفرنس قد اقاموا ودون ما يتوق اليه الكون قد وقف الصد «٩»

١٤٩ بحجة ان الحرب لم تلق وزرها ترى افهذي الحرب ليس لها حد

١٥٠ وهل للملوك الارض ان يرحموا الورى فكاد عماد الصبر في الكون ينهد

١٥١ فان لم يكن للناس حول وقوة لدرء الردى عنهم فالسنة لد

«١» اشارة الى سفر غبطة البطريرك الحويك الجزيل الاحترام وكيلاً عن عموم طوائف لبنان يحف به وفد كريم سنجي على ذكره «٢» هو الصك الذي وعد المسيو كليمنصو رئيس وزارة فرنسا حينئذ البطريرك المشار اليه بامضائه «٣» شبيه «٤» صديق «٥» التعب «٦» الويل «٧» القصد «٨» السعي «٩» الجبل

١٥٢ ولم لم يجي، لبنان اذ ذاك مصلتاً حساماً صقيلاذو البسالة ويغند

١٥٣ ولولم يقم في الحال للخطب مسرعاً لما كان يصفو فيه حال ويستد «١»

١٥٤ وبعد ترابو صار ابوار نائباً وابوار شهم حازم عاقل هد «٢»

١٥٥ وابوار فندنبرغ قد جاء بعده وكان بلبنان الكبير له وجد «٣»

١٥٦ ولكنه ما طال فيه زمانه وفيه لكيلا بعده ابتسم الجد «٤»

١٥٧ نخف بنو لبنان من كل جانب اليه وكان الوفد يعقبه الوفد

١٥٨ فقابلهم باللطف والبشر واعداً بتحقيق ما راموا وقد اثمر الوعد

١٥٩ وعهد سراي بعد ما صار صافياً وكاد به يحلو لذي ظماء ورد

١٦٠ لقد صار في حوران عهداً مكدراً وفي الشام عهد لم يكن مثله عهد

١٦١ فكم قتلوا فيها بريئاً ودمروا بناء وكم في الموبقات يداً مدوا

١٦٢ وكم نكبة في حاصبيا وكوكبا وراشية عن عدها قصر العد

١٦٣ ومرجعيون كم بها من مهدم وكم واحد منها ارتق له رفد «٥»

١٦٤ لقد عمت الفوضى وذابت نفوسنا وباب الرجا في اوجه الناس منسد

١٦٥ ولما اتى جفنيل يمشي بتؤدة وفي يده صاب وفي اختها شهد

١٦٦ تبسم لبنان وضاءت بحلق منازلها مذ لاح كوكبه السعد

١٦٧ وقام برد الخطب عنا بساعد قوي على دفع العظائم يشتد

١٦٨ وان وعرت طرق العلا قبل عهده ففي عهده فوق المجرة تمتد

١٦٩ وعاد دريفي مثلما كان سابقاً برأي سديد ليس في امره رد «٦»

١٧٠ ونوابنا ان حقق القول فعلهم بدولة لبنان لهم وجب الحمد

(١) يستقيم (٢) الرجل الكريم «٣» حب «٤» الحظ «٥» كناية عن الموت «٦» مخالفة الشرائع

﴿ لبنان ﴾

ان لبنان[١] الاصلي يشتمل على سلسلتي جبال على شاطىء بحر الروم تمتدان من الشمال الى الجنوب ثم تقترنان في سفح جبل الشيخ . فالغربي تبتدىء سلسلته من وادي قلعة الحصن ودير الحميراء بالقرب من جبال النصيرية وتنتهي في وادي الليطاني عند قلعة الشقيف[٢] واعلى رؤوسه قمم قم الميزاب فوق طرابلس

واما الشرقي فتسير سلسلته من الشمال على بعد مرحلة من حمص جنوباً بين حسيا وشمسين تجاه آخر جبال النصيرية ثم تأخذ الى الجنوب الغربي وبينها وبين السلسلة الغربية سهول بعلبك وبقاع العزيز واعلى رؤوس لبنان الشرقي جبل الشيخ المعروف بجبل حرمون ايضاً وتمتد منه شعبة الى الجنوب الشرقي ثم الى الجنوب البحت وتنتهي في موضع يقال له تل الفرس

وقد دعى بعض الاوربيين احدى هاتين السلسلتين بلبنان والاخرى بانتيلبنان والكتاب المقدس يعتبرهما جبلاً واحداً على ما ورد في نشيد

---

(١) لبنان كلمة عبرانية معناها الابيض مأخوذ من بياض الثلج الذي يغشى قممه صيف شتاء. وقد دعاه الاشوريون لَبْنانو والاراميون لِبْنون والرومان لبانوس

(٢) قلعة الشقيف اخذها الملك صلاح الدين الايوبي من الافرنج سنة ١١٩٠م ثم استعادها الافرنج باتفاق بينهم وبين الملك اسماعيل ثم استرجعها الملك الظاهر بالقاء الفتنة بين اهلها سنة ١٢٦٨ و يقال لتلك الاراضي جبل عاملة ومنها (جبل عامل)

الانشاد (٧ : ٤)

وهما من جهة الشمال في الدرجة الـ٣٤ والدقيقة الـ٥٠ من العرض الشمالي ايضاً

والجبل الشرقي منهما ينخفض الى ان يتصل بسهول عكا والغربي اكثر ارتفاعاً واكمل خصباً واكثر سكاناً وعمراناً وفيه عيون غزيرة وهو مطل على البحر واما الشرقي فان جهته الشرقية زاهية بعكس الغربية فانها مجدبة

وسهول بعلبك والبقاع المذكورة متكونة من اراضٍ خصبة جرفتها المياه سمكها نحو عشرة امتار

وطول هذه السهول من الشمال الى الجنوب ٩٠ كيلومتراً وعرضها من الشرق الى الغرب من ٩ الى ١٣ كيلومتراً ومعدل ارتفاعها عن سطح البحر ٩٠٠ متر

واما لبنان الصغير فهو ما يحده من الشمال جبل تربل فوق طرابلس ومن الجنوب جبل الريحان فوق صيدا ومن الغرب بحر الروم ومن الشرق وادي البقاع

ولبنان الكبير مؤلف من لبنان الصغير ومن بيروت ومن كل من اقضية صور وصيدا ومرجعيون وحاصبيا وراشيا والبقاع وبعلبك وطرابلس وقضاء عكار الذي بقي منه خمس مديريات لم تلتحق بلبنان الكبير وهي عكار والدريب ووادي خالد والقيطع والجومة

وقد جعلنا لكلٍ من لبنان الصغير ولبنان الكبير جدولاً يشتمل على

ما فيه من المدن والقصبات والقرى كما سترى

ولبنان الصغير واقع بين الدرجة ال ٣٣ من العرض الشمالي وال ٣٥ منه ويجد الانسان فيه كل صنف من اصناف الهواء وله مزية على سائر البلدان لان الحالة تختلف درجاتها بين سواحله واعاليه اختلافاً منسوقاً بحسب درجات الارتفاع فلكل مئتي متر من العلو نقصان درجة واحدة من الحرارة · اما فصول السنة الاربعة فيه فواضحة بميزاتها

وقد نال شهرة واسعة في التاريخ لحسن موقعه ولانه لعب دوراً مهماً في السياسة على ما سيجيء

وهو يمتد من الجنوب الى الشمال على طول ١٨٠ كيلومتراً وعرضه بين صيدا ومشغره ٢٩ كيلومتراً وبين بيروت وقب الياس ٣١ كيلومتراً وبين طرابلس والهرمل ٤٦ كيلومتراً وتقدر مساحة ارضه بثلاثة آلاف كيلومتر مربع والسهل الممتد بين شاطئ البحر واوائل تلال لبنان هو اشهر من غيره لانه مركز اقدم العالم وهو يبتدئ من امام جزيرة ارواد ماراً على ارياف طرطوس وارض عكار ثم يضيق كلما اخذ في المسير في سفح لبنان حتى ان تربة طرابلس تكاد تضيق عن ثلاثة كيلومترات ثم يزداد تقرباً من البحر عند راس الثورية (١) ووجه الحجر حيث يلج البحر ولا يدع مجازاً للعابرين ويتسع السهل قليلاً في البترون وجبيل وراس نهر الكلب ثم يأخذ في الارتفاع شيئاً فشيئاً في سهل بيروت على طول ٢٦ كيلومتراً في عرض تسعة وينتهي في جهة الجنوب برمال ثم نعترضه

(١) راس الثورية كان اليونان يسمونه قبل المسيح وجه الله

جبال بحيث لا يبقى غير مجاز ضيق يمتد من الدامور الى صيدا

اما سهول صيدا فطولها الى حد راس صرفند ١٣ كيلومتراً وعرضها ٤ ثم تمتد من هناك بعرض كيلومتر الى نهر القاسمية ومن هناك تبتدىء بسهل صور الذي يبلغ طوله ٢٣ كيلومتراً وعرضه ثمانية ومن آخره يظهر سهل عكا المتسع

وقد اجمع راي العلماء على ان مناخ لبنان اجمل مناخ على وجه الارض لان بعده الكافي عن خط الاستواء يقيه لفحات الحر المحرقة وموقعه بالنسبة الى اليابسة يصد عنه غارات البرد القارس ويحمل الشتاء على هامه والربيع على منكبيه والخريف على صدره في حين ان الصيف تحت قدميه

اما نقاوة الهواء فيه وصلاحيته للصحة وصفاء جوه فانها امور مشهورة وهذا هو المساعد الاقوى على تربية الاخلاق الجميلة فيه والظروف تساعد على انماء النبات فيه فينمو فيه ما يحتاج الى رطوبة وما هو في غنى عنها

والحرارة كافية في سواحله فانها تغني عن الوقود في الشتاء وعن الملابس المخصوصية في الصيف

والمعدل السنوي للمطر فيه ٣٥،٩٩٥ قيراطاً واعلى ما وصل اليه البارومتر فيه ٧٧٥،٨ ميليمتر في احدى السنوات واقل ما وصل اليه ٧٤٥،٨ ميليمتر وذلك في ٢٣ اذار سنة ١٩١٠

وبالجملة فانه بمناخ لبنان يطيب المقام وتقوى التغذية ويسهل التنفس

وسلسلة جبال لبنان الصغير تبلغ ١٢٥ كيلومتراً مربعاً ومساحة ارضه الزراعية مئة كيلومتر مربع ومساحة ارضه الضعيفة مئتي كيلومتر

مربع ومساحة غاباته ٥٠٠ كيلومتر مربع

اما تقدير وارداته من الحاصلات الزراعية والحرير والفنادق والاصطياف ومما يرد من اميركا ومن صنع الكلس والصابون والنسيج ودبغ الجلود والصناعات الزراعية فهي ٢٢٠،٠٠٠،٠٠٠ غرش فيصيب كل واحد من هذا المجموع ٦٢٨ غرشاً ذهباً في السنة

وموسم الشرانق السنوي فيه يقدر بـ ٤٠٠،٠٠٠ كيلو ولكن اذا حلّت هذه الشرانق فتصير قيمتها ثمانين مليون غرش من الذهب

ومحصول التبغ الوطني ثلثمائة الف اقة والاسلامبولي خمسون الف اقة

ومساحة الارض التي تزرع فيه تبغاً ٢٥٠٠٠ دونم

ومحصول رسوم الاحراج السنوي ٤٨٠،٠٠٠ غرش

ورسوم نقل الحجارة من المقالع ٣٥٠٠٠ غروش.

ويبلغ عدد ما يعلف من الغنم في لبنان ٢٥ الف راس وتبلغ حاصلات صوفها ٣٠ الف كيلو تقريباً

وفيه مئة وعشرون الف راس من الماعز يبلغ محصول شعرها نحواً من مئتي الف كيلو

وعدا املاك لبنان الممسوحة والمملوكة يوجد املاك اميرية[1] سيأتي

---

(١) الاملاك الاميرية هي الاملاك الواقعة في القرى الاتية وهي: الهري ودار شمزين وبزيزا وكفرعقا ودار بعشتار وبطرام وبشزين وذكرون وبترومين وعابا وفيع وبديا وبصرما واجد عبرين وبنعبوره وكفرحاتة وراسنحاش وبدنايل وكفرقاهل وبزعون وبكفتيين وانفه والحريشة وشكا من قضاء الكوره ومجدليا ونحوم ومزرعة عساف وحرش الهرمل من قضاء البترون وقبو جبيل وصلوقية

بيانها بالتفصيل تبلغ مساحتها ٧٣٠٠ درهماً منها ثمانماية درهم في قضاء كسروان والف ومئتا درهم في قضاء البترون وخمسة الاف وثلثمائة درهم في قضاء الكوره

واثمان حاصلات هذه الاملاك كانت تدخل في ميزانية حكومة لبنان السابقة

الجدول السنوي لمحصولات المزروعات اللبنانية

كيلو	
٢٠٥٠٠٠٠٠	حنطة
١٠٥٠٠٠٠٠	شعير
١٢٠٠٠٠	ذره صفراء
١٣٠٠٠٠	كرسنه
٩٠٠٠٠	بامياء
٨٠٠٠٠	عدس
٥٠٠٠٠	فول
٤٠٠٠٠	ترمس

وشمسطار من قضاء كسروان ومطحنة الغدير من قضاء المتن

وقد اتصلت الاملاك الاميرية الموجودة في القرى المذكورة بالدولة العثمانية من حكام لبنان الاقدمين فانهم كانوا اخذوها من اصحابها عنوة وجعلوها في ذلك العهد (اراضي اميرية) مخصصين ريعها لمصارف مطابخهم خاصة

والدولة العثمانية تركت وارداتها لحكومة لبنان لقاء ما كان مفروضاً عليها دفعه لها بموجب المادة ١٥ من نظامه

فاصولياء	١٣٠٠٠٠
بطاطه	١٧٠٠٠٠
تبغ	٨٥٠٠٠
خضر واثمار	١٤٠٠٠٠

﴿ ايراد التوت والزيتون السنوي في الدنم ﴾

	هكتار [1]	كيلو	غروش
توت	٣١٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠٠
زيتون	١٢٧٠٠	٧٦٨٠٠٠٠٠	٤٩٩٢٠٠٠٠
بردقال	٤٥٠	١١٧٠٠٠٠٠	٢٣٤٠٠٠٠٠
تين	٥٥٠	٨٧٧٥٠	٨٨٠٠٠٠٠
كرم	٢٣٠٠	٢٠٢٨٠٠٠٠٠	٦٢١٠٠٠٠٠
خرنوب	٢١٠٠	١٢٦٠٠٠٠٠٠	٣١٥٠٠٠٠٠
تفاح اجاص	٤٠٠	٥٠٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠٠
	٥٠٠٠٠	٣٢٣١٧٧٥٠	١٣٣٣٠٠٠٠٠

(١) الهكتار عبارة عن عشرة الاف متر مربع

ادخالات		اخراجات	
حنطة	٢٠،٠٠٠٠٠٠	شرانق حرير	٤٠،٠٠٠٠٠٠
شعير وسائر الحبوب	٤٥،٠٠٠٠٠٠	حرير	٢٥،٠٠٠٠٠٠
خيل وبغال وحمير	٢،٥٠٠٠٠٠	اجراس ومعادن ومقالع حجارة	٥،٥٠٠٠٠٠
حيوانات قصابية	٣،٠٠٠٠٠٠	صابون	١،٥٠٠٠٠٠
كرسته	٥،٠٠٠٠٠٠	منسوجات واشغال يدوية	١٥٠٠٠٠
سمن وسكر وقهوه	٨،٠٠٠٠٠٠	صبغة شعر وغيرها	١،٠٠٠٠٠٠
جلود غير مدبوغه	٥،٠٠٠٠٠٠	تبغ وسواكير	٢،١٠٠٠٠٠
خيطان قطن	٩٠٠٠٠٠	بطاطه	٣٠٠٠٠٠
صوف وشعر	٤٠٠٠٠٠	مشروبات كحولية	٥،٢٠٠٠٠٠
امتعة اوربية	٦٥،٠٠٠٠٠٠	زيت وزيتون	١٢،٥٠٠٠٠٠
		حاصلات اشجار مثمرة	٤،٠٠٠٠٠٠
		دخل الاصطياف	١،٥٠٠٠٠٠
		الوارد من اميركا	٩،٠٠٠٠٠٠
	١٥٥،٣٠٠٠٠٠		١٩٦ ٣٠٠٠٠٠

قواعد نظام لبنان

الموضوعة بمعرفة نواب الدول

المادة الاولى[1] يولَّى على كل الجبل حاكم مسيحي مرجعه الباب العالي

« الثانية تبقى حدود لبنان على ما كانت عليه

« الثالثة يجب الغاء حكم القائمقاميتين والاقطاع[2]

« الرابعة تجب قسمة لبنان الى اقضية ونواحٍ[3]

« الخامسة يجب الغاء الحكم الاقطاعي وامتيازاته

« السادسة تجب المساواة بين الجميع امام القانون

---

(١) لقد علق مندوبو الدول على هذه المادة التعاليق الاتية :

اللورد دفرين مندوب انكلترا اشترط ان يكون الحاكم غريباً عن الايالة

المسيو دي هفوس مندوب النمسا « « غير وطني وان الباب العالي يتفق مع مندوبي الدول على انتخابه

المسيو فكبكر مندوب المانيا اشترط ان يكون غير وطني

« نيفوكوف « روسيا « « « «

« بكلار مندوب فرنسا طلب ان يكون الحاكم لبنانياً ومن آل شهاب اما اللورد دفرين فخالفه بذلك لانه خشي من ان اعادة الامارة الى آل شهاب توجب بسط نفوذ فرنسا على لبنان

(٢) سيجيء الكلام باسهاب على القائمقاميتين وعلى الحكم الاقطاعي

(٣) الاقضية والنواحي هي تقسيمات لبنان الصغير الادارية اما اليوم فتحولت الاقضية الى محافظات والنواحي الى مديريات

المادة السابعة يجب ايلاء جميع طوائف لبنان ضمانات قضائية وادارات متماثلة

« الثامنة يجب فصل السلطة الادارية عن القضائية

« التاسعة[1] يجب انشاء مجلسين اداري وقضائي في مركز الحكومة الرئيسي يكونان المرجع الاعلى[2] والاخير لكل المسائل المتعلقة بهما

« العاشرة يجب ان يتألف في كل قضاء من اقضية لبنان مجلسان الاول اداري والآخر قضائي

« الحادية عشرة يتألف كل من المجلسين العاليين من اثني عشر عضواً اثنين من كل من الطوائف الآتية وهي : الاسلام[3]

---

(١) في بدء تشكيل المتصرفية انشىء في مركز المتصرفية مجلسان اداري وقضائي كان كل منهما مؤلفاً من اثني عشر عضواً من كل طائفة من طوائف لبنان الست عضوان وكان يجري انتخابهم بمعرفة رؤساء الطوائف الدينيين وهكذا كانت الحال في الاقضية فانه كان في مركز كل قضاء منها مجلس اداري ومجلس قضائي وقد استمرت الحال على هذا المنوال مدة ثلاث سنوات الى ان جرى التعديل بموجب النظام الآتي بيانه

(٢) ينتج من مدلول العبارة « يكونان المرجع الاعلى والاخير » ان القرارات والاحكام الصادرة من المجلسين المشار اليهما هي قطعية ولا موجب لتمييزها

(٣) الاسلام والمتاولة هم ملة واحدة فيقال للاولين اسلام سنيون وللآخرين اسلام شيعيون اما نحن فقد جعلنا كل ملة وحدها تبعاً لنص انظمة لبنان

وقد قيل للشيعيين « متاولة وشيعيين » لانهم والوا الامام علي وشايعوه وكلتا الكلمتين بمعنى واحد

والموارنة والروم الارثوذكس والدروز والروم الكاثوليك والمتاولة

ويضم اليهم لدى الحاجة عضوان واحد من البروتستانت والآخر من اليهود متى كان لاحد ابناء هاتين الطائفتين دخل في الدعاوى

نظام لبنان الصغير[1]

وهو النظام الذي تقرر وضعه لجبل لبنان بعد انقضاء مدة النظام الموقت الذي كان صار وضعه للثلاث السنوات الاولى

« النطق السلطاني العالي »

لما كان الاجل المضروب لمدة ثلاث سنوات للنظام الذي وضع والقرار الذي تقدم صدوره بخصوص ادارة جبل لبنان تحصيلاً لاسباب رفاه وأمن الرعية التابعين دولتي العلية القاطنين والمستوطنين الجبل المذكور وكان من المقرر انه عند انقضاء المدة المعينة يعاد التذاكر في مقتضى الحال وقد انقضت الان فقد أُجري التعديل والتنقيح في بعض المواد الواردة في لائحة هذا النظام وعند عرضها على جناب سلطنتي الاشرف والاستئذان فيها تعلقت ارادتي السنية الشاهانية باجراء مقتضاها على هذا الوجه وبموجبها

---

(١) اثبتنا هذا النظام وسائر الانظمة التي اقتضى اثباتها في هذا التاريخ بنصها رغماً عما في بعض عباراتها من التشويش والمخالفة لاصول اللغة

لزم اعلان النظام المذكور على المنوال الآتي بيانه :

المادة الاولى يتولى ادارة جبل لبنان متصرف مسيحي تنصبه الدولة العلية ويكون مرجعه الباب العالي راساً وهو محتمل العزل بمعنى انه لا يستمر في منصبه ما دام حياً ويكون على عهدته القيام بجميع خطط الادارة الاجرائية متوفراً على حفظ الراحة والنظام في انحاء الجبل كلها وان يحصل منها التكاليف وبحسب الرخصة التي ينالها من لدن الحضرة الشاهانية ينصب تحت عهدته مأموري الادارة الحالية ويقلد الحكام القضاء ويعقد المجلس الكبير ويتولى[1] رياسته وينفذ الاعلام القانونية الصادرة من المحاكم الخارجة عن القيود التي ستذكر في المادة الثامنة.

المادة الثانية ينبغي ان يكون للجبل كله مجلس ادارة كبير مؤلف من اثني عشر عضواً : اثنين من الموارنة ينوبان عن مديريتي[2]

---

(١) كان متصرف لبنان هو الرئيس الطبيعي لمجلس الادارة وكان عليه ان ينيب عنه احد اعضاء المجلس ليقوم بواجب الرياسة خلافاً للنظام

على انه في عهد نعوم باشا قرر الباب العالي بالاتفاق مع مندوبي الدول جعل ذلك المأمور وكيلاً رسمياً للرياسة

(٢) في بدء تاسيس المتصرفية كانت المديرية بمثابة قائمقامية والناحية بمثابة مديرية وكان قضاءا كسروان والبترون مديرية واحدة

وبعد وضع هذا النظام حصل تعديل فيه فجعل العضو المتولي عن كسروان بدلاً من ان يكون من المتن وجعل العضو المسلم من الشوف بدلاً من ان يكون من

كسروان وثلاثة من مديرية جزين احدهم ماروني والثاني درزي والثالث مسلم واربعة من مديرية المتن احدهم من الموارنة والثاني من الروم والثالث من الدروز والرابع من المتاولة وعضو درزي من مديرية الشوف وآخر من الروم ينوب عن مديرية الكوره وآخر من الروم الكاثوليك ينوب عن مديرية زحله · ومجلس الادارة هذا يكون مأموراً بتوزيع التكاليف والبحث في ادارة واردات ومصاريف الجبل وبيان ارائه من وجه المشورة فيما يعرضه عليه المتصرف من المسائل

المادة الثالثة — ينبغي ان ينقسم جبل لبنان الى سبعة اقضية الاول يشتمل على الكورة مع الجهة التحتية والاراضي المجاورة الاهلة باقوام على مذهب الروم الا ان قصبة القلمون التي هي على ساحل البحر ومعظم سكانها من اهل الاسلام هي مستثناة من ذلك

والثاني يشتمل من شمالي لبنان على جبة بشرى والزاوية وبلاد البترون والثالث يشتمل من الشمال المذكور على بلاد جبيل وجبة المنيطرة والفتوح وكسروان الاصلي حتى نهر الكلب والرابع يشتمل على زحله وضواحيها والخامس يشمل المتن مع ساحل النصارى واراضي

جزين وفي اواخر زمن المتصرفية زيد فيه عضو للموارنة عن دير القمر

القاطع وصليما والسادس يبتدىء من جنوبي طريق الشام حتى جزين والسابع يشمل جزين واقليم التفاح وفي كل من هذه القضاوات السبعة المار ذكرها يجب على المتصرف ان ينصب مأمور ادارة منتخباً من ابناء المذهب الغالب هنالك عداً في النفوس او اهمية في الاملاك الجارية بتصرفهم

المادة الرابعة يجب ان تقسم القضاءات الى نواح على خط قريب المشاكلة لما ذكر من اقسام القضاءات فيلي كل ناحية مامور ينصبه المتصرف بناءً على انهاء مدير القضاء وان يكون في كل قرية شيخ ينصبه المتصرف بانتخاب الاهالي

المادة الخامسة قد تقرر لزوم اجراء المساواة بين الجميع امام القانون ونسخ والغاء كل الامتيازات العائدة لاعيان البلاد خصوصاً ذوي المقاطعات

المادة السادسة يجب ان يكون في الجبل ثلاث محاكم ذات درجة اولى يقوم كل منها بحاكم ووكيل ينصبهما المتصرف ومعهما ستة وكلاء دعاوى رسميون تنتخبهم الطوائف وان يكون في مركز ادارة الحكومة مجلس محاكمة كبير يتألف من ستة حكام ينتخبهم المتصرف ويعينهم من الطوائف الست وهم المسلمون السنيون والمتاولة والموارنة

والدروز والروم الارثوذكس والروم الكاثوليك ويلحق بهم ستة من وكلاء الدعاوى الرسميين لكل طائفة وكيل واذا وقع لاحد ابناء البروتستانت ام اليهود دعوى يضاف الى المجلس حاكم ووكيل دعاوى رسمي من كلا المذهبين اما رياسة هذه المحكمة الكبيرة فيتولاها مأمور مخصوص ينصبه المتصرف واذا حاجات البلاد اقتضت المزيد فللمتصرف ان يضاعف عدد المحاكم ذوات الدرجة الاولى لاجراء اعمال الحكومة في مجاريها وللمتصرف ان يعين منذ الان الاماكن التي يوافق وجود المحاكم فيها [1]

المادة السابعة لمشايخ [2] الصلح ان يحكموا في الدعاوى التي لا تتجاوز قيمتها مئتي غرش حكماً غير قابل الاستئناف واما الدعاوى التي يتجاوز مبلغ الواحدة منها المئتي غرش فترى

---

(١) بعد سن هذا النظام جرت التشكيلات على الصورة المبينة فيه ولكن لم تلبث الحكومة ان ضاعفت عدد المحاكم وابلغتها الى سبع بان جعلت في مركز كل قضاء وفي مركز مديرية دير القمر محكمة مؤلفة من حاكم ونائب وكاتب اول يقوم مقام النائب في مدة غيابه والغت وكلا الدعاوى وبقي الحال مستمرا على هذا الوجه الى ان ادخل نظام العدلية الى لبنان في عهد المرحوم واصا باشا كما سيجي.

(٢) قام بعض مشائخ الصلح باعباء وظائفهم المذكورة في قراهم زمناً ولما لم يكن جميعهم حينئذ يحسنون القيام بهذه الوظائف جردتهم الحكومة منها وقررت لزوم فصل جميع الدعاوى في المحاكم النظامية

في المحاكم التي هي من الدرجة الاولى على انه اذا عرض وقوع دعاوى بين اثنين مختلفي المذهب وابى احدهما التقاضي لدى شيخ الصلح فتحال الدعوى وان كان مقدارها قليلاً الى محاكم الدرجة الاولى

[1] ثم ان جميع الدعاوى ولو كان واجباً فصلها بحسب ماهيتها بمجموع آراء الاعضاء فان للمدعي والمدعى عليه المتحدين في المذهب ان يردا الحكم لاختلاف مذهبه غير ان الحكام المردودين من هذا القبيل لا بد من حضورهم المحاكمة

المادة الثامنة [2] يجب ان تكون المحاكمات في الدعاوى الجزائية على ثلاثة وجوه الاول ان يرى دعوى القباحة شيوخ القرى والثاني ان ترى المحاكم التي هي من الدرجة الاولى دعاوى الجنحة والثالث ان تجري محاكمة ذوي الجرائم التي هي من قبيل الجنايات في مجلس المحاكمة الكبير واعلامات الاحكام الصادرة من هذا المجلس [3] لا توضع

(١) لم يعمل قط بمقتضى هذه الفقرة ولا سيما وان معناها غير صريح

(٢) لم ير شيوخ الصلح دعاوى القباحة التي نصت عليها هذه المادة لانهم لم يكونوا اهلاً كلهم للقيام بذلك كما سبق البيان

(٣) ان هذه الفقرة تؤذن بلزوم تمييز الاحكام الى مقر السلطنة بخلاف ما جاء في المادة التاسعة من قواعد نظام لبنان

موضع التنفيذ ما لم تكمل المعاملات الجارية العادة بها في سائر الممالك الشاهانية

المادة التاسعة يجب ان يرى مجلس تجارة[1] بيروت كل الدعاوى التجارية حتى انه يجب ان يرى الدعاوى العادية الواقعة بين واحد من الاجانب او احد الداخلين في حماية اجنبية وبين واحد من ابناء الجبل على ان المنازعات البادية بين اللبنانيين وبين الاجانب متى فصلت بمعرفة محكمين عن تراضٍ بين المتنازعين وجب على مأموري لبنان وقناصل الدول المتحابة ان ينفذوا اعلام المحكمين واما اذا تعذر حصول تراضٍ بين الخصمين على التحكيم واحيلت الدعوى الى محكمة بيروت وجب دفع المصاريف ممن يخسر الدعوى بحسب التعريفة التي وضعها متصرف الجبل بالاتفاق مع قناصل الدول والتي جرى التصديق عليها من الباب العالي

ومن المعلوم انه يجب تنظيم صك التحكيم الواقع من الطرفين المتراضيين بحسب الاصول وان يصير تسجيله بعد ان يمضياه في محكمة بيروت وفي مجلس المحاكمة

---

(١) بقيت محكمة التجارة في بيروت مستمرة على فصل الدعاوي اللبنانية التي هي من قبيل الدعاوى التجارية الى ان منحت محاكم لبنان الحق بفصل هذه الدعاوي بعد ادخال نظام العدلية الى لبنان

الكبير بلبنان

المادة العاشرة ان الحكام ينصبهم المتصرف. بخلاف اعضاء مجلس الادارة فانهم ينتخبون بمعرفة مشايخ الصلح ومشايخ الصلح ينتخبون بمعرفة الاهالي ثم ان اعضاء مجلس الادارة يجب تجديد انتخاب ثلثهم في كل سنتين على انه يجوز ان ينتخب من تنقضي مدة عضويته تكراراً

المادة الحادية عشرة يجب ان يكون الحكام جميعهم موظفين على انه اذا ارتكب احدهم الرشوة او اتى امراً لا يليق بمركزه فيعزل بعد ثبوت ذلك ويستوجب التأديب ايضاً على قدر جريمته

المادة الثانية عشرة يجب ان تكون المرافعات في مجالس القضاء مطلقاً علنية وان يعهد بضبط الدعوى الى كاتب مخصوص وما عدا ذلك فعلى هذا الكاتب ان يسجل بسجل مخصوص معاملات الصكوك المتضمنة فراغ وانتقال (بيع) الاموال الثابتة (العقار) ولا تكون هذه الصكوك حرية بالاعتبار ما لم يجر قيدها في السجل المذكور بحسب الاصول

المادة الثالثة عشرة ان المتهمين من اهل جبل لبنان بارتكاب الجرائم خارج الجبل فيكون اللواء الواقعة الجريمة فيه مرجعاً لروئية الدعوى وهكذا فان من يرتكب جريمة من غير ابناء لبنان في لبنان فيكون لبنان مرجعاً لروئية الدعوى عليه

وبناء عليه فان المجرمين في لبنان سواء كانوا من بنيه ام من غيرهم اذا فروا بعد ارتكاب جرائمهم الى خارج الجبل فعلى حكومة المكان الذين يكونون فروا اليه ان يلقوا القبض عليهم متى طلبوا من قبل حكومة لبنان وان يرسلوهم الى حيث يصير طلب ارسالهم وبالعكس على حكومة لبنان التي يوجد تحت لوائها قوم مجرمون في احد الالوية وفروا الى لبنان ان تقبض عليهم لاول طلب وترسلهم الى المكان الذي طلبت حكومته ارسالهم اليه والمأمورون الذين يتقاعدون عن القيام بمنطوق هذه المادة ولا يكون لهم عذر مشروع تجري مجازاتهم بحسب الاصول كسائر الذين يوارون ويخفون اصحاب الجرائم والحاصل ان العلاقات يلزم ان تكون متبادلة بين حكومة لبنان وحكومات الالوية المجاورة كالعلاقات الجارية بين حكومات السناجق في جميع الممالك المحروسة

المادة الرابعة عشرة ان سبيل المتصرف الى حفظ الراحة وانفاذ احكام القوانين يكون بمعرفة فرقة ضبطية مجموعة من الاهلين باعتبار اخذ سبعة من كل الف نفس ويجب فسخ والغاء سلك الحوالية وابطال نزول الضبطية في البيوت والاعتياض عن ذلك بامور اكراهية كسوق المحكوم عليهم الى السجن

وبناء عليه يجب ان يمنع مأمورو الضبطية من ان يصادروا اهل البلاد بشيء من الاجرة نقداً ام عيناً وان يبلغوا انهم يكونون تحت المسوءولية ان فعلوا مثل ذلك

ويجب ان يجعل للضبطية بدلات رسمية او ازياء مميزة لهم وان تبقى طرقات بيروت والشام وصيدا وطرابلس تحت محافظة العساكر الشاهانية الى ان يصدق المتصرف على ان جنود لبنان اصبحوا صالحين للقيام بهذه الوظائف وللمتصرف ان يطلب من الحكومة العسكرية في سورية ان تمده بالجنود المنظمة عند مسيس الحاجة في الاحوال التي هي فوق العادة ولكن بعد ان يستشير مجلس[1] الادارة الكبير ويجب على الضابط الذي تعهد اليه رياسة العسكر ان ينظر مع المتصرف فيما يجب اتخاذه من التدابير وان يكون مستقلاً في اجراء الامور العسكرية المحضة في مجاريها كاجراء الحركات والنظامات الجندية وعليه في مدة وجوده في الجبل ان يكون بمعية المتصرف وان يجري العمل تحت عهدته ومتى افاده المتصرف رسمياً

---

(١) اتفق في عهد نعوم باشا ان فرقة من الجنود الشاهانية مرت يوماً ما بمركز المتصرفية في بعبدا وذهبت لاجراء التمرينات العسكرية في نواحي جمهور دون استئذان فقام بعض اعضاء مجلس الادارة وقعدوا لهذه المخالفة ولو لم يكن منهم فريق من رجال الحزم لكانوا اقاموا الحجة في المواقع الرسمية ولكان اتسع الخرق

ان السبب الذي استجلب لاجله زال يجب ان يخرج مع العسكر من الجبل

المادة الخامسة عشرة ان الدولة تحافظ على حقها المعلوم بتحصيل ويركو الجبل المعين الان وقدره ثلاثة الاف وخمساية كيس على انه يجوز ابلاغ هذا القدر الى سبعة الاف كيس[١] عند الامكان بحيث ان المال المتحصل يخصص بادي بدء لادارة الجبل ونفقات منافعه العمومية فان فضل منه شيء يرد الفاضل على الخزينة وان اقتضت شدة الضرورة الى تحسين مجرى الادارة مزيداً على التكاليف المعينة فيرجع في تسوية المزيد الى[٢] مصاريف الخزينة الجليلة اما واردات البكاليك اي حاصلات الاملاك لهما يونية فحيث انها ليست بداخلة في الويركو فينبغي ادخارها في صندوق الجبل لحساب الخزينة الجليلة على ان السلطة السنية لا تقوم باداء مصارف الانشاآت العمومية وسائر النفقات غير العادية ما لم يتقدم

---

(١) الكيس عبارة عن خمسماية غرش

(٢) بقيت حكومة لبنان تأخذ بموجب هذه الفقرة من صندوق السلطة: خمسة الاف كيس في كل سنة من اول تشكيل المتصرفية الى زمن رستم باشا الذي ساعد الدولة على قطع هذا المرتب تماماً ولكن حكومة لبنان ظلت تجري قيد هذا المرتب في دفاترها بصفة دين على الدولة فبلغ مبلغاً كبير من الملايين ولكنها كانت حبراً على ورق

بيان بقبولها وتصدق عليها

المادة السادسة عشرة يجب تعجيل الشروع في احصاء نفوس اهل الجبل
محلاً محلاً وملة ملة ومسح جميع الاراضي المزروعة
وتنظيم خريطة مساحتها

المادة السابعة عشره كل الدعاوى الكائنة بين افراد رهبان الاديرة وخوارنة
الكنائس يكون فيها المظنون به والمتهم تابعين للحكومة
الرهبانية الا ان تطلب الاسقفيات احالة ذلك الى مجلس
الدعاوى العادية

المادة الثامنة عشره يمتنع في عموم اماكن الرهبان مطلقاً اجارة اللاجئين اليها
ممن تطلبهم وتتعقبهم الحكومة رهباناً كانوا ام من
عامة الناس

ان الثماني عشرة مادة المبينة انفاً هي النظامات الاساسية لجبل لبنان
فيجب اتخاذها دستوراً للعمل الى ما شاء الله

ومن مقتضى ارادتي السلطانية ان يحصل الاعتناء والدقة في اجرائها
وانفاذها والحذر كل الحذر من مخالفتها وايذاناً بذلك صدر فرماني هذا
العالي الشان وكتب في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الاخر لسنة ١٢٨١ ه

القرارات الدولية

— الملحقة بالنظام المشار اليه —

— قرار —

« يتضمن تأييد داود باشا المتصرف الاول لبنان »
« لمدة خمس سنوات فوق المدة التي »
« كان قضاها قبلاً »

ان الباب العالي بالاتفاق مع ممثلي [1] فرنسا والنمسا وبريطانيا العظمى وبروسيا وروسيا يثبت كل مندرجات القرار الممضى في الاستانة في ٩ حزيران سنة ١٨٦١ ومثلها مندرجات المادة الاضافية الموضوعة في التاريخ نفسه ثم يعلن ذو الفخامة عالي باشا ان الباب العالي يؤيد متصرف لبنان الحالي في منصبه لمدة خمس سنوات ابتداء من ٩ حزيران سنة ١٨٦٤ عن الباب العالي في ٦ ايلول سنة ١٨٦٤.

---

(١) ان دولة ايطاليا وان تكن من جملة الدول المحافظة على لبنان فانها لم تشترك مع زميلاتها في البروتيكول المشار اليه ولكنها انضمت اليهن فيما بعد

— قرار —

— تعيين نصري فرنقو باشا —

لما كان جلالة السلطان قد قبل استقالة داود باشا من منصب متصرفية لبنان وعيّن نصري فرنقو باشا خلفاً له رأى من الموافق لحفظ النظام واستتباب الراحة ان لا يحدد في فرمان التعيين مدة الحكم المعهود به اليه

اما ممثلو الدول الموقعون على نظام جبل لبنان الاساسي بتاريخ ٩ حزيران سنة ١٨٦١ وفي ٦ ايلول سنة ١٨٦٤ ومعهم وزير صاحب الجلالة ملك ايطاليا فانهم عقدوا موءتمراً عند ناظر الخارجية العثماني وكانوا متفقين على الاقرار بالبروتكول الحالي بوجود الاتفاق الذي حالت الضرورة بينهم وبين الباب العالي للعمل بموجبه قبل ثلاثة اشهر من انتهاء ولاية داود باشا تبعاً للبروتكول المعقود في ٩ حزيران سنة ١٨٦١

وكان الموقعون عليه باتفاق مع الباب العالي على مناسبة عدم تجديد مدة متصرف لبنان كما كان يجب في الماضي نظراً الى ظروف مختلفة ومع ذلك فقد رغب الباب العالي ان يجتنب المداخلات المغايرة التي يخشى حدوثها والتي ينتج منها تأثير مضاد لمقاصده على ان صاحب الدولة فوءاد باشا قد اعلن ان مدة نصري فرنقو باشا لا تكون اقل من عشر سنوات ابتداء من يوم تعيينه اما مقتضيات البروتكول الصادر في ٩ حزيران

سنة ١٨٦١ بخصوص العزل فتبقى مع ذلك مرعية سواء كان قبل هذا التاريخ ام بعده

وعليه فقد امضى ممثلو الدول المعتبرون هذا البروتيكول ووضعوا عليه اختامهم

حرر في قانليدجا في ١٥ و٢٧ تموز سنة ١٨٦٨

— قرار —

— تعيين رستم باشا —

لما كان منصب متصرف لبنان قد خلا بموت نصري فرنقو باشا عين جلالة السلطان رستم باشا السفير السابق في بطرسبورج خلفاً له وقد اجتمع ممثلو الدول الموقعون على نظام لبنان الاساسي المؤرخ في ٩ حزيران سنة ١٨٦١ وعلى النظام المؤرخ في ٦ ايلول سنة ١٨٦٤ ايضاً وعلى البروتيكول المؤرخ في ٢٧ تموز سنة ١٨٦٨ في مؤتمر اقيم عند ناظر خارجية جلالة السلطان واجمعوا على اثبات الاتفاق السابق الذي حصل بينهم وبين الباب العالي على هذا التعيين

ويعلن الباب العالي بالاتفاق مع ممثلي الدول حفظ مندرجات البروتيكول المؤرخ في ٢٧ تموز سنة ١٨٦٨ بخصوص مدة العشر سنوات المعينة لحكم المتصرف الجديد وايضاً حفظ مندرجات القرارات السابقة التي لم يجر تعديلها والتي جرى اثباتها في القرارات المذكورة وعليه فقد

امضى معتمدو الدول المعتبرون هذا البروتيكول ووضعوا عليه اختامهم

حرر في الاستانة في ٢٢ نيسان سنة ١٨٧٣

— قرار —

= تعيين واصا باشا =

لما كان منصب متصرف لبنان قد خلا بانتهاء مدة ولاية رستم باشا عين جلالة السلطان واصا افندي مستشار حاكم ولاية اندرينول خلفاً له

وقد اجتمع ممثلو الدول الموقعة على نظام لبنان الاساسي الصادر بتاريخ ٩ حزيران سنة ١٨٦١ وعلى النظام الصادر بتاريخ ٦ ايلول سنة ١٨٦٤ وعلى القرارات الصادرة بتاريخ ٢٧ تموز سنة ١٨٦٨ و ٢٢ نيسان سنة ١٨٧٣ في موءتمر عند ناظر الخارجية العثماني واجمعوا على اثبات الاتفاق السابق الذي حصل بينهم وبين الباب العالي على هذا التعيين ويعلن الباب العالي بالاتفاق مع ممثلي الدول انه يحفظ مندرجات القرارات المذكورة المتعلقة بمدة العشر السنوات المعينة لحكم المتصرف وانه يحفظ ايضاً مندرجات القرارات السابقة التي لم تعدل او التي أثبتت في القرارات المذكورة

حرر في الاستانة في ٨ مايس سنة ١٨٨٣

— قرار —

= تعيين نعوم باشا =

لما كان منصب متصرف لبنان قد خلا بموت واصا باشا عين جلالة السلطان نعوم افندى الامين العام لنظارة الخارجية خلفاً له

ثم ان ممثلي الدول الموقعة على نظام لبنان الاساسي الصادر بتاريخ ٦ حزيران سنة ١٨٦١ والصادر بتاريخ ٦ ايلول سنة ١٨٦٤ وعلى القرارات الصادرة في ٨ مايس سنة ١٨٨٣ قد اجتمعوا في موئتمر عقد عند ناظر الخارجية العثماني واجمعوا على اثبات الاتفاق السابق الحاصل بينهم وبين الباب العالي وقد اتفق سفراء الدول مع الباب العالي على الاعتراف بلزوم تحديد مدة تولية متصرف لبنان الى خمس سنوات وقد راى سفراء الدول ان يلفتوا نظر الباب العالي الى التغييرات التي حصلت في النظام وطلبوا الاهتمام بذلك وباجراء ما يأتي :

اولاً ان يجري انتخاب اعضاء مجلس الادارة بالاستقلال المضمون وان تحترم حقوق هذا المجلس

ثانياً [1] ان يصير الرجوع الى النظام القضائي المقرر بنظام سنة ١٨٦٤

---

(١) تشير هذه المادة الى وجوب الغاء نظام العدلية الذي ادخل الى لبنان في عهد واصا باشا والرجوع الى التشكيل الذي توذن به المواد ٦ و ٧ و ١٠ المبينة في المادة الثانية بمعنى ان المحكمة يجب ان تشكل من حاكم ونائب وباشكاتب كما سبق البيان على ان حكومة لبنان لم ترضخ الى منطوق هذه المادة والرجوع الى الازمنة السابقة وبقيت التشكيلات العدلية على حالها كما هي اليوم اما باقي المواد فقد صار السلوك بحسب منطوقها

الذي عدله متصرفو الجبل بدون رضى الدول طبقاً للمواد ٦ و ٧ و ١٠ من النظام الاساسي المذكور

ثالثاً ان تحترم الضمانات المعطاة للقضاة بموجب المادة ١١ من النظام المذكور بحيث انه لا يمكن تبديل او عزل هؤلاء المأمورين الا بعد تحقيق يجري بعناية مجلس الادارة وقد اعلن صاحب الدولة سعيد باشا انه بناء على الطلب المذكور سيأمر الباب العالي المتصرف ان يحترم نظام لبنان وان يجرى جميع مندرجاته بدقة

حرر في الاستانة في ١٥ آب سنة ١٨٩٢

— قرار —

= تعيين مظفر باشا =

لما كان منصب متصرف لبنان قد خلا بانتهاء مدة نعوم باشا[1] الثانية وهي خمس سنوات عين جلالة السلطان مظفر باشا الفريق والياور السلطاني الخاص خلفاً له

وقد اجتمع سفراء الدول الموقعة على نظام لبنان الاساسي الصادر بتاريخ ٩ حزيران سنة ١٨٦١ والصادر بتاريخ ٦ ايلول سنة ١٨٦٤ وعلى القرارات الصادرة في ٢٧ تموز سنة ١٨٦٨ وفي ٢٢ نيسان سنة ١٨٧٣

(١) بعد ان انقضت المدة المعينة لولاية نعوم باشا وقدرها خمس سنوات تجدد انتخابه لخمس سنوات اخرى على ما سيجيء في تاريخ حياته

وفي ٨ مايس سنة ١٨٨٣ وفي ١٥ آب سنة ١٨٩٢ وفي ١٤ آب سنة ١٨٩٧ وذلك في موتمر عقد عند ناظر الخارجية العثماني واجمعوا بالاتفاق على اثبات الاتفاق السابق الذي حصل بينهم وبين الباب العالي بمناسبة هذا التعيين وقد اعلن الباب العالي وسفراء الدول وجوب المحافظة على مندرجات القرارات الصادرة بتاريخ ٥ آب سنة ١٨٦٢ وفي ١٤ آب سنة ١٨٩٧ بما يتعلق بمدة الخمس سنوات

على ان سفراء الدول يذكرون الباب العالي بالتعهد الذي قام به سعيد باشا باسم الحكومة العثمانية في القرار المؤرخ في ١٥ آب سنة ١٨٩٢ وهو اصدار الامر الى متصرف لبنان لاجراء المطالب الثلاثة المثبتة في القرار المذكور وهي :

اولاً ان تجري انتخابات اعضاء مجلس الادارة بالاستقلال وبان تحترم حقوق هذا المجلس

ثانياً ان النظام القضائي المسنون في نظام ٦ ايلول سنة ١٨٦٤ لا يجوز تعديله الا باجازة الدول

ثالثاً ان الضمانات المعطاة للقضاة بموجب المادة ١١ من النظام المذكور يجب احترامها بحيث ان نقل الموظفين وعزلهم لا يجوز ان يجري الا بعد تحقيق يقوم به مجلس الادارة

على ان سفراء الدول تثق ان تعهد ناظر الخارجية العثماني سنة ١٨٩٢ بشأن المواد المذكورة هو بمثابة نظام لبنان

حرر في الاستانة في ٢٧ ايلول سنة ١٩٠٢

— قرار —

= تعيين يوسف باشا =

لما كان منصب متصرف لبنان قد خلا بموت مظفر باشا عين جلالة السلطان يوسف بك باشكاتب نظارة الخارجية خلفاً له وقد اجتمع سفراء الدول الموقعة على نظام لبنان الاساسي وعلى البروتيكولات السابقة في موءتمر عقد عند ناظر الخارجية العثماني واجمعوا على اثبات الاتفاق السابق الذي حصل بينهم و بين الباب العالي بمناسبة هذا التعيين وقد اعلن ناظر الخارجية وممثلو الدول وجوب المحافظة على القرارات الموءرخة في ١٥ آب سنة ١٨٩٢ و ١٤ آب سنة ١٨٩٨ و ٢٧ ايلول سنة ١٩٠٢ التي تحدد مدة حكم المتصرف الى خمس سنوات

وعليه قد امضى ممثلو الدول هذا البروتيكول

حرر في الاستانة في ٨ تموز سنة ١٩٠٧

وعلى هذا النمط كان قرار تعيين اوخانس باشا الصادر في ٩ ك ٢ سنة ١٩١٢ . وقد أُقيل اوخانس باشا في اوائل سنة ١٩١٥

اما باقي المتصرفين وهم علي منيف بك الذي خلف اوخانس باشا واسمعيل حقي بك وممتاز بك فلم يكن تعيينهم بموجب قرارات سفراء الدول بل كان تعيينهم من قبل الباب العالي وحده في اثناء الحرب الكونية حيث كانت الدولة العثمانية اعلنت فسخ نظام لبنان

﴿ ترجمة حال داود باشا ﴾

ولد داود باشا في القسطنطينية في شهر اذار سنة ١٨١٦ مسيحية من ابوين ارمنيين وبعد ان تلقى العلوم واللغات الافرنسية والتركية والارمنية والالمانية فيها دخل بخدمة الدولة العثمانية في سفارة برلين فألف كتاباً في الشرائع الجرمانية فعينته ندوة العلوم البريتية عضواً فخرياً

ثم صار قنصلاً للدولة في فينا وكان نائب الباب العالي في اللجنة الطونية[1] ثم دعي الى الاستانة وادخل ماموراً في وزارة الخارجية وفي سنة ١٨٥٧ عين ناظراً للمطبوعات ثم ناظراً للتلغراف وسنة ١٨٦١ عين متصرفاً للبنان على ما مر فحضر الى بيروت وتلي الفرمان المؤذن بتعيينه في محلة الطيونة بلبنان على مقربة من حرش بيروت بحفلة حافلة بكبار اللبنانيين وغيرهم تصدر فيها فؤاد باشا المشهور الذي كان لم يزل موجوداً في البلاد لمداواة كلوم حادثة سنة ١٨٦٠ على ما سيجيء وفؤاد باشا المشار اليه هو الذي سلمه الفرمان قبل تلاوته مع قبضة من تراب لبنان (تفاؤلاً)

وفي ١٢ تموز من السنة نفسها ذهب داود باشا الى دير القمر فاتخذ دار الحكومة فيها مركزاً للمتصرفية ثم انه نظم المجالس والاقلام واقام العمال في جميع انحاء لبنان ولم يلبث ان اشترى قصر بتدين المشهور الذي سيجيء وصفه من المرحومة السيدة (حسن جهان) ارملة الامير بشير

---

(١) اللجنة الطونية كانت مؤلفة من اعضاء تنصبها الدول المتحابة للمراقبة على السفر في نهر الطونه وكان مركزها في كالاتس

شهاب الكبير الذى سنأتي على ذكر ما كان له من الشأن السامي في البلاد ونقل مركز المتصرفية اليه وقد تسربل اذ ذاك باللباس العربي مجاراة لاهل البلاد في زيهم وبعد ثلاث سنوات ذهب الى الاستانة وعرض على الباب العالي التعديلات التي كان اجراها في نظام لبنان الاول الذي كان وضع لثلاث سنوات فقبلها واذ ذاك وُضع نظام لبنان الثاني بموافقة الباب العالي وسفراء الدول سنة ١٢٨١ الموافق سنة ١٨٦٢ م

وبعد ان عاد الى لبنان جلس على منصة الحكم والدم لم يجف بعد وامامه كثير من العقبات اهمها ما كان بين النصارى والدروز من العداوة الراسخة لان كلاً من الفريقين كان ينظر الى الفريق الاخر شذراً وقد زاد في الطين بلة ما كان من اسقاط حكم الاقطاع ونزع السلطة من امرائه ومشائخه بحسب المادة الخامسة من النظام وكانوا لم يزالوا اذ ذاك في عنفوان مجدهم

ورغماً عن ذلك فانه وطد اركان الراحة ونصب الحكام بحسب النظام الجديد واقام العمال والف القوة العسكرية لدوام ضمانة الامن العام ولم يكن يميل الى استخدام العسكر النظامي الذي كانت طريق صيدا وبيروت مشغولة به خوفاً من اغاظة اللبنانيين

وحمل الدولة على ترك واردات الاملاك الاميرية التي مر ذكرها لخزينة لبنان وكانت تطمح نفسه الى الاستقلال بلبنان فاخذت الدولة تنظر اليه بعين الغيظ والحذر وشرعت تخلق العقبات في سبيله ولاسيما بعد ان طلب ضم بيروت وطرابلس وصيدا وحاصبيا وراشيا الى لبنان وكان اكثر

شعب شمالي لبنان حانقاً من الجهة الثانية عليه مجاراة للمرحوم يوسف بك كرم الذي نهض برجاله لقتاله (١) رغماً من نصح دولة فرنسا له واذ رأت الدولة حينئذٍ ان يوسف بك كرم مصر على المحاربة كتبت الى داود باشا ان يستعين بالجنود النظامية فاحتج السفراء على ذلك فلم يمنع هذا الاحتجاج داود باشا عن ادخال الجنود الى لبنان ولما رأى بعض رجال الاكليروس الماروني الاجلاء ان فرنسا غير راضية عن عمل يوسف بك سعوا للتوفيق بينه وبين داود باشا على ان هذا الوفاق لم يطل زمنه بينهما وتجددت الفتنة سنة ١٨٦٦ فاضطر داود باشا الى استخدام الجنود لقمع شوكة يوسف بك وقد كانت العاقبة وخيمة على كليهما اما يوسف بك فانه حكم بابعاده الى الاستانة وقد تقرر بين الباب العالي وبين سفراء الدول انه في اليوم الذي سيجيء فيه يوسف بك الى بيروت لكي يركب الباخرة الى الاستانة يجب ان يكون داود باشا بعيداً عنها وهكذا كان فانه في اليوم المعين لسفر يوسف بك ترك داود باشا بيروت وذهب الى الشويفات ولم يعد الى بيروت الا بعد ان برحها يوسف بك

وبعد قليل احب داود باشا الاقامة في لبنان فاتخذ له مسكناً في دار الامير افندي شهاب في سبنيه وعهد الى هذا الامير بمنصب من مناصب الحكومة ثم اخذ يسعى وراء ما كان بدأ به من الاستقلال بلبنان فاستقدمه الباب العالي اليه اضطراراً فلجأ الى الداهية فؤاد باشا المشار اليه

(١) سنأتي على بيان الاسباب التي حملت يوسف بك كرم على النهوض ضد داود باشا في ترجمة حال يوسف بك نفسه

وكان رقي حينئذ الى مقام الصدارة فاشار اليه فؤاد باشا ان يعود الى طلب ضم الاماكن المذكورة الى لبنان فرفع بذلك عريضة الى الباب يطلب فيها ضم هذه الاماكن الى لبنان ويتهدد الباب العالي بالاستقالة ان لم يجبه الى طلبه فالباب العالي صدق على استقالته وهكذا سقط في الفخ الذي دبره له فؤاد باشا

ولكن الباب العالي لم يلبث ان عينه ناظراً للنافعة ثم انه انتدبه لعقد قرض مالي في اوربا باسم الدولة فذهب وعقد القرض فاذاع اعداؤه انه تقاضى مبلغاً عظيماً على هذا القرض ونسبوا اليه الخيانة والمكر فاوجس خيفة من اعدائه وابى العودة الى الاستانة وبقي حيث كان الى ان جاءه الاجل المحتوم سنة ١٨٦٩ : وقد كان داود باشا رجلاً حكيماً واسع الاطلاع محباً للبنان يعتمد في اعماله على اراء المقربين اليه من رجال لبنان ونخص منهم بالذكر الداهية المرحوم الامير منصور ابي اللمع

اما اعماله في لبنان فهي :

اولاً انه نقل جسر نهر الدامور الحديدي من حيث كان الى حيث هو اليوم ووطد اركانه بالحديد الذي يكفل ثباته سرمداً

ثانياً لقد مُدَّ في عهده نحو من سبعة الاف متر من طرق العربات وهي التي انشأها الخواجات برتاليس من بحمدون الى معملهم الحريري في بتاتر بالاعانات المرسلة من فرنسا

ثالثاً انشأ عدداً من المدارس البدائية ثم انشأ المدرسة الدرزية في عبيه ودعاها (بالمدرسة الداودية) نسبة اليه

رابعاً التمس من الباب العالي الحاق مقاطعة البقاع الغربي بلبنان فاجيب طلبه بشرط ان تكون واردات هذه المقاطعة لخزينة لبنان وان تظل المقاطعة تحت ادارة ولاية سورية

❋ ترجمة حال فرنكو باشا ❋

ولد نصري فرنقو باشا في الاستانة سنة ١٨١٤ م من ابوين حلبيين وتلقى العلوم في احدى مدارسها فنبغ في ست لغات هي العربية التي كانت لغة ابويه والافرنسية والتركية والانكليزية والايطالية واليونانية

وبعد خروجه من المدرسة عين كاتباً في نظارة الخارجية ثم ناظراً للبوستة والتلغراف ثم انه حضر مع فوءاد باشا الى سورية على اثر حوادث سنة ١٨٦٠ وبعد رجوعه عين ناظراً للكمرك ثم متصرفاً للبنان

اما اعماله في لبنان فهي :

اولاً انه كان يتلقى العرائض من اصحاب المصالح بنفسه ويطالعها لانه كان يحسن اللغة العربية جيداً كما سبق البيان ويجري عليها المعاملات اللازمة بخط يده

ثانياً لقد انشأ في لبنان عدداً من المدارس البدائية وانشأ في بتدين مدرسة ليلية للذين كانوا يجهلون القراءة والكتابة من الضباط (١)

---

(١) فكاهة : كان احد الضباط اللبنانيين يميل الى اقتباس القراءة والكتابة فكان من امره بعد ان انتظم في سلك المتعلمين بستة اشهر انه تناول جريدة واطلق لسانه في تهجئة كلماتها لانه لم يكن يحسن بعد القراءة درجاً فعثر على كلمة « حرب » وربما كانت هذه الكلمة بموقعها اسماً لرجل فقال : حاء راء باء حرب « قرد علقت »

والانفار اللبنانيين فأثمرت هذه المدرسة ثمراً جيداً

ثالثاً لقد انشأ مدفناً لموتى المسلمين في قرية المعاصر القريبة من بتدين

رابعاً لقد انشأ في آخر عهده معملاً للسجاد في دير القمر ولكنه مات بموته

خامساً غرس في كثير من قرى لبنان كثيراً من اغراس الزلزلخت ومن غابات السنوبر من ذلك غابتان كبيرتان في قريتي عين زحلته وعيناب وغابة صغيرة على جانبي طريق بعبدا عند مفرق قرية الحدث وعهد بغرس الغابات المذكورة الى المرحوم حسن بك شقير احد اعضاء مجلس الادارة حينئذٍ لانه كان عارفاً بطريقة غرسها

سادساً لقد مد من طرق العربات ما يوازي طوله ٢٢ الف متر

سابعاً لقد انشأ ثمانية عشر جسراً

وقد كان رجلاً حليماً ساذجاً محباً للخير وراغباً في اجراء العدل في مجاريه وكثيراً ما كان يحسن الى الفقراء وكان يحترم السلطة الدينية ولكن من سوء الحظ قد اعيدت في عهده معاملة البقاع الغربية الى ولاية سورية

❋ ترجمة حال رستم باشا ❋

ولد رستم باشا في فلورنسا من اعمال ايطاليا ١٨١٠ من ابوين ايطاليين وتلقى العلوم واللغات الايطالية والافرنسية والانكليزية في اشهر كليات

اوربا ثم اته ام الاستانة وتوطن فيها وتعلم قليلاً من اللغة التركية

وقد عين لاول عهده ترجماناً لنجيب باشا احد وزراء الدولة ولما عين فؤاد باشا المشهور الذي كان وزيراً للخارجية حينئذٍ معتمداً سلطانياً في بخارست استصحبه معه اليها ولدى رجوعه الى الاستانة سماه كاتباً لاسرار وزارة الخارجية ثم انه عين معتمداً للدولة في تورين ثم عين مندوباً سلطانياً مفوضاً لدى الحكومة الايطالية في فلورنسا

وسنة ١٨٧٠ أرسل في مهمة سرية الى رومة فقضاها ثم عين سفيراً للدولة في بطرسبورج ثم متصرفاً للبنان وبعد انقضاء مدته في لبنان عين سفيراً للدولة في انكلترا وسنة ١٨٨٥ توفاه الله في لوندره بالغاً من العمر ٧٥ سنة فجرى له فيها احتفال كبير من قبل الامة الانكليزية وأبنه اللورد غلادستون تأبيناً كريماً رددت صداه جرائد العواصم الاوربية كلها

اما اعماله في لبنان فجديرة بالثناء العاطر واخص اعماله العدل الذي نشر لواه في لبنان في كل مدة ولايته ومما يذكر له بالشكر اخلاصه الصافي للدولة . واعماله هي :

اولاً انه انشأ في لبنان ٧٢ مدرسة للحكومة في امهات القرى فاستمرت سنوات عديدة تبث العلوم والمعارف في فتيان وفتيات تلك القرى

ثانياً لقد انشأ محبس بتدين الذي اتخذته حكومة الانتداب بمثابة قلعة للجناة

ثالثاً اقام جسوراً عديدة اهمها الجسر المعروف باسمه فوق نهر المخاضة

بجانب الحديقة[1] المعروفة باسمه ايضاً وهو ذو قنطرة واحدة هائلة

رابعاً لقد مد في لبنان ستين الف متر من طرق العربات

خامساً انشأ كثيراً من المخافر تاميناً لابناء السبيل

الى غير ذلك من الاعمال الجليلة التي تذكر فتشكر وقد اصبح لبنان في عهده جنة غناء وكان مثالاً للنزاهة حتى انه كان يضرب المثل بعدله ومما يروى انه في عهده تخاصم اثنان من رعاة الماعز اللبنانيين في مكان قفر في اعالي احد الجبال فاحدهما صرع الاخر وقبض على عنقه وقال له لولا خوفي من رستم باشا لقتلتك الان مما يدل على ان الخوف من شدة باسه كان يملأ قلوب الناس في السر والعلانية

وقد كان غيوراً محباً للاستئثار بالسلطة ولذلك كان يميل الى استماع الوشايات

ففي احد الايام وشي اليه ان مورل[2] بك رئيس القلم الاجنبي حينئذ

---

(١) جعل رستم باشا هذه الحديقة متنزهاً خاصاً له وزينها بجميع انواع الاشجار والازهار وجلب اليها المياه من نهر المخاضة الجاري امامها ثم انه جعلها متنزهاً عاماً لبني لبنان وبيروت فكان يرسل اليها الموسيقى اللبنانيه المشهورة في عصر كل يوم جمعة حيث كانت تطرب الحضور بنغماتها الشجية وكان يجلس هو اذ ذاك في مجلس خاص به و يلتف حوله كثيرون من سادة بيروت ولبنان ومن سيداتها وقد حظر على من لم يكن لابساً الالبسة اللائقة الدخول الى الحديقة وقد حرم بصورة خصوصية دخول لابسي القنابيز اليها وقد ظلت هذه الحديقة زاهية زاهرة بضع سنوات وبعد مبارحته لبنان وهبها لمدام عبدالله باشا الذي كان من اخص اصدقائه

(٢) مورل بك هو الرجل الذي كان نبناه رستم باشا منذ نعومة اظفاره

اصبح شريكاً له في السلطة والدليل على ذلك الرسائل العديدة التي ترد اليه كل يوم في بوستة المتصرفية من ارباب المصالح فاثرت هذه الوشاية فيه واوعز سراً الى مامور البوستة ان ياتيه كل يوم بما يرد من الرسائل باسم مورل بك ففعل وبعد ان جمع رستم باشا عدداً كبيراً من هذه الرسائل دعا في ذات يوم رؤساء الدوائر كلهم الى مكتبه [1] ولما كمل عديدهم استدعى مورل بك وخاطبه بما معناه : « ركبناك ورانا فمددت يدك الى الخرج » ثم اخذ يوبخه على تدخله في الشؤون التي لا تعنيه من شؤون الحكومة ومن ثم تهدده بالطرد اذا عاد الى مثل ذلك

وحيث كان المرحوم غطاس افندي غطاس صديقاً لمورل بك منعه عن الالتصاق به فكان ذلك اخر عهد لمورل بك في المداخلة مع ارباب المصالح ومع المأمورين ايضاً في غير المعاملات الرسمية

ومن هذا القبيل وشي الى رستم باشا في تلك السنة ان المغفور له المطران بطرس البستاني المشهور بفضله وغيرته الوطنية يمد يده الى المداخلة في شؤون الحكومة اللبنانية فادت هذه الوشاية الى وقوع نفور بينه وبين المطران وبالتالي الى انقطاع الزيارات بينهما

وقيل ان المرحوم اسكندر افندي الحداد رئيس القلم التركي وكاتب سر رستم باشا حينئذٍ كان ينفخ في نار الفتنة فاضمر رستم باشا الشر للمطران

واستصحبه معه الى لبنان ورافقه في حله وترحاله ومنحه قدماً مهماً من ماله قبل وفاته

(١) كان حينئذٍ مركز المتصرفية في قصبة الحدث وكان مكتب رستم باشا في دار المرحوم عبدالله الشدياق

وبمساعدة قنصل فرنسا في تلك الايام تمكن رستم باشا من ابعــاد المطران الى القدس ثم لم يلبث ان عاد الى مقره على باخرة افرنسية مخصوصة محفوفاً بالتجلة والاكرام

❊ ترجمة حال واصا باشا ❊

ولد واصا باشا سنة ١٨٢٤ م في مدينة اشقودره من ابوين لاتينيين وتلقى العلوم واللغات في احدى كليات رومه فبرع في الافرنسية والانكليزية والايطالية واليونانية واقتبس التركية في الاستانة لما توطن فيها وهو في العشرين من عمره وله ديوان شعر مطبوع في الايطالية وهو يعد من كبار الشعراء في هذه اللغة وله كثير من المقالات والرسائل المطبوعة في الافرنسية والانكليزية وله ايضاً كتاب في اصول اللغة الالبانية التي لم يكن لها قبل عهده كتب تبحث في قواعدها

وكان عضواً فخرياً في جامعة لونده العلمية

وقد عين واصا باشا لاول عهده كاتباً في نظارة الخارجية في دار السلطنة العثمانية ثم عين مستشاراً لولاية قوصوه ثم مستشاراً لولاية ادرنه ثم متصرفاً لمركز هذه الولاية ثم وكيلاً لها ثم متصرفاً للبنان

اما اعماله في لبنان فهي :

اولاً تشكيل[1] العدلية فيه

---

(١) قبل تشكيل العدلية كنت رئيساً لقلم دائرة الجزاء الاستئنافية فيه ولدى تشكيلها نصبني واصا باشا مدعياً عمومياً فكنت الاول في هذا المنصب وقد استعفت

ثانياً نشر تقويم للحكومة لم يكن مسبوقاً اليه

ثالثاً تأسيس المطابع والجرائد فيه

رابعاً انشاء مستشفى في بتدين وانشاء قاعة كبيرة لمجلس الادارة

وانشاء قاعات غيرها لدوائر العدلية في نفس سراي بتدين

خامساً اصلاح الحبس الذى كان انشاه رستم باشا

سادساً استحصال امتيازين للمرحوم عبد الاحد خضرا الاول لجر

مياه نهر ابراهيم [1] الى جبيل واراضيها والثاني لتمديد الترامواي

اللبناني بين بيروت والمعاملتين

سابعاً انشاء مخافر عديدة لتأمين ابناء السبيل

ثامناً انشاء جناحي سراي بعبدا على ما سيجيء

على القيام بادارة شؤونه بما كنت اقتبسه من مركز النيابة العامة في بيروت

وبعد ان مر على تعييني بضعة شهور قدم المرحوم احمد عزت باشا وكان حينئذٍ مفتش العدلية في سورية يبغي تفتيش العدلية في لبنان فابى عليه ذلك واصا باشا لاستثناء لبنان ولكنه بناء على الحاحه اذن له ان يطلع على السجلات في غير دائرة المدعي العمومي وبناء عليه احضرت له سجل الاعمال الى مكتب دولته فسرح طائر الطرف فيه فراق له ما راى من الانتظام ومن الانطباق على الاصول المرعية ولذلك اهداني حينئذٍ واصا باشا علبة فضية للتبغ دلالة على رضاه

(١) لم يقم المرحوم عبد الاحد خضرا بما كان تعهد به من جر المياه من نهر ابراهيم الى جبيل واراضيها بحسب الفرمان الذي كان اعطي له من الاستانة حينئذٍ لانه لم يتيسر له وجود شركة تعضده مالياً ولذلك سقط امتيازه بفوات الزمن

واما الترامواي اللبناني فقد تمكن من بيع الامتياز الممنوح له لشركة اتمت انشاءه في شهر اذار سنة ١٨٩٨

تاسعاً	انشاء سراي زحله ووضع حجر الزاوية لسراي جونية التي تمت في عهد نعوم باشا

عاشراً	اهتمامه بالتحري على العاديات[1]

حادي عشر	جر المياه الى قصبتي بعقلين ومعلقة الدامور

ثاني عشر	انشاء ١١٧ جسراً بين كبير وصغير طولها كلها (١٨٧٨) متراً

ثالث عشر	مـدة نحواً من مئتين وخمسين الف متر من طرق العربات

وفي اواسط شهر حزيران لسنة ١٨٩٢ اعترته علة قلبية اودت بحياته في ٢٩ من الشهر المذكور فدفن في محلة الحازمية[2] بالقرب من مدفن زوجته وابنته واقامت الحكومة فوق مدفنه قبة رخامية على نفقتها

وقد كان واصا باشا رجلاً حسن الخلق والخلق بشوشاً وبصيراً بعواقب الامور وكان على جانب عظيم من الجسارة والاقدام وله كثير من الاعمال التي دلت على جسارته وعلى ما كان عنده من علو الجناب منها

اولاً لما انتشر الهواء الاصفر في عهده اضطرت حكومة لبنان ان تقيم حجراً صحياً في المريجات فاستاءت ولاية سورية من ذلك وطلبت

---

(١) وجد في عهده [illegible] شمالي مدافن المرحوم علي باشا جنبلاط في نواحي صيدا ناووس بديع الشكل نقش على غطائه شخص راسه يؤذن انه راس شاب وعليه رسم تاج يدل على ان ذلك الشاب من ملوك ذلك الزمان وشعر هـذا الشاب منسوق انتساقاً جميلاً وقد قال عنه احد علماء العاديات انه لم يستخرج مثله بعد من دفائن الارض وقد ارسل ذلك الناووس حينئذ الى الاستانة

(٢) قبل وفاته كانت توفيت في لبنان زوجته الاولى وابنته فدفنتا في محلة الحازمية واقامت الحكومة حينئذ على قبريها قبتين على نفقتها

منه ان يجعل ميسلون مركزاً لهذا المحجر في حين ان ميسلون من اعمال ولاية سورية وغاية الولاية من ذلك ان تجعل لها وحدها الامر والنهي في المحجر فلم يجبها واصا باشا الى طلبها فقامت وقعدت واستنجدت بالباب العالي في زمن صدارة المشير ادهم باشا فكتب اذ ذاك الى واصا باشا يأمره ليجيب الولاية الى طلبها فاجابه ان مصلحة لبنان تقتضي بقاء المحجر في ارض لبنان وعلى الولاية ان تقيم لها محجراً غيره في ارضها فلم يرق هذا الجواب في نظر الصدر الاعظم ولهذا ابرق له ليسرع بتلبية طلب الولاية فاغتاظ واصا باشا ودفعته الحدة الى ان ابرق له في التركية ما ترجمته :

« رفعت العرض بخصوص المحجر الى المابين الهمايوني الذي اليه يرجع كل امر وساعمل بمقتضى الارادة السنية التي ستصدر بهذا الشأن »[1]

وبناء عليه قد استمر المحجر في المريجات

ثانياً كان يوجد في ذلك العهد في كل ولاية من ولايات الدولة وال ومتصرف يسمونه متصرف مركز الولاية وكان من وظائف هذا المتصرف القيام بالمخابرات الرسمية مع حكومات الولايات الاخرى فكان متصرف لبنان مضطراً الى اجراء المخابرات المتعلقة بالمتصرفية اللبنانية معه

اما ذلك المتصرف الذي كان يدعى ابراهيم باشا فانه كان حانقاً على لبنان لما كان له من الامتياز على سائر ولايات الدولة ولذلك كان يقف عن تلبية حكومته بما كان تطلبه [illegible]

---

(١) كان ذلك على مشهد [illegible] في بيروت

وهي بدورها وقفت عن الجواب ولما اعيته الحيلة اضمر الاهانة لابراهيم باشا وترقب الفرصة المناسبة لاهانته

فنمي اليه يوماً انــه سيأتي الى بــيروت بيوم عينوه له على مركبة الداليجنس فكتب حينئذٍ الى محمد بك الارناؤوطي محافظ طريق الشام من قبل حكومة لبنان اذ ذاك يأمره ان يترقب قدوم ابراهيم باشا على مركبة الداليجنس في ذلك اليوم وان يستوقف المركبة عند وصولها الى الحازمية ويقبض عليه ويرسله الى مركز المتصرفية في بتدين ولما وصل هذا الامر الى محمد بك كادت نفسه تطير شعاعاً لانه من جهة لم يكن ممكناً له مخالفة امر آمره ومن الجهة الثانية خشي سوء العاقبة ان فعل

فلجأ حينئذٍ الى صديق له معروف بالحزم وهو المرحوم محيي الدين بيهم وشاوره في الامر فاشار عليه ان يحمل ابراهيم باشا على عدم الحضور الى بيروت بواسطة احد اصحابه وهكذا كان وتخلص محمد بك من هــذه المشكلة ولم يزل الامر الصادر الى محمد بك بهذا الشأن مسجلاً في سجل القلم العربي في لبنان لليوم

ولم يكن واصا باشا في كل مدة وجوده بلبنان على وفاق مــع بعض رجال السلطة الروحية ولا مع بعض قناصل الدول لمداخلتهم في شؤون الحكومة ولذلك كانوا يناهضونه من وراء الحجاب ويدسون الدسائس ضده وبناء عليه بالغ مريدوهم في الطعـــن والشكاية منه وكل هــذا لم يجدهم نفعاً

ولكن القاصد الرسولي الذي كان حينئذٍ وهو المرحوم لوديفيكس

بيافي المعروف باصالة الرأي كان مناصراً له وشديد التمسك به هو وباقي الرؤساء الروحيين لانهم كانوا عارفين بعدالة ضميره وباسباب التحامل عليه

وواصا باشا قبيل وفاتــه اقام القاصد المشار اليه وصياً على اولاده القاصرين فقام بعد وفاته بواجب الوصاية وحرر تركته فبلغ كل ما وجد عنده من النقود تسعة الاف ليرة بعد ان كان قضى في لبنان اكثر من تسع سنوات كان يتقاضى فيها ٣٦ الف غرش معاملة ذهبية (صاغ) في الشهر فتأمل

على اننا لا ننكر ان صهره كوبيليان افندي الذي كان رئيساً للاقلام حينئذٍ هو الذي احدث تلك الضوضاء بتحزبه الى فئة دون الاخرى وباعمــال منكرة ايضاً ولكن لما علم واصا باشا بامره ابعده الى الاستانة ولم يلبث ان عاد الى مركزه بلبنان بناءً على امر صادر من الباب العالي

﴿ ترجمة حال نعوم باشا ﴾

ولد نعوم باشا من اب حلبي ومن ام هي شقيقة فرنقو باشا سنة ١٨٤٦ وتلقى العلوم واللغات في المدرسة السلطانية فبرع في اللغتين الافرنسية والتركية وكان يحسن اللغة العربية لانها كانت لغة بيت ابيه ولكنه كان يأبى التكلم بها اباءً كان يؤاخذه عليه جميع الناس ولما بلغ نعوم باشا اشده انتظم في سلك مأموري نظارة الخارجية في السلطنة العثمانية ثم انــه عين سكرتيراً لسفارة الدولة في بطرسبورج ثم رئيساً للقلم الاجنبي في نظارة الخارجية ثم متصرفاً للبنان وكان وصوله الى بيروت في الرابع من شهر

ايلول سنة ١٨٩٢

اما اعماله في لبنان فهي :

اولاً اكمال سراي بعبدا [١] التي كان وضع جناحيها واصا باشا على ما سبق البيان .

ثانياً لقد انشأ داراً للحكومة في كل من بعقلين مركز قضاء الشوف وجزين مركز قضاء جزين واميون مركز قضاء الكوره والبترون مركز قضاء البترون وقد اشترى منزل الامير ابراهيم ابي اللمع في بجنس واصلحه وجعله مركزاً لحكومة المتن في مدة الصيف

ثالثاً اعاد بنا جسر نهر الكلب الذي هدم باسباب مجهولة لا يعلمها الا حضرة المهندس انطون افندي قيقانو الذي تم بناء الجسر السابق بمعرفته لانه كان مهندس المتصرفية حينئذ

رابعاً اصلح جسر نهر ابراهيم

خامساً انشاء سبعة جسور في اماكن اخرى معلومة

---

(١) كانت سراي بعبدا قبلاً داراً لبعض الامراء الشهابيين فابتاعها اهل بعبدا وجعلوها تقدمة لحكومة المتصرفية في عهد واصا باشا سنة ١٨٨٧ م فنقضت الحكومة البناء القديم وشرعت بانشائها بحسب هندستها الحالية فتم منها في عهد واصا باشا دائرتاها الشرقية والغربية اما الدائرة الشمالية فقد تم انشاؤها في عهد نعوم باشا ثم ان مظفر باشا الذي تولى بعد نعوم باشا اصلح رتاجها ورفع فوقه الطغراء العثمانية ونقش على عتبته ثلاثة تواريخ اولها لنا والثاني للغوي الفاضل الشيخ عبدالله البستاني والثالث للشاعر الاديب الياس بك الباشا

سادساً جر المياه الى قرية غريفه

سابعاً انشاء بعض جوامع ومكاتب

ثامناً انشاء مئة وسبعين الف متر من طرق العربات

وبعد انقضاء مدته عاد الى الاستانة والدموع تتساقط من عينيه اسفاً على فراق مركزه بلبنان ولدى وصوله عين مستشاراً لنظارة الخارجية ثم سفيراً للدولة في باريس وفي سنة ١٩١١ توفي فجأة فدفن فيها مأسوفاً عليه

وكان نعوم باشا رجلاً عاقلاً حسن التدبير وكثيراً ما جد وراء ارضاء قناصل الدول والسلطات الدينية وقد القى مقاليد الامور في كل مدة ولايته الى المرحوم اسكندر بك تويني الذي كان يتئذ ذاك محط الرحال ارباب المصالح ولم يكن يقضي امراً بدون ارادته وقد اقيم له يوم سفره الى الاستانة حفلة وداعية كبيرة كان العامل الاكبر فيها المرحوم الامير مصطفى ارسلان لانه كان في مقدمة مريديه

﴿ ترجمة حال مظفر باشا ﴾

ان مظفر باشا ولد من ابوين متحدرين من اسرة بولونية شريفة في الاستانة سنة ١٨٣٧ لان اباه كان نزح اليها من بولونيا الروسية لاسباب سياسية وبعد ان تلقى مظفر باشا العلوم واللغات في مدرسة سانسير في فرنسا عاد الى الاستانة وتعلم قليلاً من اللغة التركية ثم انه انتظم في سلك الجندية وترقى الى رتبة فريق ثم انه عين متصرفاً للبنان ونال رتبة مشير في الجندية وكان وصوله الى لبنان في ت ١ سنة ١٩٠٢

اما اعماله في لبنان فهي :

اولاً انه انشأ مقراً شتوياً لحكومة قضاء الكورة في انفه ومثله لحكومة قضاء الشوف في الشويفات[1] ومثلها لحكومة قضاء المتن في الجديدة واصلح رتاج سراي بعبدا على ما سبق البيان

ثانياً لقد انشىء بسعيه الجامع الشريف في عاليه[2]

ثالثاً بدىء في عهده بفتح طريق المسيلحة وهي من الاهمية بمكان

وفي اول شهر حزيران سنة ١٩٠٧ اعترته علة دماغية فادركته بعدها الوفاة في ١٩ من الشهر المذكور وهو في السبعين من عمره وقد جرى دفنه في بيروت ثم ان عائلته نقلت رفاته بعد ذلك الى الاستانة

وقد كان مظفر باشا رجلاً ساذجاً لا رأي له يصح السكوت عليه لانه كان مصاباً بعلة اللين الدماغي ولو لم يكل امره الى المرحوم ناصيف بك الريس السياسي المحنك الذي كان في عهده رئيساً للقلم التركي لساءت حال لبنان ولكان مظفر باشا سقط من مركزه عاجلاً ولا سيما وان زوجته كانت تحب التدخل في شؤون الحكومة وكانت على ما يعرفها

(١) ان مقر الحكومة في الشويفات بني على نفقة المرحوم نسيب بك جنبلاط بناء على اقتراح مظفر باشا وبلغت نفقته حينئذٍ ١٢٠٠ ليرة انكليزية

(٢) كنت في مقدمة من قاموا بجمع الاعانات لهذا الجامع وقد ابتعت ارضه بالوكالة باسمي من محمد علي بك قباني الذي تبرع بالارض اللازمة لانشائه واحدى السيدات المصريات التي وجدت اتفاقاً حينئذٍ في عاليه تبرعت بدفع ربع النفقة وفي زمن الحرب وسع نطاقه رضى باشا رئيس الفرقة ٤٢ التي كانت مرابطة في لبنان على ما سيجيء

اللبنانيون سيئة التدبير لا تستقر على حال

وفي عهد مظفر باشا وبمناصرته نهض فريق من رجال لبنان لمناوأة السلطة الدينية وقاموا بمظاهرة كبيرة تركت اثراً سيئاً في البلاد [1]

﴿ ترجمة حال يوسف باشا ﴾

ولد يوسف باشا في الاستانة من ابوين حلبيين سنة ١٨٥٨ وابوه هو فرنكو باشا المتصرف الثاني للبنان وقد تلقى يوسف باشا العلوم في احدى مدارس الاستانة فنبغ في اللغتين الافرنسية والتركية وكان يعرف قليلا من اللغة العربية لانها لغة ابويه

وبعد ان خرج من المدرسة عين كاتباً في نظارة الخارجية ثم ترقى الى رتبة رئيس كتبة للنظارة المشار اليها ثم انه عين متصرفاً للبنان وكان وصوله الى بيروت في ٢٤ تموز سنة ١٩٠٤

اما اعماله في لبنان فهي :

اولاً جر مياه نبع الزويتيني الى مدينة زحلة وتوزيعها على البيوت

ثانياً جر المياه من حمانا الى قصبتي عالية وسوق الغرب

ثالثاً اتمام طريق المسيلحة التي كان بدأ بفتحها مظفر باشا اما طول

---

(١) كان مظفر باشا يرتاح كثيراً الى عزل من يكون نصبه بالامس جرياً على ما كان عليه المقتدر احد الخلفاء العباسيين ولذلك كان الناس يقولون فيه ما قيل في المقتدر

وزير قد تناهى في الرقاعه ... يولي ثم يعزل بعد ساعه

هذه الطريق فهو ١٢ الف متر وقد انشأ فيها نفقين الاول بطول ٢٧ متراً والثاني بطول ٢٣ متراً جاعلاً عرض كل واحد منهما خمسة امتار وارتفاعه خمسة امتار ايضاً وقد مدينهما ٣٣ متراً من الطريق ولا يخفى ما كان من الفائدة العظمى وراء فتح هذه الطريق التي يعد فتحها من المعجزات تقريباً

رابعاً تمديد خمسة الاف متر من العربات في جهات مختلفة

خامساً ترميم التربة التي كان انشأها والده فرنقو باشا للمسلمين في معاصر بتدين

وكان يوسف باشا رجلاً عاقلاً رصيناً يتلقى النوائب بالحكمة والصبر وفي عهده اعلن الدستور العثماني فاتخذ اعداؤه في لبنان هذه الفرصة وسيلة للايقاع فيه فتألبوا واكثرهم من اعيان البلاد وساروا جميعاً الى بتدين عاقدي الخناصر على خلعه ولدى وصولهم طلبوا مقابلته فابى مقابلتهم لانه كان علم بدخيلتهم قبل وصولهم فلجأوا الى احد الضباط الاتراك الذي كان في بتدين يومئذ طالبين منه ان يناصرهم بأن يحمل يوسف باشا على الاجتماع بهم ففعل

وبعد ان تسنى لهم ان يقابلوه اقترحوا عليه اقتراحات جمة فاجابهم الى ما طلبوا للحال كي لا يتسع الخرق ففصل الموظفين الذين طلبوا فصلهم وعين البعض منهم في مناصب عينوها له فهدأ روعهم ولم يلبثوا ان رجعوا الى اماكنهم يرتلون ايات الشكر له ولكن كان عملهم كمن يكتب على صفحات الماء لانه بعد ان رجعوا من بتدين اعاد المياه الى مجاريها اذ لم

يكن من قوة تحمله على التقيد بما رسموه له ولم يكن لهم من وسيلة تمهد سبيل اعادة الكرة عليه

وقد اخذ بعد ذلك ينتهز الفرص ليثأر لنفسه من كل واحد منهم

وقد اكمل مدة حكمه بالهدوء والسكينة ويوم رجوعه الى الاستانـة شيعه فريق من اعيان البـلاد حتى ظهر الباخرة واقاموا له مهرجاناً تخلله القاء الخطب وشرب الانخاب

﴿ ترجمة حياة اوخانس باشا ﴾

ولد اوخانس باشا من ابوين ارمنيين في الاستانة سنة ١٨٥٧ وتلقى العلوم واللغات الافرنسية والتركية والارمنية في احدى مدارسها ولما بلغ اشده ادخل كاتباً في نظارة الخارجية ثم عين مستشاراً لسفارة الدولة في رومه ثم مستشاراً لنظارة الخارجية المشار اليها ثم متصرفاً للبنان

وقد احدث اوخانس باشا في لبنان رسم الملح ليكون مـداراً لسد العجز في الميزانية بان جعل الجبل حراً بادخال الملح اليه بشرط ان تأخذ الحكومة ٢٥ في المئة من ثمنه

ولم يأت اوخانس باشا عملاً مذكوراً في لبنان ولا اصلح فيه شيئاً وفي عهده ادرك لبناناً كثير من النوائب بسبب الحرب الكونية

وحصل خلاف شديد بينه وبين مجلس الادارة لانه كان يميل الى مساعدة ادارة الرجي ضد مصلحة الجبل واشتد الخلاف خاصة بينه وبين زخور بك العازار احد اعضاء المجلس حينئذٍ وجرت بينهما مشاجرة كان

ُظم امرها لولا تدخل رضى باشا وايقاف كل واحد عند حده

ولم يلبث بعد ذلك ان اقيل وبعد بضعة اشهر عين علي منيف بك خلفاً له

لم نتصل الى معرفة تاريخ حياة كل واحد من المتصرفين الثلاثة لاخيرين لنثبته في موءلفنا هذا وبناء عليه قد اكتفينا باثبات اسمائهم على ن تعيينهم لمتصرفية لبنان لم يكن مشروعاً بحسب نظامه بل كان بتعيين لكب العالي وحده بصورة خارقة العادة لانه كان في اثناء الحرب الكونية يكن من امرهم فان الواجب يقضي علينا ان نصف كلاً منهم عرفناه فيه فنقول :

ان علي منيف بك لا ينكر انه كان من اصحاب المعرفة الواسعة ة الحكيمة ولكنه بما اتى من المنكرات في اثناء وجوده في لبنان لوري بما ساقه البعض الى اتيانها قد ترك ذكراً غير مشكور

اما اسماعيل حقي بك فانه كان اقل معرفة من علي منيف بك والين سلك في لبنان مسلكاً ادبياً ابقى له ذكراً حسناً ومما ب الذي صار تأليفه بعنايته في تاريخ لبنان بواسطة

ممتاز بك فلم نشاهده الا في مدينة زحله بضع دقائق وقد سمعنا حينئذ ما دلنا على اقتداره على حسن التمهيد ولكننا قد اسفنا

لما سمعنا بعد انصرافه انه اخذ خفية من صندوق متصرفية لبنان نحواً من ١١ الف ليرة (بانكنوط تركي) بمساعدة مأمور محاسبة المتصرفية المومأ اليها

دوائر حكومة لبنان الصغير

— دائرة المتصرف —

كان المتصرف يزاول اعماله الرسمية كل يوم عدا ايام التعطيل في دائرة مخصوصة وكان الى جانب حجرته حجرة يقيم فيها ترجمانا المتصرفية وكانت تقدم اليه الاستدعاآت من اصحاب المصالح والاوراق الرسمية من الدوائر كل يوم مترجمة الى اللغة الافرنسيه فيحيلها الى حيث يلزم

اما الترجمة فكانت تجري بمعرفة مأمور مخصوص يحسن اللغتين العربية والافرنسية

واما الترجمانان فلم يكن لهما من وظيفة غير ترجمة المكالمات الشفاهية التي كانت تجرى بين المتصرف وبين من لا يحسنون التكلم بالافرنسية من اصحاب المصالح وفي بعض الاحيان كان المتصرف ينفذهما بمصالح تعرض له عند قناصل الدول وغيرهم

وممن تولوا الترجمة في مركز المتصرفية من عهد فرنقو باشا الى عهد مظفر باشا المرحوم اسكندر بك تويني فانه كان الترجمان الاول رغماً عن ان كثيرين من زملائه التنوبين كانوا يحسنون اللغة الافرنسية اكثر منه وفوق ذلك فانهم كانوا يحسنون اللغة العربية احساناً ممتازاً كالمرحوم غطاس

افندي غطاس فانه كان كاتباً مجيداً في اللغتين

— دائرة مجلس الادارة الكبير —

كان مجلس الادارة مؤلفاً من اثني عشر عضواً منتخبين بواسطة شيوخ القرى من طوائف لبنان الست وهي طوائف الاسلام والموارنة والدروز والروم الارثوذكس والروم الكاثوليك والمتاولة وكان من الاسلام واحد ينوب عن قضاء الشوف ومن الموارنة اربعة ينوب اولهم عن قضاء المتن والثاني عن قضاء كسروان والثالث عن قضاء البترون والرابع عن قضاء جزين ومن الدروز ثلاثة ينوب اولهم عن قضاء الشوف والثاني عن قضاء المتن والثالث عن قضاء جزين [١] ومن الروم الارثوذكس اثنان ينوب احدهما عن قضاء المتن والثاني عن قضاء الكوره ومن الروم الكاثوليك واحد ينوب عن قضاء زحله ومن المتاولة واحد ينوب عن قضاء كسروان وفي الاونة الاخيرة من ايام المتصرفية زيد للموارنة عضو عن دير القمر

اما وظائف هذا المجلس فكانت :

اولاً توزيع التكاليف الاميرية

ثانياً مراقبة انواع الواردات والمصارف على الاطلاق

ثالثاً تلزيم انشاء طرق العربات واصلاحها

---

(١) لا يوجد في قضاء جزين غير اشخاص قليلين من الدروز فلم يكونوا يستحقون نائباً عنهم في مجلس الادارة لو لم يكن للدروز في قضاء جزين وبنوع خاص لآل جنبلاط املاك واسعة الارجاء ولكنها قلت اليوم عن ذي قبل

رابعاً فصل ما كان يقع من الدعاوى والمشاكل في الطرق العمومية بداعي الاعتداء عليها اختلاساً وتعطيلاً

خامساً عقد المقاولات والتعهدات

سادساً النظر في قانونية انتخاب شيوخ صلح القرى ووجوب عزلهم بعد تحقيق العلل المنسوبة اليهم

سابعاً تلزيم الاراضي الاميرية واقلام تعداد الماعز والغنم والرسوم السائرة

ثامناً النظر في المدافن العمومية بحسب نظامها

تاسعاً النظر في قومسيونات البلديات وقراراتها المستانفة الى المجلس

عاشراً اجراء التحقيق على حكام العدلية بموجب القرارات التي جعلت ذيولاً لنظام لبنان

حادي عشر محاكمة مشايخ الصلح في الذنوب المتعلقة بالمامورية

ثاني عشر المحافظة على المشاعات العمومية والترخيص بالبيع منها بناءً على طلب الاهالي

ثالث عشر الترخيص للتنقيب والبحث عن المعادن

رابع عشر النظر في مطالب مريدي الامتياز لانشاء سكك حديدية او غيرها وتقريرها مبدئياً ورفع اوراقها الى المرجع الاختصاصي للتصديق

خامس عشر تحقيق مسائل التصرف في العقار بحسب تبليغات نظارة الداخلية لعموم الولايات بتاريخ ١٧ اوغستوس سنة ٣٢٥ رومية

سادس عشر تقدير الاسنان

سابع عشر اجابة المتصرف الى طلبه عندما يوجد لزوم حقيقي لطلب مساعدة الجند النظامي من السلطة العسكرية في سورية بشرط ان تكون الجنود التي تاتي الى لبنان تحت امرة امير الاي لبنان اذ لم يكن يجوز للمتصرف ان يفعل ذلك الا بعد اخذ رأي المجلس في الامور الخارقة للعادة بحسب المادة ١٤ من النظام

ثامن عشر كانت سلطة المجلس تتناول الاشتراع فان التعليمات التي كان ينشرها بما يتعلق بالبلديات وبالانتخابات وبغيرها كانت بمثابة شرائع وليس في نظامه ما يمنع ذلك والباب العالي كان يوافق على ما يسنه المجلس من الشرائع من هذا القبيل

تاسع عشر كان مجلس الادارة يومئذ اعز من جبهة الاسد وفي مأمن من ان تتناوله يد المتصرف او غيره فلم يكن للمتصرف حق بحله ولا بفصل واحد من اعضائه الا بعد اخذ رأي الدول المحافظة وبعد اجراء المحاكمة القانونية عملاً بالبروتيكول الذي وضع في ٢٣ كانون الثاني وهذا نصه :

« متى انتخب عضو مجلس الادارة فلا يسوغ للحكومة توقيفه « اذا ارتكب خطأ او تعدى حدوده او اهمل الواجب بصفة « كونه عضواً في مجلس الادارة الا على اثر تحقيق وبشرط « الحصول على موافقة مجلس الادارة ذاته »

عشرون احداث ضريبة مالية عند مسيس الحاجة كضريبة الربع

المجيدى التي وضعها على كل مكلف سنوياً لاصلاح الطرق وغيرها [1]

3 وقد بدىء بانتخاب اعضاء مجلس الادارة بالاقتراع من قبل مشايخ الصلح سنة ١٨٦٤م فاقترع اولاً على ثلث اعضائه وبعد سنتين اقترع على الثلث الثاني وبعد سنتين ايضاً اقترع على الثلث الثالث فاصبحت مدة كل عضو منهم ست سنوات على ان القانون يجيز تجديد انتخاب العضو الذي انتخب قبلاً وانتهت مدته

اما قبل تلك السنة فكان يجرى انتخابهم بمعرفة روءساء الملل الست عن كل ملة عضوان وكان في اول عهده موءلفاً من (الافندية) عمر الخطيب وحسن عواد عن المسلمين ومن عمون يوسف ونصر نصر عن الموارنة ومن وهبي ابي غانم وحسن شقير عن الدروز ومن خليل الجاويش وشديد عيسى عن الروم الارثوذكس ومن جبرائيل مشاقه وعبدالله مسلم عن الروم الكاثوليك ومن عبدالله برّو وعلي حماده عن المتاولة [2]

٦ اما رياسة المجلس فكان يجب ان يتولاها المتصرف لانه هو الرئيس الطبيعي له بحسب نظامه او ان ينيب عنه واحداً من اعضائه ولكن

---

(١) ليس للمجلس التمثيلي الذي هو اليوم خليفة مجلس الادارة بعض ما كان لهذا المجلس فان اعمال المجلس التمثيلي الذي تقوم له البلاد وتقعد مبنية على التمني وهو عرضة للالغاء في كل دقيقة

(٢) وقد حل بعد ذلك محل عضوي الروم كل من المرحومين والدنا نجم الاسود وابراهيم طالب.

جرى المتصرفون على تعيين وكيل للرياسة بصورة غير رسمية من غير اعضاء المجلس واخيراً تقرر وجوب تعيين وكيل له بصورة رسمية في بروتيكول تألف في الباب العالي من وزير الخارجية العثماني ومن سفراء الدول كما مر

— دائرة قلم مجلس الادارة —

كانت هذه الدائرة مؤلفة من رئيس وخمسة كتبة وكانت وظائفهم منحصرة في ضبط قرارات المجلس وتسجيلها في السجلات المخصوصة بها وفي القيام بجميع الاعمال التحريرية على اختلاف انواعها ومن وظائف رئيس هذه الدائرة اجراء جميع ما ذكر تحت مراقبته وعهدته وتنظيم المضابط والقرارات التي يقررها المجلس والتصديق على الصور التي تعطى منه لاصحاب المصالح بانها مطابقة للاصل

— دائرة قلم الترجمة —
— او القلم الاجنبي —

كان هذا القلم مؤلفاً من اربعة من الكتبة الماهرين في اللغة الافرنسية ومن رئيس ومن وظائفه ترجمة العرائض والاوراق الرسمية التي كانت تتقدم من اصحاب المصالح ومن الدوائر للمتصرف وتنظيم المحررات التي كان يقتضي ارسالها من جانب المتصرفية الى قناصل الدول والى غيرهم من

الاجانب باللغة الافرنسية

— دائرة قلم التحريرات التركية —

كان هـذا القلم مؤلفاً من رئيس ومن خمسة من الكتبة يحسنون اللغة التركية

ومن وظائفه تنظيم العرائض التي كان يلزم تقديمها الى الباب العالي والى النظارات في دار السلطنة والى حكومـة الولايات وترجمة جميع الاوراق المتعلقة بالدعاوى التي كان يطلب تمييزها اصحاب المصالح والتي كانت تميز بحكم القانون

ورئيس هذه الدائرة كان المحور الذي تدور عليه جميع اعمال المتصرفية وموضوع ثقـة المتصرف وكاتب اسراره وكانت كل مخابرات الباب العالي السرية وقيدها في سجل مخصوص مفوضة اليه وحده ولم يكن له شريك في العمل لا من كتبة القلم ولا من غيرهم ولهذا كان له منزلة سامية لدى المتصرف ولا سيما اذا كان المتصرف قليل الدربة وغير عارف باساليب الكتابة

وبناء عليه كان لجميع من تولوا رياسة هذا القلم في زمن المتصرفية كله من اتراك وابناء عرب المنزلة العليا والقول الفصل ونخص بالذكر السياسي المشهور المرحوم ناصيف بك الريس فانه امتاز بحنكته السياسية وباخلاصه للحاكم وبصدقه في وعوده لاي كان من الناس فلا يوجد في لبنان من يقول انه خدعه او وعده وعداً واخلف فيه

= دائرة قلم التحريرات العربية =

كان هذا القلم مؤلفاً من خمسة كتبة ورئيس وكانت وظائف هذا القلم منحصرة في المخابرات العربية

= دائرة قلم الاوراق =

كان هذا القلم مؤلفاً من رئيس وخمسة كتبة وكانت وظيفة هذا القلم تتعلق بترتيب اوراق الدوائر الرسمية وحفظها في اماكن مخصوصة تحت العدد ليرجع اليها بسهولة كلما دعت الحاجة

= دائرة قلم المحاسبة =

كان يتولى رياسة هذا القلم رئيس مسلم ينصبه الباب العالي بحسب نظام لبنان من الاتراك العارفين في اصول المحاسبة وكان القلم مؤلفاً من امين لصندوق المتصرفية وستة كتبة ينتخبهم المتصرف بمخابرة الرئيس وبالاتفاق معه .

وكانت وظائف هذا القلم اجراء قيد ما يرد من الاموال على الصندوق في دفاترها الخصوصية وما ينفذ منها بمقتضى قرارات مجلس الادارة لانه لم يكن جائزاً صرف بارة واحدة من مال الحكومة بلا قرار من مجلس الادارة [1]

---

(١) اتفق في عهد رستم باشا ان الجند اللبناني احتاج الى مبلغ من النقود فاحال رستم باشا البيان المتقدم له من الدائرة العسكرية بالنقود اللازمة الى مجلس

= قلم البسبورت =

كان هذا القلم مؤلفاً من رئيس وثلاثة من الكتبة و كانت وظيفته تحرير التذاكر السفرية وقيدها في سجلاتها واصدار تذاكر المرور والصيد

= قلم الهندسة =

كان هذا القلم مؤلفاً من مهندسين ومن معاون لهما و كانت وظائف هذا القلم مراقبة تمهيد الطرق والسهر عليها وعلى انشاء الجسور والمعابر والابنية العمومية بحسب الخرائط والشروط الموضوعة بموجب قرارات مجلس الادارة ولم يكن مسموحاً لهذا القلم ان يستقل بعمل من الاعمال بل كان يترتب عليه ان يخبر مجلس الادارة كلما تم عمل قسم من الطريق و كلما حصل الفراغ من انشاء جسر او عبارة ليرسل بعض اعضائه مع احد المهندسين المذكورين لاستلام ما يكون تم عمله بمقتضى الشروط والا فيبقى الاستلام الى ان يصير العمل منطبقاً على الشروط ورغماً عن قلة عدد موظفي هذا القلم فانه كان يقوم بجميع الاعمال الهندسية في جميع انحاء

الادارة للتصديق فابى المجلس اذ ذاك ان يصدق لاسباب مشروعة وكان المرحوم الامير امين منصور ابي اللمع وكيلاً لرياسة المجلس اذ ذاك فرفع الامر الى رستم باشا فاستاء جداً وحضر بنفسه الى المجلس وطلب السجل وكتب فيه بخط يده عبارة تؤذن بصرف المبلغ المطلوب على عهدته فصرف ولكنه لم يلبث ان سعى لاسترضاء المجلس وحمله على التصديق على العبارة التي كتبها في السجل

لبنان في اوقاتها المعينة قياماً مطابقاً الوثائق

ولم يكن مجلس الادارة يسمح للملتزم ان يأخذ من صندوق الحكومة ما كان يستحقه من المال لقاء عمله عند نهاية العمل الا بعد ربطه بكفالة كفيل قانوني يضمن المال الذي يلزم لاصلاح ما يخشى حدوثه من العيوب في معمولاته بظرف المدة التي يكون حصل الاتفاق على بقائها فيها على عهدة الملتزم

وكانت اذ ذاك نفقة انشاء المتر في الطريق التي عرضها سبعة امتار مثلاً سبعة غروش بين تمهيد ورصف وحدل وكانت نفقة الجسر الكبير المبنى بحجارة مزخرفة كجسر نهر الكلب مثلاً ثلاثة الاف ليرة افرنسية اما اليوم فحدث عن نفقة مثله ولا حرج فان نفقة جسر نهر الدامور الذي بني من ثلاث سنوات بلغت اثنين وسبعين الف ليرة سورية (فقط)

= دائرة التلغراف والبريد =

لم تكن حكومة لبنان مستقلة بدائرة التلغراف استقلالها بباقي دوائرها لان دائرة التلغراف اللبنانية كانت كما هي اليوم مربوطة بمديرية التلغراف السورية رأساً الا انه كان للمتصرف حق بنصب من يريد نصبه من مأموري التلغراف في لبنان وباستبدال من يريد استبداله منهم بواسطة المديرية وكان في دائرة التلغراف في مركز المتصرفية حينئذ مدير واحد ومأموران احدهما لمركز بتدين والآخر لمركز بعبدا وكان في مركز كل قضاء من اقضية لبنان السبعة مأمور واحد وكان ايضاً مأمور في كل من

قصبتي عاليه و برمانا

اما اليوم فقد احدثت ادارة التلغراف مركزاً في كل من القصبات والقرى الاتية وهي : حمانا والشوير وبكفيا وبيت شباب ودير القمر وبسكنتا والدامور وجونيه وغزير وجبيل وبشري وانفه وزغرته وبحمدون والهرمل ومشغره وجب جنين ورياق وبعلبك وعكار وصافيتا وصيدا وصور ومرجعيون وحاصبيا وراشيا والنبطيةوتبنين وتل كلخ

— دائرة البريد —

اما دائرة البريد فكانت مستقلة بها حكومة لبنان ضمن المتصرفية فقط ولم يكن لادارة البريد العمومية علاقة معها وكان مديرها في عهد داود باشا المرحوم اسكندر بك[1] زلزل ثم تولى ادارتها بعده المرحوم نخله افندي جلالاتي ثم داود افندي ذيب وظل مديراً لها حتى ارتبطت بادارة البريد السوري واصبحت خاضعة لقوانين البريد العمومية وجعلت لها شعب في امهات القرى

وكانت في اول عهدها في لبنان تنقل اوامر المتصرفية الى القائمقامين وتنقل عرائضهم الى مركز المتصرفية بواسطة مأمورين مخصوصين جعلت

---

(١) كان لاسكندر بك منزلة كبيرة لدى داود باشا لانه كان من ذوي المكانة السامية في لبنان و بعد ان اشغل مركزه هذا زمناً طويلاً ذهب الى القطر المصري ونقلد هنالك مناصب عالية ولكن ما لبث ان ادركته المنية ومات مذكوراً بالشكر

لهم علامات فارقة وكانت تنقل رسائل المأمورين الخصوصية الى مراكز القائمقاميات لترسل الى القرى المنفذة اليها بواسطة انفار الضابطة التي كانت ترسلهم القائمقاميات بمأموريات يومية بدون ان تتقاضى على نقلها شيئاً

اما اليوم فقد تعددت شعب البوستة حتى عمت كل قصبة وقرية

﴿ الجندرمة اللبنانية ﴾

عينت حكومة لبنان في عهد داود باشا المتصرف الاول بحسب المادة ١٤ من نظام لبنان الاساسي فرقة من الجند انتخبتهم سبعة انفار من كل الف لاجل المحافظة على الراحة العمومية وانفاذ القوانين واوامر الحكومة وعينت رئيساً لتلك الفرقة الضابط الذي وجدته حينئذٍ اهلاً للرياسة من ضباطها[1] وطلبت من الباب العالي التصديق عليه فاجابها الى طلبها ورفعه الى رتبة اميرالاي بحسب الانهاء المتقدم منها

وبمقتضى هذه المادة وجدت فرقة من عسكر الدرغون في مركز المتصرفية بيتدين بامرة ضابط يحسن الادارة بصورة دائمة وكانت تساق هذه الفرقة كلها او بعضها الى الامكنة اللازمة لمساعدة العسكر اللبناني في مهامه بناءً على القرار الذي كان يصدر من مجلس الادارة

اما نفقات هذه الفرقة فكانت تعطى من خزينة الدولة ولم تكن

---

(١) ان اول من تولى رياسة الجند اللبناني هو المرحوم الامير سعيد سعد الدين شهاب ثم جاء بعده المرحوم سليم بك الطرابلسي ثم المرحوم ملحم بك ابو شقرا ثم يوسف بك الخازن ثم المرحوم ملحم بك الخوري ثم سعيد بك البستاني

خزينة لبنان تتحمل منها شيئاً

عدد رجال الجندرمة وبيان معاش كل واحد منهم

	معاش شهري	عدد	وظيفة
معاملة عثمانية قبل الحرب	٢٣٢٥	١	اميرالاي
	٢٦٥٠	٢	بيكباشي
	١٢٠٠	١	الاي اميني
	٣١٥٠	٥	اطباء
	٢٨٥٠	٥	كتبة ومعاون
	٣٢٥٠	٦	٣ اطباء و ٣ صيادلة
	٩٩٥٠	١٤	يوزباشي
	٤١٥٠	٨	ملازمون اولون
	٦٩٠٠	١٥	〃 صنف ثان
	٢٧٠٥	١٢	باشجاويش
	١١٣٥٠٠	٦٣٥	انفار
	١٨٤٢٠	٩٧	اونباشي
	٦٣٢٠	٣٠	جوقة الموسيق
	٢٢٠٢٠	٧٥	فرقة السواري
	١٩٩٣٩٠	٩٠٦	يكون

✵ عدد مأموري الجندرمه من كل ملة ✵

— ممن كانت رواتبهم الشهرية من ٣٠٠ غروش فصاعداً —

الملة	عدد	معاش شهري
مسلمون	٣	١٠٥٠
موارنة	٥٩	٣٢١٨٥
دروز	١٧	٨٨١٥
روم ارثوذكس	٤	٢٣٥٠
〃 كاثوليك	٨	٤١٩٠
متاولة	١	٣٠٠
بروتستانت	١	٣٠٠
يكون	٩٣	٤٩١٩٠

= المجلس العسكري =

كان المجلس العسكري مؤلفاً تحت رياسة امير الالاي من اعضاءهم بيكباشى واحد وقول اغاسي واحد ايضاً ومن يوزباشيين وملازم واحد من الصنف الاول وملازم واحد من الصنف الثاني

وكانت وظائف هذا المجلس النظر في الدعاوى العسكرية المحضة

والحكم فيها طرداً من السلك ام قطعاً من الراتب ام حبساً وذلك بالنظر الى الجريمة الواقعة

وأما الدعاوى المتكونة بين جندي وواحد من الاهالي فكان مرجعها المحاكم النظامية بشرط ان تكون المحاكمة على مشهد من موظف عسكري هو ارفع رتبة من المحاكم

— البسة الجند —

كانت تشترى البسة الجند بالمال الذي كان يحسم من مرتباتهم ويحفظ في الصندوق فانه كان يحسم عشرة غروش في كل شهر من مرتب كل واحد منهم من رتبة جاويش فما دون

اما الضباط فكانت اكلاف البستهم على نفقتهم الخاصة واما خيول الفرسان فكانت نفقتها على اصحابها لان الحكومة ضمت الى مرتب كل واحد منهم المقدار اللازم لعلف جواده

اما التقاعد فكان كل ضابط يدفع الى صندوقه عشرة غروش من كل مئة غرش من مرتبه والنفر يدفع خمسة

— مجالس البلدية[1] —

ان تعليمات مجالس البلديات تقضي بتعيين مجلس للبلدية في كل قصبة

---

(١) ان نظام البلديات هذا وضعته بالاشتراك مع مظفر باشا في نفس بيت مظفر باشا في بئر حسن وقد تصدق عليه في مجلس الادارة ثم انفذ منه الى كل قائمقامية نسخة للعمل بموجبها

ام قرية يطلب اكثر اهلها تعيين مجلس لها

واليك اهم مواد التعليمات المذكورة :

اولاً ان المجلس البلدي يجب ان يكون مؤلفاً من اعضاء لا يقل عددهم عن ستة ولا يزيد عن اثني عشر وان ينتخب له رئيس من اعضائه بالاتفاق ام بالاكثرية وان تكون مدة هذا المجلس سنتين

ثانياً ان وظيفة هذا المجلس مجانية ولكن لاعضائه الحق ان يأخذوا من صندوقه ما ينفقونه في سبيل المأموريات الرسمية وفي الاعمال المتعلقة بالمجلس ولكن بعد مصادقة مجلس الادارة

ثالثاً اذا وجد في القرية التي فيها مجلس بلدي طبيب رسمي للحكومة فيلزم ان يكون ذلك الطبيب من جملة الاعضاء

رابعاً يجب ان يلتئم المجلس مرتين في الاسبوع على الاقل للنظر في الشؤون الحاضرة

خامساً تصدر جميع القرارات اما بالاتفاق واما بالاكثرية واذا تناصفت الاصوات يرجح رأي القسم الذي يكون الرئيس منه

سادساً يجب على كاتب المجلس ان يقيد القرارات وجميع اعمال المجلس التحريرية في سجل مخصوص وان يوقع عليها الاعضاء وعلى المخالف ان يبين اسباب مخالفته على نفس السجل

سابعاً ان امين الصندوق مسؤول بضبط الاعمال المتعلقة بوظيفته وبقيد الوارد والمنصرف منه وبحفظ المال وعدم صرف شيء

منه بدون قرار رسمي

ثامناً ان وظائف مجالس البلديات في لبنان هي كوظائفها في كل ولاية من ولايات الدولة وتستند في قراراتها فيها الى القوانين العمومية المطبوعة والى الفيئات التي كان يصير وضعها بالنظر الى ظروف المكان والزمان

— الاصول التي جرى عليها لبنان قبل نظام البلديات —

في بدء تنظيم دوائر المتصرفية لم يكن لشيء من مجالس البلدية في لبنان ولكن كانت الحكومة تستوفي بموجب قرار مجلس الادارة رسوماً تدعى رسوم الحسبة من زحله وجونيه والبترون وطبرجه وجبيل وكان القسم الاعظم من مال هذه الرسوم يدخل في صندوق المتصرفية والباقي يصرف في سبيل اصلاح تلك القصبات

اما اليوم فان مجالس البلديات تكاد تشمل القصبات وامهات القرى اللبنانية

والرسوم التي كانت تجبى من البائع قبلاً هي ثلاثة غروش عن كل رأس غنم كان يذبح في القرية وخمسة اذا كان (معلوفاً) وغرشان عن كل راس من الماعز وخمسة غروش عن كل راس من البقر وثمانية عن المعلوف منها وخمسة عن العجل الصغير وعشرون بارة عن كل نهضة بالقبان من عشرين اقة فما فوق وبارة واحدة عن كل رطل من اصناف

الحبوب التي يبيعها الغرباء في القرية وست باراة عن كل مدّ منها وغرشان ونصف الغرش عن كل قنطار من الفحم

— نظام كتبة العدل —

اولاً ان وظيفة كاتب العدل هي اجراء البروتستو والمصادقة على جميع انواع السندات والمقاولات والصكوك ما عدا ما كان منها متعلقاً بفراغ العقار وانتقاله فان المصادقة عليه عائدة الى المحاكم النظامية وليس لمحرري المقاولات حق التداخل بها الا اذا كان هنالك تفويض من المحكمة

ثانياً ليس لكتبة العدل ان يقوموا بوظائفهم الا ضمن الدائرة المعينة لهم

ثالثاً عليهم ان يفهموا بجلاء وضووح اصحاب الاعمال مضمون ونتائج كل عمل قبل التصديق

رابعاً لا حق لهم ان يجروا معاملات تتعلق بذوي قرباهم لحد الدرجة الرابعة ولا لمن كان مصاهراً لهم حتى الدرجة المذكورة

خامساً لا تعتبر مصادقتهم الا اذا جرت بحضور شاهدين على الاقل لا علاقة ولا قرابة بينهما وبينهم ولا بينهما وبين احد المتعاقدين على ما جاء في المادة ٦٢ من قانون اصول المحاكمات الحقوقية ويجب ان يكون الشهود من ذوي الذمة وممن يحسنون القراءة والكتابة

سادساً ان اصك المطلوب التصديق عليه يجب ان يكون نسختين كل منها ممضاة من صاحب السند والشهود بخطوط ايديهم ومختومة باختامهم اذا كان لهم اختام ومن كان منهم لا يحسن توقيع امضائه فيجب ان يمضي عنه رجل آخر غير محرر المقاولات وغير الشهود وان يكتب ذلك الرجل بجانب الامضاء التي يوقعها بالوكالة تحت امضائه انه هو وقع الامضاء باذن صاحبها

سابعاً ان مقدار النقود وارقام التواريخ والعدد لا يجوز ان تكتب بالارقام لا على السجل ولا على الاوراق المطلوب تصديقها بل بالاحرف الهجائية الكاملة ولا يجوز وقوع كشط او حك واذا حصل سهو فيضرب على الكلمات المغلوطة ويصلح الغلط في الهامش تحت توقيع محرر المقاولات والشهود وصاحب السند واختامهم

ثامناً ان جميع الاوراق التي يصدق عليها على الوجه المبين انفاً تعتبر رسمية ويحكم بموجبها في المحاكم بدون حاجة الى اثباتها

تاسعاً لا يجوز لكاتب العدل ان يعطي صورة عن الاوراق الى احد العاقدين الا باذن المحكمة خطياً ومن يخالف يجازى قانوناً

عاشراً الخرج الذي يستوفيه كاتب العدل يجب ان يشير اليه تحت عبارة التصديق تحت امضائه وختمه واذا كان لا يجري ذلك واستوفى الرسم اكثر مما هو معين في التعريفة فيجازى بحسب القانون

حادي عشر على كاتب العدل ان يمسك ثلاثة دفاتر الاول لقيد صور السندات والثاني لقيد الحاصلات والثالث لقيد الاوامر والتعليمات التي تصدر من المرجع الاعلى

ثاني عشر لكاتب العدل ربع الحاصلات و بناء عليه يجب ان يرسل الباقي منها الى صندوق الحكومة وان ياخذ وصلاً بما يدفعه

اما الرسوم التي يحق له استيفاؤها فهي :

خمسة غروش اذا كان البدل بالغاً الخمسة الاف غرش وعشرة اذا كان البدل من خمسة الاف غرش الي عشرة

وعشرون غرشاً اذا كان البدل من عشرة الاف وصاعداً او كانت القيمة غير معينة

وعشرة غروش على سند الكفالة اذا كانت القيمة غير معينة واما اذا كانت معينة فيستوفى على النسبة التي مر بسطها

وعشرة غروش على سند التوكيل اذا كان خاصاً وعشرون غرشاً اذا كان عاماً وعشرون غرشاً على البروتستو وتبليغها وعشرون غرشاً على سند التحكيم

❊ مال حكومة لبنان ❊

كان مال حكومة لبنان يقسم الى ثلاثة اقسام

الاول مال الخزينة والثاني مال المتفرقة والثالث مال المهمولات

(المهملات) [1]

فمال الخزينة هو مال الويركو املاكاً واعناقاً فانه بعد تشكيل متصرفية لبنان جرت مساحة املاكه واحصيت الذكور من اهاليه عداً وتحريراً فبلغت دراهم المساحة مئة وخمسة وعشرين الف درهم وتسعة وستين درهماً واربعة قراريط

وقد ترتب على كل درهم واحد وعشرون غرشاً بالمعاملة الصاغ [2] فيكون الحاصل (٢٦٢٦٤٥٢ ٢/٢)

وبلغ عدد الذكور تسعة وتسعين الفاً وثمانمائة واربعة وثلاثين ذكراً وجعل على عنق كل ذكر ثمانية غروش وثلاثة ارباع الغرش فيكون الحاصل (٨٧٣٥٤٧ ٢/٤) ويكون مجموع مال ويركو الاملاك والاعناق (٣٫٥٠٠٫٠٠٠) اي سبعة الاف كيس

وبعد اسقاط مال المعيصرة التي كانت تجبيه حكومة طرابلس على ما سيجي يكون الصافي (٣٤٤٠٨٥٩ ٢/٢) اي ثلاثة ملايين واربعمائة واربعين الفاً وثمانمائة وتسعة وخمسين غرشاً ونصف الغرش

---

(١) ان السبب في تسمية هذا المال بالمهملات هو لان قسماً منه متحصل من ويركو الاملاك التي اهملت مساحتها ولم يعد من سبيل لادخاله مع الويركو الاصلي فيكون من باب تسمية الكل باسم البعض

(٢) الصاغ هو تسعير الليرة العثمانية بمائة غرش في المعاملات التي كانت تجري بين الحكومة وافراد الاهالي سواء كان في قبضها او في تقبيضها في حين انها كانت في المعاملات الرائجة بسعر ١٢٤ ٢/٢

وقس على ذلك باقي انواع العملة

اما المعيصرة فهي حديقة من الزيتون كبيرة تابعة في الاصل لقضاء الكوره من اعمال لبنان وهي واقعة على مقربة من مدينة طرابلس ويملكها فريق من اهالي هذه المدينة ولهذا اخذت حكومة طرابلس تجبي اموالها وتستوردها الى خزينتها عنوة مزاحمة حكومة لبنان التى كانت استوردتها عدة سنوات

ولم يكن لحكومة لبنان من سبيل لمنع حكومة طرابلس عن استيرادها لان مالكي تلك الحديقة هم كما سبق القول من ضمن دائرة حاكمية متصرفية طرابلس والباب العالي لم يكن يلبي نداء حكومة لبنان

وبناء عليه فان حكومة لبنان اخذت (تدور)[1] تلك الاموال من سنة الى سنة فبلغت مقداراً وافراً من ملايين الغروش بقي علينا ان نعرف كيف صار وضع هذا المبلغ على اعناق اللبنانيين وارزاقهم فنقول

انه قبل تشكيل المتصرفية اي في عهد حكام لبنان السابقين كان مضروباً مثل نصف هذا المبلغ على اعناق اللبنانيين وارزاقهم بامر الدولة واعتباراً من سنة ١٢٥٩ هجرية حيثما الغى اسعد باشا مشير ايالة صيدا حكمدارية جبل لبنان وفصل هذا الجبل الى قائمقاميتين مسيحية ودرزية كما سبجي• وقد اشترط اذ ذاك ان يرسل الى خزينة الدولة ما يزيد من هذه الضريبة عن احتياجات القائمقاميتين الموماً اليها وتايد ذلك بامر شكيب افندي ناظر الخارجية الذي حضر خصيصاً الى لبنان سنة

(١) اصطلحت الحكومة وربما التجار ايضاً على هذه اللفظة لتدل بها على ضم المال من سنة سابقة الى مثله في السنة اللاحقة

١٢٦٢ هـ وقد صدر فوق ذلك فرمان عال بهذا الخصوص في ٨ رجب سنة ١٢٦٣

(ولما تشكلت) المتصرفية ونالت نظامها الخصوصي تضاعف مبلغ الضريبة بحسب البند الخامس عشر من هذا النظام

ويتبع مال الخزينة اولاً المال الذي كان يتحصل من الاملاك الاميرية التي مر بيانها وقدره ٣٥/٢٤٤٤٨٩٧ غرشاً وثانياً رسوم المحاكم ورسوم البسابورت وثمن الحطب اليابس المتحصل من الاملاك الاميرية والجزاء النقدي الذي كان يبلغ في السنة نحواً من ١٥٦٣٨٩ غرشاً اما مال (المتفرقة) فهو عبارة عن المال الذي كان يرد الى الصندوق من ثمن ادوية تبيعها الحكومة في صيدليتها ومن ثمن حطب يشذب من الاشجار المغروسة على جوانب الطريق ومن ثمن امتعة قديمة الى غير ذلك من الموارد ولم يكن لهذه الموارد باب مخصوص في دفاتر الخزينة لقلتها ولانها كانت تزيد وتنقص بحسب مقتضى الحال على انها كانت لا تزيد عن عشرة الاف غرش في السنة تقريباً

اما اقسام المال المعبر عنه بمال (المهمولات) فهي :

المال المتحصل من الاملاك التي اهملت مساحتها على ما سبق البيان والمال المتحصل من رسوم تعداد الماعز والغنم ومن رسوم المحصول والمغالق المستجدة وصور المضابط والترامواى اللبناني ودوائر الاجزاء والعربات والتنابر وثمن اوراق مطبوعة ورسوم تصديق الوكالات الاجنبية وترجمة الاوراق ورسوم الدخان والتنباك والجزاء النقدي المتحصل ممن يخالفون اوامر الحكومة ورسم تذاكر النفوس وواردات المطبعة والجريدة الرسميتين

ورسم الاسفنج

وكان القسم الاكبر من هذا المال يصرف في كل سنة للمأمورين بدل مرتباتهم وثمن ما يلزم من المفروشات والدفاتر والاوراق وما يلزم للمحبوس والمستشفيات من الخبز والملح والادوية وما يصرف في سبيل (التعميرات) وما يعطى من الرسوم السفرية للمأمورين الذين كان يعهد اليهم بالمأموريات الخارجية وما اشبه ذلك كما سترى

❊ ميزانية متصرفية لبنان لاحدى السنين ❊

— الواردات بحساب الخزينة —

باره	غروش	البيان	باره	غروش	
٢٠	٣٤٤٠٨٥٩	مال ويركو عدا بقايا المعصره			
٣٥	٤٤٤٨٩٧	مال الاملاك الاميرية			
		«بيانها :»			
		في قضاء الكوره			
			٠٠	٢٠٠	مالكانه بصرما
			٣٥	٢٢٣٥٢٠	حاصلات الاراضي
٣٥	٢٥٤٩٥٠		٠٠	٠٣١٢٣٠	بدل زيتون
١٠	٤٠٤٠٧٠٧	يكون			

١٠	٤٠٤٠٧٠٧			نقل بكون
				في قضاء البترون
		٠٠	٢١٦١٠	حاصلات مجدليا
		٠٠	١٤٥	حاصلات تحوم
		٠٠	٣٩١٤	〃 مزرعة عساف
		٠٠	٩١٦٠٠	〃 الهرمل
		٠٠	٣٦٥٠	بدل اثمار الزيتون
٠٠	١٥٥٠٤٤	٠٠	٣٤١٢٥	حطب الهرمل اليابس
				في قضاء كسروان
		٠٠	٢٨٥	اجرة قبو جبيل
		٠٠	١٣٠٠	مال سلوقية المقطوع
		٠٠	٣٢٥٠٠	حاصلات سمسطار
٠٠	٣٤٣١٣	٠٠	٢٢٨	بدل اثمار زيتون
				في قضاء المتن
٠٠	٦٠٠	٠٠	٦٠٠	حاصلات مطحنة الغدير
٢٥	٧٠٦٥٩٤			رسوم المحاكم البدائية في الاقضية
٣٥	٤٩٣٧٢٦١			يكون المجموع بحساب الخزينة في الاقضية

٣٥	٤٩٣٧٢٦١	نقل يكون
٢٠	١١١٦٣	رسوم دائرة الحقوق الاستئنافية
٢٠	٢٣٠٦٩	〃 〃 الجزاء 〃
٠٠	٤٩٧٢٠	〃 تذاكر وبسابورت
٢٠	٢٤١	ثمن حطب يابس من الاملاك الاميرية
٢٥	٥٣٧	ربح صرف من الجزاء النقدي
٠٠	١٠٠٠	استردادات من المعاشات
٠٠	٥٠٢٢٩٩٤	يكون اجمال واردات المتصرفية بحساب الخزينة

جدول يتضمن بيان ما كان يتحصل في كل قضاء من رسوم خرج الاعلامات الحقوقية ورسوم الاحكام الجزائية ورسوم الاستنطاق والجزاء النقدي ورسوم كتبة العدل

باره	غروش	
٠٥	١٢٨٠٧٦	قضاء البترون
٠٥	٣٣٣٢٧٧	〃 جزين
٠٥	٠٢١٦٨٥	〃 زحله
٣٠	١٢١٤٣٦	〃 المتن
٠٥	٦٠٤٤٧٥	يكون

نقل يكون	٦٠٤٤٧٥	٠٥
قضاء كسروان	١٠٧٩٠٠	٠٠
〃 البترون	٠٩٤٨٧٤	٠٥
〃 الكوره	٠٦١٧٣٥	٣٠
〃 دير القمر	٠٢٠٠٠٤	٢٥
رسوم كتبة العدل في الاقضية المذكورة	٠١١٧٦٠٥	٠٠
يكون	١٠٠٦٥٩٤	٢٥

﴿ ميزانية واردات لبنان لحساب المهمولات في احدى السنين ﴾

زيادة توزيع الويركو	٣٤١٩	٠٥
رسم تعداد الماعز	٣٣٥٣٠٠٠	٠٠
رسم مغالق مستجدة	٠٠٤٧٥١٨	٢٥
رسم دوائر الاجرا	٠٠٦٩٢٥٢	٢٥
صور طبق الاصل	٠٠٠٣٤٦٢	٣٠
ثمن اوراق مطبوعة	٠٠٠٠٦٠٠	٠٠
يكون المتحصل في الاقضية	٣٤٧٧٢٥٣	٠٥

٠٥ ٣٤٧٧٢٥٣ نقل يكون المتحصل في الاقضية

المتحصل في مركز المتصرفية راساً

باره	غروش	
٠٠	٠١٥٠٠٠	رسم الترامواي اللبناني
٠٠	٢٦٤٢٥٠	العربات والتنابر
٣٥	٠٥١٤٥٤	تصديق صور مضابط ووكالات اجنبية
٢٧	٠٠٤١٥٣	جزاء نقدي عن مخالفة اوامر
٢٠	٠٢٩٠٤٥	رسم تذاكر صيد ونقل سلاح
٠٠	٩١٢٠٦	رسم تذاكر مرور و بسابورت
٠٥	٣٦٨٨	ربح صرف الفي ليره
١٠	٣٦٨٧	استردادات من المعاشات
٠٠	٤٨٨١١	بدل نشر اعلانات في الجريدة الرسمية
٠٠	٣٧٠٨٩	بدل اشتراكات الجريدة
٠٠	٢٨٨٥٧٥	رسم دخان الرجي
٣٠	٢٩٧٥	ثمن ملح
٢٠	٣٠٧٧	واردات تذاكر النفوس

٢٥ ٨٨٣٠٠٧

٣٠ ٤٣٥٥٢٦٠

٣٠	٤٣٥٥٢٦٠			نقل يكون المتحصل في مركز المتصرفية
		٠٠	٢٥٠	ثمن ادوية
		٠٠	٨٩٥٦	واردات متفرقة
		٠٠	٢٦٨٤٦	الباقي من سعي الميري
٠٠	٣٦٠٥٢			
٠٠	٤٣٩١٣١٢			يكون الوارد بحساب المهمولات
٠٠	٤٦٧٨٠٨٤			واردات الخزينة كما هو مبين في ميزانيتها
٠٠	٩٠٦٩٣٩٦			يكون الوارد على خزينة لبنان من مال الخزينة ومال المهمولات
٠٠	٥٣٠٦٢			جزاء نقدي قديم
٠٠	١٨٠٤٤٣			مدور الصندوق من السنة السابقة
٠٠	١٤٢٥٠			اجرة طبع تذاكر
٠٠	٨٥٥٧			فرق حساب
٠٠	٣٥٣٦٦			عجز الواردات
٣٠	١٢٦١٠٧٤			يكون عمومي للواردات

﴿ جدول يتضمن بيان المصاريف ﴾

— من مال الخزينة والمهمولات للسنة نفسها —

باره	غروش	
٠٠	١٠٦٣٢٠٠	مرتبات مأموري الاقضية
٠٠	٢٤٨٧٩٦٠	〃 الجندرمه
٠٠	١٦٩١٠١١	〃 مأموري مركز المتصرفية
٠٠	٩٠٠٠	〃 القرطاسية في الاقضية
٠٠	١٧٧١٩٨	تخصيصات مساعدة مال الربع المجيدي
٠٠	٣٥٧٧١٠	اصلاح طرق العربات
٠٠	١٥٧٠٨٠	انشاء واصلاح جسور
٠٠	٨٨٣٧	ثمن ادوية
٠٠	٢٢٨٥١	مصارف مستشفي بعبدا وبتدين
٠٠	٥١٢٣	ما اعطي لمستشفى العصفورية
٠٠	٩٤٢٦	بدل تسفير اشخاص مصابين بالكلب
٠٠	٢٦٦	قرطاسية محافظة طريق الشام
٠٠	٢٨٨٩٣	ثمن ورق وادوات للمطبعة
٠٠	٦٠١٨٥٥٥	يكون

البيان				
نقل يكون			٦٠١٨٥٥٩	٠٠
مصاريف التزيينات			٥٧٩٨	٠٠
اجرة نقل ادوات المركز			١٠٤٩٤	٠٠
اجرة طبع تذاكر نفوس			١٤٢٥٠	٠٠
تعميرات				
من مال الخزينة	١١٦٤٤	٠٠		
من مال المهمولات	٢١٢٩٥	٠٠	٣٢٩٣٩	٠٠
مفروشات				
من مال الخزينة	٦٩٦٠	٠٠		
من مال المهمولات	١٧٠	٠٠	٧١٣٠	٠٠
جبسخانه				
من مال الخزينة	٣٢٦٠٠	٠٠		
من مال المهمولات	٥٣١٨٠	٠٠	٨٥٧٨٠	٠٠
			٦١٧٥٠٥٠	٠٠

البيان				
نقل يكون			٦١٧٥٠٥٠	٠٠
اجارات من مال الخزينة			١٩٣٢٨	٠٠
خرجراه				
من مال الخزينة	٥١٦٨	٠٠		
من مال المهمولات	١٦٠٣٤	٠٠	٢١٢٠٢	٠٠
قرطاسية				
من مال الخزينة	١٠٤٤٠	٠٠		
من مال المهمولات	٢٣٤٣٩	٠٠	٣٣٨٧٩	٠٠
متفرقة				
من مال الخزينة	١٩٦٤٧	٠٠		
من مال المهمولات	٣٩٣٧١	٠٠	٥٩٠١٨	٠٠
يكون			٦٢٨٨٤٧٧	٠٠

☀ جدول معاشات المأمورين في كل قضاء على حدة ☀

اسم القضا	شهرياً	سنوياً
الشوف	١٨٠٥٠	٢١٦٦٠٠
المتن	١٢٩٢٥	١٥٥١٠٠
كسروان	١٥١٢٥	١٨١٥٠٠
البترون	١٤٥٧٥	١٧٤٩٠٠
الكوره	٠٩٣٢٥	١١١٩٠٠
جزين	٨٢٢٥	٩٨٧٠٠
زحله	٦٦٠٠	٧٩٢٠٠
دير القمر	٠٤٥٢٥	٠٥٤٣٠٠
يكون	٨٩٣٥٠	١٠٧٢٢٠٠

﴿ جدول اجمال عدد المأمورين كل صنف على حدة ﴾

= ومعاشاتهم في الاقضية =

سنوياً	شهرياً	عدد	صنف
٢١٢٤٠٠	١٧٧٠٠	٧	قائمقامون
٤٠٨٠٠	٣٤٠٠	٩	كتبة تحريرات
٢٧٦٠٠	٢٣٠٠	٩	مأمورو سجن
٢٨٨٦٠٠	٢٤٠٥٠	٤١	مديرون
١٠٥٦٠٠	٨٨٠٠	٨	رؤساء محاكم بدائية
١٣٩٢٠٠	١١٦٠٠	١٦	اعضاء محاكم
٤٨٠٠٠	٤٠٠٠	٨	كتبة اولون
١١٩٤٠٠	٩٩٥٠	٣٣	كتبة ضبط وقيد
٥٢٢٠٠	٤٣٥٠	٨	امناء الصندوق
٢٩٤٠٠	٢٤٥٠	٧	كتبة دوائر
٩٠٠٠	٧٥٠		مخصص القرطاسية
١٠٧٢٢٠٠	٨٩٣٥٠	١٤٦	يكون

﴿ جدول عدد المأمورين في اقضية لبنان من كل طائفة ﴾

= على حدة ورواتبهم =

ملة	عدد	شهرياً	سنوياً
اسلام	٠٤	٠٢٧٥٠	٠٣٣٠٠٠
موارنة	٨١	٤٨٩٥٠	٥٨٧٤٠٠
دروز	٢٠	١٣٤٥٠	١٦١٤٠٠
روم ارثوذكس	١٩	١١٧٠٠	١٤١٤٠٠
〃 كاثوليك	١٥	٠٨١٠٠	٠٩٧٢٠٠
متاولة	٠٧	٠٣٦٥٠	٠٤٣٨٠٠
مخصص القرطاسية	٠٠	٠٠٧٥٠	٠٠٩٠٠٠
يكون	١٤٦	٨٩٣٥٠	١٠٧٢٢٠٠

جدول يشتمل على بيان ما كانت تدفعه كل طائفة سنوياً من ويركو الاملاك

اجمال	املاك	حبه	قيراط	درهم
٢٠٢٩٦٨	١٧٣٢٧١			٠٨٢٥٠
١٨٤٧٠٥٥	١٣٤٤٦٣٠			٦٤٠٣٠
٠٧٢٧٥١٥	٦١٨٤٢٩			٢٩٤٤٩
٤٠٨٦٣٢	٢٩٠٠٥٢			١٣٨١٢
٢٠٨٨٥٣	١٣٣٤٥٥			٦٣٥٥
٩٦٥١٦	٥٩٦٦١			٢٨٤١
٨٤٥٩	٠٦٩٥٤	٧	٤	٣٣١
٣٤٩٩٩٨٨	٢٦٢٥٨٥٢	٧	٤	١٢٥٠٦٨

والاعناق في جبل لبنان بحسب اساس المساحة وعدد النفوس الاصلي

عن الاعناق	عدد الذكور	الملل
٠٢٩٦٩٧	٠٣٣٩٤	اسلام
٥٠٢٤٢٥	٥٧٤٢٠	موارنة
١٠٩٠٨٦	١٢٤٦٧	دروز
١١٨٥٨٠	١٣٥٥٢	روم ارثوذكس
٠٧٥٨٩٣	٠٧٦١٧	〃 كاثوليك
٣٦٨٥٥	٠٤٢١٢	متاولة
٠١٥٠٥	١٧٢	بروتستانت
٠٧٨٤٠٤١	٩٨٨٣٤	يكون

جدول توزيع مال الويركو في احدي السنين

قضا	درهم	قيراط	حبه	عدد ذكور	عروش
الشوف	٤١١٣٢	١٠	٢٢	٢٣٩٣٠	١٠٧٣١٦٩
المتن	٢٤٦٨٩	٠٣	٢٠	٢٣٠٩١	٠٧٢٠٥١٧
كسروان	١٧١٨٩	٢٠	٢٢	١٩٨٣٩	٠٥٣٤٥٧٨
البترون	٢١١٧٣	١٦	٢٠	١٥٧٨٣	٠٥٧٢٧٤٩
الكوره	١٠١٦٤	١٤	١٤	٠٦٠١٧	٠٢٦٦١٠٥
زحله	٠٢١١٧	١٨	٠٠	٠٤٢٥٧	٠٠٨٠٨٤٦
دير القمر	٠١٠٨٧	١٧	٠٢	٠١٤٢٨	٠٠٣٥٣٣٢
الكرسي البطريركي الماروني	٠٠٢٠٩	١٧	٠٢	٠٠٠٩٤	٠٠٠٥٢٢٦
يكون	١١٧٧٦٤	٠٧	١٢	٩٤٤٣٩	٣٢٨٨٥٢٢

جدول عدد المأمورين في مركز المتصرفية من كل ملة

ملة	عدد المأمورين	معاش شهري	معاش سنوي
مسلمون	٠٧	٠٩٣٠٠	١١١٦٠٠
موارنة	٥٧	٥١٢٥٠	٦١٥٠٠٠
دروز	١٣	١٤٢٥٠	١٧١٠٠٠
روم ارثوذكس	١٣	١٨١٠٠	٢١٧٢٠٠
روم كاثوليك	٠٧	٠٧٩٥٠	٠٩٥٤٠٠
متاولة	٠٤	٠٥٢٥٠	٠٦٣٠٠٠
بروتستانت	٠١	٠٠٥٠٠	٠٠٦٠٠٠
يكون	١٠٢	١٠٦٦٠٠	١٢٧٩٢٠٠
المتصرف	٠٠١	٠٢٦٥٠٠	٠٣١٨٠٠٠
خدمة ومرتبات	٠٠٠	٠٠٦٦٢٥	٠٠٧٩٥٠٠
معاشات ذاتية لاشخاص عاجزين	٠٠٠	٠٠١١٩٢	٠٠١٤٣١١
يكون	١٠٣	١٤٠٩١٧	١٦٩١٠١١

﴿ جدول الواردات والمصارف السنوية في المركز المتصرفي ﴾

= وفي كل قضاء على حدة =

المكان	الواردات من المهمولات	الواردات من مال الخزينة
في مركز المتصرفية	١٦٩١٠١١	٠٩٣٧٩٥٢
في المركز المتصرفي وفي الاقضية	٠٨٧٩٨٢١	٢٦٦٨٤٦
معاشات الجندرمه	٢٤٨٧٩٦٠	٠٠٠٠٠٠٠
في قضاء الكوره	٠١١١٩٠٠	٠٥٥٢٢٧٦
« البترون	٠٢١١٨٧٣	٠٩٩١١٠٢
« كسروان	٠٢٠٦١٤٨	٠٧٩٦٤٩٠
« المتن	٠٢٠٤٣٩٧	٠٩٤٩٩٨٩
« الشوف	٠٢٤٥٣٥٦	١٢٩٨١٩٩
« جزين	٠١٢١٧٠٥	٠٢٨٥٦٥٧
« زحله	٠٠٩٣٩٠٩	٠١١٥٦١٤
« دير القمر	٠٠٥٤٣٠٠	٠٠٥٧٣٤٧
البطريركية المارونية		٠٠٠٥٢٢٦
يكون	٥٩٠٨٣٨٠	٦١٣٩٩٠٢

☀ جدول عمومي عن الصرفيات في احدى السنين ☀

= من حساب الخزينة والمهمولات =

يكون	خزينة	مهمولات	ملاحظات
٣٣٩٥٢١٥	٣٣٩٥٢١٥		مال ويركو الارزاق والاعناق
٠٣٣٤٦٨١	٠٣٣٤٦٨١		معاملات الاملاك الاميرية
٠٦٥٨١٦٨	٠٦٥٨١٦٨		رسوم المحاكم
٠٢٤٣٦٤٦	٠٢٤٣٦٤٦		ثمن البسبورت ورسوم متفرقة
٠٤١٠٧٧١	٠٤١٠٧٧١		تحصيلات بقايا السنة السابقة
٠٢٦٨٢٧٤		٠٢٦٨٢٧٤	رسوم تعداد الماعز
٠٠٠٣١٣٨		٠٠٠٣١٣٨	زيادة توزيع الويركو
٠٠٤٤٤٠٠		٠٠٤٤٤٠٠	رسم كفالة البسبورت
٠٠٢٢٣١٧		٠٠٢٢٣١٧	رسوم المغالق المستجدة
٠٠٧٣٠٠٧		٠٠٧٣٠٠٧	رسم محصول دائرة الاجرا
٠٠٠٣٦٣٩		٠٠٠٣٦٣٩	〃 طبق الاصل
٠٠٠٢٧٨٤		٠٠٠٢٧٨٤	ثمن اوراق مطبوعة
٠٠٠٥٧٢١		٠٠٠٥٧٢١	رسم تذاكر صيد وسلاح
٠٧٢٢٣١٤		٠٧٢٢٣١٤	رسوم اعلانات الجريدة
٦١٧٨٥٧٥	٦٠٤٢٤٨١	١١٤٥٥٩٤	يكون

يكون	خزينة	مهمولات	ملاحظات
٦١٧٨٥٧٥	٦٠٤٢٤٨١	١١٤٥٥٩٤	نقل يكون
٠٢٢٨١٥٦		٠٢٢٨١٥٦	رسوم العربات والتنابر
٠٠٢٦٦٣٨		٠٠٢٦٦٣٨	بدلات اشتراك الجريدة
٠٠٠٢٨٣٦		٠٠٠٢٨٣٦	ثمن تذاكر نفوس
٠٠٣٥١٥٤		٠٠٣٥١٥٤	رسم تصديق مضابط مجلس الادارة والوكالات الرسمية
٠٣٢٠٠٠٠		٠٣٢٠٠٠٠	رسم الدخان
٠٠٠٢١٩٣		٠٠٠٢١٩٣	〃 التنباك
٠٠٠٤١٨٢		٠٠٠٤١٨٢	جزاء مخالفة الاوامر
٠٠٠٥٠١٤		٠٠٠٥٠١٤	استرداد
٠٠٣٢٠٦٩		٠٠٣٢٠٦٩	رسوم محلات القمار
٠٠٠١١٦٥		٠٠٠١١٦٥	ثمن ادوات قديمة للمطبعة
٠٤٦٧١١٦		٠٤٦٧١١٦	رسوم الملح
٠٠٠٢٣٥٢		٠٠٠٢٣٥٢	فرق عملة
٠٥٠٨١٣٥		٠٥٠٨١٣٥	تحصيلات بقايا سابقة
١٣٣٤٩٦٠	٦٤٠٢٤٨١	١٧٣٩٩٠٤	يكون

﴿ مال الربع المجيدي ﴾

من واردات حكومة لبنان ايضاً مال الربع المجيدي واليك البيان ان مجلس الادارة اوجب على المكلفين [1] في لبنان ان يدفع كل منهم ربع ريال مجيدي في كل سنة لاجل انشاء الطرق الجديدة واصلاح ما يتعطل منها ما عدا الطرق الآتية فان اصلاحها كان يجري على نفقة الخزينة اللبنانية وهي

اولاً الطريق الممتدة من فرن الشباك الى بتدين

ثانياً من الحازمية الى طرابلس الشام

ثالثاً من جونيه الى بكركي

رابعاً القسم الاول من طريق الشام اي من بيروت الى صوفر

اما القسم الثاني فكان يجري اصلاحه من الرسوم التي كانت تؤخذ عن الحيوانات التي كانت تمر عليه

واما الطريق الكائنة بين بيروت وصيدا فكانت حكومة ولاية بيروت مكلفة باصلاحها من المال العمومي الذي كانت تدفعه سنوياً خزينة السلطنة لفتح وترميم الطرق العمومية في الولايات والا لم يعد ما

---

(١) المكلف هو الرجل البالغ والمفروض عليه دفع الرسوم القانونية اما الشيوخ الذين يتجاوزون الخامسة والستين من سنيهم كانوا مستثنيين من هذه القاعدة بحسب الاصطلاح والمال المفروض عليهم كان يضاف على الباقين من اهل القرية كي يبقى مال الحكومة كله محفوظاً لا يفقد منه شيء ،

كان يجمع من مال الربع المجيدي غير كافٍ للاصلاح ابلغ مجلس الادارة الرسم الى عشرين غرشاً في السنة عن كل مكلف فبلغ ٩٥٣٥٨٦ غرشاً

واما الطرق الكائنة بين القصبات والقرى فكان يقوم بنفقة انشائها طالبو تمديدها من اهالي القرى

واما الجسور فكانت تؤخذ نفقات انشائها من مال المهمولات

القضاء في لبنان

القضاء في اللغة وضع شيء باحكام وعند الفقهاء قول ملزم يصدر عن ولاية عامة

اما في الخصومة وهو موضوع بحثنا الان فهو فصل الدعاوى بين الاخصام والحكم بها بمقتضى الاذن المعطى ضمن دائرة القانون من قبل السلطان

على ان للسلطان صلاحية في اصدار الاوامر والتعليمات في بعض الفروع المتعلقة بالادارة كخط كلخانه [1] ولكن هذه الصلاحية لا

---

(١) (خط كلخانه) اصدرته السلطنة العثمانية سنة ١٨٢٩ وهو يقضي بالتسوية بين الرعايا ويعين البطاركة لطول الحياة ويطلق حرية الاديان ويوجب استخدام جميع العثمانيين على اختلاف المذاهب في مناصب الدولة بدون تفريق حتى في الخدمة العسكرية ايضاً ويجعل المحاكمات علانية ويوجب ان كلا من المدعى والمدعى عليه يقسم اليمين على الكتاب الذي يعتقد به ويوجب ايضاً ترجمة جميع قوانين الدولة الى كل اللغات ويبطل القصاصات البدنية ويعدل الضرائب

تستعمل الا في سبيل شرح القوانين الموضوعة وتفصيلها

والقوانين الموضوعة تكون احكامها مرعية الاجراء اعتباراً من الزمن الذي تعين فيها واذا لم يعين الزمن فيكون ذلك القانون دستوراً للعمل بعد مرور خمسة عشر يوماً من زمن اعلانه بحسب الاصول

وكانت روءية الدعاوى في السلطنة العثمانية قبل وضع القوانين تعود الى المحاكم الشرعية و كانت تفصل بموجب الشريعة حقوقية كانت ام جزائية ام تجارية حتى سنة ١٢٤١ هجرية حينما جرت تشكيلات العدلية واخذ يتوالى بعدها وضع القوانين

اما لبنان فلم تدخل فيه تشكيلات العدلية الا في عهد المرحوم واصا باشا كما سبق البيان وقبل ذلك توالى على لبنان ثلاثة ادوار من القضاء

﴿ الدور الاول من القضاء ﴾

بدأ الدور الاول من زمن الفتح العثماني وظل الى اخر ولاية الامراء التنوخيين والمعنيين وكان يجرى القضاء فيه على ما كان في سائر البلدان

فقد كان فصل الخصومات بين المتداعين من خصائص الحاكم الذي كان له الحق ان ينيب عنه من يشأ وكانت الاحكام تصدر توفيقاً للشريعة وفي زمن آل معن تخصص احدهم للقضاء وكان له المام باصوله ثم تولاه اولاده الذين تعلموا اصول القضاء من اساتذة عارفين ولذلك

لقبوا بيت القاضي وبعد انقراض آل معن صار الحكم في لبنان الى آل شهاب بمصادقة الدولة العثمانية ورغماً عن ان ايديهم كانت مطلقة في الحكم على لبنان فانهم كانوا خاضعين للولاة الذين كانوا مقيمين في صيدا (١) وكانوا يدفعون لهم مئة وخمسين كيساً مرتباً سنوياً

على ان هذا الخضوع كان منحصراً في دفع هذا المرتب فقط والدليل على ذلك

اولاً انهم كانوا متى شاؤوا لهم ان ينبذوا سلطة ولاة صيدا بشرط ان يخضعوا لولاة دمشق

وثانياً ان من كان يدخل تحت حمايتهم من المجرمين لم يكن يحق للوالي ان يطلبه لعقاب ولا لثواب

وثالثاً لانهم كانوا مرجعاً لجميع الحكام الثانويين من الامراء والمشايخ الذين لم يكن يحق للولاة ان يتداخلوا في شؤونهم راساً

اما الاحكام في عهدهم فكانت تجرى على هذا المنوال اذا كان لاحد الاهالي دعوى وبلغت شكواها حاكم الناحية اميراً كان ام شيخاً ولم يفصلها هذا الحاكم بصورة عادلة يرفع من يكون وقع الاجحاف عليه من الطرفين الامر الى الحاكم العام كالامير فخر الدين المعني مثلاً او الامير بشير شهاب

وكان هذا الحاكم مكلفاً بحسب الاصول ان يبلغ حاكم الناحية ليتحرى العدل في حكمه واذا لم يفعل فيرسل الحاكم مأموراً من لدنه

(١) كانت صيدا حينئذ قاعدة البلاد

لفصل القضية بالاستقلال بحسب ما يرى مناسباً وهكذا اذا حصل خلاف بين احد الاهالي وحاكم الناحية فان الحاكم العام يكتب الى حاكم الناحية ليسلك معه في سبيل العدل واذا ابى فيرسل مأموراً مخصوصاً من قبله فيفصل الخلاف بحسب رأيه ويحكم فوق ذلك على من يخسر الدعوى بدفع مبلغ يناسب اهمية الدعوى وهذا المبلغ كانوا يسمونه (خدمة مباشرية) (١)

وكان يحق للحكام الثانويين الحكم على اي كان بالحبس والضرب ودفع الضرائب المالية وقطع الاشجار من ملكه مجازفة ولكن المواد الكبيرة كالقتل مثلاً فان الحكم فيها كان عائداً الى الحاكم العام فيفصلها اما بنفسه واما بواسطة نائبه فصلاً نهائياً غير قابل الاعتراض واذا اقترف احد حكام النواحي من امراء ومشايخ ذنباً فلا يسوغ للحاكم العام ضربه ولا حبسه بل له ان يجازيه بضبط امواله المنقولة وغير المنقولة كلها ام بعضها او بنفيه الى حيث يريد او بكلا الامرين وقد ظلت هذه المعاملات جارية في كل مدة ولاية الامراء آل شهاب الا في بعض المسائل المهمة فانها كانت ترسل الى محكمة بيروت الشرعية

وهكذا كان بمدة ولاية عمر باشا المعروف بالنمساوي الذى كانت عينته الدولة حينئذٍ والياً على لبنان ولم تطل مدة ولايته لان سياسته لم تكن مستحسنة في جانب الدروز واصحاب الاقطاعات

---

(١) كان المال الذي يجمع من هذه الضرائب يعطى اجرة للمباشرين الذين كان يعهد اليهم باجراء التبليغات

وقد تولى القضاء في عهد ولاية الامير بشير قاسم شهاب الشيخ شرف الدين القاضي وبعده الشيخ احمد تقي الدين وبسبب حصول الفتن في لبنان بين الدروز والنصارى ارسلت الدولة شكيب افندي وزير الخارجية العثمانية سنة ١٨٤٥ م مندوباً لتنظيم امور جبل لبنان وفي تلك السنة كانت نهاية هذا الدور من القضاء

الدور الثاني من القضاء

— في عهد شكيب افندي —

في سنة ١٨٤٥ م وضع للبنان نظام سيأتي بيانه عرف بتعليمات (شكيب افندي) وبموجبه قسم لبنان شطرين وجعل الحد الفاصل بينهما طريق الشام وسمي القسم الاول الجنوبي بقائمقامية الدروز وعين له قائمقاماً الامير امين ارسلان

وسمي القسم الثاني بقائمقامية النصارى وعين له قائمقاماً الامير حيدر اسمعيل ابي اللمع

وجعلت دير القمر مركز الحاكم باسم (متسلم) وكانت الحكومة تعين هذا المتسلم رأساً[1]

وكان مرجع القائمقامين والمتسلم ايضاً والى صيدا الذي كان في ذلك الحين متخذاً له مركزاً في بيروت وعين لكل قائمقامية مجلس

---

(١) كانت حكومة دير القمر مستقلة في جميع الادوار

لسماع الدعاوى وفصلها مؤلف من اثنى عشر عضواً من كل طائفة من طوائف لبنان الست[1] عضوان الاول باسم قاضي والثاني باسم مستشار

وعين لدير القمر مجلس شيوخ من اهلها لفصل الدعاوى وكان كل من القائمقام والمتسلم يترأس المجلس وينفذ الاحكام الا الاحكام الجزائية فكان تنفيذها منوطاً بالوالي اما الدعاوى المهمة فكانت تحال الى محكمة بيروت

وكان للقاضي والمستشار ان يستقلا بروءية دعاوى ابناء طائفتها والحكم بها

اما اذا كانت الدعوى بين ابناء طائفتين او اكثر فيكون حق الفصل من خصائص قضاة ومستشاري المدعي والمدعى عليه وكان لقضاة ومستشاري الطوائف جميعاً الحق ان يحضروا المجلس وان يصغوا لسماع هذه الدعوى

وعند اختلاف الاراء بين القضاة فالقائمقام او وكيله يجتهد للتوفيق بينهم واذا ادعى احد المتداعين الغدر فللقائمقام ان يأمر القضاة باعادة النظر في الدعوى بحضوره والحكم الذي كان يصدر حينئذٍ يكون مرعياً

اما في الدعاوى التي كانت تقع بين متداعيين كل منهما من قائمقامية فكان على المدعي ان يقدم استدعاءه الى القائمقام المنسوب اليه وهو بالاتفاق مع قاضي طائفة المدعي يودع الاستدعاء الى قائمقام المدعى عليه وبعد الحكم يرسل اعلامه الى قائمقام المدعي واذا كان المدعي لم يرضه

---

(١) ابناء طوائف لبنان هم الاسلام والموارنة والدروز والروم الارثوذكس والروم الكاثوليك والمتاولة وقد ذكرنا هذه الطوائف الان بحسب الترتيب الذي كان مصطلحاً عليه في زمن المتصرفية

الحكم يقدم شكاية الى قائمقام المدعى عليه وهـذا له الحق ان يعيد رؤية الدعوى امام مجلسه واذا تبين ثبوت الحكم الاول اضحى مبرماً واذا وجد مخالفاً فيصير تقديم الاوراق الى والى الولاية والحكم الذي يصدره الوالى يكون مبرماً

اما الدعاوى المذهبية المحضة فكان وكيل كل طائفة يفصل ما يتعلق منها بابناء طائفته بالاستقلال

اما الشيعيون فلم يكن لهـم اولاً وكيل من طائفتهم لان قاضي الاسلام كان يعتبر قاضياً لهم ايضاً ولكن فيما بعد عين لهم قاض اسوة بباقي الملل

وبعد مدة نصب في كل قائمقامية حاكم شرعى لفصل القضايا الحقوقية بموجب الشريعة

وقد دامت الحال على هذا المنوال الى سنة ١٨٦٠

﴿ خلاصة تعليمات شكيب افندي ﴾

— الصادرة في غاية تشرين الاول سنة ١٨٤٥ —

اولاً يجب ان يتألف لدى كل من القائمـام المسيحي والقائمقام الدرزى مجلس كمجالس سائر اقسام السلطنة لفصل الدعاوى وفقاً للعادات القديمـة والاصول المذهبية وان يكون كل

مجلس تحت مراقبة القائمقام المنسوب اليه وخاضعاً لرياسته وان يختار رجل من اصحاب الوجاهة والاكثر معرفة لايفاء واجب الرياسة في مدة غياب القائمقام

ثانياً لما كان اهالى لبنان ابناء طوائف عديدة فيجب ان يصير انتخاب اعضاء المجلسين من الوجهاء من كل ملة منهم وممن هم اكثر جدارة ولكل ملة ان تختار عضواً غير المذكورين من ابنائها ليحضر معهم جميع الجلسات التي تعقد في المجلس وقد عهد اليهم خاصة النظر في دعاوى ابناء مللهم المذهبية وفصلها بحسب عقيدتهم الدينية فيكون كل مجلس والحالة هذه مؤلفاً من وكيل قائمقام ومن قاضي ومستشار من كل ملة الا المتاولة فيكون لهم الحق بمستشار لان قاضي الاسلام يقضي بين ابناء الطائفتين معاً

ثالثاً ان هولاء القضاة والمستشارين ينتخبون بمعرفة المطارنة والعقال

رابعاً على الاعضاء المشار اليهم ان يشتغلوا كل يوم ما عدا ايام التعطيل

خامساً يشترط ان يكون العضو غير داخل في خدمة الاجانب ولا ممن هم تحت حمايتهم وان يكون من ابناء ذلك القضا

سادساً اذا ثبت ان احد الاعضاء سلك مسلكاً مخالفاً للاصول وجب طرده وانتخاب سواه بحسب الشروط السابقة

اما وظائف هذين المجلسين فهي:

اولاً توزيع مال الويركو وتقديم لايحته الى القائمقام ليجري التحصيل

بموجبها بالاشتراك مع اصحاب الاقطاعات والوكلا توفيقاً للاصول المرعية

ثانياً رؤية الدعاوى وفصلها والحكم بها وفقاً للاصول والعادة المكانية السابقة

ثالثاً على القائمقام ان يطالع العريضة المتقدمة اليه فور تقديمها واذا راى ان المدعى والمدعى عليه من مذهب واحد فعليه ان يحيل العريضة الى قاضي ومستشار تلك الطائفة ليفصلا الدعوى واما اذا كانا مختلفي المذهب فعليه ان يحيلها الى قضاة الفريقين ومستشاريها

رابعاً اذا اختلف القضاة فعلى القائمقام ام نائبه ان يبذل العناية بالاشتراك مع مستشاري تينك الطائفتين للتوفيق بينهما واذا دعت الحاجة الى ضم قاضٍ ثالث الى القاضيين فعلى القاضيين المختلفين ان ينتخباه من رصفائهما وان يطلبا من القائمقام ضمه اليهما

واذا لم يمكن اتفاقهما على اختياره فللقائمقام حق تعيين من يراه مناسباً

واذا راى احد المتخاصمين انه مغدور بالحكم فله ان يشكو امره الى القائمقام والقائمقام اذا راى المغدورية صحيحة له الحق ان يأمر القضاة ان يعيدوا المحاكمة وله عند اللزوم ايضاً ان يضم اليهم اثنين او ثلاثة من زملائهم واذا تعقد الحل فله ان

يجمع جميع القضاة لحل الاشكال

خامساً اذا حدث تشويش في قضية توزيع الويركو او استيفاء الضرائب فعلى القائمقام استدعاء جميع الاعضاء لحل المشكلة الواقعة

سادساً اذا وقعت قضية تتعلق بمصلحة الاهالى عموماً فتفصل بمعرفة الاعضاء عموماً

سابعاً للقاضي ان يستقل في الحكم بالمسائل الحقوقية بمعنى ان المستشار اذا خالف في ذلك الحكم فلا تأثير لمخالفته واما في المسائل الادارية وفي الويركو فان الامر بالعكس اي انه يعمل براي المستشار ولو خالفه القاضي

ثامناً لا يسوغ للاعضاء كلهم ولا لاحدهم سماع دعوى قبل احالة الاوراق المتعلقة بها من القائمقام وفي الوقت نفسه ليس للقائمقام ان يجري من عند نفسه امراً يتعلق بالدعوى التي احالها الى المجلس

تاسعاً للقائمقام وحده الحق بتنفيذ الاحكام بشرط ان تكون مبصومة بخواتم القضاة

عاشراً اذا تقدم الى احد القائمقامين استدعاء من رجل من ابناء قائمقاميته يشكو بموجبها رجلاً من القائمقامية الاخرى فعلى القائمقام ان ينبىء بالامر قاضي الملة المنسوب اليها ذلك المدعى الشاكى وبالاتفاق معه يجب ان يحيل الاستدعاء الى قائمقام قائمقامية خصمه المدعى عليه

وهــذا القائمقام عليه بدوره ان يرسل المضبطة التي تصدر بالحكم بهذه الدعوى من مجلس قائمقاميته الى القائمقام الاول فيبلغ مآلها الى المدعى واذا لم يقبل بها فله الحق ان يطلب رؤية الدعوى امــام مجلس القائمقامية المنسوب اليها وعلى القائمقام ان يحيلها الى مجلسه فاذا اثبت هــذا المجلس حكم زميله اصبح هذا الحكم مرعياً والا فتحال القضية الى مشير الايالة الذي عليه اذا مست الحاجة ان يفصل القضية بمعرفة قاضيين يجلب كل قاضٍ منهما من مجلس كل قائمقامية من القائمقاميتين والحكم الذي يصدر يصبح مرعيــاً وغير قابل الاستئناف

حادى عشر لكل من المجلسين تحقيق الجنايات التي تقع في الناحية المنسوبة اليه والحكم بها واذا كان الحكم فوق ما يختص انفاذه بالقائمقام فعليه ان يرسل جميع اوراق الدعوى الى مشير الايالة فيجرى المقتضى بها

ثاني عشر القرارت التي تصــدر من المجلس بقضايا الويركو يجب ان تكون موقعة بتواقيع جميع الاعضاء ومصدقاً عليها من القائمقام واذا بالفرض رفض قاضي احدى الطوائف ومستشارها توقيعها بحجة ان الحكم الصادر بموجبها يمس حقوق طائفتها فتحال القضية الى المشير ليبدىء حكمه بها

ثالث عشر لا يسوغ للمجلس ان يخابر احــداً غير القائمقام بما يتعلق

بالدعاوى المحولة اليه وكذلك لا يمكن تنفيذ قرار غير مصدق عليه من قبل القائمقام

رابع عشر اذا كانت ظروف الدعوى تقتضي المشاهدة الحسية في محله فبعد التصديق على ذلك من القائمقام ينفذ احد القضاة الى ذلك المحل لاجراء التحقيق اللازم وعند اللزوم يجب ان يرافقه واحد ام اكثر من الفرسان

خامس عشر يجب ان يجري توزيع اموال الويركو ضمن دائرة العدل بحيث لا يحدث توزيعها ضوضاء وشكوى كما انه يجب ان تستوفى هذه الاموال في اوقاتها

سادس عشر ممنوع استيفاء بارة الفرد زيادة على المقرر ولذلك يجب على المجلس ان يعقد جلسة كل سنة قبيل حلول زمن التحصيل وان ينظم لائحة تحت توقيع اعضائه في مجموع مال كل مقاطعة وكل قرية وبعد ان يصدق القائمقام على ذلك يجرى التحصيل بموجب هذه اللائحة

سابع عشر لما كانت العادة الجارية في البلاد تقضي بارسال حوالية لاجل التحصيل فيجب ان يرسل الى ابناء كل طائفة حوالية من ابناء مذهبهم (١)

ثامن عشر لقد عين لكل وكيل قائمقام سماية غرش راتباً شهرياً ولكل

---

(١) لا ريب في ان داء التعصب الوخيم اصبح متمكنا في اكثر ابناء لبنان ان لم نقل في كلهم بمقتضى حكم هذه المادة وامثالها

عضو خمسمائة غرش وللكاتب اربعمائة وخمسون غرشاً
ويحظر عليهم ان يأخذوا شيئاً من اصحاب الدعاوى او يقبلوا
هدية والمخالفة توجب العقاب

﴿ الدور الثالث من القضاء ﴾

في سنة ١٨٦٠ الغيت القائمقاميتان السابق ذكرهما وعهد بادارة
القسم الجنوبي من لبنان الى مأمورين عسكريين وبادارة القسم الشمالي
الى يوسف بك كرم بالوكالة[١] على ان المجلسين ظلا على حالها اما دير
القمر فقد نصب لها مأمور مخصوص لادارة شؤونها بالاستقلال من قبل
والي صيدا

وفي سنة ١٨٦١ صار تنظيم المتصرفية وتولى منصة الحكم داود باشا
وكان القضاء اذ ذاك يجرى فيه ضمن دائرة نظامه الخصوصي استناداً على
الشريعة في المواد الحقوقية وعلى قانون الجزاء في المواد الجزائية وعلى سائر
قوانين الدولة في المواد العائدة اليها

اما الدعاوى التجارية فكانت تفصل في محكمة بيروت التجارية
والدعاوى المذهبية كان يفصلها قضاة المذهب[٢] والدعاوى الرهبانية

(١) افردنا ليوسف بك باباً لوحده

(٢) قضاة المذهب اليوم هم الشيخ ابرهيم الخطيب للاسلام والشيخ سعيد
حمدان للدروز والسيد علي الحسيني للمتاولة

والكهنة وسائر المسائل المذهبية المسيحية تركت للرؤساء الروحيين الا اذا طلبوا احالتها الى المحاكم

وبمقتضى النظام المشار اليه تشكلت المتصرفية من ستة[1] اقضية ومن مديرية دير القمر وجعلت هذه المديرية مربوطة بمركز المتصرفية رأساً وتشكل في المركز المتصرفي مجلس محاكمات كبير مؤلف من ستة اعضاء كان ينتخبهم ويعينهم المتصرف بالاتفاق مع رؤساء الملل وألحق بهم ستة من وكلاء الدعاوى لكل طائفة وكيل تنتخبه طائفته

اما الرئيس فكان يعينه المتصرف من ابناء الملة الاكثر عدداً وبعد ذلك أضيف الى هذا المجلس عضو ووكيل من البروتستانت كانا يحضران المحاكمة عند حدوث دعوى لاحد ابناء ملتهما وجعل مثلهما ايضاً لليهود وجعل في بادىء الامر لكل قائمقامية مجلس محاكمة مؤلف من ستة اعضاء من طوائف لبنان الست وجعل لدير القمر مجلس شيوخ من اهلها

ثم ابدل ذلك بان جعل لكل قائمقامية محكمة مؤلفة من قاضٍ كان يعين من الملة الاكثر عدداً ومن نائب كان يعين من الملة التي تليها في العدد ايضاً

واعطى لمشايخ الصلح صلاحية حاكم صلح في الدعاوى الحقوقية التي لا تتجاوز قيمتها ميتين وخمسين غرشاً وصلاحية الحكم في دعاوى القباحة هذا اذا كان المتداعيان من طائفة واحدة والا فلا ولكن هذه

---

(١) اقضية لبنان سبعة ولكن في بدء الامر كان قضاءآ البترون وكسروان واحداً

الصلاحية لم تكن مرعية قط فقد ندر ان قام احد الشيوخ بمثل هذه الاحكام كما اشرنا الى ذلك سابقاً

وقد اعطيت المحاكم صلاحيه تسجيل مبيع العقارات والاملاك بدفتر مخصوص يصير التصديق عليه من قبل القاضي والنائب والكاتب تحت التاريخ والعدد

على ان المتصرفين كانوا يتداخلون مع الحكام في اكثر الدعاوى وكانت المرافعات تبنى على اصول كان يضعها المتصرف كما يريد ثم ينقضها او يؤيدها من يجيء بعده من المتصرفين او يضيف اليها ما يراه مناسباً من الترتيبات التي يوحيها اليه ضميره او اعوانه ليجعل زمام الادارة والقضاء ايضاً بيده

وفي عهد رستم باشا شكلت دائرة في المركز دعيت دائرة التحقيق خلافاً لنظام لبنان وقد تولى رياستها حينئذٍ المرحوم قاسم بك ابو نكد وكانت ترد الى هذه الدائرة الاحكام الجزائية من محاكم الاقضية على اختلاف انواعها ودرجاتها فتطالعها فاذا رأت احكامها موافقة كتبت عبارة التصديق على غلاف اوراق الدعوى واذا وجدت الاحكام مخالفة للاصول اعادتها الى مصادرها للتعديل بحسب اشارتها فتأمل[١]

ثم ان هذه الدائرة الغيت وجرى تشكيل دائرة جزاء بدلاً منها

---

(١) كنت انا الكاتب المعهود اليه مطالعة قرارات الاحكام المذكورة وكتابة ما يلزم على غلاف اوراقها

وكانت هذه الدائرة تستند باحكامها الى مواد قانون الجزاء ولكن بدون
مراعاة اصول المحاكمات بل ان المحاكمة كانت تجرى بحسب الاصول التي
كانت تضعها هي او التي كانت تتلقاها من المتصرف فظلت الحال جارية
على هذا النمط الى ان جرى تشكيل العدلية في زمن واصا كما سبق
القول وجعل في كل قضاء محكمة مؤلفة من رئيس وعضوين وجعلت
وظيفة المستنطق بين العضوين مناوبة فكان يتولاها كل منهما ستة اشهر
في السنة وجعل باشكاتب المحكمة نائباً عن المدعى العمومى وشطر ديوان
المحاكمات الى دائرتين للاستئناف احداهما للحقوق والاخرى للجزاء وجعل
عدد اعضاء كل دائرة ستة من كل طائفة عضو وابقى رئيس دائرة
الحقوق مارونياً وجعل رئيس دائرة الجزاء درزياً وجعل نائب المدعى
العمومي [1] ارثوذكسياً وجعلت دائرة الحقوق الموما اليها قائمة مقام الهيأة

---

(١) كنت كما سبق القول اول مدع عمومى نصب لدى محكمة الاستئناف في
لبنان ثم جاء بعدي المرحوم يوسف افندي ابو فاضل وهو من ابناء ملة الروم
الارثوذكس ثم اعطى هذا المركز الى الموارنة فتولاه حينئذٍ نعمان بك حبيش والسبب
الذي حمل واصا باشا على نزع هذا المركز من يد الروم واعطائه للموارنة حنقه من
قنصل روسيا الذي الح عليه اذ ذاك ان يشكل محكمة كسروان كتشكيل سائر
المحاكم بان يجعل الرئيس والعضوين من ابناء الطوائف الموجودة في ذلك القضاء
فيكون للروم الارثوذكس عضو من جملة موظفيها لان المحكمة المذكورة كانت تشكلت
في بادىء الامر من رئيس وعضو مارونيين ومن عضو اخر متوالى ولما اضطر واصا
باشا الى تشكيل محكمة قضا كسروان كاخواتها وجعل فيها عضوا للروم الارثوذكس
نزع منهم وظيفة المدعى العمومي واعطاها للموارنة على ما سبق البيان

الاتهامية فكان هذا الترتيب خير ضامن لاجراء العدالة في مجاريها

وبعد ذلك عين حاكم صلح في كل من قضائي المتن والشوف ثم تعددت محاكم الصلح في لبنان وعين ايضاً لكل من اقضية كسروان والبترون والكوره حاكم صلح

وعين كتبة عدل في اهم الاماكن اللبنانية توفيقاً للاصول المرعية في سائر اقسام السلطنة

﴿ الدور الرابع من القضاء ﴾

=« في زمن الانتداب الفرنساوي »=

وهو دور الادغام القضائي

قبل طبع ما كتبناه بحق ادوار القضاء الثلاثة المارة البيان نشرت الدولة المنتدبة مواد الادغام القضائي فالحقنا هـذا الدور باخوانه الادوار الثلاثة المذكورة

= الادغام القضائي =

بموجب القرار الصادر من حاكمية لبنان رقم ٢٠١٨

المادة الاولى = ان المحاكم القضائية في لبنان الكبير هي كما يأتي

١ محكمة تمييز مركزها بيروت

٢ « استئناف « «

٣ احدى عشرة محكمة بدائية وهذه مراكزها :

بيروت وطرابلس وصيدا وصور ومرجعيون وبعقلين وبحنس وجونيه وزغرتا وزحله وبعلبك

٤ً تسع محاكم صلحية ذات صلاحية واسعة [١] :

وهي محاكم عكار وبشرى والبترون ودير القمر والشوف ومشغره وراشيا وحاصبيا وجزين

٥ً اربع محاكم صلحية ذات صلاحية عادية [٢] :

وهي محاكم بيروت وطرابلس وكسروان والمتن

ان محكمة بيروت البدائية هي من الدرجة الاولى ومحكمة طرابلس البدائية هي من الدرجة الثانية وبقية المحاكم هي من الدرجة الثالثة

المادة الثانية = تتألف محكمة التميز من دائرتين هما الدائرة الحقوقية والدائرة الجزائية

وتشتمل على رئيس اول لبناني ورئيس دائرة لبناني واربعة مستشارين [٣] اثنين لبنانيين واثنين فرنساويين و لى مدع عمومي فرنسوي وعلى محام لبناني واخر فرنسوي

المادة الثالثة = تتألف محكمة الاستئناف من ثلاث دوائر واحدة

---

(١) يعني يجوز لها ان تحكم بالدين وبالمنقول لحد ثلثمائة ليرة سورية وان تكون احكامها (بالطبع) قابلة الاستئناف واما بالعقار فلا يجوز لها ان تخرج عن حد القانون فتحكم لحد مئة ليرة سورية التي هي بحسب اصطلاح حكومة الانتداب مقابل خمسين ليرة ذهبية

(٢) الصلاحية العادية هي الحكم لحد مئة ليرة سورية كما سبق البيان

(٣) المستشار هو العضو

لقضايا الجنايات وواحــدة لاستئناف الجنح وواحدة لاستئناف القضايا الحقوقية والتجارية وهذه الاخيرة تقوم ايضاً باعمال هيأة الاتهام

وتشتمل محكمة الاستئناف على رئيس اول من ابناء لبنان الدائرة الاولى وعلى رئيسين احدهما لبناني لدائرة الجنح والثاني فرنسوي لدائرة استئناف القضايا الحقوقية والتجارية وتشتمل ايضــاً على عشرة مستشارين سبعة منهــم من ابناء لبنان والباقون افرنسيون وعلى مدع عمومي فرنسوي ومحامين [1] عامين لبناني وفرنساوي

اما معاون المدعي العمومي فيكون لبنانياً

المادة الرابعة = تتألف محكمــة بيروت البدائية من ثلاث دوائر وهي الدائرة الحقوقية والدائرة التجارية ودائرة الجنح وهي تشتمل على رئيس فرنساوى ونائبي رئيس لبنانيين وعلى اربعة قضاة للتحقيق ثلاثة لبنانيين والرابع افرنسي وعلى عشرة قضــاة ٧ من بني لبنان و ٣ من الفرنساويين وعلى خمسة قضاة ملازمين ٣ من بني لبنان و ٢ من الفرنساويين وعلى مدع عمومي بدائي من بني لبنان وثلاثة معاونين له ٢ من بني لبنان و ١ افرنسي [2]

المادة الخامسة = تشتمل بقية المحاكم البدائية ماعدا محكمة [3] بيروت

---

(١) المحامي العام هو من ينوب عن المدعي العمومي بشهود الجلسات واعطاء المطالعات اللازمة

(٢) بعد ذلك صار تشكيل دائرة رابعة عهد اليها ان ترى الدعاوى القديمــة لحد هذا التاريخ

(٣) لان محكمة بيروت سبق البيان انها قسمت الى اربع محاكم

البدائية على رئيس لبناني وقاض للتحقيق [١] لبناني وقاض افرنسي وقاض ملازم لبناني ومدع عمومي لبناني

المادة السادسة = تتألف المحاكم الصلحية ذات الصلاحية الواسعة او العادية من قاضي صلح لبناني ومن ملازم واحد لبناني او من عدة ملازمين لبنانيين [٢]

المادة السابعة = ان قضاة الصلح هم ضباط البوليس العدلي المعاونون للمدعي العمومي لدى المحكمة البدائية ويتمتعون بجميع ما هو مختص بهولاء الضباط بموجب المواد ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ من قانون اصول المحاكمات الجزائية ويجوز لقضاة التحقيق ان يستنيبوا قضاة الصلح في استنطاق المتهمين واستماع شهادة الشهود وفي التفتيش

المادة الثامنة = يكون في كل محكمة رئيس كتبة وكتبة ومترجمون ويحدد عدد الكتبة والمترجمين بحسب مقتضيات الخدمة مع مراعاة الاعتمادات المخصصة في الميزانية

المادة التاسعة = يعقد سنوياً في الخمسة عشر يوماً الاخيرة من كانون الاول اجتماع عام في المحاكم المؤلفة من عدة دوائر يوزع في خلال القضاة الذين يجلسون للحكم في الدوائر المختلفة

---

(١) قاضي التحقيق هو المستنطق

(٢) الملازمون هم الذين ينوبون عن الاعضاء في مدة غيابهم



— شبان لبنانيون يرقصون على الدبكة —

﴿ نفوس اهل لبنان ﴾

صار تحرير النفوس في لبنان بموجب نظام سنة ١٨٦٧ م فبلغ عدد المكلفين بعد استثناء الذين تجاوزوا الستين[١] والذين لم يبلغوا الخامسة عشرة من العمر وبعد استثناء الاناث ٩٩٨٣٤ نفساً

وحيث لم يصر تشكيل دائرة نفوس في لبنان كسائر الولايات لم يصر تحرير النفوس تكراراً فيه الا في عهد يوسف باشا فقد بدئ به وحال دون اتمامه موانع عديدة وفي عهد اوهانس باشا تم تحرير النفوس ومن الجدول الآتي يتبين عدد ابناء كل طائفة وعدد ابناء كل قضاء

(١) اصطلح اهالي قرى لبنان ان يستثنوا من دفع المرتبات الرسمية الرجال الذين تجاوزوا الستين من سنيهم والصبيان الذين هم دون الخامسة عشرة والفقراء والنساء مطلقا والرسوم المفروضة عليهم يتحملها من بقي من الرجال ليظل مال الحكومة على عهده

قائمقاميات	اسلام		موارنة		دروز		روم
	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور
البترون	٠٣٦٢	٠١٩٩	٠٣٣٨٢٦	٠٣٢٠١٥			٠٢٨٢٥
الكوره	١٠٨٤	٠٩٢١	٠٠١٥٩٨	٠٠١٤٦٢			١٠٢٩٩
كسروان	٠١٦٨	٠١٤٢	٠٣٢٠٥٤	٠٢٦٤٧٢			٠٠٩٤٣
المتن	٠١٨٣	٠١٣٠	٠٣٠٤٩١	٠٢٤٤٢٠	٠٥٠٨٨	٠٤٨٠٩	٠٨٦٨٦
الشوف	٥٧٣٩	٥٠٥١	٠١٧٧٤٨	٠١٤٥٦٨	٢١١٣٨	١٦٩٢١	٠٥٥٤٦
زحله	٠١٤١	٠٠٨٩	٠٠١٦٠٩	٠٠١١١٢			٠٠٥٠٣
جزين	٠١٥٩	٠١٥٠	٠٠٧٧٠٢	٠٠٥٨٢٣	٠٠٠٢٥	٠٠٠٢٤	٠٠٣٧٦
دير القمر	٠٠٠٣	٠٠٠٨	٠٠٣٨١٤	٠٠٣٠٤٤	٠٠٠٠٥	٠٠٠٠٣	
يكون	٧٨٣٩	٦٦٩٠	١٨٨٢٩٢	١٠٨٩١٧	٢٦٢٥٦	٢١٧٥٧	٢٩١٧٨

= هذا جدول احصاء لبنان سنة ١٩١٣ =

ارثوذكس	روم كاثوليك		متاولة		بروتستانت		ارمن		يهود	
اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذ	انا	ذ	انا
٠٢٠٦٥	٠٠٥٨٦	٠٠٤٩٩	٠٢٤٩٦	٠٢٨٤٧						
٠٨٦٢١	٠٠٠٠٥	٠٠٠٠٦	٠٠٠٢٣	٠٠٠١٨						
٠٠٨٦٨	٠٠٢٥٥	٠٠٢٢٥	٠٥٢٩٦	٠٣٦٩٩	٠٠٠٠٥	٠٠٠٠٣	٣٦	٣١		
٠٦٥٤٣	٠٣٥٠٥	٠٢٦٥٣	٠١٨٧٣	٠١٥٢٩	٠٢٥٩	٠٢٤٧				
٠٤٤٤٣	٠٤٢٧٧	٠٣٤٥٥	٠٠٧٥٤	٠٠٠٧٥	٠٩٠٠	٠٧٢٦				
٠٠٣١٧	٠٥٠١٠	٠٣٦٦٦			٠١٢٥	٠٠٨٦				
٠٠٣٢١	٠٣٦١٢	٠٢٧٤٢	٠١٨١٢	٠١٤١١	٠٢٢١	٠١٦٥				
	٠٠٧٣٧	٠٠٧٠٣			٠٠٢٦	٠٠٢٠			٤٧	٣٩
٢٣١٧٨	١٧٩٨٧	١٣٩٤٩	١٣٢٦٤	١٠١٧٨	٠٥٠٣٦	١٢٥٣	٣٦	٣١	٤٧	٣٩

= اليكون في الصفحة التالية =

قائمقاميات	يكون		يكون عمومي
	ذكور	اناث	
البترون	٠٤٥٥٩٥	٠٣٧٦٢٥	٠٨٣٢٢٠
الكوره	٠١٣٠٢١	٠١١٠٤٣	٠٢٤٠٦٤
كسروان	٠٣٨٧٥٧	٠٣١٤٤٠	٠٧٠١٩٧
المتن	٠٥٠٠٦٥	٠٣٩٠١١	١٨٩٦٧٦
الشوف	٠٥٦٠٩٩	٠٤٥٨٣٩	١٠١٩٣٨
زحله	٠٠٧٣٨٨	٠٠٥٢٧٠	٠١٢٦٥٨
جزين	٠١٣٩٥٧	٠١٠٦٣٦	٠٢٤٥٩٣
دير القمر	٠٠٤٦٣٢	٠٠٣٨٢٣	٠٠٨٤٥٥
يكون	٢٢٩٥١٤	١٨٥٢٨٧	٥١٤٨٠٠

— اما بيان عدد نفوس اهالي لبنان الكبير فسيجيء في محله

مياه لبنان

قال الاب اندره روشه اليسوعي ان مياه لبنان اعظم كنز فيه اذ منها يستمد كثيراً من مزاياه الطبيعية وكلها باردة زلالية حاوية كمية من الكربونات وتنفذ في الارض بين الصخور الكلسية وتنال شيئاً من المعادن الممتزجة بها وهي مسهلة الهضم ومدرة البول

وقد اتخذ مياه نهر الكلب قاعدة يمكن ان تقابل بها مياه عيون كل لبنان فقال :

ان مياه نهر الكلب المجرورة الى بيروت اطيب المياه فتجد في الالف غرام اى اللتر الكميات الاتية وهي :

٧٠ غراماً من كربونات الكلس و٦٥ ميلغراماً من الحامض الكربونيك و ٦٥ ميلغراماً من سولفات الكلس مع بعض اثار من الملح العادى ومن ملح المغنيسيا

وقد وصف بالجودة خاصة نبع انابا كيش وهو نبع كائن فوق بسكنتا يرتفع عن سطح البحر ١٦٦٠ متراً ومياه النبع الحديدي الذي ارتفاعه ١٥٩٣ متراً ومياه نبع اللبن الذي يرتفع ١٦٢٥ متراً ومياه نبع العسل الذي يرتفع ١٦٦٠ متراً ومياه نبع اللقلوق الذى يرتفع ١٩٥٦ متراً ومياه نبع بقليع الذي يرتفع ١٣٠٠ متراً ومياه نبع عيناتا الذى يرتفع ١٧٨٠ متراً

وقال ان مياه حصرون تشبه مياه نهر الكلب بالجودة قبل تصفيتها في برك ضبية

ولولا مياه لبنان لما كنت تجد شيئاً من حدائق لبنان ودمشق وبيروت وطرابلس وصيدا والنباطية[1] والبقاع وبعلبك حتى ولا من حدائق حمص وحماه وانطاكية وغيرها فان معظم مياه نهر العاصي الجاري اليها هي من لبنان

ان لبنانا لموقعه يجذب البخار المتصاعد من البحر فيتكاثف على رباه ضباباً وسحاباً وينزل على قممه امطاراً وثلوجاً ومعلوم ان الثلوج توفر الينابيع لان طبقة لبنان العليا مركبة من صخور كلسية نخرة سريعة التفتت فتنساب فيها الامطار دون عائق وكذا تعمل في باطن الجبل فتكون الوهاد والمغاور والبرك والبحيرات فتجتمع المياه الصافية في احواض عظيمة في بطن الجبال كانها خزانات ويمد تلك الخزانات خاصة المياه المتكونة من الثلوج

فجبل صنين وجبل الارز هما مكتسيان بالثلوج في معظم السنة والنقر الموجودة في اعاليها عبارة عن اكوام من الثلوج يبلغ علوها من ٣٠ الى ٧٠ متراً فمنها تنفجر الينابيع وتجري الجداول والانهار

وقرى لبنان التي يبلغ عددها الالف كلها الا القليل منها لها عيون تشرب من مائها السكان ويوجد في بعض القرى اكثر من عين واحدة وفي بعضها عشرات من العيون وفي بعضها ايضاً مئات كقصبة حمانا ففيها اكثر من ٣٠٠ عين وجميع اقضية لبنان غنية بالينابيع ولا سيما في اعاليها الا قضاء الكوره فانه خال من هذه الينابيع الا انه يوجد في قرية انفه

---

(١) ان يوسف بك الزين احد اعيان لبنان الجنوبي جرّ الى قصبة النباطية نبعاً من نهر الزهراني اللبناني فاحيى به ارض القصبة المشار اليها

التي هي على شاطيء البحر نبع هو من الاهمية بمكان يسمى الغير بكسر الغين [1]

اما باقي القرى فن سكانها يستقون من ابار تستنبط من الارض ولو كانت المياه متوفرة في هذا القضا الجيد التربة لكان جنة غناء [2]

اسماء الينابيع المشهورة بلبنان

= في قضاء الشوف =

نبع الصفا ونبع القاع الجارى الى بتدين ونبع الباروك الجاري الى المختاره ونبع كفر نبرخ وينابيع رشميا ونبع باتر ونبع الحمام

= في قضاء المتن =

نبع اناباكيش ونبع صنين وثلاثة ينابيع في المنوخ ونبع بقيلع او الصفصاف ونبع الشاغور فوق حمانا ونبع قبيع ونبع الدبشه او الشميس ونبع الديشونية ونبع انطلياس ونبع العرعار فوق بعبدات وعيون البستان في برمانا

---

(١) الغير في الغالب منحوت من غائر والغائر من الماء هو بحسب اصطلاح العامة النبع الذي يتحول من جهة الى اخرى

وما في مياه هذا النبع الكائن على شاطيء البحر من العذوبة يدلنا انها متحولة الى مكان وجودها من مكان اعلى

(٢) سعيت اذ كنت قائمقاماً لقضاء الكوره في سنة ١٩١٣ لجر قسم من مياه طرزا اليه فلم اصادف نجاحاً لتقاعد بعض الاهالي عن القيام بما يقتضيه المشروع

— في قضاء البترون —

عيون عشاش ونبع ارده وعين المقـدم ونبع رشعين ونبع الخالدية وجميعها في الزاوية ونبع جوعيت في جبة بشرى ونبع مار سركيس في اهدن ونبع قزحيا ونبع الغار تحت قزحيا ونبع كفرصغاب ونبع الفراديس ونبع طرزا ونبع مار سمعان في بشرى ونبع حدشيت ونبع قاديشا تحت الارز ونبع ابو فراعه ونبع العربيط في بقرقاشه ونبع قناة ونبع نيحا وسبعة ينابيع في حوب من اعمال تنورين ونبع وطا تنورين ونبع كفرحلده الذي منه نهر الجوز ونبع مغارة الراهب على مقربة من الهرمل ونبع الجامع في غاب مرشحين ونبع راس الماء ونبع الريسته ونبع بريتا ونبع الاحدعشرية ونبع الهوة وينبوعا الوقف وشلالات الشواغير[1] وجميعها في الهرمل

= في قضاء كسروان =

نبع حريش والنبع الجديد في ميفوق ونبع طرزيا ونبع الرابية فوق

---

(١) ان الشاعر المجيد الشيخ سليمان ضاهر وصف هذه الشلالات بابيات وهي

حي الشواغير حيث الصخر منفجر … عن ذائب الفضة البيضاء والبرد
كانما كل شلال يدفعه … من السماء شهاب مضرم الزند
كانها في تدانيها اغانية … انامل حسرت عن معصم ويد
تريك اوتار عود يتطبيك غنى … وشدو طير على افنانه غرد
تملى لسمعك لحناً غير منقطع … وما له غير سجع الورق من مدد
تروي لك اليوم ما في الامس من عبر … وما سيأتيك من امر به صبح غد

قرطبا ونبع افقا ونبع العاقوره ونبع الحديد وعين التنور في ميروبا ونبع المغاره بقرب حراجل ونبع اللبن ونبع العسل[١] ونبع القطين ونبع فرح وينابيع غزير ونبع المغارة فوق غزير ونبع بطحا ونبع حراش ونبع مغارة جعيتا التي جرت مياهها الى بيروت ونبع الغرير في لحفد ونبع اللقلوق الثاني ونبع المخاضة والنبع الكبير ونبع حاقل وعين مارى الياس في لحفد

— في قضاء جزين =

نبع جزين وهو الذي يتكون منه شالوف جزين المشهور فتنحدر مياهه من علو ٧٠ متراً انحداراً يأخذ بمجامع الابصار فتصل الى الارض رذاذاً ونبع العزيه وعين الزرقا تحت قيتوله

— في قضاء زحله وما حوله =

نبع قاع الريم ونبع الزويتيني الذي توزعت مياهه على بيوت زحله وعين حزير ونبع عين عابد وعين قب الياس وعين شتوره ونبع عيناتا الجاريات جميعها الى سهل البقاع

= في دير القمر =

نبع الشالوط المشهور الكائن فى نفس القصبة ونبع القاع الجارى الى بتدين من عين زحلته وسيجيء وصفه

---

(١) بين نبع اللبن ونبع العسل جسر يعرف بجسر الحجر وهو صخرة طولها ٣٠ متراً وعرضها خمسة وهي كقنطرة محكمة الصنع

﴿ انهار لبنان ﴾

ان مياه لبنان المنفجرة من منحدرية الشرقي والغربي تتكون منها انهار تصب في البحر المتوسط وتختلف اسماء هذه الانهار في بعض الاماكن عن مجاريها في بلادنا اختلافها في سائر اجزاء الارض

والجهة الغربية من لبنان لا يوجد فيها مجار واسعة وطويلة المجرى لان المسافة بين قمم الجبال وشواطىء البحر لا تتجاوز ثلاثين كيلو متراً ولا يوجد في السواحل سهول فسيحة

وبناء عليه لا يزيد طول الانهار في الجهة الغربية عن خمسين كيلومتراً وبعضها اقل من ذلك

ولكن الانهر الكائنة في شرقي لبنان اي العاصي والليطاني يجريان في سهل طويل المسافة وتمدهما في مجراها عدة مياه فيصيران نهرين عظيمين بالنسبة الى باقي الانهر اللبنانية فيقطع نهر العاصي ١٦٠ كيلومتراً ويقطع الثاني ٤٠٠ كيلومتر

= نهر قديشا =

هو نهر كبير يجرى في واد ضيق يقال له وادى قديشا اي المقدس نسبة الى النساك الذين اتخذوا كهوف ذلك الوادي لسكناهم على ما سيجيء

واصله عينا ماء احداهما منفجرة من مكان تحت بشرى والاخرى منفجرة من مكان تحت دير قزحيا ثم تلتقيان في اسفل الوادي حيث ينضم اليها جداول ومياه وينابيع عديدة فيجتمع من ذلك نهر كبير منبعه الاعلى

عند اسفل ارز لبنان ومصبه في بحر الروم عند مدينة طرابلس وهناك يكنى بابي علي وتتوزع مياهه باقنية كثيرة في سهل طرابلس وطول مسيره ٣٨ كيلومتراً وكمية مياهه في اول الخريف تبلغ ثلاثين الف متر مكعب في ٢٤ ساعة

ويمكن الانتفاع بمياه هذا النهر لري الفي فدان في قضاء الكوره وناحية الزاوية ولتشغيل عدة معامل صناعية ولتوليد الكهرباء في طرابلس وغيرها وقد تألفت لجنة في الاونة الاخيرة لتحقيق هذه الامنية

= نهر الجوز =

هو نهر صغير يجري في وادٍ يكثر فيه شجر الجوز وهو مؤلف من ينابيع عديدة جارية من قصبة تنورين ومن مغارة كفرحلده وهو يفصل قضاء الكوره عن بلاد البترون ويمر في الجهة الجنوبية من قلعة المسيلحة التي هي على مقربة من مدينة البترون ومن هناك تذهب منه قناة الى البترون فتسقي ما حولها من البساتين ويصب هذا النهر في البحر شمالي البترون بعد ان يقطع ٢٥ كيلو متراً وتكاد مياهه في ايام الصيف تنضب

وقد راى احد المهندسين انه اذا بني له سد على علو عشرة امتار يجمع ٢٠،٠٠٠ الف متر مكعب من المياه للري

= نهر ابرهيم =

لقبه القدماء بنهر ادوني وهذا النهر يخرج من مغارة افقا بالقرب من العاقوره ومجراه الى الجنوب الغربي ومصبه في بحر الروم الى الجنوب من

مدينة جبيل وبينه وبينها نحو خمسة اميال وطوله ثمانية عشر ميلاً وارتفاع مغارة افقا عن سطح البحر نحو سبعمائة متر

واما ينبوع تلك المغارة فيقال انه من بحيرة اليمونه في لحف جبل المكمل يجري اليه الماء من غورها في قلب الارض وقد استدلوا على ذلك من التغييرات التي تحدث في تلك البحيرة فانها تؤثر في نبع افقا فاذا وضعت تبناً مثلاً في تلك البحيرة فان اثاره تظهر في مياه نبع افقا

واما مياه هذا النهر فلا ينتفع بها الا متى بلغت سهل العصفورية قرب مصبه في البحر

وفي سنة ٦٩٥ م بنى له سابع امراء المردة الامير ابرهيم ابن اخت القديس يوحنا مارون قنطرة كبيرة لا نظير لها بين قناطر هذه البلاد في الطول والارتفاع وهي باقية الى اليوم (١)

والى جانب هذا النهر قناة ذات قناطر متينة ومتقنة البناء تسمى قناطر زبيده (٢) كانت تجرى عليها المياه التي كانت تؤخذ الى جبيل وقد

---

(١) من اجل هذا لقب هذا النهر بنهر ابرهيم نسبة الى الامير ابرهيم المذكور

(٢) لعلها زنوبيا ملكة تدمر وهي ارملة لاودناتوس سبتيميوس ملك تدمر قتل زوجها سنة ٢٦٦ وكان قاتله ابن اخته مايونيوس فقتلته و تولت تخت الملك وولايت تدمر وسورية وما يليها مدة خمس سنوات واستقلت عن الرومان وحاربتهم ببسالة وامتد حكمها من الفرات الى بحر الروم ومن صحراء العرب الى اسيا الصغرى وطردت الرومان واستولت على مصر مدة ويقال انها من ذرية كليوبطره ملكة مصر

درست ولم يبق منها غير رسومها واما احمرار مائه فهو من فيضها وتعاليها حتى تتصل باراضي حمرا وانصباب سواق متعكرة مياهها اليها

وقد بنى واصا باشا المتصرف الرابع للبنان قنطرة هائلة لهذا النهر فهدمتها المياه ثم عاد فبنى له نعوم باشا المتصرف الخامس في سنة ١٨٩٤ جسراً من حديد

وفي عهد واصا باشا نال المرحوم عبد الاحد خضرا امتيازاً بجر مياه هذا النهر الى جبيل فلم يتوفق الى وجود شركة كما سبق البيان وبعد ذلك نال هذا الامتياز المرحوم امين بك عبد النور بموجب مضبطة من مجلس ادارة لبنان الا انه طراء على هذا الامتياز ما اوقف حركة العمل واليك البيان

ان المرحوم امين بك عبد النور نال امتيازاً بموجب مضبطة صادرة من مجلس ادارة جبل لبنان بتاريخ ٤ ك ٢ سنة ٣٢٦ رومية رقم ٢٨٣٣ بجر مياه نهر ابرهيم لسقيا الاراضي الواقعة شمالي هذا النهر لغاية بعشتا بخراج عمشيت وجنوبيه لغاية ونا سلان والف شركة لاخراج المشروع الى حيز العمل قوامها نعوم افندي باخوس و يوسف بك مسعد وحبيب بك

وقد حاربها غاليانوس قيصر فغلبته اما اورليانس الذي جاء بعده فتغلب عليها واسرها وعين لها تيفولي مسكناً فظلت فيه حتى ماتت

ولها في لبنان اثار منها اقنية الماء من نهر ابرهيم الى جبيل ومن نهر قديشا الى الكوره ومن نهر بيروت الى بيروت وهي التي جرت عليها مياه نبع العرعار من بعبدات الى بيروت وللمرحوم سليم افندي البستاني رواية باسمها فيها تفاصيل تاريخية جزيلة الفائدة نشرت في الجنان سنة ١٨٧١

يواكيم وروكوس افندي عواد واستنسلاوس افندي مراد ويواكيم بك نخله وسرحال افندي رميا روفايل ويوسف افندي سماحه . وبوشر العمل وانجز قسم منه الى ان وقعت الحرب الكونية فاوقفته موقتاً

ولما وضعت الحرب اوزارها نال نعوم افندي باخوس والفرد افندي نقاش بموجب مضبطة من مجلس ادارة جبل لبنان مؤرخة في ١٢ حزيران سنة ٩١٩ امتيازاً لتوليد القوى الكهربائية من مياه النهر المذكور ونقلها الى جميع انحاء لبنان للانارة والجر وتحريك الآلات الصناعية وغيرها

ثم باع اصحاب مشروع الري وهو المشروع الاول حقوقهم فيه من المرحوم جان نخله هاني بعقود مسجلة كما ان صاحبي مشروع الكهربائية وهو المشروع الثاني اجريا اتفاقاً مع المشتري المرحوم جان المذكور على اخراج مشروع الكهربائية الى حيز العمل . فنهض هذا لتحقيق ذلك وشرى الاملاك الواقعة عند منبع النهر واملاكاً اخرى بجوار مصبه واحضر المقادير الكبيرة من الاعتاد وباشر العمل بجد ونشاط ولكن المفوضية العليا اصدرت قراراً بتاريخ ١٦ ك ١ سنة ٩٢٠ الغت فيه امتياز الكهربائية معتبرة ان المضبطة الصادرة به من مجلس ادارة لبنان بتاريخ ١٢ حزيران سنة ٩١٩ غير نافذه لان المجلس الذي اصدرها لا يملك الحق باعطاء امتيازات بموجب قانون جبل لبنان الاساسي ولان الحاكم الذي بيده السلطة التنفيذية لم يصدق عليها لحؤول القوانين المرعية وقت الاحتلال العسكري دون ذلك، واوقفت الاعمال فكان قرارها هذا متناولاً توقيف المرحوم جان هاني عن اكمال اعمال مشروع الري

وقد احتج نعوم افندي باخوس والفرد افندي نقاش على هذا القرار غير مرة ومن جملة ما اوردوه من الحجج ما يأتي :

اولاً ان اعتبار جبل لبنان من اراضي العدو المحتلة مسئلة فيها نظر من الوجهة الدولية وعلى افتراض المحال واعتباره منها فالعدل والمنطق يقضيان اذا كان الحاكم لم يصدق مضبطة ١٢ حزيران سنة ١٩١٩ بسبب الاحتلال العسكري لا بالغاء هذه المضبطة بل بانتظار انتهاء مدة الاحتلال العسكري وتقرير شكل حكومة لبنان الثابت للنظر في مشروعية هذه المضبطة وفقاً لمنطوق وروح صك الانتداب . وعلى كل اذا كان الحاكم لم يصدق على المضبطة لعدم امكان ذلك في عهد احتلال عسكري فكيف جاز للحكومة ابان الاحتلال العسكري نفسه ان تلغي المضبطة المذكورة والحقان متلازمان لا يمكن وجود احدهما دون وجود الآخر ؟ . .

ثانياً ان قانون جبل لبنان الاساسي لا يحصر اختصاصات مجلس ادارته بتوزيع الضرائب والاشراف على الواردات والنفقات ولا يمنعه ابداً من تقرير كل ما يقتضيه صالح البلاد كاعطاء امتيازات وعلى الخصوص اذا كان الحاكم احال الامر اليه مع تعليقات كالتي تقدم ذكرها . وهذا تاريخ جبل لبنان الاداري يؤيد ذلك حتى ان الاستانة نفسها رغماً عما عرف عنها من سياسة التضييق بهذا المعنى لم تعارض ابداً بهذا الامر . والادلة على ما تقدم كثيرة من جملتها اعطاء مجلس ادارة جبل لبنان المذكور عدة امتيازات كامتياز نهر الصليب ونبع

الحمام ونبع الزويتيني وعين الدابه وري نهر ابرهيم. وجر مياه حماتا تلك التي اخرج معظمها الى حيز التحقيق

وما يـدعو الى العجب هو ان نجيب بك سرسق أعطي امتيازاً لاستخدام مياه عين الدلبة كقوة محركة بواسطـة الدكتور نجيب اصفر بموجب مضبطة صدرت من مجلس ادارة جبل لبنان وضدقت من الحاكم في عهد الاحتلال العسكري الذي رفض فيـه التصديق على مضبطة كهربائية نهر ابرهيم فلماذا ذلك ومضبطة كهربائية نهر ابرهيم هي اولى بالتصديق لان مشروع الري من هذا النهر تشتمل مضبطته على استخدام مياهه كقوة محركة للحاجات الصناعية في حين ان لا شيء من ذلك في مضبطة ري عين الدلبه

ثالثاً ان مجلس ادارة جبل لبنان الذي كان مجلساً تمثيلياً ومنتخباً من الشعب كان له من جوهر صفته التمثيليه ملء الحق باتخاذ المقررات بشأن كل ما هو حيوي للبلاد وعائد لمصلحته . ولهذا لم يخامر فكر احد انكار مشروعية المضبطة التي اصدرها بطلب الانتداب الفرنساوي على لبنان

رابعاً بموجب القوانين الموضوعة كان لمجالس ادارة الولايات الحق الفعلي باعطاء الامتيازات ضمن مناطق ولاياتها ولم ينكر عليها هـذا الحق فلماذا يراد انكاره على مجلس ادارة جبل لبنان المستقل واختصاصاته اوسع بكثير

على ان المفوضية العليا لم تاخذ بعين الاعتبار لا هذه الحجج ولا سواها

وكان بعد مضي اربع سنوات تقريباً على قرار الالغاء ان جاء ورثة جان هاني واقاموا الدعوى لدى مجلس القضايا الاعلى في المفوضية العليا لاثبات مشروعية امتياز كهربائية نهر ابرهيم المعطى بموجب مضبطة ١٢ حزيران ٩١٩ المذكورة ومشروعية حقهم فيه

وفي اواخر شهر ايار سنة ١٩٢٥ اصدرت الحكومة قراراً بتأليف لجنة خاصة مؤلفة تحت رياسة ناظر العدلية من نظار النافعة والمالية والداخلية والامور الاقتصادية ومن رئيس مراقبة الشركات صاحبة الامتياز في المفوضية العليا لدرس المطالب المتقدمة بشأن امتياز نهر ابرهيم ولم تعط هذه اللجنة رأيها بعد واذا اعطته قبل صدور كتابنا هذا نشير اليه في موضع آخر

ولما كنت عضواً في مجلس ادارة لبنان في الزمن الذي نال فيه المرحوم عبد الاحد خضرا هذا الامتياز بناءً على انهاء المرحوم واصا باشا متصرف لبنان حينئذ الذي بناه على المضبطة الصادرة من مجلس الادارة المذكور فلم ار بدأ من ذكرما اعلم بهذا الخصوص قياماً بنشر الحقيقة التاريخية فاقول :

ان الامتياز اعطي في شهر صفر سنة ١٣٠٧ هجرية في عهد المرحوم السلطان عبد الحميد وبعد بضعة شهور حضر المهندسون ونظموا الخرائط بحسب شروط الامتياز وقدموها إلى نظارة النافعة في الاستانة فصدقت عليها في صيف سنة ١٨٩٠ م فتألفت اذ ذاك عمدة الشركة في باريس ووضعت قانوناً للعمل وبعد ان تصدق هذا القانون في الاستانة ايضاً

في شهر تشرين الاول سنة ١٨٩٠ ضمن المدة القانونية جاء المهندس المسيو كوانيه من باريس لهذه الغاية وكان للمسيو اميل كوزيد في مناصرة المشروع وفي شهر حزيران سنة ١٨٩١ اقيمت في محلة نهر ابرهيم حفلة كبيرة لتدشين هذا المشروع تحت رياسة واصا باشا شهدها خلق كثير وفي مقدمتهم رئيس واعضاء مجلس الادارة حينئذٍ وحبيب باشا السعد وكل من المرحومين ناصيف بك الريس والامير يوسف اسمعيل قائمقام كسروان والشيخ رشيد الخازن قائمقام المتن والامير سعيد شهاب رئيس الجند اللبناني والماركيز موسى افندي فريج

وقد افتتح الحفلة عبد الاحد خضرا بخطاب شكر فيه عناية واصا باشا فاجابه واصا باشا قائلاً انني مسرور لهذا الاجتماع لان المشروع الباعث اليه انما هو من الاعمال التي تحيي البلاد

ثم توالى وقوف الخطباء وهم كل من الماركيز فريج والمسيو ادمون كوانيه والمسيو كوز ومنا

وبعد ذلك اخذ واصا باشا معولاً وحفر ووضع اول حجر في المشروع ومن ثم ذبحت الكباش وتوزعت لحومها على الفقراء ولم يتوفق عبد الاحد خضرا بعد ذلك الى وجود شركة قادرة على ابراز هذا المشروع الى حيز العمل فمات في المهد كما قلنا

اما كمية هذه المياه فتبلغ ١٠٠،٠٠٠ متر مكعب في ٢٤ ساعة في ايام الصيف

وقد سمي هذا النهر باسم ادونيس احد الهة الفينيقيين لزعمهم ان هذا

الاله كان ابنا للالهة عشتروت فخرج في بعض الايام ليتصيد في غابات لبنان المشرفة على جبيل فوثب عليه خنزير برى فمزقه تمزيقاً

ولحمرة ماء النهر في الشتاء على ما ذكر زعموا انه دم ادونيس المسفوك فكانوا ينوحون عليه في اول يوم من الربيع في كل سنة ويحمل كهنتهم تمثاله في موكب عظيم الى النهر ويلقونه في الماء ويعودون فرحين كأن الاله خرج من الماء بحياة جديدة منبعثاً

ان العالم الفاضل الاب مرتين اليسوعى ذكر في الصفحة ٢٢٦ وما يليها من تاريخ لبنان انه تبين لاول وهلة ان سنكنيتن كان يجهل ما يختص بادونى من ذلك الذكر وعظم الشأن غير انك اذا تتبعت كلامه الذي يقول فيه ان عليوّن مات كادونى بانياب السباع سهل عليك ان تستنتج ان هذين الاثنين اي عليون وادونى لا يراد بهما عند الجبيليين الا كونهما واحداً وهذا يتبين من معنى الاسمين لان عليون معناه الاعلى وادونيس معناه سيدي وكلا الاسمين يراد بهما في الكتاب المقدس الاله الحقيقي

وسنكنيتن المؤرخ البيروتي قد سكت في اخباره المختصرة عن الحوادث والظروف التي اضافها اليونان الى اخبارهم قصد التحسين سكوتاً كاملاً فاقتصر على قوله ان عليون بعد ان ذهب فريسة الوحوش الضارية عبده ابناؤه غير ان اصل التصور عن موت هذا الاله لم يزل مشتركاً بين الحكايتين اما الشعراء اليونان فقد دنسوا بسبب خلاعتهم هذا الاسم (ادونى) ولم يكن ذلك منهم في عهد قديم جداً الى ان قال زعم دفيد السفيه ان ادونى ولد بفاحشة من مرة مع ابيها فنارة وكانت امه قد تقمصت

سروة قبل ادوني هذا الذي ظهر من جرثومة هذه الشجرة ثم ان هذا الفتى الجميل عشقته عشترت بعد ذلك فقتله المريخ ومسخه خنزيراً هكذا كانت حكاية ادونى بالاختصار قبل ظهور النصرانية بقليل وذلك عند المصريين واليونان والرومان

ثم قال ان مدينة جبيل التي كانت مصدر هذه الحكاية لم تسلم بهذه القرية التي اختلقتها عقول اليونان الخفيفة فلم ينسبوا اسم ادونى الى عليون بل الى تموز

ثم ذكر الاب مرتين حكاية ادونى الفينيقية التي رواها القديس ماليتون في مديحه الذي وجهه الى الامبراطور مارك اورال سنه ١٧٥ مأخوذة عن نسخة سريانية كشفت حديثاً والحكاية هي

ان اهل فينيقة عبدوا (بعلتي) ملكة قبرس وهذه الملكة بسبب عشقها لتموز ابن كوثر قيثار ملك الفينيقيين هجرت مملكتها لتسكن في جبيل مدينة الفينيقيين فوهبت حينئذٍ جميع ممالكها للملك كوثر ولكنها قبل ان احبت تموز كانت قد عشقت اروس (مرس او المريخ) وانت معه الفاحشة فتغيظ زوجها هوفست (فلكان) من ذلك وجاء فقتل تموز في جبيل بينما كان في قنص الخنازير البرية ومن ذاك الحين ازدادت بعلتي قوة وماتت في مدينة افقا حيث دفن تموز

ويوخذ من التقليد المحفوظ عند اهل تلك الناحية ان قبر ادونيس في قرية الغينه من فتوح كسروان وان وقد وجد في هذه القرية صخر منقور فيه صورة حيوان يفترس فتى تجاهه امرأة تبكي

= نهر الكلب =

نهر الكلب وقد سماه اليونان ليقوس ومعناه ذئب فعرب بنهر الكلب وهو نهر كبير بينه وبين نهر ابرهيم ثمانية اميال واصل مياهه عين خارجة من مغارة في سفح جبل قرية جعيتا التي تبعد عن البحر نحو سبعة كيلومترات وجارية الى فم الوادي حيث تختلط بها مياه نبع العسل ونبع اللبن اتية من مكان في الجبل يبعد عشرة اميال ثم يمر هذا النهر تحت صخر منقور من اسفله يحسبه الناظر اليه انه قنطرة من صناعة الايدي للعبور عليها وهو يسمى جسر الحجر وقد سبقت الاشارة اليه

ثم تجتمع الى تلك المياه مياه اخرى كثيرة حتى يصل الى مصبه وهو يجري الى الجنوب الغربي ويصب في بحر الروم الى الجنوب من جونيه وزعم البعض ان سيزوستريس وهو رعمسيس الثاني ملك مصر لما فتح فينيقية نقر تاريخ الفتح في صخور بقرب النهر ويقال انه لما فتح سنحاريب ملك الاشوريين فينيقية امر بنقر صورته وذكر اعماله في تلك الصخور وذلك لم يزل باقياً الى اليوم وفي سنة ٢٥٠ ق م بنى له انطونيوس ملك سورية جسراً عظيماً بالقرب من شاطىء البحر فهدم باعتراض اشجار اقتلعها السيل فجدد بناه انطونيانس قيصر الذي تولى الملك برومية سنة ١٤٠ ب م واصلح البرج هناك ومهد الطريق ولقب بالطريق الانطونياني ونقر ذلك في صخرة جنوبي الجسر ونصب فيه القدماء قائمة من حجر كبير بهيئة كلب وربطوه بسلسلة من حديد الى صخرة اخرى جعلوا له فيها

نقيراً للطعام زعماً منهم انهم اذا طرقهم الاعداء نبح فحذرهم منهم ولذلك سمي نهر الكلب

ثم طرح تمثال ذلك الكلب الى البحر وهو لم يزل باقياً حتى الان ولكن بدون رأس ثم هدم ذلك الجسر وفي سنة ١٢٩٢ ب م جدد سيف الدين ابن الحاج ارقطاي المنصوري بناه ثم السلطان سليم الاول العثماني فاتح سورية وفي سنة ١٧٥٠ م انشأ الامير حيدر شهاب قناة الى الجانب الشمالي من النهر وغرس في الوطى تحت القناة اعراساً من التوت لتسقى منها

ثم هدم ذلك الجسر فجدد بناه الامير بشير عمر الشهابي حاكم لبنان يومئذ فهدم ايضاً فبنى الامير نفسه جسراً غيره وهو الباقي الى الان

وفي سنة ١٨٨٩ بنى له واصا باشا جسراً لمرور العربات لان الجسر القديم لا يصلح لمرور العربات عليه لعلو قنطرته وتحديبها فهدم في عهد نعوم باشا فجدد هذا الباشا بناه

وعند مصب هذا النهر بنت شركة الترامواي اللبناني جسراً حديدياً لمرور مركبات الترامواي عليه فهدم فجدد بناه ومياه نهر الكلب جزيلة الفائدة فعدا انها تسقي كثيراً من البساتين وتدير كثيراً من الطواحين فانها قد روت اهل بيروت باجود المياه اللبنانية واحيت حدائقها

وقد وصلت هذه المياه الى ضبيه على علو ١٧ متراً فجعلوا لها شلالاً استعملوه لتوليد القوة المائية وما بقي من المياه تدفعه المضخات الى بيروت وهذا الباقي الذي يندفع الى بيروت يتراوح بين خمسة آلاف وعشرة آلاف متر مكعب في اليوم والمياه التي تجري الى البحر بدون فائدة تبلغ ١٠٠،٠٠٠

متر مكعب

اما مغارة جعيتا فيبلغ طولها ١٢٠٠ متر وعرضها يتراوح بين ٢٠ و ٦٠ متراً ويتكون من مائها داخل المغارة بحيرة عمقها ستون متراً

ولما جاءت الحملة الافرنسية الى لبنان سنة ١٨٦٠ نقش رئيس تلك الحملة تاريخاً لمجيئها على احد صخور نهر الكلب وفي اثناء الحرب الكونية امرت الحكومة حينئذٍ بتعطيل هذا الاثر وبعد الاحتلال اعيد نقش ذلك التاريخ ونقش غيره ايضاً تواريخ عديدة وحيث قد وشي الى حكومة الاحتلال حينئذٍ ان الامير امين جهجاه ابي اللمع الذي كان قائمقاماً لقضاء كسروان في ذلك الحين هو الذي عطل ذلك التاريخ صار عزله من منصبه

= نهر انطلياس =

نهر انطلياس نهر صغير يبعد نحو ثلاثة اميال عن نهر الكلب الى الشمال من مدينة بيروت ومخرجه من فوارتين متفجرتين في منفسح الوادي بالقرب من مغارة انطلياس شرقي القرية وعلى بعد ربع ساعة منها ويصب في بحر الروم ومسيره لا يزيد عن كيلومترين ويمر في وسط القرية بالقرب من دير القديس ايلياس المسمى باسمه لان كلمة انطلياس لا تخلو من ان تكون منحوتة اما من انطون والياس واما من انطش الياس واما من ايقونة الياس وهذا الاخير هو الارجح لانه قابل للتحريف اكثر من غيره حتى يجيء منه انطلياس لما ان اللفظ العامي لايقونة هو قونة ومعلوم ما بين القاف

والهمزة من الملابسة في اللفظ عند العامة فالبعض يلفظون القاف كالهمزة فكانهم اخذوا يلفظون قونة الياس اونــة الياس ثم صارت بالتحريف انتلياس

ومن ينابيع هذا النهر ما هو دائم الجريان مثل ينبوع التنور والحاووض المختص بالامير سليم ابن ابي اللمع الجاري بقناة هي ملكه ايضاً الى معمله المعروف بطاحونة السلطنة

ومنها ما يفيض ساعات قليلة كينبوع الصفصافات الذي يتدفق فوراً من بئر احتفرها في الارض وهو اغزر ينابيع هذا النهر ماء وبه تدور رحى المطاحن الكائنة على ضفتي النهر

وهو يغيض بضع ساعات في بعض السنين كما حصل في صيف سنة ١٨٩٧ وفي شتاء سنة ١٨٩٨ فلبث غيضه في المرة الاخيرة ست ساعات متوالية فتلونت الاحاديث عنه ولما عادت مياهه الى فيضها في مجراها كانت معتكرة محمارة .

ومنها ما يغيض ماؤه في بعض من ايام السنة ثم يعود في الربيع الى فيضه كينبوع الزيتونة والمغارة ومنها ما لا يغيض ابداً وجميع هــذه المخارج احتفرت منهراً واحداً تصب فيه وتجري مسافة ساعة ونصف تقريباً حتى تبلغ مصبها في البحر

وكان على مقربة من البحر عند مصبه معمل للورق[1] قد اصبح اليوم

---

(١) ان معمل الورق المذكور كان ملكاً للخواجات ثابت وباحوط وكان الورق الذي يصدر منه يضاهي الورق الفاخر الذي يستجلب من اوربا ولهذا فان

ملكاً لجمعية النجمة البيضاء التي جعلته ملجأ لفقراء الارمن المهاجرين واقامت الى جانبه بنايات اخرى تستوعب المهاجرين المذكورين على ما سيجيء باسهاب

اما الاراضي التي تسقى من مياه هذا النهر فمن حدود ضبيه شماليه الى حدود برج حمود جنوبيه على مسافة ساعة ونصف واما السر في غيضه فهو انهيال التراب في مجرى مياهه الى حد ان يستد المجرى معه فتنقطع المياه حتى تخترق السد وتذيبه

ويعلل عن غيض بعض الينابيع وعودها الى مجراها في اوقات معلومة بان لمثل هذه الينابيع احواضاً طبيعية في طبقات الارض فتجلب اليها من اماكن كثيرة اوشالاً وتتجمع فيها لتنفذ من منفذ على شكل الممص الذي تفرغ به السوائل من وعاء الى وعاء اي على شكل قوس فمتى امتلأت الحياض من تلك المياه المتحلبة الى حد ان يصير سطح المياه فيها موازياً لنقطة يجتمع عندها انعطاف القوس اندفعت فاخذت في الممص حتى تبلغ في هبوطها سطحاً يكون تحت تلك النقطة فينقطع اذ ذاك جريها وهكذا تكون ذات فترات تارة منتظمة وتارة غير منتظمة وزمن فيضها يكون غالباً في الربيع لما ان السيول تملأ مخاريب الصخور والثلج يغشى قمم الجبال

اصحاب المعامل الاوربية اتفقوا على مزاحمته فانزلوا اثمان ورقهم الى الحد الذي لا يمكن له ان يجاريهم فيه فلم يلبث اصحابه ان اوقفوا حركة العمل فيه ثم انهم باعوه الى اناس وطنيين فحولوه الى مطحنة دقيق ثم صار بيعه لجمعية النجمة البيضاء كما ذكر انفاً

فيكثر تحلب المياه وتمتلىء احواض الينابيع فيجري الماء منها عداً ثم برضاً ثم يفيض فيضاً كما يشاهد ذلك في ينبوع الاربعين شهيداً المنصب في بحيرة اليمونة وفي ينبوع دير الحميراء في قضاء حصن الاكراد والينبوع الاول سمي بعين الاربعين شهيداً لان مياهه تفيض في هذا العيد

وقد رات مجلة المشرق انه اذا صنع لمياه هذا النهر حوض عند مصبها ودفعت بالمضخات الى الاملاك الواقعة على علو ٢٠ او ٣٠ متراً زادت منفعتها زيادة تذكر

ولهذا النهر بالقرب من دير القديس الياس جسر بناه رستم باشا سنة ١٨٨٣

وقد بدى في الاونة الاخيرة باصلاح الطريق من جسر نهر بيروت الى حدود طرابلس وبانشاء جسر كبير لنهر انطلياس يصلح لمرور المركبات بسهولة بالقرب من الجسر الصغير المذكور

= نهر بيروت =

بينه وبين نهر انطلياس ميلان وقد سماه بلين بحسبما اتفق عليه جمهور العلماء ماغوراس واصله نهران احدهما مخرجه بالقرب من ترشيس وكفر سلوان والاخر مخرجه بالقرب من فالوغا وحمانا وهما يلتقيان في وادٍ تحت دير القلعه وقيل ان مخرجه من اعلى جزيرة ابن معن واصله ينبوع منفجر بين صخرين في اصل واحد طوله اربعة اميال ويسمى نبع القصير (مصغراً من قصر بني هناك) ويوخذ منه قنوات تسقي اراضى

ساحل بيروت وكان قبلاً تذهب منه قناة الى بيروت معروفة بقناة زبيدة التي مرَّ ذكرها ولم تزل آثار هـذه القناة مشاهدة الى الان على مسافة ساعتين من الجنوب الشرقي لبيروت وقد بنيت هذه القناة بناء محكماً وكانت تمر بالوادي المعروف بوادي الديشونية فوق جسر عظيم ذي ثلاثة صفوف من القناطر قائمة بعضها فوق بعض وكان علو هذا الجسر يبلغ خمسين متراً وطوله ٢٤٠ متراً وقد تهدم الصف الثالث من القناطر وهبط وسط الجسر وكانت المياه بعد ان تجتاز الجسر تلج في نفق ينفذ في الجبل مسافة طويلة وينتهي الى السهل ثم الى بيروت

ولهذا النهر جسر طويل بالقرب من مصبه عند خليج مار جرجس يقال انه بني في عهد الرومانيين ولما كان يصعب اجتياز مركبتين عليه معاً قررت دائرة النافعـة في لبنان الكبير في اوائل عام ١٩٢٣ وجوب توسيع سطحه الى تسعة امتار ثلاثة منها للرصيف على الجانبين والباقي لمرور المركبات وقـد تم ذلك بظرف بضعة شهور واقامت البلدية عليه مصابيح كهربائية واطلقت عليه اسم (جسر ويغاند) نسبة الى الجنرال ويغاند الذي كان حينئذٍ قومسيراً لدولة الانتداب

وفي سنة ١٢٩١ رومية انشأ رستم باشا على هذا النهر في المحلة المعروفة بالمخاضة جسراً شديد البناء مكمل الاتقان ذا قنطرة واحـدة وانشأ الى جانبه الحديقة المسماة باسمه التي كان وما زال يقصدها الناس تنزيهاً للخواطر وقد سبق وصفها

وينتفع الناس من مياه هـذا النهر بادارة كثير من المطاحن وبسقي

كثير من البساتين التي تعود عليهم بمنافع جزيلة وعلى الخصوص من اثمان البقول بالنظر الى قربها من بيروت

= نهر الغدير =

هو نهر لا يجري الماء فيه الا في الشتاء لما يهطل المطر بغزارة فيجتمع فيه عند قرية كفرشيما من الاودية هنالك ويخترق السهل المسمى صحراء الشويفات ويصب في بحر الروم وله بالقرب من كفرشيما جسر تمر عليه العربات بناه فرنقو باشا سنة ١٨٧٠

ويوجد في لبنان كثير من الانهر الشتوية واليك اسماءها نهر العصفور وهو واقع شمالي رأس النورية ونهر المدفون وهو واقع بين البترون ورأس عمشيت ونهرا الحلوة وخرطوش وكلاهما واقع في شمالي جبيل ونهر الفيدار وهو واقع جنوبي جبيل ونهر الموت وهو على مقربة من جديدة المتن لجهة الشمال ونهر المعاملتين وهو مشهور وقد بنى عليه الرومانيون جسراً بقنطرة واحدة قريبة من الجسر ولم تزل آثارها للان

— نهر الدامور —

دامور هو بحسب الخرافات القديمة بعل دَمر وبعل باللغة الفينقية معناه اله ودَمر محام وهو ابن زوجة السماء وبوليب سماه داموراس واسترابيون سماه تاميراس من بعل تمر اي اله النخل ودامور بالسريانية معناها للعجب وبالعربية معناها المخرّب

وفي هذا المعنى ما ينطبق على حقيقة هذا النهر عند مصبه من تخريب الارض لان مياهه في منتهى الوادى عند المحلة المعروفة بياروطى تصدم بسفح الجبل من جهة الجنوب فترتد الى الشمال حيث السهل الفسيح سهل الدامور

ومما يروى ان مصب النهر كان قبل اليوم عند المحلة المعروفة براس المصرى

وبين هذا النهر ونهر بيروت عشرة اميال وهو مجموع من نهر الغابون الخارج من ينبوع بخشتيه او من عين الدلم القريبة منه ومن نهر الصفا وينبوع القاع الذي جر منه الامير بشير عمر شهاب الى قصره بيت الدين قناة تصب ماؤها في وادى دير القمر فتسقي بساتينها وحقولها وذلك سنة ١٨١٥ م وقد استغرق إنشا تلك القناة ستين الا شهرين وكانت جميع اهالى البلاد تشتغل يومين من كل سنة بتلك القناة على وجه الاعانة للامير فبلغت النفقة على انشائها ما ينيف عن مئتي الف درهم وكان لهذا المبلغ اهمية عظيمة في ذلك العهد

وقد نظم المرحوم المعلم بطرس كرامه شاعر الامير في هذه القناة موشحه المشهور الذي يقول في مطلعه

صاح قد وافى الصفا يروي الظما   بشراب   كوثرى   العس
وافاض الشهد في روض الحما   لجلا   الغم   وبرء   الانفس

ويضم الى ذلك الينبوع ينبوع عين داره وتجتمع ايضاً عيون كثيرة فيصير نهراً كبيراً يجري في وادٍ طوله ٢٢ ميلاً ومن هذا النهر جرّ الامير

منصور حيدر شهاب في عهد حكمه قناة تسقي البساتين التي هي في الجانب الايسر من النهر وقبل انه يبلغ سهل الدامور ينضم اليه جدول اخر له قنطرة عند قرية الجاهلية مخرجه من ينبوع الحمام بالقرب من قرية غريفه وينضم الى هـذا الفرع ينابيع اخرى قبل ان يلتقي بنهر الدامور شمالى قرية البوم

وقال المهندس اميل افندى خاشو في مقالة نشرتها مجلة المشرق في احد اعداد سنتها العاشرة في هذا النهر ما نصه :

نرى في جوار نهر الدامور بقعة يدعونها ساحل الدامور او جل الدامور تبلغ مساحتها ٥٠٠ هكتاراً اي الف فدان وتربة هـذا الساحل كلها من جرف النهر القى بها عند مصبه في البحر وكان هذا الساحل قبل ذلك سباخاً ففكر احد الكهنة ان يخصب تلك البقعة بجر مياه النهر اليها فاتفق مع بعض اصحاب الملك بان يبنوا قناة طولها خمسة كيلومترات يجلبون فيها المياه لسقي تلك الاراضي الغامرة وخص بهذا المشروع رأس ماله البالغ من الفين الى ثلاثة آلاف ليرة فشيد القناة تشييداً حسناً كلفه المتر منها عشرة فرنكات فما لبث الملاكون ان رأوا بالعيان هـذا العمل المفيد فساعدوا الكاهن بمالهم حتى انجز القناة وجروا المياه الى الاملاك فعمرت تلك البقعة بعد قليل وصار الفدان منها يباع اليوم بمعـدل ١٥٠ ليره بعد ان كان ثمنه لا يتجاوز الخمسمائة غرش وكان جل الدامور لا يغل الا بضعة آلاف من الغروش فاصبحت غلته اليوم تقدر بخمسين الف ليره من موسم القز وهذا دليل قاطع على فائدة المياه لسقي ارض لبنان

وعلقت مجلة المشرق على هذه المقالة قولها : وان قابلت بين هـذه البقعة واجود اراضي مصر غلة وجدت ان ارباح هذه البقعة اعظم بكثير فان غلة الف فدان في ساحل الدامور تساوي كما قلنا خمسين الف ليره اعني لكل فدان ٥٠ ليره واجود اراضي مصر لا يغل فدانها اكثر من ٣٥ ليرة

وكان قبل الاحتلال لهـذا النهر جسران الاول في الوادي الكبير الذي بين عبيه ودير القمر بناه الامير زين الدين التنوخي الملقب بالقاضي فسمي جسر القاضي ثم جدد بناه واصا باشا ليصير صالحاً لمرور العربات سنة ١٨٨٦ م الموافقة سنة ١٣٠٣ رومية وقد نظم له مؤلف هذا الكتاب تاريخاً تثبت منه بيت التاريخ وهو

وجعلت ذا الجسر الجديد يقول في   تاريخـه انى بفضلك اشهد
١٣٠٣

والثاني في مكان يقال له ياروطي بالقرب من البحر وهو يسمى جسر الدامور بناه الامير بشير شهاب الكبير سنة ١٢٣٠ هـ فهدمته المياه ولم تزل اثاره بادية للان وسنة ١٨٧٠ م انشأ داود باشا له جسراً حديدياً شرقي هذا النهر على بعد بعض خطوات من مكان الجسر الاول وقد وطد اركانه فرنقو باشا في اوائل ايام متصرفيته

وبعد الاحتلال انشأت الحكومة جسراً فوقه على بعد بضع دقائق من الجسر الحديدي صالحاً لمرور العربات فبلغت نفقاته سبعين الف لـيرة سورية على ما قيل

وقيل ان السبب في بناء الجسر الذي بني بعناية الامير زين الدين التنوخي هو ان هذا الامير كان مشتغلاً ببناء مطحنة في ذلك المكان فحدث ذات يوم انه بينما كان يراقب البناء مرت فتاة بالقرب من الفعلة وخاضت في مياه النهر تبغي الاجتياز الى الضفة الاخرى فشمرت اثوابها خشية البلل فحانت من الامير التفاتة فرأى بعض الفعلة ضاحكين مما بدا من مستور الفتاة متغامزين عليها فثارت مروءة الامير وامر بالكف عن العمل بعد ان اوسع المتغامزين لوماً وامر لساعته ببناء قنطرة فوق النهر للعبور عليها ولبث في ذلك المكان اربعين يوماً حتى تم بناء القنطرة [1]

= نهر الاولي =

بينه وبين نهر الدامور عشرة اميال وتعريفه بالاولي بحسب اصطلاحات العامة كان لحداثة عهده بعد ان صارت صيدا قاعدة الشطر الجنوبي من لبنان في اوائل القرن السادس عشر وكان الاقدمون يسمونه بوسترينوس ولعل هذه التسمية كانت لمروره في سهل بسري

والعرب كانوا يعرفونه بنهر الفراديس اما لما حول صيدا من البساتين الشهيرة واما لان منبعه من واد في قرية الباروك قريبة من قرية الفريديس

---

(١) قل لي رعاك الله ايها القاري الكريم ماذا كان فعل الامير لو بعث اليوم من قبره وشاهد ازياء (الديكولته) الحاضرة التي يبدو معها تسعون في المئة من مستور بعض السيدات

وهو معروف بنبع الباروك وقد جر منه الشيخ بشير جنبلاط قناة الى قصره المشهور في قرية المختارة سنة ١٢٢٢ هـ

وعندما يبلغ هذا النهر سهل بسرى المذكور يلتقي بالنهر الجزيني ذي الشلالات العجيبة ثم يسير الى البحر ماراً في مضائق عميقة بين الجبال ويصب في بحر الروم بعد ان يوزَع قسم من مياهه على صيدا وبعد ان يسقي بساتينها الواسعة ومسافة سيره ٥٣ كيلومتراً

ويمكن لاهالي صيدا ان ينتفعوا منه ايضاً بتوسيع نطاق بساتينهم وبادارة معامل عديدة وبتوليد الكهرباء والباروك بفتح الباء والف بعدها عربي معناه الجبان والكابوس والباء مفتوحة بدون الف بعدها بصيغة فعول معناه التي تتزوج من النساء او لها ابن بالغ الدية واما بروك بضم الباء والراء فهو اما ان يكون جمع باركة للناقة المستنيخة واما ان يكون مصدر برك بروكاً ومعناه الاستناخة او الثبوت في المكان والاقامة فيه وهذا غالباً اقرب ما يكون الى صحة الاسناد اليه وقد سمي الينبوع به ايام التنوخيين القدماء سموه كذلك عندما قدموا بقبائلهم لبنان فاناخوا ابلهم عند مائه وطاب لهم البروك في ذاك المكان والاقامة به قبل ان يستعمروا ويستوطنوا

= نهر الزهراني =

اصل هذا النهر من ينابيع عديدة من تومات نيحا المشهورة (في قضاء الشوف) ويجري هذا النهر في الوادي من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ثم ينعطف بالقرب من قرية العيشية والجرمق الى الغرب الشمالي ثم الى

الغرب ويصب في البحر بين راس صرفند وصيدا على مسافة ساعتين جنوبي هذه المدينة وهو اطول الانهار اللبنانية ولكنه اقلها ماء ويسقي بعض بساتينها ويدير في جهاته السفلى ٣٠ طاحوناً

— نهر البردوني —

مخرج هذا النهر قرية قاع الريم من اعمال قضاء المتن تجري مياهه العذبة في وسط مدينة زحله فتسقي بساتينها وحدائقها الغناء وتدير عدة مطاحن فيها ثم تسير الى المعلقة فسهل البقاع فتسقي ما هنالك من الاراضي وقد اقام الزحليون على ضفتي هذا النهر كثيراً من الفنادق الفخمة النادرة المثال يقصدها طلاب النزهة من كل صوب لما فيها من اسباب الراحة والرياش الفاخرة ولما في حدائقها من المناظر التي ترتاح اليها النفوس وتقر بها العيون

وقد بنى نعوم باشا فوق هذا النهر بقرب لوكندة الصحة سنة ١٨٩٧ جسراً صغيراً يصلح لمرور المركبات

وفي عهد يوسف باشا اتفقت الحكومة مع الخواجات راهبه واسكندر جاويش على جر مياه نبع الزويتيني وهو قسم من هذا النهر يقدر باربعين الف متر الى مدينة زحله والمسافة بينها ١٨٠٠ متر وفي اول آب سنة ١٩٠٩ تم ذلك وتوزعت المياه على بيوت المشتركين وجعل ثمن كل متر ١٥ ليرة افرنسية بحيث يكون صاحب المتر مالكاً له ملكاً مؤبداً

وفي عهد الحكومة السابقة نال كل من الاشمندريت يعقوب الرياشي

ويوسف بك البريدي امتيازاً بتوليد الكهرباء بمياه هذا النهر وبسبب الحرب الكونية توقف العمل وبعد ان ألقت الحرب اوزارها وايدا امتيازهما المذكور باتفاقية عقدت بينهما وبين حضرة المفوض السامي للجمهورية الفرنساوية بتاريخ ١٧ ايلول سنة ١٩٢٣ الفا شركة مغفلة براسمال قدره ٦٩ الف ليرة سورية مقسوم الى ٦٩٠٠ سهم مغطاة كلها من قبل صاحبي الامتياز وقبل باقي اعضاء الشركة وهم كل من الافندية نجيب شمعون واسعد نكد ونجيب نكد ونعمة الله رابيه وخليل حداد ومخول القاصوف وابرهيم الراعي وابرهيم سليمان البريدي ووديع الياس طنوس ديب جميعهم من زحله

وقد ارسلت هذه الشركة مهندسها ألبر افندي نقاش مع احد مساهميها نجيب افندي نكد الى باريس فاشتريا المعدات اللازمة فاصبح نجاح هذه الشركة مضموناً بمساعي حضرة صاحبي الامتياز المذكورين وبمساعدة زملائهما اعضاء الشركة ونخص بالذكر يوسف بك البريدي الذي خدم مدينة زحله بعمله هذا خدمة تسطرها له باحرف من نور

ولا غرو فليوسف بك مآثر جمة غير هذه المأثرة قام بها في اثناء وجوده مدة ١٨ سنة نائباً عن زحله في مجلس ادارة لبنان السابق منها تأليف شركة مساهمة لجر المياه الى بيوت زحله على ما اشرنا الى ذلك في محله ومنها انشاء حديقة للبلدية الى غير ذلك مما يذكر له بالشكر ويؤمل

ان تنار زحله وما يجاورها من القرى بالانوار الكهربائية في الآونة القريبة وان يعطى كل بيت القوة التي يريدها للتدفئة ايضاً

اما سعر الكيلوات للنور فخمسة عشر غرشاً وللاعمال الصناعية ثمانية غروش

— نهر العاصي والليطاني —

نأخذ ما جاء من وصف هذين النهرين من كتاب (لبنان) الذي نشر بعناية اسمعيل حقي بك المشار اليه قبلاً فنقول

قبل ان نتكلم عن نهر العاصي ونهر الليطاني اللذين منبع كليهما من لبنان الغربي يلزم ان نحدد الموضع الذي ينقسم في سير المياه المنحدرة من الجبال الى السهل

اذا رسمت خطاً مستقيماً ممتداً من مدينة بعلبك الى بحيرة اليمونة في المنعطف الشرقي للبنان كان هذا الخط حداً فاصلاً تنقسم عنده المياه

فمياه ينابيع لبنان الغربي ولبنان الشرقي المنحدرة الى السهل شمالي هذا الخط تصب كلها في نهر العاصي وما انحدر جنوبي هذا الخط يصب في نهر الليطاني لان هذا الخط هو اعظم علو في السهل اذ ان علو مدينة بعلبك عن سطح البحر يبلغ ١١٥٨ متراً وبحيرة اليمونة ١٥٤٠ متراً فينحدر السهل بسرعة عن شمال هذا الخط الى جهات رأس بعلبك والقصير وحمص

اما عن جنوبه فينحدر شيئاً فشيئاً الى اقصى السهل عند عين زبده وجب جنين

= نهر العاصي =

ويسميه الافرنج أرُنط وسماه اليونان نهر اكسيوس ولعل العاصي هو تصحيف الاسم اليوناني ويسمى ايضاً هذا النهر (المقلوب) لجريه من الجنوب الى الشمال بعكس غيره من الانهر في سهل البقاع

ان مخرج العاصي من نبعين عظيمين يبعد الواحد عن بعلبك الى الشمال بعض كيلو مترات وهو نبع اللبوة الذي عند مخرجه يتفرع الى سبع سواق فائضة المياه ويستخدم كله لسقى الاراضي والنبع الاخر عند مغارة الراهب او مغارة مار مارون قرب الهرمل حيث يتفجر بقوة عجيبة بين الصخور ويمتد في مسيل عرضه من ١٥ متراً الى ١٧ متراً فيسير في السهل من الجنوب الى الشمال وعلى نحو تسعة كيلو مترات جنوبي حمص يجتاز بحيرة صنعها المتقدمون في العصور السالفة بان جعلوا لها سدوداً مرتفعة لسقي الاراضى وكانوا يسمونها بحيرة قدَس من اسم مدينة قدَس التي كانت بجانبها وهي احدى عواصم الحثيين وتسمى اليوم بحيرة حمص وهي بمسافة ساعات عن حمص الى الجنوب الغربي منها وعرضها ١٦٠٠ متر في طول[١] ٤٨٠٠ متر ومنهـا يخرج نهر العاصي غزيراً صافياً ويسير في

(١) اصطنعت هذه البحيرة بسد على العاصى بنيت عليه بروج كثيرة اما اليوم فلم يبق منها غير برج واحد يقال له برج بلقيس وفيهـا كثير من السمك ولا سيما الانكليس

مجرى عميق على مسافة كيلومترين غربي حمص ويسقي بساتينها ويقطع حماه حيث يدير بجريه دواليب عظيمة يبلغ قطر الواحد منها اكثر من عشرة امتار فتدفع المياه الى اقنية عالية تسقي بساتين المدينة ثم يسير الواحد غربي مستنقعات الغاب وبحيرة افامية [1] فقلعة المضيق واعلم انه بسبب ضيق وادي هذا النهر لا يمده سواعد كثيرة سوى انه يأتيه انهر في ضفته اليسرى

اما في ضفته اليمنى فانه قبل ان يصل الى انطاكية يميل الى الشمال الغربي وينضم اليه نهر عفرين ونهر قره‌صو اي النهر الاسود اللذين تتكون منها بحيرة آق دكز اي البحيرة البيضاء ومخرجها من شرقي جبل اللكام والجبل الاقرع ويصب في البحر تحت السويداء جنوبي راس الخنزير بعد ان يكون قطع نحو ٤٠٠ كيلومتر وعلى بعد ثمانية كيلومترات من مصبه تعترض الصخور مسيره فينحدر بشلالات عديدة وقد اقيمت هنالك سدود لتدوير الطواحين ولصيد السمك

= نهر الليطاني =

يعد هذا النهر من اكبر انهار سورية ويحد لبنان في جنوبيه وهو نهر صور ويسمى في الجزء الاخير من مسيره نهر القاسمية لمزار هناك للنبي قاسم زعم البعض ان اسم الليطاني من كلمة سريانية (ليطا) معناها

---

(١) سميت بحيرة افاميه نسبة الى مدينة افامية التي هي الى ناحية الشمال الغربي من حماه وقد كانت قبلاً مدينة عظيمة

(الملعون والممنوع والحرام) او بالضد (المقـدس) فيكون معناها كمعنى حرمون وقد ذكر هذا النهر ثاوفانوس المؤرخ وسماه ليطا و فسره بالشرير او الردي وزعم آخرون ان اسمه من اللاتينية او اليونانية لاونتيس ومعناه الاسد ولكن الاقرب الى الصواب هو ان اصل الاسم ليطاني من اللفظة رنطو وردت في الكتابات الهيروغليفية وهي اسم بلد موقعه شمالي فلسطين حيث اليوم سهل البقاع الذي يجري فيه الليطاني ومعلوم ان في اللغة المصرية كما في اللغة العربية الراء والحاء حرفان ذلقيان يبدل الواحد من الآخر فتكون رنطو ولنطو عبارة عن اسم بلد واحد فلا يبعد ان يكونوا دعوا قديماً النهر باسم البلد الذي جرى فيه او بقربه فقالوا نهر لنطو كما قالوا نهر بيروت مثلاً دلالة على البلاد التي تجري فيها هذه الانهر او تصب في البحر بالقرب منها ثم تصرفوا فيها فقالوا ليطاني و يؤيد هذا الرأي ان جغرافيي العرب كالشريف الادريسي وشمس الدين الدمشقي وابي الفداء وصاحب التعريف في المصطلح الشريف دعوا هذا النهر باسم ليطة وفي بعض النسخ لنطة ولعل اسم النهر باليونانية واللاتينية اصله كما في العربية من اللفظة الهيروغليفية (النطو)

يخرج نبع الليطاني من المنحدر الشرقي من نبع العليق في شمالي البقاع ومتى نزل من شعاب لبنان الى السهل تجتمع اليه عامة مياه هـذا السهل على موجب انقسام المياه كما بينا ذلك فينصب اليـه عشرة انهار اعظمها من جهة الغرب نهر البردوني المار ذكره ثم نهر شتوره ومياه قب الياس ومن جهة الشرق نهر زعير الذي يتكون من عدة ينابيع منبعثة من

الجبل الشرقي خصوصاً من عنجر واذ ذاك يقدر ما يمر فيه من المياه في الدقيقة ١٣٠ متراً مكعباً

وفي اندفاعه في مسيره المتحدر يقترب بتعاريجه على مسافة اربعة كيلومترات ونصف من نهر الاردن الاعلى وذلك قبل ان يحاذي بمسيره مدينة حاصبيا فاذا وصل الليطاني الى طرف السهل في الجنوب صادف هناك مضائق جبل لبنان وجبل الشيخ وفتح له مخرجاً وعراً في مضيق بعيد الغور مرتفع الضفتين يغور تحت السرب المتكون عنه جسر طبيعي يأخذ بالابصار وموقع هذا الجسر على بعد نصف ساعة غربي قرية يحمر في وسط الطريق التي تؤدي من حاصبيا الى جزين تعبر عليه السابلة بين القريتين ويدعونه جسر الكوة

ويسير نهر الليطاني تحت هذا الجسر على عمق ١٠٠ قدم وطول الجسر نحو ٢٢ قدماً ومعظم عرضه ٦٨ قدماً ثم يضيق الى تسع اقدام وبعد ان يجتاز المضيق ينحرف نحو الغرب ويسمى اذ ذاك نهر القاسمية

وترى هناك على اعالي الضفة الغربية قلعة الشقيف التي مر ذكرها ويصب نهر الليطاني في البحر على مسافة سبعة كيلومترات من صور لجهة الشمال بعد ان يكون قطع في مسيره ١٦٠ كيلومتراً

﴿ آثار لبنان ﴾



— الانسان الاول وزوجته —

ان اول من استوطن لبنان قبائل همجية كانوا يسكنون الكهوف والمغاور وكانت عيشتهم فطرية ساذجة اذ كانوا يأكلون لحوم الحيوانات التي كانوا يقتنصونها وكانوا يدفنون موتاهم في كهوف ينقرونها في جدران الصخور وفي ابار كانوا يحفرونها في الارض

ومن آثارهم الظران وهي الحجارة الصوانية وغير الصوانية وعظام

الحيوانات فانهم قبل اكتشاف الحديد كانوا يحددونها كالسكاكين بحسب غاياتهم وقد وجد فيها ما يشبه المدى وما يشبه المجارف والمناشير والمخارز واقاموا لاصطناع هذه الادوات محطات عديدة وصفها الاب زموفن استاذ الطبيعيات في كلية الآباء اليسوعيين في مجلة المشرق وهي :

١ً محطة عدلون في منتصف الطريق بين صور وصيدا ففيها مدفن قديم العهد فيه آثار البشر الاولين في فينيقية

٢ً جدول عقيبه وقد كان قبلاً مقاماً للسكان ولتهيئة ادوات الظرّان .

٣ً مكان عند جسر نهر بيروت كان معداً لاستحضار الظرّان

٤ً مغارة انطلياس وكانت مستودعاً للظرّان

٥ً مغاور نهر ابراهيم وكانت من المعامل المهمة للظرّان

٦ً مكان في غور وادي نهر الجوز بالقرب من مدينة البترون وكان هذا المكان معداً لعمل الظرّان المنحوت

٧ً مكان في ضفة نهر ابي علي بالقرب من طرابلس وكان فيه آخر محطة لعمل الظرّان

وقد وقف العلماء المحدثون على ست محطات اصطنع فيها قدماء الفينيقيين حقل الظران

الاولى محطة نهر الزهراني القريبة من صيدا

والثانية محطة راس بيروت قرب الاوزاعي

والثالثة محطة راس الكلب بجوار نهر الكلب

والرابعة محطة جعيتا

والخامسة مغارة المعاملتين

والسادسة محطة حراجل

وفي متحف كل من الكليتين اليسوعية والاميركية اجناس شتى من الاجسام الالية النباتية التي تحجرت والتي يرى منها اليوم في ساحل علما وفي جديدة عرمون كسروان وغيرهما .

وقد الحق البعض بتلك الآثار آثار جبيل وبيروت وصيدا وصور التي زعم الكتبة الاقدمون ان الآلهة قد بنوها وكان في مقدمة من ذهب هذا المذهب سنكن تين المؤرخ البيروني الذي عاش في اواخر القرن الرابع قبل المسيح وكان كاهناً لاحد المعابد في جبيل وقد صنف تاريخاً لوطنه فقد بمرور الزمان ولم يبق منه غير اوراق تناولها بعده المؤرخون كفيليون الجبيلي ونقولا الدمشقي واوسابيوس القيصري وبرفيديوس الصوري منها يتضح ان في عهد سنكن يتن كان اصل مدن فينيقية مجهولاً ومنسوباً الى بناة عريقين في القدم جعلوهم من عداد الآلهة

على ان العلماء اثبتوا ان في تلك المباني القديمة ما يشابه ابنية الكلدان ومنها رسالات تل العمارنة (١) التي اكتشفت في زمن غير بعيد في

---

(١) جاء في مجلة المشرق في الصفحة ٧٨٥ لسنتها الثالثة ان تل العمارنة مزرعة صغيرة في صعيد مصر على مسافة ٨٠ كيلومتراً من مدينة المنيا وان في واد قريبة من هذه المزرعة بقعة فيها اخربة قديمة نقر في صخورها مدافن عليها نقوش وكتابات هيروغليفية استنتج منها العلماء ان هنالك مدينة (حوت اتن) كرسي ملك فرعون مصر المسمى امينوفيس الرابع وكان هذا الملك بنى تلك المدينة سنة ١٣٨٠ ق ٠ م

مصر وهي كتابات باللغة الفينيقية مكتوبة بالقلم الاشوري ارسلها امراء سواحل لبنان الى فراعنة مصر في القرن الخامس عشر قبل المسيح ليطلعوهم على احوال بلادهم ومنها صورة تموز المنقورة في صخر في قرية الغينة على ما مر آنفاً ومن الاثار الحرية بالذكر نصب وجد على صخر في جبيل يمثل احد الفراعنة وعلى جبهته الحية الرمزية وامامه الآلهة ايزيس المصرية ·

وقد خربت بعد وفاته

وفي سنة ١٨٨٨ م عثر بعض الفلاحين في تلك الاخربة على صناديق خشبية مملوءة بقطع الاجر عليها كتابات متلاصقة الاسطر ولما علمت الحكومة بهذا الاكتشاف بادرت الى ضبط ما وجد من الاجر وقد عرف اذ ذاك ان الكتابات التي وجدت عليها هي مسمارية بابلية وانها تشتمل على سجلات الدولة في عهد امينوفيس الرابع وابيه امينوفيس الثالث فكان لهذا الاكتشاف وقع حسن

وقد نال المتحف البريطاني من هذه الاجر ٨٠ قطعة كبيرة والمتحف المصري ٦٠ ودار عاديات المانيا ١٨٠ وتمكن بعض الخواص من شراء قطع صغيرة لانفسهم

واول فائدة حصلت من مكاتبات تل العمارنة انما هي شيوع اللغة البابلية في لبنان عند ابتداء انتشار الفينيقيين

والتراكيب الفينيقية في رسائل اهل الساحل لاسيما جبيل و بيروت هي اكثر منها في غيرها

وفي مقدمة هذه الرسائل اسم الكاتب على هذه الطريقة (عبدك فلان) او (مدون كتب الملك) ولا ترى احداً من هؤلاء الكتبة يلقب نفسه بملك او امير بل يكتفي باسم (خزانو) وهو الحاكم وقد ورد في رسالة حاكم جبيل للفرعون قوله (ريب ادى) لاي سبب جعلني الملك (خزانو)

فاستدل المستشرقون من هذا القول وغيره ان رتبة الخزانو كان ملك مصر

﴿ آثار جبيل ﴾

في سنتي ١٨٦٠ و ١٨٦١ بحث المسيو يار موله في جبيل فتوصل الى وجود آثار اقدم من اثار صيدا وبين هذا الآثار اسطوانة محفور عليها كتابة هيروغليفية ترجع الى عهد التينيتيين الذين عاشوا قبل الفراعنة وبينها قطع حفر عليها اسم ميزانيوس من السلالة الرابعة لفراعنة مصر واسم اوناس من السلالة الخامسة واسم بابي من السلالة السادسة

وفي سنة ١٩٢٢ بحث المسيو مونتل في جبيل فعثر في الهيكل المصري على تمثال الهة جالسة على كرسي ارجله كارجل الاسود

وعثر في الهيكل الفينيقي على اثر جميل وهو وعاء اشبه بالجرة مملوءة بالحلى وحجارة اللؤلؤ والتعاويذ الصغيرة واكثره من البرونز

واكتشف في الجهة الجنوبية من قصر الصليبيين بقايا هيكل من عهد الرومانيين والناووس الذي فتحه المسيو نورلو في جبيل هو من اقدم النواويس التي وجدت في سورية يرجع عهده الى ١٥ قرناً قبل تاريخ

يقلدها بنفسه الولاة فيخلفهم فيها اولادهم وان النساء كن ينلن هذه الرتبة ايضاً

وتحتوي الفاتحة ما عدا اسم الكاتب ذكر الفرعون والقابه على هذا المنوال

الى الملك سيدي والهي ونوري وشمس السماء فلان انا عبدك وتراب قدميك وسائس خيلك . اني اخرّ على اقدام سيدي سبع دفعات وانطرح سبعاً على صدري وظهري

وفي بعض الرسائل يجعل نفسه كلباً . ثم يلي هذه المقدمة (الشريفة) فحوى الكتاب

ناووس شمونصار ملك صيدا المنسوب الى العهد المكدوني

وفي شهر تشرين الاول وتشرين الثاني سنة ٩٢٣ توفق المسيو مونته الفرنساوي الى اكتشاف بئر عميقة في جبيل والى جانبها دهليز وجد فيه عدد من النواويس المصرية وتسعة قبور قديمة وقد فتح المدفن بحضور الجنرال ويغند القومسير العالى لفرنسا في سورية ولبنان حينئذٍ وفتح الباقي بحضور مفتش المعارف فوجد فيها كثيراً من الاواني الخزفية والآثار المصرية المهداة من فرعون مصر الى ملك جبيل وبينها قطع محطمة واكتشف فيها ايضاً مدفن ملك اخر وجد فيه اسلحة وآنية خزفية دقيقة وتحف ثمينة مهداة من فرعون مصر وليد السلالة الثانية عشرة وهي عبارة عن صندوق بديع الصنع لحفظ المجوهرات مزين بنقوش جميلة وهنا لك خواتم وعقود واساور ذهبية ودروع وحراب

وقد تمكن المسيو مونته من فتح مدفنين آخرين في جبيل فوجد في الاول آنية من الفخار وشارات ملوكية واسلحة

واما الثاني فقد اتضح من محتوياته التي تفوق محتويات المدفن الاول انه مدفن احد ملوك جبيل (ابي شامو ابيو شيمابي) واسمه هذا منقوش على قطع من الاسلحة باللغة المصرية

والاسلحة على ما عرف انها هدية بعث بها الى الملك الفينيقي فرعون مصر امنحت الرابع الذي ملك من سنة ١٨٠٠ الى سنة ١٧٥٢ قبل المسيح .

ولما حضر الملك احمد خان شاه ايران الى بيروت دعاه الجنرال

ويغند لزيارة قلعة جبيل فلبى الدعوة فبسط المسيو مونته مكتشفاته لديهما وبين لهما تاريخ كل واحد منها وما له من الاهمية

وقد ارسلت هذه الآثار حينئذ الى باريس بعد ان عرضت على الانظار في احدى قاعات المجلس التمثيلي ببيروت لاجل اصلاح المحطم منها وبعد ان اصلحت واخذت صورها الفوتوغرافية في باريس اعيدت الى المتحف اللبناني لتحفظ مع سواها فيه[1]

اما قلعة جبيل فهي لم تزل قائمة حتى اليوم وهي مبنية بحجارة كبيرة وقد اصلحت الحكومة السابقة ما امكن اصلاحه منها وجعلته مسكناً لرئيس الجند الذي كان يقيم هنالك

ويقال ان هذه القلعة من بناء الفينيقيين والبعض يقولون انها من عمل الصليبيين

واما سمر جبيل التي هي الى الجهة الشمالية من جبيل فقد اشار الاب هنري لامنس اليسوعي انها من اقدم قرى لبنان وكان فيها كثير من الآثار وعلى اكمة منها جدران قصر قديم العهد فيه كثير من النقوش يصعب تعيين زمنها وقد كتب فوق بعض قبورها ان امراة عمرها ١١٠ سنوات دفنت مع ابنها في قبر واحد وتاريخ هذه الكتابة في القرن الثالث للمسيح

والعلامة الدويهي قال انه في سنة ١٦٣٠ حدثت زلزلة مريعة حلت

---

(١) ان جورج افندي فيليب ثابت احد اعيان بيروت يواصل سعيه المشكور لايجاد مبلغ من المال كاف لتأسيس متحف لبناني كامل المعدات جزاه الله خيراً . وحكومة لبنان قررت ان تدفع الف ليرة سورية لهذه الغاية

في قلعة سمر جبيل وهدمت البرج الاوسط

ولا يزال برج جبيل منتصباً الى الان وموقعه شرقي المدينةوهو مبني بحجارة كبيرة وبعض الكتبة ينسبونه الى الفينيقيين وبعض المهندسين يقولون انه من عمل الصليبيين وبينوا ادلة واضحة تؤيد قولهم

وقد وجد في جبيل كثير من الاعمدة والقطع الرخاميــة المنقوشة وكثير من قبور ومدافن قديمة ومغــاور لدفن الاموات منها طبيعية ومنها صناعية لا يمكن تعيين تاريخها

اما المرحوم الدكتور روفيه فينسب هذه المدافن الى الطور اليوناني الروماني وفيها نواويس احدها يمثل الجسم البشري وهو اليوم موجود في متحف اللوفر بباريس

واما البترون فهي احدث عهداً من جبيل وبيروت على انه كان لها مقام رفيع بدليل المسكوكات والنقود التي ضربها اهلها يوم استقلالها

ويقال ان بانيها ايتوبعل ملك صور في القرن العاشر قبل المسيح وفيها من آثار الفينيقيين سور منحوت في الصخر من جهة البحر لم تزل منه بقايا الى اليوم

وعلى مقربة من البترون في مكان يسمى مراح الشيخ ملعب بناه الرومانيون وحوله قطع رخامية وحجارة منقوشة وعلى مقربة منه كنيسة تدعى كنيسة مار يعقوب بنيت بانقاض هيكل قديم

وعلى اكمــة قريبة ايضاً كنيسة تعرف باسم (مار سابور) وسميت كذلك لانها كانت لاحقة لدير جبل الطور .

والبترون كان اسمها القديم بتريس وقد ذكرها بلينيوس ومؤرخون آخرون ايضاً وتفاصيل تاريخها مجهولة حتى انه لم يتصل المدققون الى معرفة زمن خرابها تماماً

ويظن انها خربت باحدى الزلازل التي تواترت على فينيقية فان ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة ذكر ان جزءًا كبيراً من مدارس وجه الحجر وقع في البحر على مقربة منها في اثناء الزلازل التي حدثت نحو اواسط القرن السادس على انه لم يذكر خراب المدينة نفسها في جملة ما خرب من المدن المجاورة لها ولا ذكره الدويهي ولا ابن العبري ولا ورد شيء عنها في اخبار الصليبيين الا ما رواه ميشو المؤرخ الفرنساوي من ان العساكر الصليبية اجتازوا ارضها بمسيرهم من طرابلس الى اورشليم وذكر لاروك الفرنسوي في كتاب رحلته الى سورية سنة ١٧٢٢ انه وجد البترون خراباً ولم يلقَ فيها الا مسيحياً واحداً من الموارنة وقد كانت البترون كرسي اسقفية وحضر اسقفها بروفيريوس المجمع الخلكيدوني سنة ٥٤١ وفي رواية ان يوحنا الفيلادلفي الذي كان نائباً للبابا مرتينوس الاول سام القديس يوحنا مارون اسقفاً لهذه المدينة . والبترون اليوم قاعدة بلاد البترون ومركز لمحافظة البترون وللمحكمة البدائية وفيها قليل من الملاحة وتجارتها ضعيفة بالنسبة الى الماضي لانها خسرت تجارة الاسفنج التي كانت من اهم مواردها ومن صادراتها الحرير والزيت

— ✻ آثار بيروت ✻ —

اكتشفت سنة ١٩٢٣ في شارع الجنرال غورو القومسير العالي لدولة فرنسا اذ ذاك مغارة يقدر انها كانت من المدافن الرومانية الكبيرة التي تمتد من ذلك المكان الى نهر بيروت وقد عثر في هذا القبو على ثلاثة نواويس من الخزف المشوي منها واحد سليم ليس غير وحولها قطع زجاجية على واحدة منها كتابة من العصر المسيحي وراس عمود متقن الصنع على الطراز اليوناني .

واكتشف في السنة نفسها في بستان خاصة المرحوم الفرد بك سرسق في بيروت كهف يتصل بدهليز ينتهي الى غرف عديدة محفورة في الصخر يرجح انها مدافن قديمة و كل غرفة معدة لوضع ناووسين

وقد وجدت هنالك كتابات يونانية قديمة بصورة اكليل من غار وقد اتضح ان هذه المدافن استعملت للمرة الثانية وان تاريخها يعود الى القرن الثاني او الثالث بعد المسيح وعثر على بلاطة رخامية في بناية قرب مرفأ بيروت عليها صورة ملاك وعلى ستة اعمدة كبيرة وهي بقايا هيكل روماني .

ونقتطف مايلي مما كتبه العلامة الاب هنري لامنس عن باقي اثار لبنان في مجلة المشرق :

— جسر الحجر —

لقد وجد على ربوة قريبة من قرية جسر الحجر وراس نبع اللبن تعلو عن سطح البحر ١٦٠ متر خرابات هيكل وخرابات برج شماليه ايضاً ووجد بازاء الهيكل بناية مربعة يظن انها كانت قبراً وبناية اخرى مستطيلة على مسافة مئة متر من الهيكل لجهة الجنوب

والكتابة التي وجدت على لجف الباب يستفاد منها ان البرج شيد اجلالاً للقيصر كلاوديوس الذي جلس على منصة الملك من سنة ٤١ الى ٤٥ ب — م والكتابة التي وجدت على احدى زوايا البرج يستفاد منها ان تاريخ البناء وقع سنة ٣٥٥ لليونان اي ٤٣ سنة بعد المسيح وانه بني على نفقة الاله العظيم ويظن انه تموز وان هيكل فقرا شيد لاكرامه

— معاد —

كنيسة معاد من اجمل كنائس لبنان وبعمدها رؤوس اكلة من الطرزين الهندسيين الاقدمين اي الطرز اليوناني والدوري وفي القرية قبور ترتقي الى متوسط القرون

— رشكيدا —

ان كنيسة رشكيدا تستحق الذكر بجمالها ولها رواق واسع وهي على اسم القديس جورجيوس

—حدثون—

لم تبق عوامل الايام من كنيسة حدثون القديمة الا بعض الاخربة وهذه الاخربة تضعضعت لما بنيت الكنيسة الجديدة وتلك البقايا التي كانت قد وصفها الخوري نعمة نصار بقوله انها كانت ذات ثلاثة اسواق وفيها سبعة ابواب لجهة الغرب ضمن دهليز متقن وباب لجهة الجنوب وله ايضاً دهليز خاص به وباب للشمال ضمن دهليز طبيعي منقور في الصخر وبابان على جانبي الخيمة وكانت غاية في الحسن

ومن الكنائس القديمة كنيستان في اهدن وعبد الله كلتاهما على اسم القديس جاورجيوس

وكنيسة في بحديدات على اسم مار تادروس منقوش على جدرانها صور الكاروبيم

وكنيسة كفرشليمان المنقورة في الصخر ويظهر انها كانت مدفناً ويوجد نقوش على جانب هذه الكنيسة وفي سقفها

وكنيسة قنوبين التي زينها العلامة الدويهي بالتصاوير والنقوش

الهياكل الوثنية

بعد أن تبوأ قسطنطين الكبير منصة الملك في القسطنطينية رسخت قدم النصرانية في لبنان وأخذت تقوض اركان الهياكل الوثنية ولكن لما

صار الملك الى جليان استأنف الوثنيون فتح الهياكل التي كانت قفلت ويرجح ان هيكل الزهرة في افقا تجدد في ذلك العهد ولما استولى الملك ثيودوسيوس على كرسي الملك امر بقفل جميع هياكل الاصنام

ولما جلس القديس يوحنا فم الذهب على كرسي بطريركية القسطنطينية في بدء القرن الخامس للمسيح ارسل عدداً من المرشدين الى لبنان فلاقوا في بادئ الامر صعوبات جمة ولكنهم نجحوا بعد ذلك في مهمتهم .

ومن ذاك الحين اخذ يتوالى وضع القوانين الكنسية بمساعدة القديسين يوحنا فم الذهب وباسيليوس الكبير ويرجح ان اقدم كنائس لبنان بنيت في عهد الملك يوستنيان

— بشعلي —

في هذه القرية راس عمود على جهاته الاربع كتابات يونانية ذهب اكثرها فلا يظهر لها معنى .

— دوما —

في دوما نواويس ومدافن قديمة على بعضها كتابات يونانية يرجح انها نقشت سنة ٣١٧ م ويستفاد منها ان هنالك دفن كاستور الكاهن الوثني .

— كفرحي —

كفرحي هي قرية على مسافة قريبة من البترون ويظهر انها كانت ذات شأن بدليل ما فيها من الآثار القديمة

ومن جملة آثارها معبد وثني قديم شيدت كنيسة مار سابا في مكانه وداخل هذه الكنيسة صحيفة يستدل من بقايا ما كان مكتوباً عليها ان رجلين احدهما يدعى مونيموس والآخر سيناس اقاما هذا المذبح لاحد الآلهة وان هذه الكتابة كانت سنة ٢٧٠ م

— الكوره —

الكوره من اخصب انحاء لبنان وهي اقدم مقاطعة احتلتها السكان في لبنان

(ومن قراها)

— دار بعشتار —

هي قرية اسمها يدل على انها كانت هيكلاً لعشتروت الهة الفينيقيين

— بزيزا —

يقدر انها منحوتة من بيت عزيز وعزيز احد الآلهة الساميين وفيها هيكل صغير امامه كثير من الاعمدة وقد جعل هذا الهيكل كنيسة باضافة بعض الابنية اليه على اسم سيدة العواميد

— ناووس —

هي قرية كانت على ربوة تعلو ٦٠٠ متر عن سطح البحر شمالي قرية بزيزا وعلى بعد اربعة كيلومترات منها واسمها منحوت من كلمة يونانية معناها الهيكل واطلالها شبيهة باطلال بعلبك ويستدل انها من عهد الرومان وفيها هيكلان كبيران

وقد وجد بين الردم تمثال نصفي يمثل البعل وعلى رأسه شعاع وهنالك مدافن جميلة ونواويس منقوشة تدل على ان تلك الجهة كانت في الاجيال الغابرة حافلة بالسكان ولكنه لم يوجد فيها كتابة يستدل منها علم عنهم

— اميون —

في اميون كهف تحت السراي الجديدة كان قبلاً مدفناً ثم جعل معبداً للقديسة كاترينا وبقرب الكهف اخربة كنيسة عتيقة بقي منها حنيتها فقط وكانت اميون كما هي اليوم مركزاً للروم وقد ذكرها الادريسي في كتابه نزهة المشتاق

— المسيلحة —

هي حصن موقعه فوق صخرة على الوادي المتصلة بالبترون وتاريخ هذا الحصن مجهول ويظن ان الاقدمين كانوا جعلوه مرقباً لحركات العدو

— جبل راس الشقعة —

هو جبل قائم بنفسه ومنقطع عن بقية لبنان ويستلفت النظر عن بعد وفي سطحه قرى عديدة اهمها حامات وقد اتصلت به طريق العربات من بضع سنوات

وفوق هذا الجبل دير سيدة النورية للروم ودير مار الياس حنوش للموارنة ٠

— راس الشقعة —

ربما كان اصل هذا الاسم راس الشكة نسبة الى شكا القريبة منه وهو ينتصب كصخرة داخلة في البحر ويشرف على كل البلاد المجاورة وارتفاعه ٥٠٠ متر وهو يتمثل للقادم من جهة طرابلس كدارعة هائلة

وكان القدماء يدعونه وجه الله كما سبق البيان اما اليونان فدعوه باسم وجه الحجر نسبة الى قرية وجه الحجر القريبة منه والتاريخ يخبرنا ان الآلهة تأنيث الهة الفينيقيين كانت تدعى باسم (وجه بعل) وجبل لبنان نفسه كان مكرماً عندهم كاله يعبدونه ويدعونه (بعل لبنان)

— انفــه —

موقعها براس مستطيل يشبه البرزخ وقد خ... هذا الرأس في عرضه بشبه خندقين نقراً عجيباً في الصخر وهنالك آثار جدران تشبه جوانب

قلعة جبيل مما يدل انه كان يوجد هنالك حصن منيع

وما زال اهل انفه يدعون ذلك المكان بالقلعة و يرجح ان بناة هذه القلعة الصليبيون لما بين آثارها وآثارهم من الشبه

اما الخندقان فيرتقيان الى الفينيقيين وكان اسم انفه قبلاً ترياريس وهو مشتق من اليونانية ومعناه المثلثة الزوايا لشكل رأسها الشبيه بالمثلث المستطيل

وكذلك معنى انفه بالعربية يراد به الراس والشريف الادريسي يدعوها (انف الحجر) وقال عنها ياقوت انها بلدة على ساحل بحر الشام شرقي جبل صهيون بينهما ثمانية فراسخ ولعله يريد جبيل

وقال شمس الدين الدمشقي في كتاب عجائب البحر ان للنصارى في انفه كنيسة عظيمة البناء وفيها بيت يزعمون انه اول بيت وضع باسم مريم في الشام

وكانت انفه في عهد الصليبيين ملحقة بكنتية طرابلس وكان الافرنج يدعونها نفين وكان فيها قلعة هدمها السلطان قلاوون

— القلمون —

موقعها في وسط حديقة كثيرة الزيتون غزيرة المياه وكان القدماء يدعونها قلموس وفيها عدة آثار قديمة و بقايا اعمدة كثيرة

— دير البلمند —

· قالت جريدة المنار دير البلمند من اعظم اديرة الشرق نخراً واضخمها بناء واظرفها موقعاً وان زمن بنائه مجهول وقد نابه ما ناب اكثر الاديرة الارثوذكسية في سورية وفلسطين في غزوة الصليبيين وانه بعد الصليبيين تشتت شمل رهبانه وخرب وبقي خراباً الى سنه ١٦٠٣ م حيث جدد بنائه السيد يواكيم ابن الخوري جرجس مطران طرابلس والبلمند ·

وقالت مجلة المشرق ان انشاء الدير المذكور كان في ٣٠ ايار سنة ١١٥٧ وجعل تحت حماية البتول الطاهرة سيدة بلمونت (الجبل الجميل) وقد اتخذه اهل طرابلس كمصيف يقضون فيه ايام القيظ

اما اليوم فلم يعد من هذا الدير العظيم سوى آثار غير مهمة وهي ابنية قديمة في الطبقة السفلى منها ردهة جميلة مقبية طولها اربعون متراً وفي بقية انحائه قناطر ونقوش من طرز القرون المتوسطة ·

— لغات لبنان القديمة —

قبلاً كانت اللغات السامية هي اللغة الشائعة في لبنان وكانت لغة المكاتبات التي ارسلها ولاة صيدا وجبيل وبيروت الى فراعنة مصر بابلية ·

وقد بقيت اللغتان الارامية واليونانية فيه اكثر من ألف سنة وناوبت

فيه البابلية والارامية والفينيقية والعربية

وابن العبري يقول ان اللغة السريانية كانت في القرن الثالث عشر كلغة البلاد الا ان اللغة العربية كانت سريعة الانتشار فغلبت السريانية

وبقي اهل بشري وحصرون وجوارهما يتكلمون بالسريانية حتى القرن السابع عشر

وكثيرون بعد خمولها اتخذوها لكتابة المؤلفات العربية ولم تزل لهجة اهالي شمالي لبنان تدل عليها كما انه لم يزل بعض اهالي معلولا وصيدنايا يتكلمون حتى اليوم بالسريانية ·

﴿ اقسام لبنان ﴾

لو اردنا ان نقسم لبنان بحسبما كان مصطلحاً على قسمته في القرون المتوسطة للزمنا ان نوسع في نطاقه لانه كان حينئذ يمتد الى جبل الصلت والى جبل الكرمل

ومهما يكن من الامر فانه يتعذر علينا اثبات وجه الصحة لان لبنان اذ ذاك كان يشتمل على عدة ممالك غير مستقرة على حال لان الاشوريين واليونان والرومان بدلوا كثيراً في هيئة التقسيم بعد ان استولوا على تلك القطعة التي اطلقوا عليها اسم (لبنان)

وبناء عليه فاننا نلتزم الحالة الادارية التي كان عليها لبنان الصغير والتي اصبح عليها اليوم لبنان الكبير في التقسيم ولكي لا يضيق علينا مجال

البحث بالتزام الحدود الواردة في ذلك التقسيم راينا ان نستوفي الكلام عن احواله يوم كان واسع النطاق لنعلم شيئاً من امر من عمره من الخلق ولهذا فاننا نثبت المقالة الآتية نقلاً عن كتاب ذخائر لبنان

= مقالة في تاريخ لبنان القديم =

يسرنا ان نرى العقول السامية من بني الانسان سالكة في سبيل الارتقاء في المعارف مستطلعة من اسرار الخلق ما لا ينكر نفعه في معرفة الانسان نفسه في كل طور من اطوار وجوده على وجه البسيطة من يوم أن كان ساذجاً فطرياً حتى اليوم فلولا تلك المعرفة لما تيسر له اصلاح المختل من امره واستكمال الناقص من شؤونه فمستقبله مقيس على ماضيه ومن ذلك الارتقاء . الارتقاء الحاصل في علم طبقات الارض وما انطوى فيها من اسرار التكوين ومن آثار الآدميين الأُول التي كانت معايشهم من الصيد ومأويهم المغاور فقد كان للبنان ومغاوره وكهوفه حظ من سكنى تلك القبائل الفطرية التي ابقت لنا من آثارها ما هو ناطق بجهلها استخدام المعادن لقضاء حاجاتها في معايشها واقتصارها على قطع الظرّان والصوان المنحوت وما خربشته ايديها من عظام وخزف في الاستعانة على قضاء تلك الحاجات وابقت من عظامها وعظام مأكولاتها ما يدلنا على طريقة معاشها

فذلك الطور هو الطور الحجري او طور الظرّان وقد بحث في ما كان منه بلبنان بعض السياح من علماء طبقات الارض بحثاً كشفوا به

شيئاً من اسراره وبقيت اسرار كثيرة غير مكشوفة اما لامحاء الآثار الدالة عليها واما لما هو معلوم من جهل الباحثين لمواقع تلك الآثار لانهم غرباء (والغريب اعمى ولو كان بصيرا)

ومما يزيد هذا البحث صعوبة هو ان كثيرين ممن يعرفون تلك المواقع لا يدلون عليها اما طمعاً في كنوز المال واما لكونهم جهلوا اماكنها بعد ان قلبوا رسومها وبددوا اروميا في سبيل البحث عنها

وبالجملة فانه يتبين مما وصلوا اليه من البحث الجيولوجي في مغاور عدلون بين صور وصيدا وفي ناحية عقبيه وفي مغاور نهر ابراهيم وفي كهف عند نهر الجوز وفي مغاور وادي انطلياس وفي الضفة اليسرى من نهر بيروت على مقربة من الجسر وفي ضواحي طرابلس وفي مغارة جعيتة وفي مغارة حراجل ما بين ميروبا وفاريا وفي الراس المجاور لمصب نهر الكلب وفي رأس بيروت وفي ناحية نهر الزهراني على بعد ساعة من صيداء وفي ناحية المامِلتين ان سكان لبنان قبل طور المدنية تركوا لنا آثاراً مستحجرة من شفار للقطع ومخارز ومقاشط ومجارف وغير ذلك من صوان ومن ادوات من الخزف صقيلاً اوغير صقيل ومن عظام الحيوانات مما كانوا يصيدون اكلاً لهم [1] ومن عظامهم ايضاً

ثم ان لبنان بعد ذلك الطور مثل سائر البلدان يغشى تاريخه القديم

---

(١) الظران او الطور الحجري في فينقية للاب غ م زمفون عدد ٣ وعدد ٨ من مجلة المشرق لسنتها الاولى

(نريد تاريخ نشأة الطوائف التي عمرته الى الزمن الذي سقطت فيه صيدا وهو منتصف القرن الثالث عشر ظلمة كثيفة لا نستطيع ان نستشف من ورائها شيئاً من الحقيقة الا ان نستعين بما ورد في التوراة وما بقي لدينا من اقوال سنكن يتن المؤرخ الفينيقي البيروتي (١) وفيلون الجبيلي وبماذاع من الخرافات والتقاليد وان كانت في حد نفسها لا يصح الاستناد اليها بوجه من الوجوه ولكنها كثيراً ما يستدل بها الناظر المحقق على امر من الامور يصح درجه في جملة الحقائق التاريخية . في استطلاع كثير من الحقائق . اما التوراة فقد ذكر فيها لبنان في عدة مواضع يظهر منها انه كان داخلاً في بقعة ارض نسل ابرهيم اي ارض الميعاد فقد جاء في الفصل الخامس عشر من سفر التكوين في العدد (١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ لنسلك (نسل ابرهيم) اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات وسامكنكم من القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والاموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين (٢)

---

(١) سنكن يتن هو في راي غالب العلماء بيروتي وذهب البعض الى انه كان في القرن العشرين ق م والبعض الاخر الى انه كان معاصراً لموسى النبي وقال بعضهم انه كان يوم تداعت العبادات الوثنية الى الاضمحلال ومهما يكن من الامر فانه كشف اموراً تاريخية قديمة يمكن الاستناد اليها

(٢) كان الحثيون مستوطنين ما بين العاصي والفرات وجبل الاكام وفريق منهم كانوا بحبرون وهو الخليل اليوم وما جاوره وهؤلاء هم الذين وعدالله ان يمكن نسل ابرهيم منهم والفرزيون يراد بهم سكان القرى قيل لهم ذلك تمييزاً لهم عن اهل المدن واليبوسي المراد بهم عشيرة قائمة براسها من عشائر الكنعانيين فان موسى لما عد عشائر

وجآء في سفر العـدد في الفصل الرابع والثلاثين منه (عدد ٣ — ١٢) يبتدي لكم الحد الجنوبي من برية صين على جانب ادوم وهو جبل سعير الذي يمتد الى الشرق والجنوب من البحر الميت وقد انتقل اليه عيسو بعد افتراقه عن اخيه يعقوب بسبب ضيق الارض على مواشيهما كما يتبين من الفصل الخامس والثلاثين من سفر التكوين وقال بعضهـم ان عيسو سمي ادوم نسبة الى احتلاله في هذه البقعة التي كانت تسمى ادوم قبله على ما يظهر من بعض الآثار وقد ورد في التوراة في الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين عـدد ٢٩ و ٣٠ وطبخ يعقوب طبيخاً فاتى عيسو من

كنعان لم يذكر عشيرة لكنعان بهذا الاسم (تاريخ المشرق للعالم لنورمان ص ١٢٠) وجاء في كلمة (الفرزيين) من معجم الكتاب لكلمت ان الفرزيين شعب قديم كان مقيماً بفلسطين مختلطاً مع الكنعانيين وان الادلة غالبها يدل دلالة كافية على انهم من نسل كنعان ولكنهم كانوا غير مستقرين في مكان بل رحالاً ينزلون تارة هنا وطوراً هناك ومعنى اسمهم المشتتون والمفروزون او سكان المزارع والقرى وكانت محالهم بعبري الاردن مختارين الحزون والسهول والرفائيون هم الجبابرة المعبر عنهم في الآثار الكلدانية بكلمة (كبرو) او جيبور كانت مواطنهم في بلاد باسان مما وراء الاردن والاموريون كانت مواطنهم في جبل افرائم و يهوذا لما استولى بنو اسرائيل على ارض الموعد وكانوا قد بلغوا غربي البحر الميت وعبروا قبيل عهد موسى الاردن وشيدوا مملكة باسان وحشبون وجاء في الآثار المصرية ذكر لفصيلة امورية تسكن جهة قادس وعند منبع العاصي في الشمال من بعلبك والجرجاشيون كانوا ساكنين عبر الاردن وامتدت سكناهم الى الجليل وجبل الكرمل وورد ذكرهم في الآثار المصرية ويظن ان بحيرة الجرجسيين وهي « بحيرة طبرية » منسوبة اليهم واليابوسيون سكنوا اولاً المحل الذي سمي بعدئذٍ اورشليم « اه ملخصاً عن تاريخ سوريا للعلامـة المطران يوسف الدبس

الجبل وهو قد اعيا فقال عيسو ليعقوب اطعمني من هذا الاحمر لانني قد أعييت لذلك دعي اسمه ادوم[١] بمعنى الاحمرار) فيكون من طرف بحر الملح شرقاً ثم يستدير لكم من جنوب عقبة العقارب ويمر الى صن[٢] وينفذ من الجنوب الى قادش برنيع ثم ينفذ الى حصرادار ويمر الى عصمون ثم يستدير الحد من عصمون الى نهر مصر نافذاً الى البحر واما الحد الغربي فيكون لكم البحر الكبير تخماً هذا يكون لكم تخم الغرب وهذا يكون لكم التخم الشمالي تخطون لكم من البحر الكبير الى جبل هور ومن جبل هور تخطون الى مدخل حماة ويكون منفذ الحد الى صدد[٣] ثم ينفذ الى زفرون[٤] وينتهي الى حصر عينان الى شافام ثم يهبط من شافام الى ربلة شرقي العين وينحدر ويماس جانب بحر كنارة شرقاً ويهبط الى الاردن وينفذ الى بحر الملح وجاء ايضاً في سفر تثنية الاشتراع في العددين السابع والثامن من الفصل الاول منه ما يثبت دخول لبنان في بقعة ارض الميعاد حيث قال فتحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الاموريين وكل ما يليه من القفر والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر ارض الكنعانيين ولبنان الى النهر الكبير نهر الفرات انظروا اني قد جعلت الارض بين ايديكم

---

(١) ادمه بالعبرانية معناها التراب الاحمر

(٢) هي واقعة بحسب راي اللجنة الانكليزية العلمية التي ارسلت الى راشيا تحت رياسة العالم هنري بلمر سنة ١٨٦٨ في عين قادش في جبل معرة

(٣) قرية من حمص في بادية تدمر

(٤) هي في برية حمص

فادخلوا واملكوا الارض التي اقسم الرب لابآئكم ابرهيم واسحق ويعقوب ان يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم والاموريين في قوله وادخلوا جبل الاموريين هم ولد الاموري الرابع من ابناء كنعان وجبلهم غربي البحر الميت ومدينتهم حصاصون تامار ومعناها مدينة النخيل والمظنون انها المدينة المعروفة الآن بعين جدي وهي غربي البحر الميت تبعد قليلاً عن اريحا وايضاً فانه مما يثبت ذلك ما ورد في العددين الخامس والسادس من الفصل الثالث عشر من سفر يشوع حيث قال وارض الجبليين وجميع لبنان جهة مشرق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون الى مدخل حماة كل سكان الجبل من لبنان الى مياه مسرفوت كل الصيدونيين ساطردهم من وجه بني اسرائيل وانت تقسمها بالقرعة لاسرائيل ميراثاً كما امرتك والظاهر من هذا القول ان القدماء كانوا يقسمون لبنان الى الشرقي والغربي كما هو مقسوم اليوم

اما اسم لبنان ففي كل حال بقي متداولاً على السنة الناس منذ القدم وما انقطعت الالسنة عنه في بعض الاوقات الا لعلة ما من العلل التي تحدث عادةً في تاريخ البلدان من مثل استيلاء اجنبي يبدل الاسماء ويغير في تقاسيم[1] البلاد ثم عاد ذلك الاسم الى ما كان عليه من كثرة التداول على الالسنة

ثم اذا نظرنا الى الاسماء التي اطلقت على جبل لبنان مرادفة لاسمه لبنان نجدها كثيرة قد تناوله غالبها في جملة غيره من البلدان ففينيقيا مثلا

(١) كما هي الحال اليوم

كانت على الاصح من ارواد الى جبل الكرمل مع بعض لبنان وسورية المجوفة وهي الواقعة بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي وسورية الثالثة وهي الشاملة دمشق وجبل لبنان ثم آرام وهو الخامس من ابناء سام بن نوح فان هذا الاسم كان يضاف الى اعمال عديدة مثل آرام النهرين وآرام دمشق وآرام صوبة وآرام معكة وهي ما يشمل في غالب الظن مرجعيون وبانياس ثم اسم الشام الذي يطلق الان على بلاد سورية بجملتها وهـذا الاسم قد ذهب علماء التاريخ في ماخذه عدة مذاهب اصحها انه مأخوذ من سام بن نوح واصله في العبرانية والسريانية شام او شم . ثم ان اختلاف هذه الاسماء مع عدم تعيين اسمائها تعييناً محكماً يجعل المؤرخ في ريب ويلجئه الى ان يطرق ابواب الحدث والتخمين في الاشياء التاريخية فما ورد في التوراة واقوال المؤرخين من الكلام على الاراميين والفينيقيين والسوريين والشاميين كان في الغالب يتناول اللبنانيين وبناء عليه فأن تاريخ لبنان القديم وسكانه القدماء يمتزج بتاريخ من ذكرنا من هولاء الاقوام ومواطنهم امتزاجاً يتعذر تجريده خلواً من الشوائب وما جاء منه مختصاً ببعض مدن مثل جبيل وبيروت وغيرها هو مشوب ايضاً . ويليق بنا في هذا المقام ان نبين مآخذ الاسماء القديمة وما في هذا من الاقوال

(آرام) وهو اسم الخامس من ابناء سام على ما ورد في سفر التكوين في العدد الثاني والعشرين من الفصل العاشر من هذا السفر كان يطلق على الاراضي التي استوطنها الاراميون وهي الاراضي الواقعة على ضفتي الفرات التي انتزح عنها بعض قبائلهم متجاوزين جبل امانوس المعروف الآن

باللكام الى الانحاء الجنوبية من اسيا الصغرى حتى ليكية وعلى الاراضي الواقعة في شمال سوريا والسفح الشرقي للبنان الشرقي بين الجبل والصحراء فانقسم بذلك الاراميون الى ارامبي الشمال بين الفرات وجبل امانوس وارامبي دمشق او سوريا الدمشقية حول مدينة دمشق الكبيرة. والكتاب المقدس اطلق اسم ارام على قسم كبير من سوريا واضافه كما تقدم الى اعمال عديدة مثل ارام النهرين والمراد ما بين النهرين دجلة والفرات وآرام صوبة وهي على مــا يظن ما بين دمشق جنوباً وحماة شمالاً وآرام رحوب وهي على ما يظن كانت في محل الجولان ولبث هذا الاسم محفوظاً تداوله بين الناس القدماء مدة قرون حتى ان الشاعرين هومير وهسيود والمؤرخ استرابون جاؤا على ذكره مختصاً بالسوريين ولم يمح هذا الاسم الا عند ظهور النصرانية

سوريا

قال العالم مسبيروانه من يوم اتى تطمس الاول ابن امانوثيب بالمصريين الى اسيا لافتتاحها كانت البلاد التي تجاوزها فيما وراء خليج السويس تدعى سوريا وذلك قبل المسيح بالف وسبعمائة سنة ونيف وقال بروغش ان اسم سوريا مخفف اسيرية سميت كذلك بعد استيلاء تجلت فلاصر الثاني على اعمال سورية وذلك (من سنة ٧٤٥ الى ٧٢٧ ق٠م) ثم استيلاء سرغون عليها (من سنة ٧٢٢ الى ٧٠٥ ق٠م) وقال هيرودوت

(الذي ولد سنة ٤٨٤ ق٠م) ان لفظ السوري مختصر من الاشوري او الاسوري بالسين المهملة وقال الاب دي كارا ان الاولى باسم سورية ان يكون مأخوذاً من اسور او اسوريم ابن داوان بن يقشان بن ابرهيم من قطورة بدليل ان الذين اتوا فينيقية واسسوا مدينة صور كانت مهاجرهم بشمال بلاد العرب وان الاسم اشور اواسور سمي به احد اعمال بلادالعرب وقد جاء في الاثار المصرية ذكر قوم اسمه اسور حالف الحثيين سكان شمال سورية يوم محاربة رعمسيس الثاني ملك مصر في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وقال ايضاً انه وجدت صفيحة بمصر كتب عليها بالهيروغلفية روثانو وباليونانية سورية وبلغة الشعب المصرية اساواسور ومعلوم ان الروثانو يطلق على سكان سورية الشمالية وقال ايضاً ان هذا الاسم مدروج في عداد الذين قهرهم رعمسيس احد ملوك الدولة التاسعة عشرة في مصر مكتوباً على جدار هيكل ادفو بمصر وذلك كله يدل على ان تسمية البلاد بسورية هي اقدم عهداً من عهد علما اليونان المعروفين وقيل ان اول من نقل الاسم ارامي الى سوري هم اليونان فانتشر هذا الاسم في جميع العالم بسبب انتشار اللغة اليونانية وقد محي اسم الارامي بعد افتتاح الاسكندر البلاد وحلَّ محله اسم السوري فان اليونان كانوا يبدلون في الحروف الهجائية ويغيرون في اوضاع الالفاظ بحسبما يوافق لغتهم ويسهل عليهم لفظه فجعلوا اشورية اسورية ثم سورية وقال البعض ان اليونان اتخذوا اسم سورية من صور لان اهل صور كانوا معروفين عند اهل اغريقية اكثر من غيرهم من سكان سواحل لبنان وذلك عند ظهور اسم سورية وكيفما

كانت البواعث على هذه التسمية فان الاسم اجنبي لا وطني

كنعان

هو كنعان بن حام بن نوح كما ورد في سفر التكوين في العدد الثامن عشر من الفصل التاسع من هذا السفر وفي العدد العاشر من الفصل السادس منه وقد سمي سكان جانب كبير من لبنان باسم كنعانيين فان القبائل الكنعانية على ما قال مسبيرو قد انقسمت بعد الفتح المصري الى فريقين فريق منهما استوطن في الوديان الكائنة في داخل البلاد بين امانوس (اللكام) وسعير في السهول الممتدة من جنوب الكرمل الى الصحراء والى تخوم مصر والفريق الآخر استوطن السواحل بين الكرمل ومصب العاصي وبين جبل لبنان والبحر وقد اختلف الفريقان في العادات والاخلاق باختلاف مواطنهما فالمقيمون في داخل البلاد كانوا اهل زراعة ورعاة بحسب اماكنهم فافترقوا الى عدة قبائل كل قبيلة منها تحارب الاخرى وكانت نار الفتن بينهم دائمة الاضطرام واما كنعانيو السواحل فلانحصارهم بين الجبل والبحر لزموا صناعة الملاحة والتجارة

واما انتجاع الكنعانيين سوريا فقد كان قبل ان يأتيها ابرهيم من اور الكلدانيين اذ جاء في سفر التكوين في العددين الخامس والسادس من الفصل الثاني عشر منه « واتوا ارض كنعان فاجتاز ابرام في الارض الى

موضع شكيم والى بلوطة ممرا والكنعانيون حينئذ في الارض» فكان انتجاعهم ذلك قبل القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد وهو القرن الذي جاء فيه ابرهيم من أور الكلدانيين او بعده بقليل وقد ذهب لانورمان الى ان انتجاعهم ربما كان في اواسط القرن الثالث والعشرين ق.م. لانه في ذلك الزمان ثار العيلاميون على الكوشيين في بابل وانحائها فانتزح الكنعانيون عن مواطنهم في جوار ولد عمهم كوش واما هيرودوت المؤرخ اليوناني فقد جاء في تاريخه ما يفيد انه كان للكنعانيين اثر في سوريا قبل ذلك العهد بكثير وهو هيكل ملكرت الشهير في جزيرة صور فانه بني فيما رواه هذا المؤرخ نحو سنة ٢٧٥٠ ق.م واما العالم الفرنسي شباس فقد ترجم البابير[1] المندرج فيه كتاب العامل المصري الى مولاه منيمهات الاول من ملوك الدولة الثانية عشرة في مصر الذي ارسله الى بلاد ادوم وجرار وغيرهما من الاعمال في جنوبي فلسطين ليتجسس امورها ويستكشف احوالها ولم يرَ في ذلك الكتاب ذكر الكنعانيين وارداً في جملة من كانوا في تلك الايام ايام الدولة الثانية عشرة ساكنين في تلك البلاد من الساثيين والجبابرة والساثيون هم من القبائل السامية واما مهاجر الكنعانيين فهي على ما رواه هيرودوت ماخوذاً عن التقاليد الفينيقية وما تلقاه استرابون من تقليد سكان بلاد العرب الجنوبية وفيما أخذ من الآثار القديمة واقعة على شاطىء خليج العجم في جوار ولد عمهم كوش وقد قال بلين انه كان في ايامه عمل على ذلك

---

(١) البابير هو الورق البردي الذي كان يستعمله المصريون ومنه اخذ اسمه بالافرنجية

الشاطي يسمى بلاد كنعان وذكر استرابون جزيرتين هناك كانتا تسميان صور وارواد وقال ان بهما هياكل تشبه هياكل الفينيقيين اما اسباب ارتحالهم فقد اختلف المؤرخون فيها فقال هيرودوت ان السبب هو حدوث زلزلة شديدة في البلاد التي هاجروا منها وقال مؤرخو العرب فيما رواه العالم برسفال في كتابه تأريخ العرب قبل الاسلام ان السبب في انتزاحهم حرب اضطرمت نيرانها بينهم و بين سلالة نمرود وروى لانورمان ان الكنعانيين هجروا مواطنهم بما وقع لهم مع الملوك الكوشيين من النزاع

ينتج من كل ما تقدم انه مهما تضاربت آراء المؤرخين فيما يتعلق بمهاجر الكنعانيين والاسباب التي بعثتهم على المهاجرة قد اتفقت على ان هؤلاء الاقوام اتوا سورية من بلاد اخرى وان سورية كانت قبلهم قد اهلت باقوام آخرين

﴿ فينيقيه ﴾

ان الكنعانيين سكان السواحل قد سموا فيما رواه مسبيرو فينيقيين وان هذه التسمية بحسب التقاليد اليونانية مشتقة من فينكس ابن اجنور واجنور مرادف بيل اله الفينيقيين وقد ذهب جمهور من المؤرخين الى ان فينكس انما يراد بها الشعب الاحمر وهذا اما لان الفينيقيين استوطنوا وقتاً طويلاً سواحل البحر الاحمر (الاريتره) واما لانهم انشأوا معامل للمنسوجات

الارجوانية في محالهم التجارية واما لاحمرار لون وجوههم وان الراي المتبع حتى هذه الايام الاخيرة هو ان فنيكس يراد به النخل وفينكسية يراد بها بلاد النخل وقال مسبيرو ايضاً ان فنيكس لفظ توسع فيه مأخوذاً من فون او بوني اسم قديم اتى به الكنعانيون من منازحهم وصحبهم في جميع البلدان التي استقروا فيها فان اقدم الآثار المصرية قد جاء فيها ما يدل على اطلاق اسم بوني على الاقاليم الشرقية لبلاد العرب فكنعانيو الخليج العجمي اتوا باسم فينيقية الى سورية وفينيقيو سورية اتوابه الى افريقية وفينيقيو افريقا نشروه حتى ابلغوه قواصي مستعمراتهم

ان الاسفار المقدسة التي كتبت باللغة العبرانية لم يرد فيها اسم فينيقية بل جاء فيها اسم كنعان و بلاد الكنعانيين واما سفر المكابيين واسفار العهد الجديد فقد ورد فيها اسم فينيقية لانها كتبت باللغة اليونانية والظاهر من ذلك ان الاسم فينيقي يوناني وقد قيل ان تأويله النخل لكثرة النخل في البلاد التي سميت بهذا الاسم ودليله وجود صورة النخل على المسكوكات[1]

---

(١) ان شعار المسكوكات والاوزان يكون في الغالب مما له مزية عند القوم خصوصية كان يكون معتبراً عندهم اوعزيزاً لديهم بما يترتب لهم عليه من الفوائد فمن جملة ما وجد على بعض المسكوكات والاوزان الفينيقية من الرسوم التي اتخذت شعاراً في بعض المدن الفينيقية في عهد السلوقيين اي عهد اليونان الذي يبتدىء سنة ٣١٢ ق.م كمدينة بيروت وارواد واللاذقية رسم شوكة مثلثة الاسنة وهو شعار لمدينة بيروت كثيراً ما يوجد على نقودها منفرداً او مصحوباً برسم دلفين ملتف على نصاب الشوكة وكذلك رسم مرنحة (صدر سفينة) على نقود ارواد وراس خنزير بري على بعض نقود اللاذقية ومعلوم ان الملاحة كان لها المقام الاول عند الفينيقيين

القديمة في فينيقية و بعض مستعمراتها)

وقد افرغ العلماء جهدهم في التنقيب عن اصل لهذا الاسم في اللغة السامية فلم يدركوا المرام وقد وهم العالم بوشار ان فنيق مشتق من لفظ « بني عناق » وهم قوم من الجبابرة الكنعانيين وجدهم الاسرائيليون بارض حبرون كما يتبين ذلك من سفر العدد في العدد الثالث والعشرين والتاسع والعشرين من الفصل الثالث عشر منه ومن سفر يشوع في العدد الحادي والعشرين من الفصل الاول منه والحقيقة ان هذا الاشتقاق بعيد الاحتمال لما في ذلك من مباينة الحروف بين اللفظين وان اسم فينيقي في غالب الظن اطلق على سكان السواحل الذين كثر في ارضهم النخيل وانتشرت معامل منسوجاتهم الارجوانية

وجملة القول ان هذا الاسم قد تسمى به سكان سواحل لبنان زمناً مديداً كانوا فيه بالغين اقصى درجات العمران والحضارة بين امم تلك القرون الخوالي وكانت سفنهم تتهادى فوق امواج البحار وما لغيرهم من سائر الامم والشعوب خشبة طافية فوق الماء لان اول سفينة جرت في البحر (بعد سفينة نوح) انما هي سفينة فينيقية فعدوا لذلك اصحاب

وربما كان راس الخنزير البري رمزاً لما جاء في حكاية ادوني او تموز التي سلف ذكرها في ما تقدم من الفصول

وقد وجد الدكتور جول روفيه احد اساتذة المكتب الطبي للاباء اليسوعيين ببيروت وزناً عليه رسم تلك الشوكة وكتب مقالة في هذا الشان مدرجة في « مجلة المشرق عدد ١ ص ٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠١ »

اكتشاف [١] الملاحة في البحار وقد بلغت تجارتهم مبلغاً من النجاح عظيماً وراجت عندهم الصناعة بما كان يتيسر لهم من نقل سلعها الى غيرهم من الامم وقد كثر عدد سفنهم كثيراً حتى قيل عن صور انها مليكة البحار وربة التجارة وقد اتجر الفينيقيون بصنوف كثيرة ومما رواه النبي حزقيال تتبين هذه الصنوف والبلدان التي امتدت التجارة الفنيقية اليها فقد جاء من كلام النبي على صور « والمراد بها مملكة صور اي فينيقية » في الفصل السابع والعشرين في العدد الثاني عشر منه « ترشيش (يريد اسبانيا) متجرة معك في كثرة كل غنى وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص فاقامت اسواقك » ثم ذكر في العدد الثالث عشر ياوان وتوبل وماشك (وياوان بحسب التقليد العام جد اليونان في اسيا واوربا وتوبل وماشك وردا في الآثار المسمارية باسم تابالي وماشكي فمساكن التباليين فيما قال

(١ ورد في ما بقي محفوظاً من تاريخ سنكن يتن الفينيقي ان اكتشاف فن الملاحة كان اتفاقاً وذلك ان قوماً من الفينيقيين كانوا قاطنين في سواحل سوريا بين آجام كبيرة فحدث ان صاعقة انقضت على رؤوس بعض الاشجار فاتقدت الاشجار بنارها واندلع لسان اللهيب الى مابقي من الاشجار فلما لم يرَ اهل تلك الناحية نجاةً من النار قطعوا ما وصلت اليه ايديهم من اخشاب تلك الاشجار من فضالة النار ثم القوها في البحر وساروا عليها في مجاهلهم وكان قائدهم اوزوروس ثم سعى الملاحون بعد ذلك لتحسين شأن تلك المراكب الاولى وكان القائم بذلك العمل كريزور الذي اشتهر بعدئذ باسم الاله فلكان وقيل ان اول من اكتشف فن الملاحة انما هم المصريون واتخذوا لهم زوارق من نبات البردي لينجوا من النيل في ابان فيضانه السنوي وقد رسمت صورة قارب من القصب البردي رسماً ناتئاً على بعض آثار قدماء المصريين المحفوظة في متحف اللوفر في باريس « مجلة المشرق عدد ٥ ص ٢١٧ »

يوسيفوس بين بحر قزبين والبحر الاسود حيث هي كرجستان واما مساكن الماشكيين فحسب راي الاقدمين كانت في الشمال من اشور)فقال « ياوان وتوبل وماشك متجرون معك وبنفوس الناس وآنية النحاس اقاموا موسمك » وفي العدد الرابع عشر « آل توجرمة بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك » والمراد بآل توجرمة الارمن فمن تقليدات الارمن ان جدهم يسمى ترجموس او ترجوم . وفي العدد الخامس عشر « وبنو ددان متجرون معك . وجزائر كثيرة تجار يدك وقد ادت قرون العاج والابنوس قياضاً لك » والمراد ببني ددان اهل الجنوب من العربية وجزائر البحرين وفي العدد السادس عشر « آرام متجرة معك في كثرة صنائعك وبالبهرمان والارجوان والوشي والكتان والمرجان والياقوت اقامت اسواقك » والمراد بارام ارام الشمال وارام الجنوب بسوريا وما بين النهرين . وفي العدد السابع عشر « يهوذا وارض اسرائيل متجرتان معك وبحنطة منيت والحلاوى والعسل والزيت والبلسان اقامتا موسمك » والمراد بيهوذا وارض اسرائيل بلاد فلسطين . وفي العدد الثامن عشر « دمشق متجرة معك بكثرة صنائعك من اجل كثرة كل غنى لك بخمر حلبون (حلب) وبالصوف الابيض » وفي العدد التاسع عشر « دان وياوان بالغزل اقامتا اسواقك وكان في موسمك حديدهما المصنوع وقصب الذريرة » (وهو يستعمل اما للصبغ واما للتداوي به) وربما كان المراد بدان لضمها الى ياوان جزائر البحر المتوسط . وفي العدد العشرين « ددان متجرة معك بالنمارق » وفي العدد الحادي والعشرين « العرب وجميع رؤساء قيدارهم

تجار يدك بالحملان والكباش والتيوس فانهم بهذه اتجروا معك » وفي العدد الثاني والعشرين « تجار شبا ورعمة متجرون معك وبافضل كل طيب وبكل حجر كريم وبالذهب اقاموا اسواقك» والمظنون ان المراد بشبا قوم استوطنوا على شاطئ بحر عامان وبرعمه قوم سكنوا على الشاطئ الغربي من خليج العجم · وفي الثالث والعشرين والرابع والعشرين « حاران وكنة وعادان وتجار شبا واشور وكلد متجرون معك هولاء يتجرون معك بالانسجة الفاخرة باردية من السمنجوني والوشي وبالنفائس من الثياب المبرمة المشدودة بالحبال المعكومة بين بضائعك » وقد جاء في اقوال هوميروس ان الفنيقيين كانوا يتجرون بالرقيق كما قال النبي حزقيال وقد بحث العلماء في المحال التي ذكرها النبي حزقيال بحثاً طويلاً وفندوا ذلك تفنيداً ليس من شأننا استيعابه في هذا المقام فان الذين كتبوا تاريخ سوريا كالعلامة المطران يوسف الدبس وغيره قد استوعبوا ذلك بالتفصيل وحسبنا ان نقول ان الفينيقيين اتجروا مع اهل آسيا ومع افريقيا ومع اهل اوروبا بتجارة كبيرة في اليابسة والبحار فقد احتكروا التجارة في مصر مدة اربعة قرون بجزية كانوا يدفعونها الى الفراعنة فحمتهم الفراعنة [1] فاتسع نطاق تجارتهم البحرية في ظل تلك الحماية فان الفينيقيين قد انتفعوا من الفتح المصري خلافاً لسائر الشعوب السورية ولم يمسهم شيء من الضرر والاذى في اثناء المحاربات لبعد مواطنهم عن ممر العساكر التي كانت تسير

---

(١) كان من مصلحة الفراعنة ان لا يسيئوا الى الفينيقيين لافتقارهم الى اساطيلهم عند الحاجة

من غزة الى اشدود فمجدو وهذه كانت محطة الحروب بين المصريين والسوريين) ومن هنالك الى قادش الجنوبية ثم بين اللبنانيين الى قادش الشمالية فحماه فحلب حتى كركميش وقد لبث سكان جبيل وبيروت وصيدا وصور دائنين لسلطة الاجانب من الفراعنة منذ عصر تحتمس الاول الى عصر رعمسيس الثاني وكان لهم امتياز ان يتجروا مع مصر وبواسطة ذلك الامتياز تسنى لصيدا بعدما حلت من حيث السيادة بين الفينيقيين محل جبيل ان وسعت في نطاق فن الملاحة وبلغت ذروة المجد والغنى

لما كان الفينيقيون قد كلفوا بجمع الثروة من ابواب التجارة والصناعة مدفوعين الى ذلك بمقتضى حال مواطنهم نزعت نفوسهم الى الاستعمار ولا سيما في ايام سؤدد صيدا فكانت جالياتهم في قبرس ورودس وقد وجد في كريت آثار لهم تدل على انهم استوطنوا هذه الجزيرة مدة من الزمن وكذلك في بلاد اليونان فقد قال هيرودوت عن اهل تابس ذات الابواب السبعة انهم فينيقيون من القوم الذين صحبوا قدموس الى بواتسيا وعلموا اهلها حروف الهجاء الفينيقية وقد ذهب جماعة المؤرخين مذهب هيرودوت ووافقهم لانورمان وخالفهم الاب دي كارا فانه رأى ان الذين اتوا بواتسيا هم حثيون لا فينيقيون وقد كانت للفينيقيين محال تجارية في شطوط الايبره وجنوبي ايطاليا وفي صقلية وقرطاجنة وبلاد العرب والكلدان وارمينية وكانت سفنهم تجتاز بوغاز الدردنيل وبحر مرمرا والبوسفور الى البحر الاسود وتسير فيه حتى تبلغ جنوب جبل قاف فتأتي من هنالك بالمعادن الثمينة ولا سيما الذهب وقد انتشرت معارف الفينيقيين وآدابهم وعباداتهم

في جميع الاماكن التي داستها اقدامهم كما يدل على ذلك ما بقيَ من آثارهم
اما مدن فينيقية السورية فهي ارواد عاصمة الاروادين من بني كنعان
وكان موقعها في الجزيرة المعروفة حتى الان باسم ارواد وماراتوس المعروفة
الان بعمريت [(١)] وسيميرا عاصمة الصماريين وقال لانورمان انها في الجنوب
من عمريت بالقرب من مصب النهر الكبير وعرقة عاصمة العرقيين وهي
معروفة باسمها حتى اليوم وارتوسيا وهي طرسوس او بلدة اخرى تقرب
منها وطرابلس وهي ألتي سماها اليونان تريبوليس اي المدن الثلث وقلموس
والمظنون انها كانت في محل ألقلمون اليوم وجيفارتوس وترياريس ولا
يعلم موقعها حتى الان والبترون وجبيل وهي من اقدم المدن وبانيها بحسب
التقليد الاله ايل و بيروت وهي قد اسسها اهل جبيل وموقعها يظن انه في
محل خلدة الان و يورفيريون ويظن ان موقعهـا في المحل المعروف اليوم
بالجيه وصيدون ألقديمة وهي صيدا ومربتا المعروفة الان بصرفند وصور
واوس واسمها اسكندرونة كما سماها اليونان و كيكينا وكان اسمهـا في ايام
السلوقيين اللاذقية والان تسمى ام ألعواميد واكزيب وهي المعروفة اليوم
بالزيب وعكا وهي التخم الجنوبي لبلاد الفينيقيين وقد انقسمت هذه المدن
على غير تساو بين القبائل على اختلافها فافضى الامر الى ان تألفت منهـا
ممالك صغيرة كل مملكة منها مستقلة عن اخواتها فكانت مملكة الصيدونيين
ومملكة الجبليين ومملكة العراقيين ومملكة السينيين ومملكة الصمريين وفي
بادى الامر كان للجبليين على جميع الفينيقيين سلطـة حقيقية وكان لهم

(١) قال لانورمان انها اعظم ما بقي من آثار مباني الفينيقيين

مملكتان مملكة جبيل ومملكة بيروت فجبيل كانت تفتخر بانها اقدم مدينة في العالم وانها قد بناها الاله ايل في صدر الخليقة في مكان غير المكان الذي هي فيه الان وقد افتخرت بيروت بان بانيها الاله ايل ايضاً وهاتان المملكتان كانتا ضعيفتين لا تستطيعان حفظ استقلالها فاندرستا وأخذت مدنهما واراضيهما ولما ضعفت جبيل لم تلبث صيدون ان اصبحت من اعظم المدن الفينيقية مع انها في اول نشأتها كانت بلدة حقيرة لصيد السمك كما يدل عليه اسمها وكانت في المنزلة دون صور وجبيل وبيروت والذي انشأها بحسب التقاليد انما هو ايل الذي انشأ صور وهو اجنور اليونان

ان الاسباب التي بعثت الفينيقيين على ان يلتمسوا الكسب من ابواب التجارة هي التي بعثتهم على اتقان الصناعة فبينما كان غيرهم من الامم يسعى الى اعلاء شأنه بقوة السلاح في ميادين القتال كانوا هم مشتغلين باتقان الصناعة والبحث عن محسناتها فقادهم الاتفاق الى اكتشاف اللون الارجواني واستخراج مواده من حيوانات بحرية من ذوات الصدف مما كان يوجد على شاطىء البحر بين حيفا وصور وعلى بعض الشواطى اليونانية فكانوا يستخرجونه لصبغ البرفير الذي رغب فيه القدماء واتخذه ملبساً كثير من الملوك ولا سيما ملوك اشور وارام وبابل وفارس ومدين كما يتبين لنا ذلك مما ورد في نبوات حزقيال وارميا ودانيال وكانت الملابس من هذا الصنف ينفق في اثمانها اموال كثيرة حتى قيل ان احد قياصرة الروم لما سألته زوجته ان تلبس البرفير ابى ذلك عليها لما ان الدولة تتحمل به

نفقة كبيرة [1] وقد مهر الفينيقيون في صناعة الصبغ على اختلاف انواعها وتوفرت لديهم مواد الصبغ فكانوا يأتون بنوع من النبات من بلاد العرب لونه كالارجوان

ومن اشهر المصنوعات الفينيقية الزجاج وقد قيل ان المصريين سبقوهم الى استنباطه ولكن الزجاج الذي كان يصنعه المصريون لم يكن شفافاً كالزجاج الفينيقي واما معامل الزجاج الفينيقي فكانت في صيدا وصرفند ويوجد في متاحف اوربا كثير من مصنوعاتها مما يتبين منه مهارة الفينيقيين في هاته الصناعة وقد اشتهر الفينيقيون بصناعة النقش والحفر وعمل الآنية الخزفية والمصنوعات المعدنية ولا سيما الصفر (النحاس الاصفر) ويؤيد ذلك ما جاء في الفصل السابع من سفر الملوك الثالث اذ قيل « وارسل الملك سليمان فاخذ حيرام من صور وهو ابن ارملة من سبط نفتالي وابوه رجل من صور صانع نحاس وكان ممتلئاً حكمة وفهماً ومعرفة في عمل كل صنعة من النحاس فوفد على الملك سليمان وعمل كل صنعته » وما جاء ايضاً في الخطوط الهيروكليفية على عهد الدولتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة في مصر من ذكر آنية النحاس من صنع الفينيقيين موصوفة بكونها بديعة الصناعة مستكملة الاتقان وجاء في كتاب استرابون ان الفينيقيين كانت تجارهم تبعث الى جزائر بريطانيا اسلحة من الصفر وآنية خزفية وقد وجد في جزيرة قبرس وفي تسكانا من اعمال ايطاليا كؤوس مصوغة من معادن ثمينة بايدي الصاغة الفينيقيين

---

(١) كان بعض الرؤساء الروحيين اليوم اتخذوا هذا اللون ملبساً لهم اقتداء بالملوك الاقدمين

وذكر النبي حزقيال ان الصوريين كانوا بارعين في صنع العاج ومعلوم انه لم يكن عسيراً عليهم استجلاب اسنان الافيال وقد بلغوا بتجارتهم الهند وشمالي افريقيا وقد اشتهر الفينيقيون بصنع الاطياب ايضاً

تبين لنا مما تقدم ان ارض الفينيقيين لم تكن خصبة وسهلة المراس مثل ارض غيرهم من اقربائهم الكنعانيين والاراميين ومع ذلك فان زراعتها كانت متقنة ولم تزل اثار الاصلاح بادية فيما اشتغلت به ايديهم منها كما يتبين هذا في ارض سواحل لبنان ولا سيما الجنوبية منها فانها مقطعة بجدران تقطيعاً يصون ترابها ويسهل مراسها لنصب الكروم فيها ومهما غيرت الحوادث الطبيعية من حالتها وقلبت سيول الامطار من وجهها المتحدر وغيرت اشجار الغابات من وضعها فانه لا يغرب عن الناظر المحقق اثر ذلك التقطيع بتلك الجدران لانه لم يعفُ بل هو باق ينطق بمهارتهم واجتهادهم وذكر لانورمان كثرة كروم العنب للفينيقيين في ضواحي صور وصيدا وبيروت وجبيل وانهم كانوا يعصرون منها ومن عنب لبنان خمراً جيدة فاقت بشهرتها في ايامها جميع اصناف الخمر حتى رغب اهل رومية وبلاد اليونان فيها كثيراً وقال رنان انه اكتشف في ضواحي صور آلات للحراثة بالغة في المتانة والاتقان مبلغاً تفوق به غيرها من الآلات المستعملة اليوم وليس بكبير على الفينيقيين ان يصلحوا ارضهم ويصنعوا لها مثل تلك الآلات وقد اشتهروا في فن الكسب من ابواب التجارة والصناعة ونما فيهم الميل الى الاقتصاد والتدبير فلا غرو انهم لم يدعوا شيئاً لهم ربح منه الا اتوه واستدروا المنافع منه بقدر ما وصل اليه امكانهم

ان الفينيقيين فيما اجمع القدماء عليه هم اول من وضع الكتابة بالحروف وجاؤوا بها اليونان وقيل انهم اخذوها عن الخطوط الهيروكليفية واثبت هذا العالم شمبوليون الذي اشتهر بحل الرموز الهيروكليفية وروى هيرودوت ان الفينيقيين الذين صحبوا قدموس الى اليونان ادخلوا بين هؤلاء علوماً مختلفة منها علم حروف الكتابة واثبت هذه الرواية ديودور وتاسيت وميلا و يوسيفوس وكلامانس والكسندر يتوس واوسابيوس وقال رنان ان حروف الفينيقيين كانت صنفاً من جملة اصناف البضائع التي كانوا يشحنونها وجاء في كتاب لانورمان ان الحروف الفينيقية هي ام لجميع الحروف فمن هذه الحروف ما تفرع عنها مباشرة ومنه ما تفرع عن فروعها والسبب في ذلك كله اسفار الفينيقيين للاتجار فانهم اذاعوا حروفهم في معظم المعمور من الارض كما نشروا تجارتهم فيه اما لغة الفينيقيين فسامية وان كانوا كنعانيين وهي اخت اللغة العبرانية التي تكلم بها العبرانيون من الساميين واخت اللغة العربية التي تكلم بها العرب من الساميين ايضاً اما علوم الفينيقيين فلاشك انها كانت اوسع نطاقاً من علوم جميع الامم في تلك الاعصر القديمة لانه يستحيل ان يبلغ هؤلاء القوم ما بلغوه من اتقان التجارة والصناعة ما لم يكونوا قد برعوا في العلم فان الحركة الفكرية التي دفعتهم الى استيفاء معدات الحضارة ساقتهم الى مباحث العلم ولكن لم يبقَ لنا من اثار علومهم ومن كتبهم شيء يذكر الا ما ترجمه فيلون الجبيلي من كتاب سنكن يتن البيروتي وما نقله اوسابيوس و برفير الدمشقي من بعض المقاطيع منه وهو يشتمل على الكلام في اصل العالم ومولد الالهة الفه سنكن يتن واتحف

ايبعل ملك بيروت به . اما ديانة الفينيقيين[١] فلا يعلم من امرها الا ما دلت عليه اقوال سنكن يتن وما وجده الباحثون من المسكوكات والاصنام الصغيرة في قبرص

قال اوسابيوس «ان من المعلوم الثابت ان الفينيقيين والمصريين هم اول من جعل الالوهية في الشمس والقمر والكواكب وصرح بانها علة للحيوة والموت» اما المصريون فكانوا يسمون معبودهم الشمس رع او عمون رع والكنعانيون يسمونه بعل شمائيم اي رب السموات واما الاسم الذي انتشر اكثر من غيره من جميع الاسماء فهو ايل اي القوي والاول وهو الذي كان الجبليون يسمون به اخص الهتهم وقد جرى هذا الاسم على السنة الآراميين والكنعانيين والعرب ونطق به يسوع المسيح وهو على الصليب حيث قال (ايلي ايلي لماذا شبقتني) يعني الهي الهي لماذا تركتني وهو اقدم من غيره من الاسماء وربما كان اراميا نطق به الجبليون القدماء قبل سؤدد الفينيقيين والاتفاق في هذه التسمية بين العبرانيين وسائر قبائل الاراميين وبين الجبليين يدل على وحدة اصلهم من سام . وقد اتخذت العشائر الارامية والكنعانية اسماء اخرى كل اسم منها يدل على

---

(١) قال برو « مجلد ٣ صفحة ٧٦ » من بحث في ديانة الفينيقيين وجد انهم اخذوا معبوداتهم واسماءها عن الكلدان لانهم اتوا من جوارهم وكسوها بملابس مصرية لانهم كانوا في اول امرهم خاضعين لمصر

قلنا وقد وقف القارئ الكريم على بيان واسع في الديانة الفينيقية فوق ما سيجيء من وصفها

صفة من صفات الالوهية فالحثيون الشماليون سموا الاله ست اوستخ وارادوا به القدير على كل شيء وبعض الاراميين هدد وارادوا به الواحد الاحد والعمونيين ملوك (ملوخ) وارادوا به الملك والمتسلط وغير ذلك كثير مثل عليون اي العلي وبعل اي السيد وادوني اي سيدي وايون اي الازلي وكبير اي الكبير وقدم اي القديم اما اليهود فهم وحدهم الذين حفظوا للاله الاسماء بمعانيها الحقيقية المطلقة خلافاً لجميع القبائل الكنعانية والارامية فانهم عددوا الالهة بتعداد الصفات وجعلوا منها ذكوراً واناثاً يتزوجون ويتوالدون ولم يكتفوا بذلك بل خصصوا الالهة بالامكنة فكان مثلاً بعل صيدا وبعل صور وبعل لبنان وبعل حرمون وبعل دامور وبعل فاغور وبعل زبوب وبعل بيريث وبعل ترز وبعل ترسوس وبعل جاد وبعل حامون وبعل شاليشا وكان كثير منهم يضيفون اسماءهم الى بعل تبركاً به كما كانوا يضيفون اسماءهم الى ايل

اما الحكايات التي اذيعت عن ايل فكثيرة قال سنكن يتن ان ايل طاف جميع الافاق ووزع ممالك الارض على ابناء خاصته كافة وقد نسبت له غزوات كثيرة وكانت له زوج اسمها سميرام فولد له منها بيك فسماه زوس (زفس) اي المشتري فلما بنى ايل اسوار بابل عهد بالحكم الى زوجه سميرام وسار هو بجيش جرار ليفتح المغرب وقد كان له ذلك واخضع جميع العالم لسلطته وانشأ المدن وأقر السلطات وهذب العالم ومن اعظم ما بناه من المدن مدينة نصيبين فيما وراء الفرات ومعناه بالفينيقي الاعمدة ثم بنى مدينة كرونية وهي المعروفة اليوم بمنبج وبلغ ارمينية وضم الى مملكته

جزيرة رودس واكريت وانتصر على سواحل افريقية وتجاوز شطوط اسبانيا حتى بلغ ايطاليا ثم انتهى الى صقلية حيث مات ودفن . وجملة القول ان ايل الذي كان له المظهر الاول والشأن الاعظم في مدينة جبيل تسلط على عالم الاقدمين تسلط الاله والملك ومن جملة معبوداتهم ادوني وهو تموز وله حكاية ذكرها عدة من المؤرخين وقد سبق لنا ان اثبتناها في ما تقدم فنجتزئ الان بالاشارة اليها . وقد عبد الفينيقيون عشتروت ايضاً وهي قد اتخذت لها فيما رواه سنكن يتن رأس الثور رأساً وهذا اشارة الى ملكها ولم تنحصر عبادة عشتروت في الفينيقيين بل سرت الى غيرهم من الامم القديمة فعبدوها باسماء مختلفة قيل ان احد المؤلفين القدماء عد من هاته الاسماء ما ينيف عن ثلثمائة اسم تداولتها السن الشعراء

يؤخذ من اقوال لانورمان ان الفينيقيين كان عندهم نوع من التالوث فكان في صور ملكرت [1] وبعل وعشتروت وفي صيدا بعل وعشتروت واشمون وفي قرطاجنة حيث كانت جالية منهم تانيت وبعل حمون واشمون وفي جبيل ايل وادونيس وبعلة جبيل وكان كذلك في مصر فكان في تاب امون رع وهو الاله الاعظم وموت زوجه وخنسو ابنه وكان الثلاثة الهاً واحداً . ثم ان الفينيقيين قد حفلوا اكثر من سائر الامم بامر القرابين وتغالوا فيها حتى انهم كانوا يضحون بابناء نوعهم للالهة قال برو في كتاب له في تاريخ الصناعة في القدم « ليس في آثار المصريين او الكلدان ما يدل على ان هولاء الاقوام اكرموا الالهة بالضحايا

---

(١) ملكرت اصله مالك قربة ملك المدينة اي ربها فجعل ملكرت او ملقرت

البشرية بل انفرد السوريون بذلك ونقلته جالياتهم الى قرطاجنة وكان يسوغ لهم ان يستبدلوا الضحايا البشرية بحيوانات وطيور من الاوالف والدواجن او ان يعتاضوا عنها بشيء من النصب او التماثيل اكراماً للآلهة او بخدمة هيا كلها مدى العمر او شطراً منه · وقال بعض الباحثين في احوال الفينيقيين ان العشائر الكنعانية لم يكن لها في اقدم ايامها هيا كل ومعابد بل كانت تعبد الهتهـا على قمم الجبال والمشارف فتنصب عموداً او صخراً تسميه بيت ايل والحال ان صناعة اشادة الهياكل قديمة في الفينيقيين بدليل قدم عهد الهيكل الذي شادوه في صور وهو هيكل ملكرت واستدعاء سليمان المهندسين الفينيقيين اليه لبناء هيكله واما ايل وبيت ايل وغير ذلك مما يختص بايل فلا يبعد ان يكون مأخوذاً امر العبادة فيه عن الاراميين اسلاف الكنعانيين في بعض المدن الفينيقية مثل جبيل وغيرها ومما يثبت هذا احتفاء الاراميين بهذا الاسم وتبركهم به اكثر من غيرهم من جميع القبائل كما يدل عليه اضافة اسماء ملوك الشام اليه وشيوعه بين اخوانهم بني اسرائيل ثم انهم كما اخذوا عن الكلدان وعن المصريين شيئاً من عبادتهم فكذلك اخذوا عن الاراميين · وقد جاء في سفر الملوك وصف كهنة بعل وعشتروت عند الفينيقيين كيف كانوا في اعيادهم يلبسون ملابس النساء ويخضبون وجوههم ويزججون حواجبهم ويكحلون عيونهم ويعرون ايديهم الى الكتف[1] ويشهرون

(١) لا شك ان زي الديكولته اليوم ماخوذ عن هذه الملابس على ان الكهنة في ذلك العهد كانوا انفسهم يلبسون هذه الملابس والكهنة اليوم يحرمونها

السيوف ويتنكبون الحراب ويتأبطون الدفوف ويرقصون ويضجون ويلوثون شعورهم بالاوحال ويخدشون جسومهم بالسيوف والحراب وكيف فتك ايليا النبي في ثمانمائة وخمسين منهم جمعهم آخاب ملك اسرائيل ليبلو عبادتهم لبعل فذبحهم النبي عن اخرهم حذاء نهر قيشون عند الكرمل كما سيجيء واما ما بقي لنا من اثار الفينيقيين من حيث المباني فهو قليل جداً بالنسبة الى ما بلغوه من الترقي في الصناعة والتقدم في سلم الحضارة وربما كان السبب في ذلك امور منها ان هولاء الناس لم يكونوا يحفلون كالمصريين واهل ما بين دجلة والفرات بالمباني الفخمة الضخمة لكثرة الحجر عندهم وندوره عند هولاء والنادر عزيز في كل ان ومكان او لان الفينيقيين قوم عملوا على مسالمة الناس لينصرفوا بجملتهم الى التجارة وجمع الثروة فحصروا افتخارهم في هاته الوجهة فلم يقم فيهم ملوك يطرقون ابواب الجاه بتوسيع نطاق المملكة بالغزوات والحروب وتكليف الاسرى تشييد الاهرام وما شاكلها من المباني الضخمة حفظاً لاثارهم واحياء لجاههم واما لان المتسلطين على البلاد الفينيقية على اختلاف اجناسهم وتباين مذاهبهم عمدوا الى تدمير تلك المباني لعلة دينية او لعلة اخرى كأن الحاجة اضطرتهم الى اقامة الاسوار من حجار تلك المباني . ومما بعث على قلب الاثار الفينيقية ولا سيما ما كان منها في المدافن من المصنوعات البديعة الصنع في الكنوز فقد قال لانورمان ليس في جميع الاقوام من يحاكي الفينيقيين في دفن الاشياء النفيسة مع موتاهم ويتبين مما كتب على مدفن ملكين من ملوك صيدا وهما تبنيت وابنه اشمون عازار

من الدعاء على من يمس قبريهما باذى ٠ ان سرقة الكنوز من تلك المقابر كانت قديمة العهد وقد استفحل امرها كثيراً في هذه الايام ورب سرقة كنز من تلك الكنوز افقدت العلم باحوال الامم السالفة كنوزاً لا تقدر قيمتها واما مدافن الفينيقيين فقد وجد منها كثير في صور وصيدا وجون وبرجا وهما قريتان في اقليم الخروب وبيروت وجبيل وغيرها من المدن والقرى وهي منقورة في صخور منهـا ما يشتمل على قبر واحد ومنها ما يشتمل على اكثر من قبر

قد اسهبنا في الكلام على الفينيقيين لانهم هم الذين عمروا سواحل لبنان في الاعصر القديمة وكان لهم المقام الاول في الحضارة والتمدن ولكن لما كان غرضنا مقصوراً على لبنان بحسب تحديده الادارى وكان الذين كتبوا تاريخ سوريا قد استوعبوا في كتبهم ما يشفي الغليل من بيان احوال الفينيقيين ومـا حدث لهم مع الاشوريين والمصريين والفرس واليونان والرومان والعرب رأينا من اللازم ان نذكر لمحات مختصرة تتعلق باستيلائها على لبنان كما سيجيء

ولقد عجب بعض المؤرخين كيف ان اسم لبنان بقي من العهد القديم الى الان خلواً من شوائب التحريف والتبديل مما عرا غيره من الاسماء مثل سوريا وفينيقية وغيرهما من الاسماء التي اطلقت على ما اطلق عليه لبنان من الارض وعندنا ان السبب في ذاك البقاء امران عظيمان في جملة امور اخرى اقل عظماً منها احدهما يتعلق بالاحوال الدينية والاخر بالاحوال السياسية اما الدينية فلأن ذكره وارد في الكتاب موارد

الاذكار المقدسة فقد جاء في العدد السادس عشر من المزمور ١٠٣ « تروي اشجار الرب ارز لبنان التي غرسها » وقال النبي حزقيال وغيره من رجال الله في الكتاب اقوالاً يؤخذ منها ان لبنان كان ينظر اليه بعين التكريم والاحترام وزد على ذلك انه كان مظهراً للاله الذي كان له المقام الاول بين آلهة القدماء نريد الاله ايل الذي استغاث به يسوع وهو على الصليب . واما السياسة فلان دماء الناس بالغزو والفتح لم تغسل بياض لمته الذي اكسبه ذلك الاسم فانه كان في غالب الاحيان والاحوال كجزيرة في بحر من الدماء فالاسم الذي وضع له انما وضع لمزية بادية فيه لا يمحوها كرّ الايام وتوالي الاعوام وايضاً فقد كان لخشبه في عالم الدين وعالم الحضارة اثر ذاع اكثر من غيره من الاثار و بقي مدى الادهار مصوناً فصان بذلك الاسم ووقاه فلو سكتت الالسنة عن ترديده لنطق به هيكل سليمان ونشرته سفن الفينيقيين في جميع الاقطار

اما ادعاء بعض اللبنانيين المسند الى ما لديهم من التقاليد ان مهد الانسان الاول في لبنان وان الفردوس فيه فهو مما لم يقم عليه دليل ولم يثبته برهان ومما ينفيه حكم العقل بداهة لانه يتعذر التصديق بان الانسان في حال الفطرة يستطيع ان يعيش في مكان من مثل ما يدعي اللبنانيون ان جنة الفردوس كانت فيه كوادي اهدن المسماة وادي قديشا ولكن هو الميل الى المفاخرة بالاصل يحمل الانسان على ادعاء امور كثيرة لا تنطبق على الواقع فان الهنود يدعون ان الفردوس انما كان بسفح مهاترو من جبال حملايا . وقد قال يوحنا الدمشقي فيما يتعلق بتلك التقاليد « ان عدنا

الالهي وضع اولاً بنوع غير معروف في مكان مرتفع عن الارض بامرها في جهــة كثيرة الاعتدال لا يعتريها ادنى تقلب في الازمنة او الفصول · اما هواؤه فصافٍ ولطيف ونوره معتدل وروائحه ذكية وربيعه وخضرته دائمان وازهاره لا تنقطع وبالجملة فانه يفوق بالبهجة والجمال جميع ما يقع تحت الحس او يخطر في المخيلة » ·

وقس على ما تقدم جميع التقاليد اللبنانية فيما يتعلق بالاباء الاولــين من مثل قايين وشيت وهابيل وغيرهم والذي ذهب اليه غالب العلماء ان الفردوس كان في جوار ما بين النهرين ولم يعينوا المكان تعييناً صريحاً

وقد سالنا احد الافاضل ان نتوخى في كتابنا هذا بيان سكان لبنان القدماء من اي الاصول الثلاثة كانوا أمن سام ام حام ام يافت وسألنا ان نبين ايضاً حقيقة سكانه الحالين أهم من بقايا السكان الاقدمــين · فيتبين لنا مما مر حتى الان ان الذين توطنوا لبنان بحسبما كان عليه في تلك الاعصر القديمة من سعة النطاق هم من الابوين سام وحام وهم الاراميون سكان دمشق وما حولها وسوريا المجوفة وربما امتدوا الى شاطئ البحر فتوطنوا جبيل قبل الكنعانيين والكنعانيون سكان السواحل اللبنانية واما سكان لبنان اليوم فهم طوائف مختلفة يعسر الحاق كل طائفة منها بالسكان الاصليين فان هــذه البلاد كانت قديماً كما قلنا موطن الكنعانيين وغيرهم من نسل سام وحام ثم أتاها الاشوريون والمصريون وبنو اسرائيل والماديون ثم استقلت مدة من الزمان ثم اضيفت الى مملكة مكدونية ثم الى المملكة الرومانية ثم افتتحهـا العرب وبعد ذلك غشيتها

جيوش الصليبيين ثم تملكها التتر والدولة العثمانية على ما سترى فصار سكانها من كثرة تعاقب الاستيلاء عليها وحلول الاقوام المختلفة فيها طوائف من اصول مختلفة

ان اقدم ما اتصل بالمؤرخين من حوادث فينيقية انما هو استيلاء الاشوريين عليها فان ديودورس قال ان فينيقية كانت من مملكة نينوس زوج سميرميس الشهيرة وهو ملك اشور في القرن الثاني والعشرين ق٠م وقيل في القرن العشرين وراى موفرس ان في الاثار ما يدل على اجتياز الاشوريين سوريا وفلسطين مرتين مرة قبل المسيح بالفي سنة ومرة قبل المسيح بالف وثمانماية سنة وليس فيما وراء ذلك شيء ذكره المؤرخون او دلت عليه الآثار القديمة ثم عقب ذلك تسلط المصريين على فينيقية من اواسط القرن السابع عشر ٠م الى اخر القرن الثالث عشر وقيل من اواسط الخامس عشر الى اواسط الثاني عشر فان لانورمان يقول ان المصريين وقد اشتدت عليهم وطأة ملوكهم الرعاة [1] وذاقوا تحت نير

---

(١) كثيراً ما بحث العلماء عن اصل الرعاة ولم تجتمع اراؤهم بعد ذلك البحث الطويل على امر واحد فمن المؤرخين القدماء من قال انهم من العرب ومن المؤرخين العرب مثل ابن الاثير من قال انهم عمالقة من نسل عمليق او عماليق واما اهل البحث في الاثار المصرية والشرقية من علماء عصرنا فلهم في اصل الرعاة اقوال متضاربة فقال بسيوس انهم حاميون من بني كوش اتوا من بلاد العرب المجاورة البحر الاحمر المسماة فوط او بولط ووافقه عليه مسبيرو وقال بروغش لا بل هم ساميون من سورية صحبهم اقوام من اقاليم عديدة وراى دي روجيه وابر انهم ممن تسميهم الاثار المصرية ساتي وعمود والمراد بهذا رعاة اسياويون وقال انهم

ـلطتهم مرارة القسوة والعنف اتوا اسيا الوسطى بعد ما تيسر لهم طرد ملوكهم الرعاة الغرباء وافتتحوها بقلوب ملئها الحقد ونفوس ميالة الى الانتقام وابلغ تطمس الفتح حتى الفرات وآثار فراعنة مصر بادية على صخور نهر الكلب وفي قرية عدلون بالقرب من صور وفي المتحف البريطاني، ورقة بابيروس تتضمن ما يدل على ان مستسفراً مصرياً طاف المدن الفينيقية طوفة ارباب الحل والعقد فاتى جبيل وبيروت وصيدا وسرابتا (اى صرفند) ثم صور ثم حاصور (وموقعها فيما يظن فوق بحيرة الحولة الى جنوبي جبل الشيخ) وكانت صيدا في هذا الزمن ذات سلطة على اكثر المدن الفينيقية واما جبيل فكانت مستقلة بنفسها منفردة في اعمالها وجالياتها في سائر الاقطار منفصلة عن جاليات الصيدونيين وهي فيما رأى موفرس اقدم منها ايضاً

وفي الزمن الذي فيه كانت كلمة المصريين نافذة في فينيقية وسيادتهم مستقرة عليهم خرج بنو اسرائيل من ارض مصر ثم دخلوا ارض الميعاد في منتصف القرن الخامس عشر ق.م وتملكوا البلاد وبعد ان ضربوا احدى وثلاثين امارة كنعانية وكان ما كان من امرهم في ايام موسى وفي ايام يشوع مما رواه الكتاب المقدس وفصله المؤرخون من اليهود من المواقع

من فلسطين وبريات وسائس ولنورمان انهم حثيون واموريون وعيلاميون الى غير ذلك من الاقوال التي استوعبها العلامة المطران يوسف الدبس في كتابه (تاريخ سوريا مجلد ١ عدد ٩٠) والذي ذهب اليه الاب دي كارا انهم حثيون وقد كتب في اثبات رايه هذا مقالات ضافية تدل على ان مذهبه هو اظهر المذاهب

الحربية التي كان النصر فيها حليفاً للاسرائيليين وحرق يشوع حاصور وغيرها ونهب مدناً كثيرة واستولى على جميع ارض الجنوب وارض جوشن والجبل والسهل والعربة من الجبل الاقرع الناتئ الى سعير والى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون · وفي اواخر القرن الثالث عشر ق·م هجم الفلسطينيون (وهم قوم اتوا سورية من كريت في اواخر القرن الخامس عشر) على صيدا ودمروها واسروا اهلها فانتقلت السيادة الى صور · ويظهر ان الفينيقيين في القرن الحادي عشر كانوا مصافين لبني اسرائيل حلفاء لهم حتى انهم كانوا يسرون كثيراً بما كان يناله داود من الفوز على الاراميين والفلسطينيين وقد بعث حيرام ملك صور الى داود بالصناع الفينيقيين والخشب من لبنان وكذلك ارسل الى سليمان بن داود من الفعلة والخشب ومات حيرام سنة ٩٤٤ ق·م وهو في الارجح حيرام الثاني بن ابيبعل بن حيرام الاول ثم خلف حيرام ابنه بعل عازار ثم خلف بعل عازار ابنه عبد عشتروت فتآمر على عبد عشتروت هذا ابناء ظئره الاربعة فقتلوه نحو سنة ٩٢٨ ق·م وخرج الملك من يد سلالة حيرام زمناً يسيراً ثم عاد اليها على يد عشتروس بن بعل عازار بن حيرام فتبوأ تخت الملك ثم مات وخلفه اخوه عشتريم فقتل عشتريم اخوه فالس واستقل بالملك مدة ثمانية اشهر فسطا عليه كاهن عشتروت ايتو بعل وقتله واستبد بالملك وقد استحكمت للفنيقين في ايامه السلطة على بني اسرائيل الذين كانوا يومئذٍ منقسمين وذلك لان امرأة اخاب ملك اسرائيل وهي ايزبعل ابنة ايتو بعل قد تسلطت على زوجها وملكت ارادته فجعلته آلةً في يدها تديره

كيف شاءت وهي كانت تحب ابناء جلدتها الفينيقيين وتعبد ما يعبدون فافسدت عبادة الاسرائيليين وحملتهم على ان يشركوا بالله آلهة الفينيقيين ولبث الحال على هذا المنوال في بني اسرائيل حتى مات يورام سنة ٨٣٠ ق٠م وفي بني يهوذا منهم حتى ايام يوآش الذي رقي منصة الملك سنة ٨٢٣ ق٠م واما ايتوبعل الذي تقدم ذكره فهو الذي (فيما رواه يوسيفوس في كتاب تاريخ اليهود عن ميندر المؤرخ اليوناني الافسسي) بنى مدينة بتريس (البترون ، في فينيقية وهي المدينة التي فيما قال هذا المؤرخ لبثت زماناً طويلاً تصد اللبنانيين في غاراتهم على تلك السواحل الفينيقية وكان ابتداء ملك ايتوبعل فيما رواه لنورمان سنة ٨٣٨ ق ٠ م وانتهاؤه سنة ٨٢٩ ق م

فيتبين مما تقدم من حوادث بني اسرائيل ان معظم ذلك انما كان في الجانب الجنوبي من لبنان والجانب الشرقي منه واما مواطن الفينيقيين فلم يرد من ذكرها في عرض تلك الحوادث الا بعض الشيء مما يتعلق بصور وصيدا ٠ ومعلوم ان موسى قسم الكنعانيين الى جنوبيين وشماليين وجعل صيدا تخماً شمالياً للجنوبيين وجرار وغزة تخماً جنوبياً كما يتبين ذلك من سفر التكوين (فصل ١٠ عدد ٩) ويعلم ايضاً ان العراقيين والارواديين وغيرهم من اهل تلك الانحاء الشماليه كالصماريين والحماثيين كانوا كنعانيين وهم الشماليون ثم انه لم يذكر لاحدى عشائر الكنعانيين مقام بين صيدا وعرقا لا في الكتاب ولا في غيره ويؤخذ من الآثار والتواريخ انه كان بين الكنعانيين والجبليين والبيروتيين محالفة تدل على ان المتحالفين

لم يكونوا من قبيلة واحدة وحيث ان هذه الانحاء كانت لا تستوعب من السكان الا الكنعانيين والاراميين وكان الآراميون اشهر سكان سوريا منتشرين فيها الى دمشق وكانت جبيل فيما يظهر من الآثار والاقاصيص عريقة في القدم وبيروت من مستعمراتها فالسكان الاقدمون في هذه السواحل سواحل لبنان كانوا اراميين حتى غشيت مواطنهم العشائر الكنعانية فاختلطوا بها ولا يعلم متى كان اختلاطهم والمرجح انه كان عند استفحال امر الفينيقيين وانتشار سطوتهم وامتداد ظل تجارتهم . ويظهر ايضاً ان العشائر الكنعانية كانت كل واحدة منها منفردة في امرها مستقلة بتدبير شؤونها ولم تكن لتجمع بينها وبين اخواتها نكبة ولا ملمة ولبثت تلك العشائر كذلك حتى اجتمعت بالجامعة الفينيقية ومع هذا فقد لبثت غير ميالة الى التناصر والتكاثف ثم انه في ايام ايتوبعل الاول في اواسط القرن التاسع قبل المسيح استولى على فينيقية ولبنان احد ملوك الاشوريين اشور نسيربال الذي سيجيء ذكره

ثم مات ايتوبعل الاول سنة ٨٤٤ ق . م بعد ان ملك اربعين سنة ورقي منصة الملك بعده ابنه بعل عازار الثاني سنة ٨٤٤ ق . م ومات سنة ٨٣٨ ق . م فملك ست سنوات وخلفه ابنه موتون فملك تسع سنوات وفي ايام هذا الملك اتى سلمناصر الثالث (وهو ابن اشور نزيربال) فينيقية واخذ الجزية من ملوكها بدليل ما وجد مكتوباً على مسلة نمرود حيث قال « في غزوتي الثامنة عشرة عبرت الفرات المرة الواحدة والعشرين وسرت بجنودي على مدن حزائل ملك دمشق واخذت الجزية من صور

وصيدا وجبيل » فيظهر من كلامه هذا ومن غيره من اقوال المؤرخين ان الحرب اضرمت نيرانها على الدمشقيين واما الفينيقيون فاستسلموا لهذا الملك بدون حرب ودفعوا اليه الجزية وانه لم يدرج في اسماء الملوك الاثني عشر الذين تحالفوا على سلمناصر من اسماء ملوك الفينيقيين الا اسم ماتينبعل ملك ارواد .

ثم ان موتون لما حضرته الوفاة عهد بالملك الى ابنه بيكماليون وابنته اليسار على ان يملكا بالسواء اما بيكماليون فانفرد بالملك وقتل زوج اخته اليسار اذ اوجس منه خيفة فانتزحت اليسار الى ساحل افريقية وعمرت قرطاجنة[1] بالقرب من تونس ولقبت اليسار حينئذٍ بديدو ومعناه الهاربة وحدث في ايام بيكماليون ان رامان نيرار الثالث اغار على فينيقية ومن بعد هذا بات الفينيقيون في سكينة ونعومة بال حتى استوى على عرش اشور تجلت فلاصر الثاني سنة ٧٤٥ ق·م وكان ملك صور حينئذٍ حيرام

---

(١) ذكر يوستينوس المؤرخ اللاتيني ان اليسار سارت اولاً بجاليتها الى قبرس ثم الى سواحل افريقية حيث كانت جالية صيدونية عمرت مدينة كمبه منذ نحو ستة قرون في محل تونس الان او على مقربة منه وكانت الجالية الفينيقية القديمة قد انحط قدرها وكانت تؤدي الجزية حينئذٍ الى ملك من الليبيين يسمى جابون فاشترت اليسار منه ارضاً لجاليتها وعمرت فيها مدينة سمتها « قرية حديثا » اي المدينة الجديدة فكسر اليونان هذا الاسم وجعلوه « كرشيدون » وجعله الرومانيون « كرتاكو » وفي الافرنسية « كرتاج » وسماه العرب قرطاجنة فهذه المدينة بنيت سنة ٨٢٢ ق·م وعلى قول آخرين سنة ٨٦٠ ق·م للسنة السابعة من ملك بيكماليون (تاريخ سورية للعلامة المطران يوسف الدبس ف٤عد١١٩)

الثالث فغزا تجلت فلاصر سورية مراراً وجاء في آثاره اسماء الملوك الذين ادوا له الجزية فكان في جملتها اسم حيرام ملك صور وسيبيتي بعل ملك جبيل وماتان بعل ملك ارواد وفي اواخر القرن الثامن غشي الصيدونيون ارواد وافتتحوها على رضى من ملك صور واقروا جالية منهم فيها افسادوا عليها

ثم خلف حيرام الثالث على عرش صور موتون الاول ولم يحدث في ايام هذا ما هو جدير بالذكر ثم استوى على العرش الولا سنة ٧٢٤ ق.م وحدث في ايام هذا الملك فيما رواه يوسيفوس عن ميننددر ان الشيثيين في قبرس شقوا عصا الطاعة فجهز لهم اسطولاً وسار به اليهم فاخضعهم وان شلمناصر ملك اشور تسلط على فينيقية كلها وان سكان صور القديمة اي صور البرية وعكا وسكان مدن اخرى عديدة ثاروا على الصوريين وعصوهم مستسلمين الى ملك الاشوريين فجمع ملك اشور ستين سفينة بثمانمائة مجذف وسار بها بالفينيقيين لمحاربة الصوريين وكان اسطول هؤلاء مؤلفاً من اثنتي عشرة سفينة فكان الفوز للصوريين فعاد ملك الاشوريين مخذولاً وابقى بعضاً من جنوده يحمي النهر وقنوات الماء لمنع الصوريين من الاستقاء فاضطر الصوريون وقد لبثت الماء ممنوعة عنهم مدة خمس سنين ان يحتفروا آباراً للاستقاء فباتت صور منيعة لم يجد شلمناصر ولا خلفه سرغون الى فتحها سبيلاً واما سرغون الاشوري بعد شلمناصر فلم يتبين من آثاره انه تصدى للفينيقيين وانما غزا الفلسطينيين جيران فينيقي الجنوب وجلا جماً غفيراً منهم الى بلاده وجعل في مكانهم جالية من بلاد الكلدان فجاء ذلك مصداقاً لنبوة اشعيا وقد ضم سرغون قبرص

وهي مستعمرة فينيقية الى مملكته وكان ذلك نحو سنة ٧١٠ ق٠م وكانت مدن فينيقية ما عدا صور تؤدي اليه الجزية اما الولا وقد بدا منه من الثبات في وجه سلمناصر وسرغون ما دل على بسالته وشدة بأسه فقد لبث مجاهراً بعصيان ملوك الاشوريين معللاً نفسه بالفوز والنصر حتى استوى على عرش اشور الملك سنحاريب سنة ٧٠٤ ق٠م وفي سنة ٧٠٠ ق٠م زحف هذا الملك بجيشه الجرار الى فينيقية فاستسلمت له المدن الفينيقية بدون محاربة وادت له الجزية نخضع له عبديليت ملك ارواد ومناحيم ملك شمرون واور ملك جبيل وكذلك ملوك صيدا وسربتا (صرفند) واكو (عكا) واكزيب (الزيب) وغيرها من مدن فينيقية ولما بلغ سنحاريب صور البحرية وملكها الولا همّ الولا بتحصين الجزيرة ونوى محاربة سنحاريب غير انه قد حبط مسعاه هذه المرة وخانته اماله فغلبه سنحاريب وافتتح الجزيرة ففر الولا فأقر سنحاريب في مكانه ايتو بعل الثاني وقد تبين ذلك كله مما كتب على صفيحة يقال لها تيلور ومما جاء في صفيحة اخرى جعلت في متحف القسطنطينية ٠ وصورة سنحاريب بادية على صخر عند نهر الكلب في جملة صور الذين غزوا البلاد الفينيقية فغشي الضعف بعد ذلك مملكة صور[1] ولم تعد تدفعها النخوة والحماسة الى الارتقاء الى ما كانت

---

(١) ذهب لنورمان الى ان خذلان اهل المدن الفينيقية لصور وخيانتهم لها وتحيزهم للاشوريين كل ذلك لم يكن السبب فيه مقصوراً على الخوف من الاشوريين بل كان ذلك ناشئاً عن حسدهم لعاصمتهم صور التي كانت تعامل غير الصوريين معاملة الخدم لها لنورمان (مجلد ٦ ص ٥٢٥)

عليه من السيادة والرفعة وسرت النخوة في عروق مملكة صيدا فهمت بدفع نير سلطة الاشوريين عن عنقها وكان ملك الاشوريين حينئذٍ آسرحدون رقي منصة الملك سنة ٦٨١ ق.م وكان ملك صيدا عبدملكرت فلما احس اسرحدون بما نواه ملك صيدا خف الى صيدا بجنوده فحاصر المدينة بحراً وافتتحها عنوة ففر عبد ملكرت وبعض قومه بسفنهم يعللون انفسهم بالعود الى صيدا بعد جلا الاشوريين عنها فتبعهم آسرحدون بسفن فينيقية وادرك الملك فقتله ودمر المدينة وجلا بعض اهلها الى اشور كما يتبين ذلك مما كتب على صفيحة من صفائح اسرحدون وهو «غزوت مدينة صيدون على ساحل البحر واهلكت سكانها ودمرت اسوارها ومبانيها والقيت انقاضها في البحر وفر عبد ملكوت ملكها ليختفي من وجه سلطتي فقبضته اليَّ وجعلت يدي على خزائنه من ذهب وفضة وحجارة كريمة وجلوت الى اشور عدداً كبيراً من الرجال والنساء واخذت بقراً وغنماً وركائب ودواباً للحمل واقمت سكان ساحل سورية في انحاء قاصية وبنيت في وسط بلاد الحثيين مدينة سميتها دراسرحدون[1] ووطنت فيها القوم الذين قهرتهم في الجبال التي في جهة جبال مشرق الشمس واقمت عليهم احد عمالي حاكماً»

وعدد في اثر آخر الملوك الذين اخضعهم فكان في جملتهم بعل ملك صور وملكي اصاف ملك جبيل وماتان بعل ملك ارواد وصورة اسرحدون

---

(١) معناها مدينة او قلعة اسرحدون

بادية على صخر عند نهر الكلب

وفي اواسط القرن السابع خلعت صور سلطة الاشوريين وملكهم حينئذٍ اشور بانيبال واشترك معها في العصيان بعض مدن فينيقية فحاصر اشور بانيبال العصاة وقهرهم ولبث حصار صور عدة سنين حتى اضطر اهلها ان يشربوا ماء البحر لنفاد مائهم وقد كتب في احدى صفائحه « قد ذللت بعلا (ملك صور) وجعلت نير سلطتي على عنقه واتخذت بناته واخوات اخيه اماء لي ومثل لدي ياملك ابنه خاضعاً لي بتقادم لم يسبق اليَّ مثلها ودفع الي بنته وبنات اخوته رهينة فعفوت عنه وجعلته ملكاً على البلاد »

اما ويكينلو ملك ارواد فانفرد بالمدافعة ولكنه غلب اخيراً فانتحر فراراً من وصمة العار بوقوعه بيد الاشوريين فأسر اشور بانيبال ابناءه وهم ثمانية فقتل سبعة منهم واستحيى اكبرهم اذبعل وجعله على عرش ارواد فلبثت بعد ذلك فينيقية طائعة لاشور بانيبال سائر مدة ملكه . ثم وقع بعد ذلك ما وقع من المحاربات بين الاشوريين والكلدان مما ادى الى خراب نينوى واستقرار الشوكة لنبو بلاسر الكلداني وانقراض الدولة الاشورية واقتسام ملك بابل وملك مادي لها وكان ملك مادي حينئذٍ شيكسر حليف نبو بلاسر غيران نبو بلاسر لما رأى ان ملك مصر نكو قد بلغ بغزواته كركميش وخشي امتداد سلطته الى ما بين النهرين كما فعل سلفاؤه الملوك المصريون ورأى من نفسه ضعفاً عن ادارة الشؤون بنفسه ضم اليه في الملك ابنه نبو كدونصر واسمه عند العرب بختنصر مستعيناً به على مقاومة نكو ملك

المصريين وفي سنة ٦٠٦ ق·م اجتاز بختنصر فينيقية يقفو اثر المصريين الذين انقلبوا على اعقابهم خاسرين فاستسلمت المدن الفينيقية للكلدانيين ثم اجتاز بختنصر سورية لاخضاع ملك يهوذا مرتين مرة في سنة ٦٠٢ ومرة ٥٩٩ ق·م وفي المرتين لم نرَ في الكتاب ولا في التواريخ ولا في الآثار ما يدل على انه تصدى للفينيقيين فانهم فيما يظهر كانوا مستسلمين له ثم حدث بعد ذلك ان عاد بختنصر الى سورية سنة ٥٩٠ ق·م وقد احس بخروج المدن الفينيقية عن طاعته لمحالفتهم ملك مصر وبعض ملوك أُخر من اهل جيرتهم فحصرت جنوده صور وملكها ايتوبعل مدة ثلث عشرة سنة فاضطر الصوريون بعد مقاومة شديدة ظهرت فيها بسالتهم وشدة بأسهم ان يخرجوا من المدينة البرية الى الجزيرة متحصنين فيها فخربت الجنود البابلية المدينة وتركتها قاعاً صفصفاً وفي سنة ٥٧٤ ق·م عاد بختنصر من بابل وكان قد ذهب اليها فتولى بنفسه امر محاصرة الجزيرة بعد ان كلت جنوده عن افتتاحها وشدد عليها فافتتحت وفي افتتاحها قولان احدهما ان بختنصر فتحها عنوة والآخر ان ايتوبعل سئمت نفسه الحصار لطول مدته ورأى ما افضى به ذلك اليه من الاضرار بشعبه لانقطاعه عن الاسترزاق بالتجارة فاستسلم من تلقاء نفسه تخلصاً من تلك الحالة فأتي بختنصر بايتوبعل وبكثير من الاعيان الصوريين الذين اسرهم الى بابل واقام في مكانه ملكاً اسمه بعل وكانت تلك الضربة هي القاضية على صور وعلى مجدها وتجارتها ولم تقم لها من بعدها قائمة وصارت قرطاجنة في مكانها من السيادة ودانت بقية المدن الفينيقية لبختنصر

اما حفرع ملك مصر الذي تحالف معه الفينيقيون فلم يدرك السواحل الفينيقية باسطوله الا بعد ان كانت صور قد افتتحت واستقر الامر للكلدان على سائر المدن الفينيقيه فاراد ان يستميل الفينيقيين اليه ويخرجهم عن طاعة الكلدانيين فالتوى عليه القصد اذ جهر الفينيقيون بمعاداته وجهزوا اسطولاً يقاوم الاسطول المصري فوقعت بين الاسطولين موقعة في انحاء قبرص شديدة فانتصر المصريون وتعقبوا الفينيقيين حتى مدنهم فافتتحوا صيدا [١] عنوة ونهبوها واخضعوا ارواد وجبيل [٢] واستسلمت لهم سائر المدن الفينيقية وقد وجد اسم حفرع مكتوباً على الآثار الفينيقية ثم عاد بختنصر فاقر سلطته على الفينيقيين . واما بعل الذى ملكه بختنصر على عرش صور فلم تتجاوز مدة ملكه عشر سنوات وذلك من سنة ٥٧٣ الي سنة ٥٦٣ ق ٠م فثار الصوريون واستبدلوا الحكومة الملكية بحكومة جمهورية يحكمها قضاة كانوا يسمونهم شفط فكان اول قاض فيهم اكينعل ثم تولى بعده كالب ثم آبار عظيم الكهنة ثم موتون وجيروست ثم بلاتور ثم استدعى الصوريون موربعل من بابل وجعلوه ملكاً عليهم ثم خلفه اخوه حيرام وفي ايامه خضعت فينيقية لكورش ملك فارس ومات حيرام سنة ٥٣١ فخلفه ابنه موتون ونهج في السياسة نهج ابيه فلبث يؤدي الجزية مع سائر الملوك الفينيقيين الى الفرس . وقد احسن كورش الى اليهود واذن لهم بترميم اورشليم فاتى اثنان واربعون الفاً منهم كانوا قد جلوا الى بابل

(١) كان ملك صيدا رئيس الاسطول

(٢) وجد في جبيل وارواد اطلال مبان على نمط البنا المصري

وشرعوا في ترميم اورشليم فاحتاجوا الى مساعدة الصوريين والصيدونيين بالاخشاب اللازمة لهم من لبنان فكانوا لذلك يعطونهم زيتاً ومأكلاً مكافأة لهم على تلك المساعدة

ولما قضى كورش قتيلاً في حرب وقعت له مع بعض قبائل التتر وخلفه ابنه كميس اجتاز فينيقية لمحاربة مصر وكان الفينيقيون منقادين لسلطته ولكنه لما شاء محاربة قرطاجنة والاستيلاء عليها ابى الفينيقيون ان يساعدوه على ذوى قرباهم الذين كانوا مرتبطين معهم بعهد اخاء فضلاً عن رابطة النسب معتذرين بان دينهم يمنعهم من محاربة اخوانهم ولم يرَ كميس من الحكمة ان يسلك معهم سبيل القسوة والجفا لان نخبة جنوده البحرية منهم ولبث الفينيقيون على طاعة الفرس في ايام داريوس (دارا) الذي استوى على عرش الملك من سنة ٥٢١ الى سنة ٤٨٥ ق.م ولم يثوروا مع من ثار عليه من اقاليم ملكه ولبثت الاساطيل الفينيقية منقادة بامر الفرس وقد استخدمها داريوس في افتتاح الجزر عند ساحل اسيا الصغرى وجزأ داريوس مملكته الى تسع عشرة ولاية فكانت فينيقية وسورية وفلسطين وقبرس الخامسة من تلك الولايات ثم ان الفينيقيين اقاموا على طاعة الفرس في ايام كي خسروا (المسمى عند العرب كركس) وهو ابن دارا تبوأ عرش الملك سنة ٤٨٥ ق.م وبعد ان اخضع المصريين حمل على اليونان فاستخدم لذلك اساطيل الفينيقيين وقد بدت منهم علائم البسالة وشدة البأس في الحرب التي شبت بينهم وبين الاعداء الا انهم لما كسروا في احدى المواقع وشي بهم الى ملك الفرس فتغيظ عليهم وامر بضرب

رؤوس كثيرين منهم فلما رأى الفينيقيون ذلك وان الدائرة ربما دارت على الفرس واوجسوا خيفة ما وراء ذلك من المعرة والاهانة رجعوا بسفنهم الى مواطنهم ولم يبقَ الا بعض من السفن لنقل الذخائر والمعدات ٠ وفي ايام ارتحشستا الذي خلف كي خسرو على مملكة فارس وذلك سنة ٤٦٥ ق ٠ م كانت السفن اليونانية تسطو على الثغور الفينيقية منتصرة للمصريين على الفرس وكان الحكام على فينيقية اذ ذاك ولاة من قبل الفرس ولبث حال الفينيقيين على هذا المنوال والمحاربات بين الفرس والمصريين مستعرة نيرانها حتى رقي عرش الملك في فارس ارتحشستا الثالث الملقب واكوس سنة ٣٥٩ ق ٠ م فشرع يفكر في اصلاء الحرب على المصريين فجهز لذلك جيشاً كبيراً وكان ملك المصريين نكتا بنو فغلب نكتابنو اوكوس غلبة شديدة فافضى ذلك الي ان الفينيقيين وغيرهم ممن استقرت ولاية الفرس عليهم عمدوا الى شق عصا الطاعة وكان والي فينيقية حينئذٍ تيناس فزحف ارتحشستا اليهم بجيش جرار ينوي الانتقام من الفينيقيين ولا سيما الصيدونيين وكانت مصر قد بعثت الى تيناس ببعث من اليونان لنجدته يرأسه منتور الرودسي واما تيناس فتولاه الرعب وتواطأ مع اوكوس على تسليم صيدا واما الصيدونيون فجهزوا اسطولهم وتحصنوا بسورٍ منيع غير عالمين بخيانة تيناس فلما دنا اوكوس من المدينة خرج اليه تيناس يقود مائة رجل من اعيان المدينة كانوا سبباً في اثارة العصيان ودفعهم الى اكوس فامر اوكوس بقتلهم فقتلوا ثم اقترب الفرس من المدينة فمثل لديهم خمسمائة رجل من اهلها يرفعون على اكفهم

عرائض التسليم والطاعة فلم يثنِ اوكوس عن عزمــه من الانتقام فامر بقتل الخمسمائة وكان تيناس تواطأ مع الجنود المصرية على اخلاء السبيل للفرس حتى يلجوا المدينة فلما رأى الصيدونيون ما نالهم من الخيانة ومـا حاق بهم من الخطر آثروا ان يجرعوا كاس الحمـام من يد انفسهم على ان يقعوا في قبضة الفرس فاحرقوا لذلك سفنهم قطعاً لوسائل نجاتهم بها ثم أووا منازلهم بنسائهم وابنائهم واموالهم واضرموا بها النيران حتى اصبحت المدينة كلها شعلة من نار فاحترقوا جميعاً وبلغ عدد الذين اكلتهم النيران اربعين الف نفس واما تيناس وقد كبر عليه امر الخيانة التي اتاها فنوى ان يقتل نفسه فسبقته زوجه الى ذلك وقتلته ثم قتلت نفسها بعده

وبالجملة فان الفينيقيين لبثوا تحت نير سلطة الفرس حتى ظهر اسكندر المكدوني ويلقبه العرب بذي القرنين قيل انه لقب بذلك لانه ملك قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه كان له جواد رأسه راس عجل وقيل لذؤابتين براسه وتبوأ تخت المملكة في مكدونية سنة ٣٣٦ ق·م وتيسر له ان ضم اليه الممالك اليونانية باسرها ثم سطا على ملك الفرس وكان حينئذٍ داريوس الثالث فغلبه وجعل على البقاع ودمشق عاملاً من رجاله اسمــه مانون وقيل بارمانيون وسيره الى عمله واما الاسكندر نفسه فاتى الثغور الفينيقية فلقيه في الطريق عشتروت ابن ملك ارواد ودفع اليه تاجاً من ذهب وسلمه ارواد وضواحيها وكان ملكها جير وعشتروت وانيل ملك جبيل وغيرهما من ملوك فينيقية متغيبين بالاسطول البحري بامر من دولة الفرس فلما دنا الاسكندر من جبيل خرج اليه اهلها وملكوه المدينة مستسلمين

له ثم سار الى صيدا فتملكها بعد ان تملك سائر المدن التي كانت في طريقه ولما بلغ صور خرج اليه جماعة من اهلها يبدون الطاعة فلاسباب سياسية ابي الاسكندر الا ان يتملك المدينة تملكاً حقيقياً فافضى الامر الى الحرب فانتصر الاسكندر بعد ان حاصر المدينة مدة سبعة اشهر وفتك جنده بالصوريين فتكاً ذريعاً ثم جاء الاسكندر بجماعة من الكاريين واسكنهم في المدينة ثم سار الى غزة فاخذها عنوة ولم تلبث سوريا ان دانت بجملتها للاسكندر فاصبحت ولاية مكدونية[1] بعد ان كانت ولاية فارسية وبعد ان قضى الاسكندر نحبه سنة ٣٢٣ ق.م وحدث ما حدث من التنازع بين خلفائه انقسمت ممالكه الى اربعة اقسام فخرجت سوريا وما يتصل بها من البحر الاسود الى نهر اندوس في الهند نصيباً لسلوقس بن ديمتريوس نيقاتور احد قادة الاسكندر وهو اول الدولة السلوقية التي بعد ان اشتد بأسها وعظم سلطانها ببناء مدينة انطاكية الحصينة سنة ٣٠٠ ق.م على ضفة العاصي وبناء مدينة سلوقية على الفرات وسلوقية الاخرى على البحر المتوسط طمعت في الاستيلاء على فينيقية فحدث بين السلوقيين وبطالسة مصر ما حدث من المحاربات مما كانت فيه فينيقية ولبنان معتركاً للمتحاربين وكثيراً ما استخدمت السفن الفينيقية للقتال اما الدولة السلوقية في سوريا فقد تسلطت مدة تزيد عن مئتين وثلاثين سنة وبلغ عدد

---

(١) نصب الاسكندر والياً عليها يقال له مانسي واقام لجباية الاموال الفينيقية رجلاً يقال له كوبراتيس وكان المكدونيون يحسنون معاملة السوريين اكثر مما كان الفرس يحسنونها

ملوكها واحداً وعشرين ملكاً ويتبين من تاريخ هذه الدولة ان بعض المدن الفينيقية كان لها بعض الاستقلال بدليل وجود بعض المسكوكات لها يمتد تاريخها الى ما قبل المسيح بمائة وست وعشرين سنة بل اكثر من ذلك[1] وقد جاء ايضاً في تاريخ السلوقيين ان ارواد كان يلجأ اليها بعض الذين يخشون سطوة الملك عليهم فان كليوبطرة زوج ديمتريوس لما خافت على ابنها انطيوخوس بن انطيوخس سيدتس ان يمس بسوء ارسلته الى ارواد وهذا يدل على ان هذه الجزيرة كانت مستقلة ومن اعظم الامور التي حدثت في ايام السلوقيين مما يتصل بلبنان وتاريخه اتصالاً وثيقاً تشييد مدينة انطاكية التي لها في تاريخ لبنان شأن ديني عظيم وايضاً فانه في

(١) يوجد في متحف المسكوكات في باريس وزن من اوزان بيروت يمثل شوكة مثلثة الاسنة علم منه العلامة اليه دى هوتروش ان اول تاريخ بيروت كان في سنة ١٧٩ ق·م اما تاريخ الوزن الذى وجده الدكتور جول روفيه احد اساتذة المكتب الطبي للاباء اليسوعيين في بيروت وهو سنة ١٧٤ فانما يراد به تاريخ السلوقيين وكان اكثر انتشاراً مما سواه في مدن فينيقية فالسنة المذكورة توافق لسنة ١٣٨ ق·م وكان وقتئذ يملك على سوريا ديمتريوس الثاني نيقاتور وانتيوخس السابع اورغانيس و بين عهد هذا التاريخ وتاريخ الوزن البيروتي المحفوظ في باريس المرقوم سنة ١٦١ ثلاث وعشرون سنة فقط و ينتج من الوزن الذي وجده الدكتورجول روفيه فائدة تاريخية عظيمة وهي ان مدينة بيروت كانت عادت الى عمرانها او الى قسم من حسن حالها القديم بعدما اخربها تريفون سنة ١٤٠ ق·م وذلك خلافاً لما يزعمه البعض ان هذه المدينة درست اثارها و بقيت خراباً الى عهد اوغسطس قيصر وكانوا يسندون زعمهم الى قول استرابون في كتاب جغرافيته الجزء السادس عشر عد ٢ و ٩ اه مجلة المشرق (عدد ١٨ و ١٩)

اخر مدة السلوقيين حدث امر خطير وهو ان الحارث احد ملوك العرب من آل غسان اتى دمشق واخذها عنوة من يد السلوقيين وذلك سنة ٨٥ ق·م ثم انه بعد ان انقرضت الدولة السلوقية وكان قبيل انقراضها قد استولى تيغران على سوريا حلت اقدام الرومان (١) في الديار السورية وانتشر لواء سلطتهم على مدنها فمكثت هذه الديار دائنة لشوكة القياصرة وولاتهم وقناصلهم حتى كان الفتح الاسلامي وذلك مدة سبعة قرون ويظهر ان بعض المدن الفينيقية كانت في ايامهم حائزة شيئاً من الامتياز وقد اشتهرت ايضاً بالعلوم والمعارف فقد ذكر استرابون المؤرخ من المعاصرين له من علماء صور وصيدا عدداً كبيراً وكانت مدينة بيروت مركزاً للشرائع والقضاء (٢)

---

(١) جاء الرومان سوريا سنة ٦٥ ق·م وكان قائدهم بمبيوس

(٢) ان بيروت بعد ان اخربها تريفون سنة ٢٤٠ ق·م لبقائها في طاعة الملك انطيوخس السادس عادت الى ما كانت عليه من سمو المنزلة فلما دخلها بمبيوس القائد الروماني احيا آثارها واعاد لها رونقها فشرعت ترتقي في سلم النجاح والفلاح حتى كان لها في عهد اوغسطس قيصر ما للرومانيين انفسهم من الحقوق فامتازت عن غيرها من المدن وكانت في الدرجة الاولى والقيت مقاليد الامر فيها الى القائد مرقس فسبسيانس اغريبا بعد ان عقد له على جوليا ابنة اوغسطس قيصر فدعيت بيروت باسمها جوليا فيليكس (اي السعيدة) وبالغ اغريبا في ترقية شؤون المدينة وساعده في عمله هذا هيرودس الكبير فشيدت في المدينة الابنية والهياكل والمشاهد والحمامات ومخازن التجارة فتزاحمت الاقدام اليها اقدام الرومانيين والغرباء وكثر الاستيطان بها فازدادت بازدياد العمران بهاء وجمالاً وجعل بها فرقتان من الجنود الرومانيين المتقاعدين وبها حكم هيرودس الكبير بالموت على ابنيه اسكندر وارسطابولس

ومن اعظم ما جاء في صدر السلطة الرومانية في الديار السورية ظهور النصرانية بولادة السيد المسيح في اليهودية ومن يتتبع تاريخ الرومان في هذه الديار وما وقع لهم من الحروب المختلفة فيها سواء كان باسباب سياسية داخلية او بما كان ينال البلاد من غزوات البرثيين والعرب والفرس اوكان باسباب الاضطهاد الديني بعد ظهور النصرانية يرَ ان لبنان انما غمر بجماعات من الناس كانوا يلجأون اليه فراراً من سيوف النقمة والاضطهاد

ربما يخطر ببال من قرأ ما تقدم في كتابنا هذا من تاريخ الفينيقيين ثم السلوقيين ثم الرومان في سوريا ولبنان اننا اتينا في تأريخ الفينيقيين تفصيلاً مملاً وفي ذكر الباقين ايجازاً مخلاً وانه كان من الواجب ان يكون تناسب في التفصيل في كل الروايات التي تؤدي الى كشف شيء من حقيقة لبنان الذي اخذنا على نفسنا ان نجمع له تأريخاً خاصاً به ولكن الذي حدا

ظلماً كما قتل امها مريمنة من سلالة المكابيين ولبثت بيروت كذلك حتى تولى امرها بعد المسيح هيرودس اغريبا الاول ثم هيرودس اغريبا الثاني فزاد في محاسنها زيادة يقصر عنها الوصف • وفيها بويع بالملك لفسبسيانوس بعد موت نيرون وفيها احتفل ابنه تيتوس قيصر بانتصاره على اليهود

هذا وقد بلغت بيروت من العلوم والمعارف درجة سامية فاقت بها اخواتها من المدن الفينيقية ففي عهد اوغسطس قيصر انصرف البيروتيون الى درس الفقه وبرعوا فيه واصبحت مدرسة هذه المدينة في الفقه يتسابق اليها الناس من كل صوب فدعيت لذلك بيروت « مجلي العدل ومقر المشترعين » وقد كلل عدة من علماء بيروت الاقدمين بتيجان الشهرة مثل اوليبان الفقيه في القرن الثالث وفالريوس بربوس اللغوي في القرن الرابع

بنا الى التفصيل في الاولين هو الرغبة في استيعاب مواد اكتشفت حديثاً من آثار لبنان نفسه ومن آثار البلدان الاخرى وكانت من قبل مستورة غير مسطورة في التواريخ المحفوظة من تواريخ اليونان والرومان كما ان الذي حدا بنا الى الايجاز في الآخرين هو الاستغناء بما فصل من احوالهم في كتب ذات شروح مسهبة ادى اليها التوغل في البحث فيما يتعلق باليونان والرومان اكثر مما يتعلق بغيرهم من الاقوام لاعتقاد ان مهد الحضارة كان عندهم دون غيرهم ثم جاءت ابحاث المستشرقين من عهد ليس ببعيد ناقضة ذلك الاعتقاد بما انفتح في وجوه الباحثين من ابواب الغموض والاشكال بمفاتيح الخطوط المسمارية والهيروكليفية

ليس لنا من الآثار التاريخية ما يمكننا من استقصاء اصل اهل لبنان اليوم الى زمن متوغل في القدم وغاية ما يصل اليه الاستنتاج العقلي من سياق الحوادث التاريخية التي مر ذكرها ان اللبنانيين قوم لجأوا الى لبنان منفصلين عن قبائل مختلفة مذاهبهم في الدين فمنهم المسلمون والموارنة والروم والدروز والروم الكاثوليك والمتاولة (الشيعيون) والسريان والبروتستان وسنذكر تاريخ كل طائفة على حدة

الفينيقيون

— اصل الحضارة في العالم —



— الفينيقيون يحملون تجارتهم الى شواطىء اوربا —

يفاخر الغربيون الشرقيين بحضارتهم واخلاقهم ومدنيتهم وفاتهم ان الشرقيين اسبق الى ذلك فانه بينما كان الشرقيون يمخرون عباب البحار بسفنهم بعد ان اتقنوا فن الملاحة على ما مر كان الغربيون غارقين في بحار الجهالة وما وصلوا اليه من الحضارة والمدنية بما فيهما من العلم والصناعة الا بسبب الاختلاط الذي وقع بينهم وبين الشرقيين بسبب اسفار الفينيقيين البحرية وارتيادهم شواطىء اورباء للتجارة والاستعمار واسفار بعض اهل جزائر اليونان الى شواطىء سورية والاحتكاك الذي وقع بين الرومان

والقرطاجنيين الذين هم من دم فينيقي

وتفرق اليهود في اوروبا للاتجار وفتوح العرب في اسبانيا وغيرها على ما سيأتي

وقد عرفنا ان للفينيقيين آثاراً عظيمة في كل مكان وان لم يكن لهم غير احرف الهجاء[1] التي تكتب بها جميع الامم لكفى

ولا يخفى ان هذه الحروف فينيقية الاصل اخذها اليونان عن الفينيقيين واقتبسها الرومان عن اليونان واورثوها لغيرهم

فقد قيل ان رجلاً من اصل فينيقي اسمه (قدمس) جاء طيبة وعلم اهلها الكتابة فنشروها في بلاد اليونان واسماؤها المحفوظة عند اليونان تشف عن اصلها الفينيقي . وللفينيقيين آثار علمية اخرى اقتبسها منهم اليونان القدماء

وفي القرن الرابع عشر قبل المسيح بلغت فينيقية مقاماً عالياً من حيث تجارتها الواسعة وثروتها الوافرة وكانت المعادن الثمينة كالذهب والفضة تصاغ في جبيل فتجديها نفعاً كبيراً وكان الزيت كالخمر من جملة ما كان يقدمه الفينيقيون لملوك مصر وكانوا يربحون كثيراً بتجارة الزيت خاصة في اسبانيا قبل دخول زراعة الزيتون اليها وفي القرن الخامس عشر بلغ

---

(١) الفينيقيون هم الذين وضعوا حروف الهجاء كما سبق القول وهم الذين رتبوها في (ابجد هوز حطي الخ) ولكن ابن مقلة رتبها على النمط الحديث في ا ب ت ث ج الخ

الفينيقيون ابان مجدهم واخذوا يرتادون الشواطئ اليونانية والاوربية وكانت تجارتهم البرية تبلغ الى تخوم مملكتي اشور وفارس في حين ان الافرنج كانوا في ذلك الحين في حالة الجهالة الفطرية وكان الاشوريون والمصريون يشاركون الفينيقيين بما كانوا ينقلونه معهم في اسفارهم مما اقتبسوه منهم من العلوم واما الاشوريون والبابليون فلهم الفضل الاعظم ببثهم علم الفلك والطب

فان اليونان اخذوا عنهم وعن الفينيقيين ايضاً كثيراً من الاصول الفلكية والطبية بدليل انه لا يزال في اللغة اليونانية بعض المصطلحات الفلكية اصلها بابلي او فينيقي

واما المصريون القدماء فان مدنيات اوروبا ارتكز اكثرها على آثارهم العلمية وقد كان اليونان يقتبسون الفلسفة والرياضيات في مدارس مصر كما كانوا يقصدون بغداد وقرطبا في التمدن الاسلامي وبعض فلاسفة اليونان كفيثاغورس وافلاطون وغيرهما اقتبسوا علومهم في مدرسة عين شمس المصرية وكان في الاندلس في عهد مدنية العرب جامعات عظيمة يقصدها الطلاب من كل جهة في حين ان اوروبا كانت في اجيالها المظلمة

وبالجملة ان العرب رتبوا الطب وبوبوه بعد ان جمعوا فيه بين طب اليونان والفرس والهنود والكلدان واضافوا اليه كثيراً من نتائج اختباراتهم بحيث صار يعرف باسمهم والافرنج تلقوا هذا العلم بعد ذلك في مدارس الاندلس وقد اخذ الافرنج في ترجمة كتب العرب من القرن الثاني عشر للميلاد وبلغ ما نقلوه ٣٠٠ كتاب في علوم شتى

ثم انهم اخذوا يقلدون العرب في انشاء المدارس [١] ومن المعلوم ان العرب كانوا في الاندلس [٢] امة راقية ذات ادب غزير وقد اخترعوا اذ ذاك ضروباً من الشعر منها الموشح المعروف بالموشح الاندلسي

وقد اعجبت الافرنج اذ ذاك رنة قافية الشعر العربي فاقتبسوها ونقلوا الى السنتهم كثيراً من الكتب كما سنبين ذلك بالتفصيل عند الكلام على الدولة العباسية

وللعرب الفضل الاول في تدوين تاريخ الامم الشرقية ودرس جغرافية البلاد الشرقية وكفى بكتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق للشريف الادريسي برهاناً على سمو مكانة المؤلفات العربية في الجغرافية فان روجر الثاني صاحب صقلية في القرن السادس للهجرة لم يجد غيره من الكتب التي يصح الاعتماد عليها

---

(١) لمجلة الهلال المشهورة بصدق رواياتها تفصيل مسهب في المدارس في صفحة ٣٦٢ سنة ١٩

(٢) في عهد دولة بني امية التي اسسها في الاندلس عبد الرحمن بن معاوية سنة ١٣٩ ه على ما سيجيء

لمحات

تتعلق بالدول التي بسطت سلطتها على

فينيقية ولبنان

لبنان في بدء الطور التاريخي

يتبين مما رواه المؤرخون الاقدمون ان التاريخ اللبناني يبتدىء قبل التكوين

فقد روى سنكن يتن المؤرخ البيروتي ان الاله ايل اوعيلون وهو اول ملوك جبيل تزوج الالهة بيروت ثم بنى مدينته فدعتها زوجته هذه بيروت باسمها

والصحيح هو ان طور التاريخ يبتدىء بعد الطوفان ولم يكن قبل التوراة يعرف العلماء آثاراً غير الآثار المدونة في اسفارها الخمسة

على انه في القرن التاسع عشر استخرج من قلب الارض خزائن ذات قيمة في العراقين العربي والعجمي وفي مصر ايضاً تمكن العلماء من حل رموزها فكانت مؤيدة لاخبار موسى النبي

وقد ورد في هذه الآثار اسم لبنان لاول مرة في الكتابات المسمارية وقد روي اسمه ايضاً في الكتابات الهيروغليفية في مصر

ويؤخذ من اخبار ملوك الكلدان الاولين المنقوشة في بلاد بابل بالخط المسماري ان اولئك الملوك غزوا القبائل الساكنة في سواحل الشام

في الالف الثالث قبل المسيح و بسطوا عليها سيطرتهم ولما ذوى مجدهم اقبل الكنعانيون والاراميون من السهول المجاورة لخليج العجم الى هذه السواحل واخذ يزاحم بعضهم البعض حتى ادى بهم المسير الى شمالي سورية فسكنوها وذلك في القرن العشرين ق ٠م وقد استوطنوا خصوصاً القسم الفينيقي وهو الساحل البحري الواقع بين اللاذقية وصور

ثم نمت تلك القبائل وتفرقت واتخذت لهـا المستعمرات على طول الساحل اللبناني وصارت كل منها شبه مملكة

واشتهرت بين هذه الممالك مملكة ارواد ومملكة جبيل ومملكة بيروت ومملكة صيدون ومملكة صور

و يرجح ان اهل جبيل هم الذين تقدموا الى الجنوب فبنوا اولاً مستعمرة بيروت قبل ان بنوا صيدون

على ان تعدد هذه الممالك فرق كلمتها ودعاها الى المخاصمات ومحاربة بعضها البعض

—✵ فينيقية ولبنان ✵—

— تحت حكم فراعنة مصر —

علم من المكتابات المسمارية المكتشفة حديثاً ان اول من طمع في فينيقية في القرن السادس عشر ق ٠م الفراعنة ملوك مصر فزحفوا اليها في عهد السلالة الثانية عشرة بقيادة ملوكهم تحوتمس الاول وساتى الاول وتحوتمس الثاني ورعمسيس الثاني وتحوتمس الثالث فدوخوا كل انحاء

الشام وجعلوها ملحقة بمصر يسوسونها بواسطة عمال وطنيين

وتلك المكاتبات مكتوبة في عهد الملك امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع وقد استدل منها ان بيروت كانت ذات مناعة وكان لها مقام سام في التجارة والثروة وان فينيقية اجمالاً كانت راقية في معارج التمدن والعمران

ومما ذكروا من مدن فينيقية مراث اي عمريت وانترادوس اي طرطوس وقرنة اي قرنون شمالي طرطوس وعرقة وسياتي وهي مجهولة ومحلاة وكايز وميزا والمظنون انهن المدن الثلاث التي كانت تتألف منهن طرابلس ثم انهم ذكروا البترون ووجه الحجر المدعوة في الفينيقية فانيل اي وجه ايل وقد مر ذكرهما وكانت جبيل وصيدا في مقدمة مدن فينيقية في ذلك العهد لانهما حصلتا على امتيازات جمة لطاعتهما دون غيرهما لفراعنة مصر

وصيدون قد ارتفع شأنها في عهد السلالات المصرية الثامنة عشرة الى العشرين

والى اهل صيدا يعود الفضل في تعدين مناجم الذهب والفضة وفي شغل النحاس والحديد وهم في مقدمة النافذين في مضيق الدردنيل والذين توغلوا الى سواحل البحر الاسود ودامت سيادة صيدون على المدن الفينيقية نحو اربعة اجيال اي من القرن السابع عشر الى الثالث عشر قبل المسيح

واذ ذاك اخذ الفينيقيون ينشرون الحروف الهجائية التي تعرف باسمهم كما سبق البيان

وفي اواسط القرن الثالث عشر ق.م تكدر صفاء عيش الصيدونيين بغزوة احد ملوك اشور لفينيقية ولبنان وهو الملك المدعو اشور نزيربال السابق ذكره الذي كتب على تمثال[1] له (انا اشور نزيربال الملك القدير الذي ملك البلاد من ضفة دجلة الى بلاد لبنان وضرب سلطته على البحار الكبيرة وعلى كل البلاد من مشرق الشمس الى مغربها)

وبالحقيقة ان هذا الملك قد دوخ بلاد امانوس (جبل اللكام) وعبر العاصي ثم سار حتى بلغ لبنان وملك سفحيه الى البحر والى سهل بعلبك وبقاع العزيز وضرب الجزية على ملوك صور وصيدا وجبيل وارواد ومال الى الصيد في لبنان فاصطاد خنازير برية وبقراً وحشية واخذ منها بعضاً حياً وارسله الى اشور وقتل نمورة وضباعاً وثعالب واصطاد آيالاً وغزلاناً ونسوراً وغير ذلك من الوحوش[2] والطير وزار المعابد على قمم لبنان وقدم محرقة للالهة مما يدل على ان لبنان لم يكن آهلاً بالسكان بدليل كثرة انتشار الحيوانات فيه وعدم ذكر شيء من مدنه في جملة المدن التي استولى عليها اشور وانه انما كان موضعاً للمعابد المشيدة على قممه المحفوفة بالآجام الكثيفة التي اخذ منها اشور اخشاباً من السنديان وغيره الى بلاده وان

---

(١) اكتشف هذا التمثال المستر لايرد في اسوار حصن نمرود وقد اخذ بعد ذلك وجعل في المتحف البريطاني

(٢) يتبين من مقالة الاب عن فريد زموفن في الظران او الطور الحجري في فينيقية المنشورة في مجلة المشرق (عدد ٣ لسنتها الاولى) ان لبنان كان فيه كثير من الخنازير البرية والبقر الوحشية والدب والنمس والثعلب وابن آوى والارنب وصنفان من العنز والظبي والوعل والايل والفرس ومن الطيور الاوز والحمامة والحجل والشاهين

العمران انما كان بدفعه

على ان هذه الغزوة التي قام بها اشور لم تلبث غيومها ان انقشعت فعاد الى بلاده مكتفياً بما نال من الضرائب

فينيقية ولبنان

— في عهد الفلسطينيين —

كان في ذلك العهد فريق من اهالي جزيرة كريت قد اعتادوا فن الملاحة ولما بلغهم خبر ضعف سلالة ملوك مصر العشرين جاؤا بسفنهم الى سواحل الشام واحتلوا عسقلان ومنهم نشأت الامة الفلسطينية التي بها دعيت البلاد الواقعة بين مصر وسواحل الشام (فلسطين)[1]

ولما اشتدت سواعد هؤلاء الفلسطينيين تشوفوا الى غزو صيدون وانشأوا السفن الكبيرة وشحنوها بالرجال وساروا مباغتين مدينة صيدون واعملوا السيف في اهلها ودمروها ونهبوا كل غناها وعادوا الى عسقلان

---

(١) جاء في دواني القطوف لمؤلفه عيسى افندي معلوف ان معنى فلسطين بلاد المتغربين سماها بذلك اليونان والرومان وتعرف ايضاً بارض الميعاد لان الله وعد ابرهيم بان تكون مسكناً لذريته وتسمى ايضاً الارض المقدسة لما جرى فيها للسيد المسيح ورسله

وموقعها ما بين نهر الاردن وبحر الروم وهي التي وصفت بانها تدر عسلاً ولبناً لانها كثيرة الخصب وينزل فيها الثلج والبرد كثيراً اما هواؤها فحار وهي اليوم موطن قومي لليهود

غانمين وذلك في سنة ١٢٠٠ ق م

على ان كثيرين من الصيدونيين التجأوا الى مدينة صور فاكرم الصوريون وفادتهم وضم اهل صيدا قواهم الى صور وبعد قليل قامت صور مقام صيدا ونالت ما كان لصيدا من العز والثروة وقد اهتم اهل صور بابتناء الاساطيل البحرية وتجهيز الجيوش واخذوا في تعدين المعادن كالصيدونيين وصبغ الارجوان ونشر الكتابة المبنية على حروف الهجاء

وفي سنة ١١٠٠ ق م جاء تغلث فلاسر الاول احد ملوك اشور الى بلاد الشام مجدداً غزوة اشور نيزربال وقطع بجيشه سورية ثم جاء لبنان ونزل الى ساحل فينيقية دون معارض وركب سفن اهل رواد ترويحاً للنفس ولما بلغ خبره رعمسيس الثالث ملك مصر رغب في موالاته وارسل اليه هدايا ثمينة فانكفأ الى بلاده دون ان يلحق اذى باحد وقد قاتل الصوريون حينئذٍ الفلسطينيين وذللوهم فكان ذلك داعياً الى ارتفاع نجم صور ولا سيما وقد كان صار الملك الى حيرام الاول المعروف بالحزم الذي طلب منه داود النبي ملك يهوذا واسرائيل ان يرسل اليه مهندسين عالمين بفن البناء ليشيدوا له بلاطاً في مدينة صهيون وبعد حيرام هذا تولى ابنه حيرام الثاني الذي عاصر سليمان بن داود وقد ملك من سنة ٩٧٨ الى الى سنة ٩٤٤ ق م

وقد ذكر سفر الملوك صداقته لسليمان وما ارسله اليه من اخشاب لبنان وارزه لبناء هيكل اورشليم

وقد روى سفر اخبار الايام الثاني عن سليمان (٨ : ٦) انه شيد له

ابنية في لبنان

ثم ملك بعد حيرام الثاني ابنه بلعازر ثم حفيده عبد شترت وقد تآمر على هذا بعض ارباب الدولة لضعفه واغتالوه فصارت صور في اسوأ حال وفي سنة ٨٨١ ق.م جلس على تخت ملكها ايتوبعل احد كهنتها فاعاد اليها نظامها

وايتوبعل هذا هو الذي صاهر اخاب ملك اسرائيل فقرنه بابنته ايزابل التي نشرت دين البعل بين اسباط اسرائيل العشرة في عهد ايليا النبي وشيدت الهياكل لمعبودها وقتلت الانبياء(١)

---

(١) لما اشتد الجوع في السامرة لانحباس المطر ولم يكن عشب تقتات به الماشية سار اخاب يفتش على العشب وكان الرب امر ايليا ان يتراءى لاخاب فالتقى ايليا بعوبديا قيم بيت آخاب فعرفه عوبديا وسجد له فقال له ايليا امض وقل لسيدك هوذا ايليا فمضى عوبديا واخبر اخاب فجاء للقاء النبي وقال له االنت ايليا مقلق اسرائيل فاجابه لم اقلق اسرائيل انا بل انت وبيت ابيك بترككم وصايا الرب واتباعكم البعليم فاجمع الي كل اسرائيل الى جبل الكرمل وانبياء البعل الاربعمائة الخمسين وانبياء عشتروت الاربعمائة يأكلون على مائدة ايزابيل فجمع اخاب الانبياء والشعب الى الكرمل فتقدم ايليا الى الشعب وقال لهم الى متى انتم تعرجون الى الجانبين ان كان الرب هو الاله فاتبعوه وان كان البعل اياه فاياه اتبعوا فانا وحدي بقيت نبياً للرب وهولاء انبياء البعل اربعمائة وخمسون رجلاً فليؤت لنا بثورين فيختاروا هم ثوراً فيقطعوه ويجعلوه على الحطب ولا يضعوا ناراً وانا اهيء الثور الاخر ولا اضع ناراً ثم تدعون انتم باسم الهتكم وانا ادعو باسم الرب والذي يجيب بنار فهو الاله فقال جميع الشعب الكلام حسن واختار انبياء البعل ثوراً واعدوه ودعوا باسم البعل الى ما بعد الظهر قائلين ايها البعل اجبنا فلم يكن من صوت ولا من مجيب فقال ايليا

وينسب البعض بناء مدينة البترون الى ايتوبعل ولكن ذكرها في الآثار المصرية القديمة دليل على انها كانت قبل عهده

اما الصيدونيون فقد عادوا الى حاضرتهم وجددوا ابنيتها وسعوا بجد وراء ترويج صناعتها وتجارتها فعادت الى عهدها السابق من الازدهار

✻ فينيقية ولبنان ✻

— في عهد الاشوريين —

في القرن التاسع قبل المسيح نشأت الدولة الاشورية الثانية في العراق وحاربت ملوك نينوى وفتحت حاضرتهم فعزت بابل واخذ ملوكها يطمحون بنظرهم الى البلاد المجاورة واغاروا عليها ثم سارت الى محاربة الحثيين فاخضعتهم

وفي عهد نبوكد نصر الثاني (٦٠٦—٥٦٢) قبل المسيح صار فتح اورشليم واحراق هيكلها وكسر شوكة ملوك ارام وسواحل الشام وكانوا يناوئون خصوصاً مدينتي صيدا وصور لغناهما

ادنوا مني واخذ اثني عشر حجراً على عدد اسباط اسرائيل وبناها مذبحاً وجعل حول المذبح قناة ثم نضد الحطب وقطع الثور ووضعه على الحطب وقال ايليا ايها الرب اله ابرهيم واسحق ويعقوب انك الله اسرائيل واني انا اعبدك وبامرك فعلت كل هذه الامور فهبطت نار الرب واكلت المحرقة والحطب والحجارة فلما رأى ذلك جميع الشعب خروا على وجوههم وقالوا الرب الاله

فقال ايليا حينئذ اقبضوا على انبياء البعل ولا يفلت احد منهم فقبضوا عليهم فانزلهم الى نهر قيشون المسمى اليوم نهر المقطع وذبحهم (لا شلت يمينه)

ويدلنا على فوز الاشوريين واستئثارهم بالسلطة في فينيقية ولبنان حينئذٍ وجود كثير من اخشاب الارز اللبناني في قصورهم وما خلفوه في لبنان من الاثار والرسوم والكتابات عند مضيق نهر الكلب وعلى مقربة من نهر قب الياس وفي جبل اكروم ووادي بريسا

= فينيقية ولبنان =

— في عهد الفرس —

اصبحت الولايات التي كانت خاضعة لملوك بابل بعد ان قتل قورش ملك الفرس ملكهم بلشاصر سنة ٥٤٨ قبل المسيح في حوزة الفرس

وقد اجتهد قورش اذ ذاك في تأليف قلوب اهل تلك الولايات وخصوصاً سورية وفينيقية واطلق الحرية للذين كان اسرهم نبوكد نصر من السوريين فعادوا الى وطنهم

ثم ارسل قورش عمالاً من قبله من اهل الحزم لتدبير اهل سورية وبر الشام وحفظ البلاد تحت نواميس تربطهم بمملكة الفرس وقمبيس بن قورش الذي تولى الملك بعد ابيه من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٢١ قبل المسيح منحهم امتيازات خاصة اعانتهم على تعمير سفنهم وتجهيز عمائرهم فكان هذا الانعام داعياً الى ارتفاع شان التجارة والصناعة والى تفوق السفن الفينيقية

ومن شهادات التاريخ لملاحي فينيقية في عهد الفرس ما رواه هيرودتس المؤرخ عن ارتحشسا كسركس الملك انه اراد اختبار حذاقة نوتيي البحر المتوسط فاستدعى بملاحي البلاد الساحلية لسباق كبير تسابقت

فيه ١٢٠٠ سفينة لامم مختلفة فنال الصيدونيون قصب السبق ولم يشاء بعد ذلك ان يركب في غير سفنهم

وبقيت فينيقية على ولائها لملوك الفرس الى اواسط القرن الرابع قبل المسيح

= فينيقية ولبنان =
- في عهد اليونان -

بعد ان حمل الفرس على فينيقية حملتهم الاخيرة تقوى في اليونان العنصر المكدوني وقام فيهم رجل ذو بأس هو الملك فليبس بن امنتاس (٣٦٠ — ٣٣٦) قبل المسيح الذي ضم الى دولته المكدونية جميع القوى اليونانية المتفرقة

ثم تولى بعده ابنه الاسكندر ذو القرنين (٣٣٦—٣٣٣) ق٠م وما كادت ترسخ قدمه في الملك حتى سار الى مقاتلة داريوس الثالث المسمى كودومان فانتصر عليه في معركة ايسوس في حدود سورية وكيليكية سنة ٣٣٣ ثم في معركة اربل سنة ٣٣١ ثم انه فتح بلاد الشام وفلسطين ولم يقم في وجهه سوى مدينة صور التي لم يلبث ان اخذها عنوة بعد حصار اربعة اشهر وذلك سنة ٣٣٠ ق٠م

ثم انه صعد بعسكره الى مشارف لبنان فلم يجسر احد على مقاومته وقد اصبحت سورية كلها في قبضة يده

ولم يلبث الاسكندر[١] ان اغتالته المنية وهو في الثالثة والثلاثين من عمره في بابل كما مر فاضرم موته نار الفتن بين قواده واقتسموا ممالكه بينهم وصارت سورية من نصيب سولوقوس الاول المعروف بنيقاتور اي الظافر فاخضع هذا لحكمه عدة بلدان سنة ٣٢٠ وانشأ دولة سورية سنة ٣١٢ ق م وفي هذه السنة بدأ تاريخ السلوقيين نسبة اليه

واليه يرقى اصل مدن كثيرة[٢] كسلوقية المدعوة باسمه وهي مرفأ مدينة انطاكية

وقد بنى ايضاً اللاذقية وافاميه على نهر العاصي وبنى غيرهما ايضاً وبعد ذلك مات قتيلاً سنة ٢٨١ ق ٠م بيد ضيفه فيرونوس بن بطلمبوس ملك مصر فبقيت سورية تحت حكم سلالته الى الفتح الروماني سنة ٦٤ ق ٠م

---

(١) انشأ الاسكندر في عشر سنوات مملكة اوسع من مملكة داريوس ونظمها على نظام المملكة الفارسية وكسر داريوس ملك الفرس المشار اليه في موقعة ايسوس في كيليكية ولما كانت صور لم تقدم له الطاعة حاصرها كما مر بضعة اشهر وبنى سداً بينها وبين البر فاخذها عنوة ودمرها واعمل السيف في اهلها

وفي اثناء محاربته لصور اغتال بعض اجلاف اللبنانيين قوماً من حاشيته فقتلوهم فسار الاسكندر بقسم من عساكره الى لبنان فلم يشاهد احداً لا منهم ولا من سواهم ثم سار الى البقاع الشرقي وعاد بعد عشرة ايام وبعد ذلك اخضع فلسطين ومصر ثم سار الى اقاصي المشرق فاكمل فتوحاته فيها وبعد عشر سنوات مات في بابل في سنة ٣٢٣ ق ٠م

(٢) لعل مزرعة سلوقية الكائنة على مقربة من قرية شمسطار من اعمال لبنان هي مسماة باسمه ايضاً وهي اليوم ملك آل حمدر الشيعيين وكانت قبلاً من جملة الاملاك الاميرية فباعتها الحكومة من مالكيها المذكورين

اما فينيقية ولبنان فانهما لم يدخلا ضمن مملكة السلوقيين الاولين فانهما بعد وفاة الاسكندر صارتا حصة قائده لاوميدون ثم تملكهما بطليموس لاغوس اول ملوك البطالسة على مصر سنة ٣٢٠ فانتزعها من يده انطيغونس خصمه فالحقها بمملكة اسيا الصغرى و بقيت تابعة لها الى سنة ٢٨٧ فاستردها بطليموس لاغوس الاول وضمها الى مملكة البطالسة المصريين الذين ساسوا اهلها بعدل وحكمة مدة ٧٠ سنة (٢٨٧—١٩٨) واذ ذاك عاد الفينيقيون الى تجارتهم والى مسابقة الامم في الملاحة والاسفار البعيدة

وفي سنة ١٩٨ وقعت حرب بين انطيوخس الكبير ملك سورية و بطليموس الخامس فانتصر انطيوخس وضبط ما بقي من سورية في ايدي البطالسة وتملك البقاع ولبنان وفينيقية وفي مدة هذا الطور انتشر في فينيقية التمدن اليوناني وشاعت بين الخاصة اللغة اليونانية وتوفرت في لبنان الاثار الفنية المستعارة من اليونان كالكتابات والهياكل والابنية والاوراق الصناعية والتماثيل والحلى وقد سعى اهل فينيقية بان ينالوا من ملوك سورية استقلالاً نوعياً لمدنهم وانشأوا لهم مجالس لتدبير احوالهم وضربوا النقود الوطنية المستقلة الذهبيـة والفضية والنحاسية الدالة على استقلال عكا وصور وصيدا و بيروت وجبيل والبترون وطرابلس وارواد وعمريت

وسنة ١٤٦ ق م قام رجل اسمه اسكندر بالا يدعي الملك لنفسه فنشبت بينه و بين الملك الشرعي ديمتريوس الثاني نيقاتور حرب دافعت فيها بيروت عن حقوق ملكها بشهامة ومروءة فكان النصر حليف الديمتريوس

الآن تريفون وزير اسكندر بالا تحزب بعد موت هذا لابنه انطيوخس السادس المسمى ديونيسيوس ليجلسه على كرسي المملكة ويملك باسمه ولعلمه بوفاء بيروت واهلها لملكهم اغار على المدينة يثأر منهم وخرّب ابنيتها وحرقها سنة ١٤٠ ق ٠م على ان تريفون نال جزاه بعد قليل اذ غلبه انطيوخس سيداتس اخو ديمتريوس واماته وذهب البعض الى ان بيروت بقيت على خرابها مئة سنة ولكن الدكتور جول روفيه قال ان بيروت لم تبقَ على خرابها زمناً طويلاً بل عاد اليها اهلها وجددوا بناءها ولكنهم عدلوا قليلاً عن موقع المدينة المدمرة واطلالها مائلين الى الجنوب حيث وجدت هنالك اثار شتى كنقود قديمة وعاديات وقطع فسيفساء وخزفيات والنقود تشبه تماماً نقود بيروت السابقة وقد رأى باكتشافه اثراً جديداً وصفه في مجلة المشرق في سنتها الاولى صفحة ١٧ وهو وزن قديم لبيروت تاريخه سنة ١٢٨ ق ٠م عليه شعار المدينة واسم محتسبها المدعو نيقون

ومن رأي الدكتور روفيه ان موقع المدينة المستحدثة كان عند الخان الجديد بين وادي الشويفات ونهر الغدير على بعد نحو عشرة كيلومترات من بيروت

وفي ذلك الزمان بنيت في لبنان وبيروت كما سبقت الاشارة عدة معابد وحصون وبنايات عامرة وهياكل نخمة حتى كاد يظن الناظر اليها ان فينيقية من جملة بلاد اليونان

وقد ظهر حينئذٍ في فينيقية نخبة من الرجال الذين شرفوا بلادهم بعلومهم وادابهم كسنكن يتن المؤرخ البيروتي وفيلون المؤرخ الجبيلي المار

ذكرهما وكفلاسفة صور وصيدا ديوس وثاودتس وفيلوستراتس وبوليتيوس وديودوتس الذين وضعوا مؤلفات جليلة في اليونانية في فنون الحكمة والادب

وفي اوائل القرن الاول قبل المسيح استسلم ملوك الدولة السلوقية الى اللذات فضعفت الدولة ووقعت حروب اهلية فرأى العقلاء ان يدعوا لنجاتهم الملك دغران ملك ارمينية وقلدوه الحكم عليهم فساس البلاد بالعدل واصالة الرأي بضع سنوات قبل الفتح الروماني

غير ان الاطوريين[1] عصوه وتحصنوا في شمالي لبنان ولكن سنة ٦٣ ق٠م اضطرهم بمبيوس الى النكوص على اعقابهم

فينيقية ولبنان

— في عهد الرومان —

لقد استولى بمبيوس على سورية وفينيقية ولبنان سنة ٦٤ ق٠م بعد ان دوخ الايطوريين ودحرهم الى مواطنهم وعزل انطيوخس الثالث عشر المعروف بالاسيوس ونظم بمبيوس سورية في سلك ممالك رومية نصارت اقليماً من اقاليمها بولون عليها عمالاً يدعونهم وكلا قناصل وكان مركزهم في انطاكية اما مدينتا صيدا وصور فابقاهما على امتيازهما سامحاً لاهلها بتدبير شؤونها تحت ظل رومية واما بيروت فانه وجه نحوها عناية مخصوصة

(١) ان معنى الاطوريين او الايطوريين الجبليون اشارة الى انهم كانوا في الجبال الواقعة اليوم جنوبي دمشق وشرقيها المعروفة بجبل حوران ولا يخفى ان طور بالعربية وفي سائر اللغات السامية معناه الجبل

بالنظر الى حسن موقعها والى دماثة اخلاق اهلها واخذ يزينها بالبنايات الفخمة ولا سيما وقد كان الفينيقيون يعتبرونها مدينة مقدسة وقد خصصوها لخدمة البعل المنسوب اليها المدعو (بعل بريت) وقد اقاموا لها هيكلاً على ابنية دير القلعة غربي قرية بيت مري [١] وهو هيكل بعل مرقد الذي كان يحج اليه الناس واشاعوا عبادته تحت اسم (جوبيتر البعلبكي) ولم تزل آثار هذا الهيكل بادية الى اليوم

وقد نقل العلامة المطران يوسف الدبس كثيراً من حجارة هذا الهيكل العظيمة الى الكنيسة التي شادها في بيروت باسم القديس جورجيوس [٢]

ولما تولى اغسطوس قيصر خص بعنايته بيروت وحدها لانه كان امتعض من صور وصيدا لانتصارهما لانطيوخس وولى عليها القائد مرقص دسبيانس اغريبا بعد ان اقترن بابنته جوليا فاقام هذا القائد فيها القصور

---

(١) حيث هو دير ماري يوحنا للموارنة اليوم وهذا الدير كانت ابتاعته الحكومة التركية في ايام الحرب الكونية لتجعله حصناً عسكرياً وقبيل الاحتلال تركه من كان فيه من الجنود فعاد الرهبان اليه وموقعه من اجمل المواقع اللبنانية والى جانبه كنيسة على اسم مار ساسين يحتفل الناس فيها في عيده الواقع في ١٥ ايلول احتفالاً كبيراً ويجتمع اليه الوف من الخلق وقد اتخذوه موسماً سنوياً فيقصده الزوار من اماكن بعيدة

(٢) لقد شاد العلامة المطران يوسف الدبس الذي تشهد اعماله الجيدة بتفوقه في العلم والعمل هذه الكنيسة على هيأة كنيسة مريم الكبرى بروما فجاءت بعظمتها ومحاسنها برهاناً على همته الشماء وقد بدأ بتشييدها سنة ١٨٩٤ ودشنها احد الشعانيين سنة ١٨٩٤ اما نفقاتها فقد بلغت عشرين الف ليره ذهباً

الشاهقة ثم قام بعده هيرودس الكبير ثم هيرودس اغريبا الاول ثم اغريبا الثاني فاحدثوا فيها المباني الجميلة التي جعلتها في مقدمة حواضر العالم

وفي سنة ١٥ ق٠م جعلها اغسطوس قيصر مستعمرة رومانية ودعاها باسم ابنته جوليا وورد اسمها في النقود هكذا

Colonia Julia Ouqusta felix beryte

وقد نال لبنان حينئذٍ نصيباً وافراً من العمران والاصلاح كتمهيد السبل واقامة الجسور والمعابر وتأمين السابلة وصيانة الاحراج

وفي ايام اغسطوس قيصر كانت ولادة السيد المسيح في مغارة بيت لحم ثم انه بشر بالانجيل في ايام طيباريوس وسمع اهل صيدا وصور كلامه كما صرح به لوقا في انجيله (١٧:٦) بل سار يسوع الى تخوم صور وصيدا وبشر في ساحل بر الشام وهناك ابرأ ابنة المرأة الكنعانية مرقس (٨:٢٤)

وقد اثبتت مجلة المشرق ان السيد المسيح في سياحته الرسولية في فينيقية قطع لبنان شرقي صيدا مجتازاً فيه ليذهب الى المدن العشر [١]

---

(١) يراد بالمدن العشر مدن كانت دخلت مع ملحقاتها في حكم بني حشناي على عهد اسكندر ليناوس في بدء القرن الثاني ق٠م

ولما جاء بمبيوس الروماني وافتتح سورية وفلسطين سنة ٦٤ ق٠م رفع عن هذه المدن السيطرة اليهودية ومنحها الحق بان تدير شؤونها بنفسها متجردة عن حكم فلسطين وخاضعة راساً لعاصمة المملكة الرومانية وبهذه الواسطة ارتفعت اليد اليهودية عن جميع الامم الذين كانوا خاضعين لليهود لان اكثر سكان هذه المدن وسكان ماحولها من القرى كانوا من غير اليهود

اما هذه المدن المتحالفة فهي كما رواها بلين

سيكتوبوليس اي بيسان

وقد ازدادت بيروت شرفاً بمدرستها الفقهية التي نشأت في اواخر القرن الثاني للمسيح لما صارت الدولة الرومانية في عهدة السلالة المعروفة بالسورية التي كان سبتيموس ساويرس اول ملوكها (١٩٣—٢١٥ م)

وفي عهد القديس غريغوريوس العجائبي في اواسط القرن الثالث كتب عنها احد الجغرافيين اليونان سنة ٢٣٩ م

ان بيروت جامعة لكل الدساتير الرومانية واحد كتبة اللاتين وصف بيروت قائلاً انها مدينة مستكملة الحضارة وفيها مدارس الحقوق على مقتضى الدستور الروماني[١]

جدره	اي ام قيس
حبوس	لا نعلم ما هي اليوم
ديون	« « « « «
رفنا	« « « « «
بلا	اي الفحل
قنثا	« قنوات
دمشق	« دمشق
فيلادلفيا	« عمان
جرس	« جرش

وموقع هذه المدن في شرقي عبر الاردن وفي شرقي دمشق الى حد عمان ومن بصرى شمالاً الى بيسان التي هي وحدها على ضفة الاردن الغربية التي ينطبق عليها بلاد الجولان وحوران

وقد تحالفت هذه المدن لكي تصد غزوات عرب البادية عنها

(١) ونحن نقول ان بيروت اصبحت اليوم مبانيها كانها النجوم في افلاكها ومغانيها كانها اللئالىء في اسلاكها واضحت اعلامها للعلم منار الالباب ومعاهدها

واليها يتوارد الطلبة افواجاً لان منها يخرج المحامون القانونيون لمحاكم العالم كله

والقديس غريغوريوس العجائبي لقبها بالمدرسة الرومانية المحضة وبالمركز الثابت لشرائع رومية

وقال الشاعر نونس بيروت موطن الحقوق ومدينة الفقهاء ومرضعة الحياة باللين والتودُّدة

وقد حفظ التاريخ اسماء بعض معلميها وهم كيرللس وديموستان واوكسيوس ولاونطيوس واناطوليوس ودوروتاوس (١)

منتجعاً للطلاب تملأ محاسنها العيون والقلوب ولكنها تفرغ الاكف والجيوب

ومن حولها لبنان والبحر عشيقان ابد الدهر هذا يهدي حبيبه النسيم عليلا وذاك يخلع عليه السحاب منطقة واكليلا

وبالجملة ان بيروت قد بلغت اليوم من العمران ما لم تبلغه من ذي قبل وما زالت يد الاصلاح عاملة فيها بجد ونشاط ولا سيما في الاونة الاخيرة فان المجلس البلدي ينفق على تمهيد السبل فيها وتحسين شوارعها واسواقها الاموال الطائلة في حين ان اصحاب الثروة يشيدون فيها المباني الفخمة فيكاد الناظر يرى كل يوم بناية جديدة تقريباً من البنايات التي تدل على سعة الثروة وعلى سلامة الذوق في الهندسة والترتيب

واحسن ما تروق بيروت للناظر اليها بعد ان غمرتها مياه نهر الكلب العذبة وما في حدائقها من الرونق والابداع وما فيها من الورد والزهر والرياحين والكمائم التي تعطر بشذاها الارجاء

اما تجارتها وصناعتها ومدارسها ومعاهدها فقد جعلنا لكل منها باباً مخصوصاً كما سيرى القارىء الكريم

١) ونحن نحفظ في تاريخنا هذا اسماء من حذا حذوهم من علمائنا وهم الاتية اسماؤهم بحسب ترتيب حروف الهجاء

ولم تكن مدارس بيروت تقتصر على الفقه فقط بل كانت تعلم العلوم الادبية بفروعها كاللغة والادب والفلسفة وممن تخرجوا في مدارس بيروت غريغوريوس العجائبي اسقف قيسارية في اواخر القرن الثالث للمسيح

وكان لبيروت على مثال رومية حاكمان يرجع اليهما في التدبير مع دار ندوة تتباحث فيها لجنة من رؤساء الاعشار عن امور البلد وكان الاهلون

الشيخ ابراهيم الاحدب . ابراهيم بك النجار . الشيخ ابراهيم اليازجي . الشيخ احمد البربير . احمد افندي فارس الشدياق . وامين افندي الشميل . اسكندر افندي ابكاريوس . البطريرك اسطفان الدويهي . المطران اسطفان عواد السمعاني . امين افندى الجندي . باسيل افندي جباره . المعلم بطرس البستاني . الخوري بطرس التولاوي . المعلم بطرس كرامه . الاب بطرس مبارك الغسطاوي . المطران بولس عواد مطران قبرس . البطريرك بولس مسعد . المطران جرمانوس فرحات . جورج افندي زيدان . جرجس افندي همام . حنا افندي ابكاريوس . الكونت رشيد الدحداح . سليم افندي باز . سليمان افندي البستاني . سليم بك تقلا صاحب الاهرام . الشيخ سعيد الشرتوني . المعلم شاهين عطيه . شاكر افندي شقير شبلي افندي شميل . المعلم شديد يافث . الامير شكيب ارسلان . الاب شيخو اليسوعي . المعلم ظاهر خيرالله . الشيخ عبدالله البستاني . عمر افندي الانسي . عيسى افندي معلوف . فارس افندى نمر . الفيلسوف كرنيليوس فنديك الذي وان يكن اجنبياً بمولده فانه وطني بكونه اقام في بيروت اكثر من نصف جيل وخدم البلاد بكثير من المؤلفات العربية المفيدة

الاب لويس معلوف اليسوعي . البطريرك مكسيموس مظلوم الشيخ ناصيف اليازجي . المطران نعمة الله ابو كرم . نعمه افندي يافث المثري الشهير . المعلم نقولا الترك . المطران غريغوريوس جباره . الشيخ يوسف الاسير . المطران يوسف الدبس . المطران يوسف سمعان السمعاني المشهور . يعقوب افندي صروف وسنجي . على ذكر من فاتنا ذكرهم الان في مكان اخر

هم الذين يختارون حكامهم دون تداخل[1] العاصمة في شوؤنهم وكان الرومان يتقاطرون الى بيروت لترويح النفس ويوثرونها على سواها لقربها من الجبل لقضاء فصل الصيف في مشارفه

ويدلنا على احتلال الرومان في ربوع بيروت الكتابات اللاتينية التي وجدت فيها

ومن المدن الفينيقية التي وقعت تحت عناية الرومان جبيل والآثار الرومانية متوفرة فيها وهكذا لبنان فانه نال حظاً وافراً من النعم الرومانية فحيثما سرت تجد اثراً يشهد بفضل الرومان

وللرومان كتابات عديدة في كثير من انحائه كالعاقورة وتنورين وقرطبا

وقد خصت بيروت بغاباتها القديمة التي بقيت الى ايام العرب وكانوا يعمرون من غاباتها مراكب كثيرة وكانت منسوجات بيروت خصوصاً الصوفية والكتانية مشهورة في كل الاصقاع وقد اشتهرت فينيقية اجمالاً بحدائقها واثمارها ولا سيما العنب

ولقد استفاد الرومان من معادن لبنان ومن غاباته فائدة عظيمة وتركوا فيه ذكراً جميلاً لتنشيطهم التجارة والصناعة في جميع الجهات

وكانت بيروت في اقدم عهد لها تابعة لجبيل ولما نشأت الدولة السلوقية في القرن الرابع ق.م خربها احد مختلسي الملك من دولتهم فبقيت خربة الى العصر الروماني فاحياها الرومان وجعلها اغسطس قيصر سنة ١٣ مستعمرة رومانية ومنحها امتيازات على سواها من مدن فينيقية وفيها جرت

---

(١) ليت لنا اليوم بعض ما كان لهم حينئذٍ

في السنة السادسة ق . م محاكمة ابني هيرودس ملك اليهودية

وفي سنة ٥٥١ اصيبت بزلزال دكها وهدم ابنيتها

ولما قام المسلمون للفتح كانت بيروت في جملة ما دخل في سلطانهم

ولما حمل الصليبيون على الشرق دخلت بيروت في حوزتهم مدة ثم عادت الى المسلمين

ويبدأ تاريخ رقيها الحديث من سنة ١٨٦٠ على اثر فتنة لبنان اذ نزح اليها كثير من الخلق وانشأ المرسلون المدارس فيها لتعليم الفقراء

فينيقية ولبنان

— في عهد الروم —

تبعت فينيقية ولبنان حكم القسطنطينية وملوك الروم من بعد عهد ثيودوسيوس الى ايام العرب

بعد تنصر قسطنطين الكبير ارتد كثيرون من الاهلين الى النصرانية الا ان النصرانية لقيت عقبات كثيرة لرسوخ قدم الوثنية فيه وكثرة هياكل الاوثان على قممه

اما قسطنطين فقد ساعد على انتشار النصرانية كما سبق القول بتدميره تلك الهياكل وتبديد كهنتها كما فعل في هيكل افقا

ولما جلس يليانس نصير الوثنين على منصة الملك بعد قسطنطين امر بتعزيز عبادة الاصنام ومصادرة المتنصرين وبترميم هيكل افقا ولكن يليانس لم يلبث ان قتل في حرب الفرس فماتت الوثنية بموته وقام بعده

يثيانس سنة ٣٦٣م وثيودوسيوس سنة ٣٧٩م يعضدان النصرانية فتحولت اكثر الهياكل الوثنية الى معابد مسيحية والى معاهد علمية وكان القديس يوحنا فم الذهب [١] الخطيب الطائر الشهرة يرشد الناس الى طرق الهدى وقد اخذت الرهبانية من ذلك الحين في النمو فازهرت في الشرق بفضل القديس انطونيوس الكبير على ما سيجيء بعد ازهارها في الصعيد وقبل ان يبتني المتنسكون الاديار سكنوا الكهوف والمغاور التي منها مغاور عدلون بين صور وصيدا البالغ عددها نحو المئتين والكهوف المنقورة في الصخور

---

(١) ولد القديس يوحنا فم الذهب في انطاكية سنة ٣٤٧ من ابوين وثنيين تنصرا بعد ولادته وكان ابوه المسمى ساكوندوس رئيساً في الجندية وبعد ان بلغ يوحنا اشده سلمه ابوه الى احد علماء ذلك العصر فاعتنى به فدرس يوحنا العلوم والشرائع والفصاحة والخطابة فنبغ فيها كلها وقد لقب بفم الذهب لانه كان اعظم خطباء زمانه

ثم انه اتخذ المحاماة مهنة له واخذ في اثناء ذلك يتردد على القديس ملاتيوس البطريرك الانطاكي فمالت نفسه الى التنسك فتنسك والف في عزلته كتباً عديدة في اللاهوت وفي غيره فبعد صيته ورقاه البطريرك ملاتيوس الدرجات المقدسة الاولية ولما مات ملاتيوس وخلفه فلابيانس سام يوحنا كاهناً وجعله نائباً عنه ولم يلبث ان جعل بطريركاً على القسطنطينية واحصي من اباء الكنيسة اليونانية.

ورغماً عما وقع عليه من الاضطهاد والنفي فانه ظل مجاهداً في سبيل رفع شأن الكنيسة ومجدها

وقد مات في منفاه في شهر ايلول للسنة ٤٠٧ م ودفن هنالك

كمغاور الفرزل[1] ونيحا التي يسميها الفرازلة مقام الحبيس (لعله القديس

(١) الفرزل هي قرية من قرى بقاع العزيز وهي على ما ورد في تاريخ زحلة لعيسى افندي معلوف تحريف برزل اي الحديد بالفينيقية والسريانية موقعها في المنقلب الشرقي من سفح لبنان الغربي واليها تنسب اسقفية زحلة الكاثوليكية ولعل ذلك مسبب عن خراب زحله قبلها فنقلت الاسقفية اليها ثم اعيدت الى زحله في اوائل القرن الثامن عشر للميلاد كما اشار الى ذلك المرحوم المطران غريغوريوس عطا وهو احد رؤساء اساقفة الروم الكاثوليك وكان مطراناً لابرشية النبك وسكانها اليوم نحو الف نفس وهم معروفون باكرام الضيف وبالجد والنشاط وقد شاد فيها في الاونة الاخيرة المطران كيرلس مغبغب مطران زحله والفرزل للروم الكاثوليك مدرسة تستوعب عدداً وافراً من التلاميذ وجهزها بالمعدات اللازمة ومن نحو سنتين فتحت ابوابهـا

وفي هذه القرية آثار قديمة ومغاور وما زالوا يدعونها حتى اليوم مغاور الحبيس وعلى هذه المغاور نقوش رائعة قديمة العهد وفيها اثار هيكل قديم ربما كان معبداً وامامه مسلة مصرية الشكل متوجة باكليل من الغار

والفرزل تبعد عن زحله عشرين دقيقة بالسيارة وعلى بعد عشر دقائق من الفرزل للجهة الشرقية قرية نيحا وهي تعلو عن سطح البحر نحو الف متر فيها من الكروم الفاخرة ما لا يوجد في سواها الا في قريتين مجاورتين لها وهما النبي ايلا وقصرنبا وفي هذه القرية هيكلان احدهما على رابية فوقها يدعى (قلعة الحصن) وهو من هياكل المشتري البعلبكي وبانيه ادريانوس اغسطوس في القرن الثاني على علو ١٣٠٠ متر عن سطح البحر وطوله ٤٠ ذراعاً وعرضه ١٦ وفيه نقوش بديعة ورسوم كثيرة منها تمثال امرأة ساحرة

والثاني هو في وسط القرية ويسمى (قلعة العين) وهو هيكل للنذور شيد للاله هادرناس وكان مخصصاً لعبادة العذارى وعليه كتابة معناها ان عذراء كرست ذاتها لهذا الاله

وقد اقتلعت جمعية المانية من جدار من كنيسة الروم الارثوذكس في القرية

حجراً يمثل امراة وطفلاً وامامه عجلان معدان لتقديمها محرقة للمشتري وكان اقتلاع الحجر على مشهد كاهن القرية الذي اعترض وشكا الامر للحكومة ولكن على غير فائـدة

وفي القرية ايضاً اطلال بناء صغير على رابية مشرفة على سهل البقاع المنبسط امام القرية ويسمى هذا البناء (قلعة الضهر) ويستدل انه كان مرقباً يرقبون منه القادمين الى القرية من الاعداء

وفي هذه القرية عين ماء يقال لها (عين العكوية) يقل نظيرها من حيث جودة مائها ومن حيث ان مائها لا يزيد ولا ينقص في جميع ادوار السنة ولا يعكر صفاؤه في حين ان ما حوله من المياه يتضاعف في ايام الشتاء وقد وصف احد (قوالي المعنى) هذه العين بقوله :

يا بشرب مية نبحا	يا بقضي زماني عطشان
يا باخذ مرا مليحة	يا بحلف عالنسوان

وفيها جدول وعيون اخرى لسقاية الاملاك التي هي عبارة عن سهول لزراعة الحبوب اما كروم العنب فتملأ مساحة كبيرة من اراضيها وانواعه كثيرة اهمها العبيدي المعد لاستقطار الخمر والعرق وعنب المير وخدود البنات والتفيفيحي وغيرها

والمعامل المعدة للعرق فيها ١١ معملاً وعرقها مشهور بجودته وبخلوه من الغش فلا يحتاج ذوو المعامل الى استعمال السبيرتو الاجنبي في عرقهم مع وفرة العنب الفاخر في القرية وفي ما حولها من القرى ولا يبخلون عليه بما يلزمه من اليانسون الجيد ما زال اليانسون من جملة حاصلات اراضيهم

ولنا قسم يسير من املاك هذه القرية ومعمل من معاملها بعنوان (اسود ومعلوف)قد امتاز بجودة مصنوعاته واشتهر خاصة في بيروت وبعض تجار العرق في الاماكن الاميركية التي يجوز ادخال المشروبات الروحية اليها يستوردون كل سنة كمية وافرة من عرقه

واهل هذه القرية المؤلفة من ستين بيتاً تقريباً معروفون بحسن الاخلاق واهم العائلات فيها عائلات معلوف وهراوي وايوب ورميلي وابو فرح وكل هولاء نزحوا اليها

الكائنة على مقربة من قرية الهرمل بمكان قريب من نهر العاصي

من قصبة بسكنتنا ومن قرية كفرعقاب اللبنانيتين

وفيها كنيستان واحدة للروم بناها حضرة الخوري يوسف معلوف بالمال الذي جمعه من المحسنين في اميركا والثانية للموارنة بنيت بسعي بولس افندي هراوي احد وجهاء القرية ولا يوجد فيها سوى نفر يسير من الروم الكاثوليك ومن الشيعيين

وقد اتفق وجودي في احد ايام الصيف من بضع سنوات مع لفيف من اصدقائي في حديقة لي امام عين العكوبة وكان يطربنا اذ ذاك في تلك الحديقة حفيف اشجارها وتغريد اطيارها وخرير المياه التي تنحدر من جوانبها فعن لي ان اقرظ تلك العين بقصيدة منها :

ياعين ماؤك درياق يعيد لنا	عهد الشبيبة بعد الشيب والهرم
خير البلاد مكان انت نابعة	فيه وماؤك يغنينا عن الديم
اضحت ثغور الاقاحي فيك باسمة	(وتستكين لك الاولاك من عظم)
والسهل تحتك مثل البحر منبسط	يقري الوفا، ولم ييأس من الكرم
وقلعة العين قد قامت تدل على	عصر مجيد لنيحا كان في القدم
قد فاخرت بعلبكاً في مناعتها	وفي محاسنها فاقت على الهرم
واصبحت عن مباني الكون عالية	علو همة بانيها على الهمم
وقلعة الضهر قد دلت بموقعها	على مراقبة الاعدا من الامم
وقلعة الحصن من آثارها عرفت	بكونها هيكلاً للشمس والصنم
وتحتها بقعة منها قد انبجست	عين السنان تعيد الروح للرمم

ومنها

وقد بدت حولك الاشجار حاملة	جواهر العنب الشافي من السقم
اخصه عنب المير الذي سطعت	منه الاشعة تجلو حندس الظلم
ومنه نوع خد البنت منتسب	بكل عين غدا يحلو وكل فم
ومنه نوع التفيفيحي وهو متى	ابصر بعنقوده الحلو الجنى أهم
وان اذق حبة منه بدون مرا	نقت عظامي من ادرانها ودمي

ومنها مناسك قنوبين المشهورة[1]

اما مدارس بيروت الفقهية فقد بقيت في عزها في عهد الدولة البوزنطية وكان عدد الطلبة لا يزال نامياً يتقاطرون اليها من كل صوب

واما فينيقية فقد ظلت الى اوائل القرن السادس سائرة على قدم النجاح وما بلغ الفينيقيون اواسط ذلك القرن حتى دهمتهم تلك الزلازل العظيمة التي تكرر حدوثها في بر الشام فقلبتها ظهراً لبطن وقد اصيبت

فحبذا اكلة منه تكون ضحى　　وحبذا جرعة من مائك الشبم
وحبذا الطير في الاغصان صادحة　　تسبح الله في بدء ومختتم

---

(١) قنوبين لفظة يونانية معناها الدير وقد جعل هذا الدير منذ اواسط القرن الخامس عشر مسكناً لبطاركة الموارنة واول من انتقل اليه البطريرك يوحنا الجاجي الذي توفي سنة ١٤٤٥ وما زال خلفاؤه يسكنون هذا الدير الى ايام البطريرك يوسف ضرغام الخازن الذي صار بطريركاً في سنة ١٧٣٣ فانه اقام بكسروان ثم اقام بعض خلفائه في دير مشموشه من اعمال قضاء جزين ثم عاد الذين تولوا البطريركية بعده الى كسروان

وفي سنة ١٨٩٠ قرر مجمع بكركي ان يكون دير بكركي مقراً للبطريركية ولكن البطريرك يوحنا الحلو سكن بعد هذا القرار في دير قنوبين عملاً بقرار مجمع اللويزة واخيراً جعل دير بكركي مقراً ثابتاً للبطريركية

ولما رقي البطريرك يوحنا الحاج الى منصة البطريركية جدد بناء دير بكركي هذا وجعله على طراز فخم لائق بالمقام البطريركي

وهكذا لما تسنم البطريرك الياس الحويك البطريرك الحالي كرسي البطريركية شرع بانشاء صرح صيفي للبطريركية في الديمان القريبة من قنوبين هو اكثر اتساعاً من دير بكركي واصبح بناوه على وشك النهاية

بيروت بخسارة عظيمة بسببها وافجع من ذلك الهزات الارضية التي حصلت سنة ٥٤٣ فانها قد غيرت هيأة الساحل اللبناني وافجع من هذه وتلك الزلزال الذي حصل في ٩ تموز سنة ٥٥١ فقد اهتز له الساحل الفينيقي برمته من جزيرة ارواد الى صور وكان نصيب بيروت اوفر من سواها وانخسفت الارض في قيسارية وصور وصيدا وبيروت وجبيل والبترون فخرب قسم كبير من هذه المدن والبحر قد جزر الى مسافة ميل ثم مدَّ على شبه جبل مائع وسيل عرمرمي بصدمة هائلة فحطم السفن واودى بحياة الوف من البشر ودمر كل ابنية بيروت واساخها في قلب الارض

وقد نقلت مدرسة بيروت يومئذٍ الى صيدا وبعد سنين قليلة تم اصلاح بيروت فعادت مدرستها اليها وعادت الامور الى مجاريها وفي سنة ٥٦٠ شبَّ في بيروت حريق هائل فالتهم معاهدها ومساكنها وقد بقيت صرعى زماناً طويلاً الى ان اشرق نور القرن التاسع عشر حيث بدأت تنفض عنها ثوب الهوان وتزدان بحلة العمران وها هي اليوم كما سبق القول وقد ازدانت بقصورها الفخمة وبمدارسها العالية اصبحت عروس المدائن ولا ريب في انها ستبلغ الدرجة القصوى من الفلاح والازدهار لانها اصبحت عاصمة مملكة لبنان الكبير

—✻ فينيقية ولبنان ✻—

— في عهد العرب —

بعد ظهور الاسلام وظفر جنود خالد بن الوليد وابي عبيدة بدمشق

استخلف ابو عبيدة يزيد بن ابي سفيان على دمشق سنة ١٣ هجرية الموافقة ٦٣٥ م

فسار يزيد ومعه اخوه معاوية الى صيدا وعرقة وجبيل وبيروت ففتحها

ثم ان الروم تغلبوا على بعض هذه السواحل في اول خلافة عثمان فقصدهم معاوية وفتحها

وبعد ان دخلت سواحل الشام في حكم العرب وخاف عليها معاوية من غزوات الروم استدعى قوماً من الفرس ليستوطنوها وكانت فينيقية في ايام الخلافة الاموية [1] منوطة بدمشق وتعد بيروت فرضة لها. فلما اراد

---

(١) الدولة الاموية سميت كذلك نسبة الى بني امية الذين تولوا الخلافة بعد الخلفاء الراشدين

واول خليفة جلس على منصة الخلافة من الامويين هو معاوية واليك البيان

لما توفي الامام علي كرم الله وجهه بويع لولده حسن بالخلافة فكان ميالاً للمسالمة فزحف معاوية لمحاربته فسار اليه الحسن في جيشه ولكن لم يلبث هذا الجيش ان حصل فيه اضطراب ادى الى تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية وكان ذلك في سنة ٤٠ للهجرة

وقد اتخذ معاوية دمشق مركزاً لخلافته فاصبحت دمشق مركز الخلافة الاموية كما كانت المدينة قاعدة الخلفاء الراشدين وهم كرم الله وجوههم: ابو بكر الصديق عمر بن الخطاب · عثمان بن عفان · علي بن ابي طالب · الحسن بن علي بن ابي طالب

وكان معاوية عظيماً بين قومه بعيد النظر فوطد اركان سلطنته ثم صرف همته الى توسيعها في الخارج فكان له ذلك وقد بلغ عدد السفن الحربية في عهده ١٧٠٠ وكان يرمي بها جزائر الروم حتى انه افتتح اكثرها

معاوية غزو قبرس في سنة ٢٧ هـ عمر المراكب في بيروت لهذه الغاية وجهز فيها الجيش لمحاربة الروم اما لبنان فما امكن للعرب غير فتح سفوحه القريبة من البحر لوعورة مسالكه ولتحصن اهله في حصونه الحريزة ولا سيما بعد ان اوفد ملك الروم قوماً من جندهم يعرفون بالمردة عهدوا اليهم بالدفاع

وبعد موت الخليفة مروان طلب عبد الملك الخلافة بعده فخرجت خيل الروم الى جبل اللكام وصارت الى لبنان فاضطر عبد الملك الى مصالحة

وقد بلغ من حرص معاوية ان حمل الناس على مبايعة ابنه يزيد في حياته ليكون خليفة بعد مماته فنجح في حين ان يزيداً لم يكن يصلح للخلافة

وبهذه الوسيلة جعل الملك وراثة في الاسلام اعتباراً من سنة ٥٦ هـ

وقد توفي معاوية بعد ان تولى الخلافة زهاء ٤٠ سنة وكانت وفاته في سنة ٦٠ هـ وعمره ٧٥ سنة وبعد وفاته بويع لولده يزيد ثم اخذ يتوالى جلوس الخلفاء الامويين على منصة الخلافة الى سنة ١٠٤ هـ حيث انتقض حبلهم وقام بنو العباس بتدبير الخلافة

ومما يروى ان احد القياصرة كتب الى معاوية اخبرني عمن لا قبلة له وعمن لا اب له وعمن لا عشيرة له وعمن سار به قبره وعن ثلاثة اشياء لم تخلق في رحم وعن شيء ونصف شيء ولا شيء وابعث اليّ في هذه القارورة بكل شيء

فبعث معاوية بالكتاب والقارورة الى ابن عباس فقال :

اما من لا قبلة له فالكعبة واما من لا اب له فعيسى واما من لا عشيرة له فادم واما من سار به قبره فيونس (يونان) واما ثلاثة اشياء لم تخلق من رحم فكبش ابراهيم وناقة ثمود وحية موسى واما شيء فالرجل له عقل يعمل به واما نصف شيء فالرجل ليس له عقل ويعمل برأي ذوي العقول واما لا شيء فالذي ليس له عقل ولا يستعين برأي غيره

وملأ القارورة ماء وقال هذه بزر كل شيء فبعث به الى معاوية فبعث به الى القيصر فلما وصل الكتاب والقارورة قال ما خرج هذا الا من اهل بيت النبوة

طاغية الروم[1] على شيء يؤديه اليه والى مصالحتهم على الف دينار[2] في كل اسبوع

والى الدولة الاموية ينتسب الجامع الاموي في دمشق بناه الوليد سنة ٨٨ هـ ويقال ان عدد البنائين والرخامين الذين كانوا يشتغلون فيه ١٢ الفاً وان ما صرف عليه هو اربعمائة صندوق كل صندوق فيه ٢٨ الف دينار وانه كان فيه ستمائة سلسلة ذهبية لتعليق القناديل نقلها الخليفة عمر بن عبد العزيز الى بيت المال وقبل ان يتم بناؤه مات الوليد فاتم البناء اخوه سليمان

وفي سنة ١٣١٠ هـ اضطرمت النار في هذا الجامع فالتهمت ما كان فيه من الابنية الذهبية والفضية وما كان من الطنافس الثمينة وغيرها مما قدر بالوف من الليرات الذهبية

وفي سنة ١٣٢٠ هـ دفعت الغيرة رجال الدين والفضل فنهضوا لترميمه وجمعوا لهذه الغاية ٦٠ الف ليرة ذهبية تبرع بمبلغ وافر منها السلطان عبدالحميد ورغماً عن ذلك ما امكن ان يعاد اليه رونقه السابق

واتفق سنتئذٍ وجود غليوم امبراطور المانيا ووجود الامبراطورة زوجته الاولى في دمشق فزارا الجامع والعملة يشتغلون فيه وكنت انا في عداد من وجدوا في الجامع حينئذٍ لانني كنت مرافقاً الموكب الامبراطوري بامر من الباب العالي لادون الرحلة الامبراطورية على ما سيجي، فقال لي اذ ذاك المرحوم ناظم باشا الذي كان والياً لسورية في تلك السنة ومن جملة اعضاء الموكب الامبراطوري لا بد من ان الامبراطور يتبرع اليوم بمبلغ للجامع اما الامبراطور فبعد ان طاف جوانب الجامع عاد الى مقره ولم يشعر بهذا الواجب المقدس

(١) الطاغية لقب ملك الروم

(٢) الدينار ضرب من المعاملة القديمة قال البعض انه قطعة فضية تساوي ٤٨ شعيرة وقال الاخرون انه قطعة من الذهب وان القطعة الفضية هي الدرهم

ولذلك يشبهون الدينار بالشمس والدرهم بالبدر قال الشاعر

ويظلم وجه الارض في اعين الورى   بلا شمس دينار ولا بدر درهم

قال مؤرخو الروم والسريان كتاوفان ومحبوب المنبجي وابن العبري [1] وايد قولهم العلامة الفرنساوي انكتي ديرون ان هؤلاء المردة فرقة من الجنود ارسلها الملك قسطنطين اللحياني الى الشام للمدافعة عنها فاحتلوا لبنان ودوخوا العرب على ما سيجيء مفصلاً

وفي ذلك الوقت تألفت بين العرب احزاب قسمت الدولة الى حزبين

---

(١) ابن العبري هو جمال الدين ابو الفرج مار غريغوريوس بن تاج الدين هرون بن توما الملطي ويعرفه الافرنج بابي فرج ABOULFARAGE كان ابوه طبيباً مرتداً من اليهودية الى النصرانية وقد ولد في ملاطيا من اسيا الصغرى ثم رحل مع ابيه الى انطاكية وكان عالماً كبيراً وشاعراً مجيداً يعرف اللغات العربية والسريانية واليونانية معرفة جيدة ثم اشتغل بالعلوم اللاهوتية والرياضية والفلسفية وبرع فيها كلها ثم زهد في الدنيا وانقطع ببعض الاديرة في نواحي انطاكية متجرداً للعبادة والدرس والتصنيف فجعله اهل ملته جاثليقاً وهي رتبة دون رتبة البطريركية

وقد الف كتباً كثيرة في علوم شتى باللغتين العربية والسريانية واشهر مؤلفاته تاريخان احدهما باللغة العربية والسريانية والاخر بالعربية وهما يتضمنان اخبار الدول الاسرائيلية والكلدانية والفارسية واليونانية والرومانية والاسلامية والمنغولية ومن جملة منظوماته قصيدة تغزل فيها بالحكمة الالهية ومما قاله فيها

بدت تجلو بعالمنا سناها ... فنور الشمس يخجل من ضياها
فتاة راق منظرها ورقت ... سهام ارسلتها مقلتاها
وكم قد اطمعت بالوصل قوماً ... ولكن لم ينل احد جناها

الى ان قال

برمان النهود لي افتتان ... وتفاح الخدود بها تزاهى
شغفت بحسنها فضنيت وجداً ... بها من يوم اظهر لي بهاها

وهي طويلة وقد شبه بعض الشعراء غزلها بغزل ابن الفارض وبعضهم شبهه بنشيد الانشاد لسليمان الحكيم

متماكسين يمني وقيسي[1] انحاز الى الاول قبائل اليمن والى الثاني القبائل

---

(١) كان قيس ويمن زعيمين في الجاهلية فتبع كلا منهما قبائل نسبت اليه وقد سرى هذا الميل الى اللبنانيين فانقسموا حزبين قيسي و يمني فولد هذا بينهم الخصام وقد جرت بينهم مواقع عديدة منها موقعة العافورة سنة ١٥٣٤ م بين مالك اليمني وهاشم القيسي وموقعة مارحانا (ضهور الشوير) التي حصلت في سنة ١٦٣٦م

وكان الامراء آل معن زعماء الحزب القيسي في لبنان ولما انقرضوا ساد اليمنيون و بعد ان تولى آل شهاب تولوا زعامة الحزب القيسي ايضاً

وفي سنة ١٦٦٤ وقعت حرب بين القيسية واليمنية في الشوف دامت سنتين فحطم القيسيون شوكة اليمنيين وسنة ١٦٦٧ تجددت الفتنة في حي الغلغول ببيروت فقتل في اثنائها المقدم عبدالله بن قيدبن الصواف وكان النصر حليف القيسيين ايضاً . وسنة ١٧١١ وقعت حرب بين الامير يوسف علم الدين اليمني والامير حيدر شهاب القيسي في غزير تقهقر فيها اليمنيون وارتفع لواء القيسيين ومع ذلك فان الامير حيدر المشار اليه لم يثق بظفره حينئذٍ ورام ان يختفي عن اعين اعدائه وسار الى الهرمل ببعض اعوانه واختبأ بمغارة هنالك تعرف بمغارة عزرائيل

ولما تحقق اخصامه اليمنيون خروج القيسيين من غزير دهموها سحراً ونهبوها واحرقوها وعادوا الى دير القمر وقال احد الشعراء في ذلك

نكب الجيشيون اعظم نكبة ... لما اغار عليهم الجمع الغفير
هذا جزا من زاد في طغيانه ... فلاجل ذا ارختها ندمت غزير

١٧١١

وجرى بين اليمنيين والقيسيين موقعة كبيرة في عين دارة هلك فيها من الفريقين خلق كثير وقد دارت الدائرة حينئذٍ على اليمنيين فان القيسيين قتلوا من قتلوا منهم حينئذٍ وقبضوا على الباقين منهم وهم ثلاثة وقطعوا رؤوسهم و بموتهم انقرضت سلالة آل علم الدين رؤساء اليمنيين وسنجيء على بيان ذلك بالتفصيل في محله

ولم يزل لهذين الحزبين اثر بين في عين داره احدهما قيسي والاخر يمني كما انه لم يزل لهما اثر في نفوس بعض اللبنانيين حتى اليوم

المنتمية الى مضر وقيس عيلان فامتدت المنازعات بينهما عدة اجيال

ومعما كان يحدق من الاخطار ببني امية لم يعدلوا عن رغبتهم في فتوح البلدان

وكانت الدولة الاموية تحسن الصنع الى رعاياها وتتساهل معهم في امور دينهم لقلة العرب في المدن وكثرة الوطنيين ثم صار المسلمون يتكاثرون والروم يقلون حتى صار اكثرهم

الخلفاء العباسيون [1]

وبعد انقضاض جيل الامويين قام في تدبير الخلافة بنو عباس ونقلوا

وكثيراً ما رأينا رجالاً من اللبنانيين يتخاصمون لان فريقاً منهم يؤيد (ذياب) والاخر (ابو زيد) وقد مرت عليهما الاجيال ومن جهة اخرى يتفق ان ما دون في الاقاصيص بحقهما يكون من قبيل الروايات الخيالية

(١) هم الذين تولوا الخلافة بعد الامويين واول الخلفاء العباسيين هو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ولد في سنة ١٠٤ هجرية ولقب ابو العباس السفاح لكثرة سفحه الدماء

لقد ظهر السفاح في الكوفة وسلم عليه الناس بالخلافة وجعل شعاره السواد فقام مروان لمحاربته فحاربه العباسيون كلهم فهزموه وطاردوه حتى مصر وهنالك قتل فانقرضت الدولة الاموية بقتله وقد وقع ذلك في سنة ١٣٢ هـ بعد ان تولى الخلافة مدة خمس سنوات وعشرة اشهر

ولما رسخت قدم السفاح في الخلافة دعا من بقي من بني امية الى وليمة ولما اجتمعوا امر بهم فضربوا بالعصي حتى وقعوا على الارض فبسط عليهم البسط وابقاهم تحتها حتى ماتوا جميعاً . ولما عرف الباقون من بني اميه ذلك اركنوا الى الفرار وممن

العاصمة من دمشق الى بغداد فنزلت سورية عن مقامها الرفيع ولكن الخلفاء

تشرد منهم عبد الرحمن ابن معاوية فانه عبر البحر حتى وصل الى الاندلس واسس الدولة الاموية فيها سنة ١٣٩ ﻫ ولم تزل آثارها في الاندلس حتى اليوم وسنأتي على مختصر من تاريخ هذه الدولة

وفي عهد السفاح حدثت ثورات عظيمة فتغلب عليها وابتنى مدينة دعاها الهاشمية واتخذها مقراً للخلافة وقد توفي في هذه المدينة وله من العمر ٣٣ سنة ومدة خلافته اربع سنوات وعند موته اوصى بالخلافة لاخيه ابي جعفر المنصور

وبعد ان جلس المنصور على منصة الخلافة واستقر له الامر بنى مدينة بغداد سنة ١٤٥ وسماها مدينة السلام وجعلها قاعدة للخلافة بدلاً من الهاشمية وفي ايامه شرع بتدوين العلم وكتابته فتوفرت له الاسباب لوجود كثير من الائمة الاعلام من المسلمين في عهده وقد صنف اذ ذاك ابو حنيفة الفقه ورتبه ودون غيره كتب العلم وصار وضع اصول اللغة العربية كالنحو والمعاني والبيان وجري نقل علوم الفرس واليونان الى العربية كالفلك والطب والهندسة والفلسفة وترجم الى العربية كتاب كليلة ودمنة من الفارسية وترجم ايضاً اليها كتاب اقليدس في الهيأة والهندسة والحساب وكتب ارسطو وافلاطون وفيثاغورس بعض فلاسفة اليونان

وفي عهده ترقت الصناعة والزراعة وفي سنة ١٥٨ ﻫ ذهب ليحج فمرض ومات في بئر ميمون وعمره ٦٣ ومدة خلافته ٢٢ سنة فتولى الخلافة بعده خلفاء لم يأتوا امراً مذكوراً ولما انتهت الخلافة الى هرون الرشيد سنة ١٧٠ وجه نظره الى ضبط البلاد فانشأ المعاقل والحصون وذهب الحاج ماشياً واجرت زوجته الماء الى مكة من عين قريبة منها فصرفت على ذلك اموالاً طائلة ولم تزل الى الان تسمى عين زبيدة وقد ضرب المثل بفضلها وحلمها ومما يحكى ان احد الشعراء مدحها بقصيدة يقول من جملتها

ازبيدة ابنة جعفر   طوبى لزائرك المثاب
تعطين من رجليك ما   تعطي الاكف من الرغاب

فهم الخدم بضربه وكانت هي خلف الستار تسمع فقالت دعوه لانه لم يرد الا

خيراً ولكنه اخطأ الصواب فانه سمع قولهم شمالك اندى من يمين غيرك فظن ان الذي ذهب اليه من هذا القبيل

وكان هارون الرشيد معاصراً لشارلمان الكبير ملك فرنسا فاهداه الرشيد اشياء نفيسة من مصنوعات الشرق منها ساعة دقاقة ظن اهل فرنسا انها ضرب من ضروب السحر حينئذٍ وكانت تلك الساعة نحاساً مصفحاً بالذهب تشير الى الساعات على دائرة فيها ولدى تمام كل ساعة تخرج منها كرات حديدية فتسقط على ناقوس فتقرعه بقدر الساعات المنقضية ثم تخرج منها فرسان نحاسية فتتسابق سباق العرب ثم ترجع الى منازلها و يقفل وراءها الباب

وسنأتي على وصف الساعة في مكان آخر

وكان الرشيد اعقل ملوك بني العباس وكانت ايامه ايام رخاء وعز وقد فتح صدره للعلماء والحكماء والشعراء وانشأ المصانع والمراصد وفتح كثيراً من المعاهد والمشاهد حتى اصبحت بغداد تعد دار الحضارة في العالم في ذلك الحين

وكان يصل كل واحد من العلماء والشعراء بصلة كريمة فارتفع في ايامه نجم العلم وهو نفسه كان شاعراً وقد مات سنة ١٩٣ هـ وعمره ٤٧ سنة ومدة ولايته ٢٣ سنة و بضعة شهور وقد اوصى قبيل موته بالخلافة لابنه الامين ثم لاخيه المأمون بعده وكان الرشيد يحب المأمون لانه اعقل من اخيه وكانت وصيته له لا تتكل على ان تقول كان ابي الرشيد واعمل على من يتكل عليه من يقول كان ابي المأمون

وكان الامين ضعيفاً فزين له الفضل بن الربيع خلع اخيه المأمون ومبايعة ابنه موسى (ابن الامين) فاعلن خلع اخيه المأمون وجعل ابنه ولي العهد فنشأ عن ذلك محاربات بينهما انتهت بقتل الامين

وحيث كان الخراسانيون بايعوا المأمون في حياة الامين اصبحت المبايعة بعد قتل الامين عامة في سنة ١٩٨ هـ ولكنه لم يأت بغداد الا في سنة ٢٠٤ ومن ذاك الحين اخذ يعمل على اسعاد المملكة و برهن بما قام به من الاعمال الجليلة على انه اعقل من جلس على كرسي الخلافة وقد بلغت المدنية في عهده اوج سعدها وتوفرت

وقد رأى ابو جعفر المنصور العباسي ان تحصين الثغور الفينيقية واجب

المؤلفات في الفلسفة والهندسة والفلك والطب والجبر والكيمياء والميكانيك وعن هذه المؤلفات اخذ الاوربيون كتب مدنيتهم ولكنهم قد تفوقوا بما قام لديهم من الوسائل بحكم الظروف

وقد توفي المأمون في سنة ٢١٨ وعمره ٤٨ سنة ومدة خلافته عشرون عاماً

ثم توالى بعده جلوس الخلفاء وكان المعتصم اخر خليفة في الدولة العباسية فقتل وبقتله انقرضت الدولة العباسية بعد ان دامت ٤٢٤ سنة من سنة ١٣٢ الى سنة ٦٥٦ وعدد الخلفاء ٣٧

الا ان خلافتهم تجددت في مصر وعدد خلفائها (١٥) ومدة خلافتهم ٢٥٥ سنة وكان المتوكل آخر الخلفاء العباسيين في مصر ولما استولى السلطان سليم العثماني على سورية ومصر سنة ٩٢٣ استلم من المتوكل الاثار النبوية الشريفة وهي اللواء والسيف والبردة واستلم منه ايضاً مفاتيح ابواب الحرمين الشريفين فانتقلت الخلافة الى آل عثمان

ولما عاد السلطان سليم الى الاستانة اخذ المتوكل معه فمكث فيها الى ان شاخ واذ ذاك استأذن السلطان سليم بالعودة الى مصر فاذن له ومات سنة ٩٤٥ هـ

اما الدولة الاموية الاندلسية فاليك مختصر تاريخها

الدولة الاموية
— في الاندلس —

الاندلس احدى مقاطعات اسبانيا واسمها في الاصل وندلوسيا نسبة الى الوندال وكانوا قد استوطنوها بعد الرومان فلما فتحها العرب سموها الاندلس ثم اطلقوا هذا الاسم على اسبانيا كلها

وكانت اسبانيا في جملة مملكة الرومان الغربية الى القرن الخامس للميلاد فسطا عليها القوط وهم من القبائل الجرمانية ثم ان هؤلاء سطوا على مملكة الرومان وانشأوا الممالك في فرنسا والمانيا وانكلترا وغيرها وهي الدول الباقية في اوربا الى الان

ثم ان قبيلة القوط الغربيين سطوا على اسبانيا في القرن الخامس وانشأوا فيها

دولة قوطية انتهت بالفتح الاسلامي المحكى عنه

وكانت عاصمة مملكة القوط طليطلة وكانت عامرة بالقصور والحصون والقلاع والكنائس والاديار وكانت مركز الدين والسياسة وكان ملك الاسبان يدعى رودريك والعرب يسمونه (لذريق) وهو قوطي الاصل اختلس الملك وتولى سنة ٧٠٩ م لانه لم يكن من العائلة المالكة

وكانت اسبانيا تنقسم يومئذ الى ولايات او دوقيات يتولى كل دوقية منها حاكم يسمى الدوق او الكونت ويرجعون في احكامهم جميعاً الى الملك المقيم في طليطلة

وطليطلة واقعة على اكمة مؤلفة من اكمات يحيط بها نهر التاج من كل جهاتها الا الشمال وفيها مغارس الزيتون وكروم للعنب وغابات السنديان والصنوبر وفي منتصف المدينة الكنيسة الكبري التي جعلها المسلمون بعد الفتح جامعاً

وفي القرن الثامن استفتح العرب بعض البلاد الاسبانية عن يد الامير موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد المنسوب اليه الجبل المعروف باسمه وبيان ذلك هو انه بعد ان توفي الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٨٥ هـ خلفه ابنه الوليد فانصرف همه الى توسيع المملكة الاسلامية فبعث قتيبة بن مسلم نحو الشرق فاوغل في بلاد الترك حتى ادرك حدود الصين وبعث اخاه مسلمة بن عبد الملك شمالاً لغزو بلاد الروم ففتح عمورية وهرقلة وقمونية وغيرها وانفذ موسى بن نصير الى افريقيا فولاه اياها وامره ان يتم فتحها وكانت افريقية قد فتحت في صدر الاسلام والحقت بمصر واهمل شأنها لبعدها

وموسى هذا كان عربياً لخمياً حسن الاعتقاد في الاسلام وقائداً باسلاً وكان في جملة مواليه رجل من البربر يدعى طارق بن زياد وكان شجاعاً وقد اعتنق الاسلام واظهر غيرة عليه ورغبة في تأييده فلما اتسعت فتوح موسى في افريقية ولى مولاه طارق على طنجة واعمالها وترك عنده ١٩ الف فارس من البربر ممن اسلموا ورجع موسى الى افريقية ولم يبق في تلك البلاد غير خاضع للمسلمين الا مدينة سبتة وكان حاكم سبتة اذ ذاك الكونت يوليان وهي فرضة داخلة في البحر مشرفة على بحر الزقاق المسمى الان

بوغاز جبل طارق

ولما قام طارق باعباء ما عهد اليه القيام به رقاه الامير موسى حتى جعله قائد حامية طنجة ثم انه اعد سبعة الاف من الموالي والبربر وفيهم بعض العرب لفتح الاندلس وولى طارقاً عليهم فعبر طارق بجنوده بحر الزقاق في سفن اعدها له يوليان المذكور نكاية بملك الاندلس المدعو رودريك لما كان بينهما من العدوان ونزلوا جبل طارق ولذلك دعي باسمه وكان ذلك في سنة ٩٢ هـ في زمن خلافة الوليد المشار اليه وهو سادس الخلفاء الامويين

وكان الخلفاء يرسلون اليها من دمشق عمالاً حتى انقرضت دولة بني اميه وخلفتهم الدولة العباسية فقام عبد الرحمن بن معاوية وتقلد الملك وعصي الخلفاء العباسيين فصارت الخلافة العباسية في الشرق والخلافة الاموية في الغرب واستمروا على ذلك الى اوائل القرن ١٣ حينما تقوى عليهم اهل البلاد الاصليون وطردوهم وكان تختهم في مدينة قرطبة وكان فيها اذ ذاك ١٦٠٠ جامع وتسعمائة حمام و٨٥ الف حانوت و٢٦٣ الف بيت ومليون نفس ولم تزل آثار دور الخلفاء فيها حتى اليوم

وفي قرطبة يقول بعض علماء الاندلس

بأربع فاقت الامصار قرطبة ... منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثةٌ ... والعلم اعظم شيء وهو رابعها

ومن مدنها اشبيلية التي اطلق عليها بنو مروان اسم حمص وطليطلة التي يقول فيها احد الشعراء

زادت طليطلة على ما حدثوا ... بلد عليه نضارة ونعيم
الله زينه فوشح خصره ... نهر المجرة والغصون نجوم

ومن تلك المدن بطليوس التي يقول فيها ابن القلاس

بطليوس لا انساك ما اتصل البعد ... فلله غور من جنابك او نجد
ولله دوحات تحفك بينها ... تفجر واديها كما شقق البرد

واقاموا فيها على ما سيجيء

اما مدينة غرناطة فقال فيها بعضهم

غرناطة ما لها نظير   ما مصر ما الشام ما العراق
ما هي الا العروس تجلى   وتلك بالجملة الصداق

وكان فيها اذ ذاك متنزهات عديدة منها قصر السرور ومجلس الذهب اللذان يقول فيهما ابن هود

قصر السرور ومجلس الذهب   بكما بلغت نهاية الطرب

ومن اماكنها المشهورة عين الذهب التي يقول فيها مصطفى افندي البابي موشحه الذي يقول فيه

بابي وبابي وبابي   جرعة من ماء عين الذهب

دور

يارعاه الله من واد وسيم   صح فيه الماء واعتل النسيم
تعرف النضرة فيه والنعيم   عيشنا فيه رخي اللبب
يؤخذ الصيد به من كثب

دور

وبديع الحسن معشوق الدلال   لو عصرت الظرف من عطفيه سال
قمر ينظر من عين غزال   واذا ساجلته بالادب
يملأ الدلو لعقد الكرب

دور

ينفخ روح الراح في جسم الزجاج   انما يثمر عن فض الخراج
ايها الساقي فبادر بالعلاج   رصع الشمس لنا بالشهب
واسكب الفضة فوق الذهب

ومنها مرج الفضة وهو الذي رأى المعتمد بن عبد غديره يتجعد بهبوب الرياح عليه فقال

نسج الريح على الماء زرد

وامر وزيره ابا بكر بن عمار باجازته فافحم فاجازته الرميكية

يا له درعاً منيعاً لو جمد

وفي تلك الايام نشأ من المسلمين بالاندلس خلق كثير من العلماء والشعراء منهم ابن مالك صاحب الالفيـة المشهورة في علم النحو والتصريف والشيخ ابو حيان الاندلسي صاحب الملحة الدرية في النحو والشيخ علي الاشبيلي صاحب الديوان الغزلي المشهور والاديب ابو الحسن القرطبي والشريف الغرناطي وابن هاني الشاعر المشهور الذي يقول فيه بعضهم

ان تكن زاهداً فكن كاويس او تكن شاعراً فكن كابن هاني

ان من يدعي بما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان

وكان في ذلك العهد اصحاب الموشحات الاندلسية المشهورة وهم سبعة وغيرهم من المشايخ والادباء الذين لا محل لذكرهم جميعاً هنا

ومن الابنية العجيبة في الاندلس

الزهراء

قال ابن بشكوال الزهراء اسم سراية من اعجب ابنية الدنيا انشأها ابو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله الملقب بالناصر احد ملوك بني امية بالاندلس بالقرب من قرطبة على بعد اربعة اميال وثلثي الميل منها

وكان الناصر يقسم جباية البلاد اثلاثاً فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء

وكانت جبايـة الاندلس يومياً ٥٤٨٠ الف دينار والزهراء من اهول بناء الاندلس واجله خطراً واعظمه شأناً وكان يدخل فيها كل يوم ٦٠٠٠ صخرة سوى الاجر وغيره وحمل اليها الرخام من اقطار الغرب ودخل فيها ٤٣٠٠ سارية واهدى له ملك الفرنج ٤٠ ساريـة رخام واما الوردي والاخضر فقد جلب من افريقية والحوض المذهب جلب اليها من القسطنطينية وبقوا في بنائها ١٦ سنة وكان يسورها

ابو جعفر المنصور احد خلفائهم في سنة ٧٣٦ م غربي لبنان وعول عليهم في صد غارات الروم

وقد نزل الامير ارسلان التنوخي احد روءسائهم محلة رأس البيدر وقطن الباقون ارباض بيروت وصيدا وهذه القبيلة هي الاولى من العرب التي دخلت لبنان ووليت بادىء بدء على جهة الغرب منه

واما شماليه فكان في ايدي الموارنة يديرون شوءونهم بانفسهم ويوءدون الجزية على ايدي المقدمين

ولما ضعفت الخلافة العباسية عن تدبير المملكة اسرع ذوو المطامع الى بسط سلطتهم عليها

وكانت الدولة الطولونية المنسوبة الى طولون التركي احد موالي

---

٣٠٠ برج وعمل ثلثها قصوراً للخلافة وثلثها للخدم وثلثها الثالث بساتين

والزهراء لم يبنَ في الاسلام احسن منها ولكنها كانت صغيرة بالنسبة الى مدائن كسرى بالعراق

وقيل انه عمل فيها بحيرة ملاها بالزئبق وكان يعمل في الزهراء الف صانع مع كل صانع ١٢ اجير

وقال ياقوت كان مبلغ النفقة عليها من الدراهم القاسمية وهي فضة خالصة ٨٠ مدياً و ٦ اقفزة بالكيل القرطبي ووزن المدي ٨ قناطير والقنطار ١١٨ رطلاً والرطل ١٢ اوقية اما ست الاقفزة فنصف مدي وقد احرقت هذه المدينة وهدمت في حدود سنة ٤٠٠ ﻫ وبقيت رسومها وسورها وقد ذكر ابن الاثير ان البربر الذين كانوا مع سليمان بن الحكم ابن سليمان عبد الرحمن حصروا الزهراء سنة ٤٠٠ وقاتلوا من بها ثلاثة ايام ثم ان بعض الجنود الموكلين بها سلموها الى سليمان فصعد البربر السور وقاتلوا من عليه حتى ازالوهم وملكوا البلد عنوة وذبحوا الناس رجالاً ونساء واولاداً بالجامع ثم احرقوا الجامع والقصر والديار ونهبوا الاموال «قاتلهم الله»

الخليفة المأمون من المتقدمين عنده اول دولة انتزعت من ايدي الخلفاء سورية ولواحقها

ثم خلفه في منصبه ابنه احمد ثم ابناؤه حتى انقرضوا سنة ٢٩٢ هـ

ثم ان الخلفاء ارسلوا عمالاً الى الشام يقومون بتدبيرها فلم تطل مدتهم اكثر من ثلاثين سنة اذ قام وال آخر من ولاة دمشق يدعى محمد ابن طغج الاخشيدي فتمكن من ضبط الولاية ثم اعلن استقلاله وانشأ في الشام الدولة الاخشيدية سنة ٣٢٣ هـ فملكت هذه الدولة في الشام مدة ٣٤ سنة ومن ثم ملكت الدولة الفاطمية فظلت الى ايام الصليبيين

وعند قدوم القرامطة الى سورية اختلطت معهم شيع علوية منها طائفة النصيرية (١) التي افترقت بمذهبها عن سائر الشيع الاسماعيلية وسكنوا

---

(١) النصيرية هي احدى الملل البطنية وعدد ابنائها ثلثمائة الف نفس يسكنون البلاد الجبلية الواقعة بين النهر الكبير ونهر العاصي ومنهم ثلاثون الفاً يسكنون انطاكية وما حولها من القرى وعشرة الاف يسكنون في جهات حمص وفريق في دمشق وهم يحجبون مذهبهم على غير اتباعهم قال ابو الفداء ان النصيرية ينسبون الى نصير مولى علي ابن ابي طالب والاصح انهم ينسبون الى محمد بن نصير احد اتباع العسكري الامام العلوي المتوفي في سنة ٢٦٠ هـ

والنصيرية فرق منهم الشمالية و يسكنون شمالي جبلهم و يدعون بالشمسية لانهم يعبدون الشمس ومنهم الكلازية او القمرية و يعبدون القمر ومنهم الكلبية و يعبدون الحيوان ومنهم الغيبية و يعبدون الهواء

وكلهم يضمرون تحت رموزهم هذه عبادة علي ابن ابي طالب ولهم ثلث رتب لشيوخهم الاولى رتبة الامام والثانية رتبة النقيب والثالثة رتبة النجيب وهؤلاء يتلون صلواتهم وعندهم الخاصة بمنزلة العقال عند الدروز والعامة كالجهال لا يطلعون

النساء على اسرارهم لزعمهم ان لا نفس لهن فلا يجازين بثواب ولا عقاب وليس لهم معابد بل خلوات

وبالجملة فانهم يشبهون الدروز في جهات عديدة ويشبهون المجوس بعبادة القمر والشمس ويشبهون النصارى في بعض اشياء كتكريمهم بطرس الرسول واستعمالهم الخمر في الذبائح وموافقتهم للنصاري على بعض الاعياد

والنصيرية هم غير الاسماعيلية التي هي فرقة ثالثة من الباطنيين وبين النصيرية والاسماعيلية عداوة كبيرة

والاسماعيلية ينتسبون الى محمد بن اسمعيل بن جعفر الصديق وديانتهم تقرب من الديانة النصيرية في بعض الوجوه ويتعذر علينا ان نصدق ما ينسبون اليهم من العبادات الاخرى

والنصيرية يقسمون الى عشائر عديدة وكل واحدة منها تخضع لرئيس يدير شؤونها ومن هذه العشائر عشيرة الخياطين البالغ عدد نفوسها اربعين الفاً ورئيسها احمد افندي الحامد الذي تعرفنا اليه من نحو ثلاثين سنة بسبب اقترانه بكريمة الامير تامر قيس شهاب لما كان هذا الامير مديراً لجزيرة ارواد في عهد الحكومة السابقة وعرفنا به صديقاً صادقاً

ولما وقع الاحتلال ذهبت مع صديقي بطرس بك حنا ضاهر الى مدينة طرطوس حاملين بنود الدولة الافرنسية ومنادبين بها اجابة لداعي ضمائرنا ولرغبة كل من غبطة البطريرك الياس الحويك والمطران بولس عواد والمطران غريغوريوس حجار مطران عكا للروم الكاثوليك وكان ذلك في عهد المسيو بيكو القومسير الاول لدولة فرنسا في هذه البلاد وفي زمن حاكمية المسيو كوبان ووجود المسيو دام رئيساً للحجرة السياسية وكاتباً لاسرار المسيو بيكو والمطران غريغوريوس المشار اليه هو الذي مهد سبيل الصداقة بيني وبين المسيو دام وجمعني واياه لاول مرة في منزل الخواجا بدوره في بيروت فالفيته على حداثة سنه جامعاً شتات كثير من المعارف وميالاً الى السلوك في سبل السياسة وهو اليوم على ما اخبرني بكتاب مخصوص انه موجود في مدرسة سان سير في

باريس يتمم دروسه العسكرية

وبعد ان بلغنا طرطوس ذهبنا على زورق مخصوص الى جزيرة ارواد فقابلنا حاكم الجزيرة الفرنساوي وكان المسيو بوشر ودفعنا اليه الرسالة المنفذة اليه من الحكومة بياناً لمهمتنا وبتنا في تلك الليلة في منزل احد وجها الجزيرة محمد افندي صبرا فاكرم وفادتنا وعدنا في اليوم الثاني الى طرطوس واتخذنا لنا منزلاً خاصاً على نفقتنا ومكثنا في تلك المدينة بضعة عشر يوماً نسعى وراء تحقيق غايتنا وبعد ان ظفرنا بضالتنا المنشودة بمساعدة احمد افندي الحامد المشار اليه عدنا حاملين عرائض عديدة موقعة بتواقيع ستين الف نفس تقريباً يطلبون بموجبها انتداب دولة فرنسا على سورية ولبنان وترجمنا هذه العرائض الى اللغة الافرنسية بمساعدة حبيب افندي شيبان وقدمناها الى المسيو كوبان بطي تقرير سياسي وصفنا به الحالة الفوضوية التي كانت في البلاد النصيرية اذ ذاك بسبب المناوشات التي كانت واقعة بين بعض الجنود الافرنسية ورجال الشيخ صالح الزعيم الاكبر للنصيرية واعربنا عن الوسائل الكافلة قمع هذه الفتنة وبعد ان طالع المسيو كوبان العرائض والتقرير السياسي ابدى شكره لنا قائلاً انني استنسخت عدة نسخ من تقريركم وارسلت هذه النسخ الى حيث يلزم فصادفت استحساناً

فاذ ذاك وجهنا نظره نحو احمد افندي الحامد المشار اليه فعينه قائمقاماً ثم متصرفاً

وكنا قبل ذلك قمنا بمثل هذه المهمة في جبل عامل وحاصبيا وراشيا بمعاونة امين بك حماده

وذهب في الوقت نفسه قيصر بك معلوف وحده الى مدينة زحله والى بعلبك والبقاع يضرب على نفس الوتر

وقد اشار الى قيامنا جميعاً بمساعدة الانتداب الفرنساوي الكونت دي بيرون في الكتاب الذي وضعه بعد الاحتلال ونشرت تعريبه تباعاً جريدة صدى الاحوال

وبينا نحن نكتب هذا الفصل رأينا مقالاً منشوراً في العدد ١٥ من جريدة زحلة الفتاة البيروتية يتضمن ان جمعية الاكاديمي الدولية الوطنية الافرنسية اهدت

شيعة اخرى كانت اصلاً لطائفة جديدة استوطنت غربي لبنان وهي الطائفة الدرزية التي سنذكر تاريخها على حدة

وقد اجمع المورخون على ان الحاكم بامر الله كان استقدم اليه رجلين من بلاد فارس وهما محمد بن اسمعيل الدرزي وحمزه بن علي بن احمد وكلاهما قاما بالدعوة الى المذهب المحدث في وادي التيم على التعاقب احدهما بعد الآخر فنسبت الدعوة الى محمد الدرزي واول ما ظهرت كانت نشأتها من قضاء الشوف من لبنان حيث اكثرها حتى اليوم

وفي اول القرن الحادي عشر جرى اقتتال بين الدروز والنصيرية فتغلب الدروز وطردوا النصيرية من وادي التيم فمكث النصيرية مستمرين بالجبل المعروف بهم

وفي اواخر عهد الدولة الفاطمية ظهرت في سورية الدولة السلجوقية المعزوة الى سلجوق بن تقاق من امراء الترك وقد بسطت هذه الدولة سلطتها على الشام و بغداد وحلب و بيت المقدس

وفي سنة ١٠٨٥ م خرج سليمان السلجوقي صاحب قونية فأخذ

زميلنا بطرس بك المشار اليه الوسام الذهبي عرفاناً للخدمات التي قام بها تجاه فرنسا يوم تولى رئاسة جامعة لبنان الكبير وعندما استحصل على مئة وثمانين الف امضاء من بلاد العلويين وعكار ومرجعيون وجبل عامل والبقاع و بعلبك فسررنا لهذا النبأ لانه دل على ان الحكومة قدرت عملنا حق قدره وكافأت واحداً منا على الاقل

وقبل ان نتم طبع هذه الصفحة ورد علينا نبأ يشير الى ان جمعية الاكاديمي المشار اليه اهدتنا وسامها الذهبي المشار اليه مكافأة لنا على مولفاتنا فننظم لها عقود الشكر

مدينة انطاكية[1] من الروم فحدثت اذ ذاك منازعات وانتشبت حروب بين الامراء السلاجقة في سورية واضطر السلطان ملكشاه السلجوقي ان يأتي حلب[2] بعسكره حفظاً للنظام فاغتنم خليفة مصر هذه الفرصة فجرد

(١) انطاكية كانت قديماً من اشهر مدن العالم وكانت قصبة مملكة سورية في عصر الدولة السلوقية و بناها الملك سلوقوس الملقب بالغالب وقد احصي عدد سكانها يومئذ فبلغ سبعمائة الف نفس وفيها قويت المسيحية ولذلك ينسب اليها بطاركة الشرق وقد افتتحها الاسلام سنة ٦٣٧ م ثم استرجعتها الافرنج سنة ١٠٩٨ و بعد خروجهم من بر الشام اخربها سلطان مصر سنة ١٢٦٨ ثم تواترت عليها الزلازل فكادت تدمرها ولم يبق اليوم مما يدل على عظمتها غير السور الذي يحيط بها من جوانبها الثلاثة وعلى الرابع منها وهو الشمالي نهر العاصي واهل هذه المدينة اليوم يبلغون نحواً من عشرة الاف نفس من اتراك وروم وارمن ونصيرية و يهود

(٢) حلب واسمها القديم خاليبون ثم بيريا مدينة قديمة قال ياقوت انها مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الاديم وهي قصبة جند قنسرين وقيل انها سميت حلب لان ابراهيم الخليل كان له بقرة شهبا يحلبها على اكمة فوق مركز المدينة وكان يطعم الناس فكانوا يقولون حلب الشهباء وقيل ان حلب وحمص و برذعة كانوا اخوة من بني عمليق فبنى كل واحد منهم مدينة فسميت باسمه

وقال بعضهم بنيت حلب بعد موت الاسكندر باثنتي عشرة سنة بناها سلوقس نيقاتور وسماها بارؤا وذكر آخرون ان سبب بناء حلب هو ان العماليق لما استولوا على البلاد الشامية واقتسموها بينهم واستوطن ملوكهم مدينة عمان ومدينة اريحا ودعاهم الناس الجبابرة وكانت قنسرين مدينة عامرة وكان اسمها صوبا وكان جبل سمعان يعرف بجبل بني صنم وهم قوم كانوا يعبدون الصنم في موضع يعرف بكفرنبو ولما ملك بلقوس الاثوري الموصل وقصبتها يومئذ نينوى كان المستولي على خطة قنسرين حلب بن المهر احد بني الجان ابن مكنف من العماليق فاختط مدينة سماها باسمه وذلك سنة ٣٩٩٠ لادم وقد كثر ذكر هذه المدينة في اشعار العرب

جيشاً واستولى على صور وصيدا وعكا وجبيل فباتت الشواطىء الفينيقية

وقال ياقوت وقلعة حلب مقام ابرهيم الخليل وفيه صندوق به قطعة من رأس يحيى بن زكريا ظهرت سنة ٤٣٥ وعند باب الجنان مشهد علي بن ابي طالب وداخل باب العراق مسجد غوث فيه حجر عليه كتابة زعموا انها من خط علي بن ابي طالب

وفي غربي البلد في سفح جبل جوشن قبر الحسن بن الحسين و بالقرب منه مشهد حسن العمارة

وفي قبلي الجبل جبانة يسمونها المقام بها مقام لابراهيم و بظاهر باب اليهود حجر على الطريق ينذر له و يصب عليه ماء الورد والطيب ويشترك المسلمون والنصارى واليهود في زيارته

وفي حلب على قديم الزمان وحديثه علماء وشعراء وادباء وحسبها ان المطران جرمانوس فرحات الذي ملأ الخزائن كتباً هو من ابنائها ولاهلها المعروفين بالاجتهاد واصالة الرأي والاقدام على الاعمال الخطيرة عناية باصلاح انفسهم وتثمير الاموال وفيها بيوتات قديمة معروفة بالمجد والثروة ولا سيما الاسلامية وقد وصف ابن مرار الصنوبري متنزهاتها وقراها القريبة بقصيدة منها

حلب بدر دجى اذ ... جمها الزهر قراها
حبذا جامعها الجامع ... للنفس تقاها
وذرى مئذنة طالت ... ذرى الفحم ذراها
اي حسن ما حوته ... حلب او ما حواها

وقال

حلب اكرم مأوى ... وكريم من اواها
وكساها حللاً ابدع ... فيها اذ كساها

وهي طويلة لا محل لاثباتها برمتها هنا

وبالجملة ان حلباً مشت شوطاً بعيداً نحو المدنية في الاونة الاخيرة وشيدت فيها القصور الفخمة ولا سيما في محلة العزيزية التي انشئت في عهد الوالي عزيز باشا ونسبت اليه وفي محلة الجميلية التي انشئت في عهد الوالي جميل باشا ونسبت اليه ايضاً

بايدي المصريين

وبعد وفاة السلطان ملكشاه في بغداد سنة ١٠٩٣ تنازع السلجوقيون السلطنة ووقعت التجزئة في الدولة السلجوقية وبينما هم في هذه الحال قدم الافرنج الصليبيون هذه الديار سنة ١٠٩٩ م ومن مشاهير ذلك الزمان الامام الاوزاعي (١)

على ان مشاهد جدران الابنية في هذين المكانين تدل على عظمتها من حيث زخرفة الحجارة ولكن رصفها الى جانب بعضها البعض وجعلها كبناية واحدة قد ذهب بطلاوتها فضلاً عما هنالك من الاضرار في الصحة بسبب حجب الهواء

وفي حاب بقطن من عهد بعيد فريق كريم من انسبائنا آل اسود سنجي، على ذكرهم عند ذكرنا تاريخ العائلة

(١) الاوزاعي هو عبد الرحمن بن عمر ويكنى ابا عمر الاوزاعي لانه ينسب الى الاوزاع وهو بطن من همذان (بلد) وكان يسكن بيروت لانه كان احد المفتين فيها ومن ذوي الفضل وقد توفي في هذه المدينة في سنة ١٥٧ هـ الموافقة سنة ٧٣٣م في اخر خلافة ابي جعفر المنصور وهو في السبعين من عمره

وقال صالح بن يحيى في تاريخ بيروت ان الاوزاع هو امام اهل الشام وعالمهم قيل انه اجاب في سبعين الف مسألة وصار يعمل بمذهبه في الشام نحو مئتي سنة وكان عظيم الشان في الشام ولد في بعلبك سنة ٨٨ هـ الموافقة ٧٠٧ م ونشأ في البقاع ونقلته امه الى بيروت فرابط فيها الى ان مات وقبره على شاطىء البحر في قرية حنتوش على بعد عشرين دقيقة بالسيارة من بيروت للجهة الجنوبية وهو في عهدنا مزار تقضي بعض العائلات ردحاً من الزمن فيه وخصوصاً في ايام الصيف حيث لا يشتد الحر في حجره لان هواء البحر يلعب فيها وليس هنالك ما يصده عنه اذ لا بناء غيره في تلك البقعة

وذهب البعض ان الاوزاعي كان يدرّس في الزاوية المعروفة باسمه حتى الان

فينيقية ولبنان

— في عهد الامراء التنوخيين والقيسيين —

ان الامراء التنوخيين القيسيين في جبل لبنان ينسبون الى تنوخ بن قحطان بن عوف بن كندة بن جندب بن مدحج بن سعد بن لحى بن تميم بن النعمان ابن المنذر [1] بن ماء السماء اللخمي وتنوخ اسم كان قد اطلق في الزمن القديم بحسب اقوال المؤرخين على قبائل من العرب ثم على ثلاث من العرب المتنصرة (بهراء وتغلب وتنوخ) ثم خصت به قبيلة النعمان

جنوبي السوق الطويلة في بيروت وهناك انشىء سبيل تذكاراً له في سنة ٩١٥ ﻫ الموافقة ١٥٢٩ م

(١) ان المنذر بن ماء السماء الذي انتهى النسب اليه هو المنذر بن امرىء القيس بن النعمان الاعور بن امرىء القيس المحرق بن عمر بن امرىء القيس الاول بن عمر بن عدى بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن مسعود بن الحارث بن عمر بن ربيعة بن نصر بن عدى بن عمم بن نمارة بن لخم (ولخم لقب واسمه مالك) بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن ريد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان «وفي سفر التكوين يقطان وابناؤه موداد (مضض) وشالف وحضرموت وبارح وتسعة اخرون والمظنون ان يعرب من سلالة قحطان وان بينه وبين قحطان قروناً كثيرة» بن عابر بن هود النبي عليه السلام وعابر بن شالح بن ارفخشيد بن سام بن نوح عليه السلام بن لامك بن متوشالح بن اخنوخ «وفي التوراة ان متوشائل هو ابن محويائيل بن عيراد بن اخنوخ (او احنوخ)» واحنوخ ابن يزيد بن مهلائل بن قينان بن انوش بن شيت بن آدم عليه السلام . وماء السماء اسم امه لقبت بذلك لجمالها واسمها ماوية بنت عمر فشهر المنذر المذكور باسم امه (تاريخ بيروت لمحمد بن صالح في مجلة المشرق عدد ٨ ص ٣٧٤ و٣٧٥)

بن المنذر ملك الحيرة لتقدمها على بقية القبائل في السوءدد والشرف وواقع
الحال في ذلك كما رواه المؤرخون انه لما كثر ولد معد بن عدنان ونمت
القبائل التابعة لهم واضرت بهم الحروب ضرراً بليغاً خرجوا يطلبون
الريف في ما يليهم من اليمن ومشارف الشام وافلت منهم قبائل حتى نزلوا
بالبحرين وبها جماعة من الازد والذين اقبلوا من تهامة هما مالك وعمر ابنا
فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة بن قضاعة ومالك بن زهير بن عمر بن فهم
في جماعة من قومهم والحيقاد بن الحنق بن عمير بن قبيصه بن معد بن
عدنان في قبيص كلها ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمثان بن عوذ مناة
بن يقدم بن اقصي بن دعمي بن اياد بن نزار بن مسعد بن عدنان وغيره من
اياد فاجتمعت هذه القبائل بالبحرين وتحالفت على التنوخ وهو المقام
وتعاقدت على التناصر والتساعد فصارت يداً واحدة مضمومة باسم واحد
وهو تنوخ والتحم بها بطون من نمارة بن لخم وجذيمة الابرش بن مالك بن
فهم بن غنم (والصواب عمم كما في كتاب الاشتقاق لابن دريد) ابن
اوس الازدي وتزوج لميس اخت مالك بن زهير فاجمعوا على المسير الى
العراق طامعين ان يغلبوا الاعاجم في ما يلي بلاد العرب او يشاركوهم فيه
فطلع الحيقاد بن الحنق في جماعة من قومه واخلاط من الناس فالفوا
الارمانيين يقتتلون مع الاردوانيين ثم طلع مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله
وغيرهما من التنوخ الى الانبار على ملك الارمانيين وطلع نمارة وقبيلته على
ملك الاردوانيين ففازوا بالغلبة على تلك البلاد فنزلت تنوخ من الانبار الى
الحيرة في الاخبية فاقروا لنفسهم الملك فكان اول من ملك منهم مالك بن

فهم ثم اخوه عمرو بن فهم ثم جزيمة الابرش الذي كان ابرص ودعته العرب ابرش لكرهها ان تدعوه ابرص ثم ملك بعده عمرو ابن اخته رقاش التي خطبها عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن نمارة بن لخم الى اخيها جذيمة الملك عند ما كان متولياً مجلس شربه فسقاه عدي صرفاً حتى اخذت الخمرة فيه ثم خطبها اليه فاملكه اياها وعمرو ذلك كان اول من اتخذ الحيرة منزلاً في ملوك العرب وقد طال ملكه فبلغ ايام اردشير بن بابك وابنه سابور ثم سرى الملك في ولده الى ان كان آخرهم النعمان بن المنذر الى ايام ملوك كندة. ففي ايام اردشير بالعراق خرج من تنوخ من كان من قضاعة الى الشام كرهاً للمقام تحت نير سلطة اردشير ودان له اهل الحيرة والانبار ثم ان الملك كسرى اوجس في ما يظهر خيفة من اتساع سلطة النعمان الاكبر ونما قبائله فعمل على اذلالهم فوقع بينه وبينهم خصام شديد ادى بهم الى العصيان عليه فسير اليهم ابنه شيرازان بجيش جرار لمعاقبتهم فطلع عليه الملك النعمان بابطاله وحدثت بين الفريقين معركة هائلة كان الفوز فيها للنعمان فانهزم الفرس شر هزيمة وقتل شيرازان ولما نمي الخبر الى كسرى اضطرب وخشي سوء العاقبة ولكنه عقد النية على ان يثأر لابنه فارسل الى النعمان سفيراً في الصلح واستقدمه اليه لابرام معاهدة التحالف والمصادقة فقدم اليه بهدايا فاخرة وتحف نفيسة مخدوعاً بما رأى وسمع ولما صار بين يديه امر به فطرح للفيل فداسه بقدميه حتى اماته وفرح كسرى لنيل امانيه ولما سمع قوم النعمان بما حل به ملكوا عليهم المنذر بن النعمان واستأنفوا القتال أخذاً بثار ملكهم فلم يفلحوا ثم

اتفقوا على ترك الديار فذهب فريق منهم الى الموصل وما بين النهرين واقام هناك وسار الملك النعمان بن المنذر باثنتي عشرة قبيلة الى نواحي حلب وسكنوا البرية التي بين حلب ومعرة النعمان وبعد ذلك بنحو مائتي سنة اي عند ظهور الاسلام قدمت القبائل الّتي سكنت فيما بين النهرين وانضموا الى اخوانهم بجوار حلب وسكنوا جبلاً في ظاهر المعرة يقال له الجبل الاعلى وهناك اشتهر منهم قبيلتا بني تنوخ وبني ربيعة اللتان نبغت منها الامراء التنوخيون والامراء المعنيون الذين ملكوا لبنان زمناً طويلاً

فتوطنت تلك القبائل في ذلك الجبل وزرعت اراضيه واتقنت صناعة البناء فيه وبنت الحصون والمعاقل ولما توفي ملكهم النعمان الاصفر شادوا له حجرة عظيمة فوق ضريحه لم تزل باقية الى اليوم وعلى توالي الأيام نمت تلك القبائل نمواً عجيباً وامتدت سلطتهم ووقعت هيبتهم في قلوب مجاوريهم وحدث ان والي حلب في تلك الايام ارسل جابياً من ذوي قرباه الى تلك القبائل العربية لجمع مال الجزية المرتب عليهم ولما صار الجابي بينهم ابصر فتاة عربية بارعة الجمال فافتتن بها واجاب داعي الهوى فقضى منها وطراً ولما عرف الاعراب بذلك ثارت في رؤوسهم سورة الغيظ وهم على ما هو معروف من امرهم في شدة الذود عن الحريم فاستل احدهم الامير نبا سيفه وضرب عنق الجابي فقطعه ثم خاف الامير نبا عاقبة الامر فجمع عياله واصحابه وهرب بهم الى شمالي لبنان في جهة بعلبك فاحسن اهله استقباله واحتمى عندهم وشاد هناك قرية عرفت به وسميت قصر نبا [١]

(١) هي قرية من اعمال قضاء بعلبك اليوم وقد ورد ذكرها عند ذكر قرية نيحا

واما والي حلب فارسل فقبض على كثيرين من قبيلته وساقهم الى السجن مكبلين بالحديد وضرب على اصحابهم مالاً يؤدونه فاضطر باقي الامراء ان يبسطوا لهم يد الرفد حتى رضي الوالي عنهم

ثم وقعت بعد ذلك النفرة والشقاق بين العرب وصاحب حلب فكره العرب المقام في تلك الانحاء وجعلوا يستعدون للرحيل ولما كانت السنة التالية وهي سنة ٨٢١ ب . م . رحل اكثر تلك القبائل العربية من جوار حلب والمعرة الى نواحي لبنان وكان القسم الشمالي من لبنان في يد الموارنة واما القسم الجنوبي وهو ما يشتمل على سلسلة الجبال الممتدة فوق مدينتي بيروت وصيدا كان خالياً من السكان الا من بعض النصارى الذين فروا الى بعض الاماكن فيه ايام الفتح الاسلامي وذلك انه في السنة الثالثة عشرة من الهجرة الموافقة سنة ٦٣٤ ب . م . جهز ابو بكر الصديق العساكر من مسلمي العرب لفتح بلاد الشام وجعلهم فرقاً فكان عمر بن العاص لفلسطين ويزيد بن ابي سفيان لحمص وشرحبيل بن حسنة للبلقاء ورئيسهم ابو عبيدة بن الجراح ثم ارسل خالداً بن سعيد بن العاص الى سماوة فالتقى بالرومان على الطريق فهزمهم الى دمشق وكانت دمشق في ذلك الحين مدينة حصينة جداً قد وضع بها ملوك الروم معظم قواتهم لصد هجمات الفاتحين فلبث الحرب بينهم مدة طويلة وفي السنة الثالثة من الفتح اخذ المسلمون دمشق فدخلها ابو عبيدة من جهة وخالد بن الوليد من جهة اخرى وقد عاهد اهلها على حمايتهم ثلاثة ايام على ان يخرج منهم من لا يرغب في اداء الجزية ويبقى من رغب في ادائها فبقي من بقي وادى الجزية وتمتع

بحريته الشخصية وخرج بعض الى لبنان وتوطن فيه لعدم بلوغ سيف الفاتحين اليه

وبعد الاستيلاء على دمشق عزم المسلمون على توسيع نطاق سلطتهم في كل البلاد فقاومهم اهل لبنان مقاومة شديدة ولم يتمكن العرب من دخول لبنان وامتلاك بعض جهاته حتى سنة ٨٢١ ب ٠ م ٠ والمظنون ان القبائل العربية التي دخلت لبنان هي من اصل واحد وان اختلفت اسماؤهم وتباينت القابهم فجميعهم من بني حمير الذين كان الملوك منهم وكان لهم في التاريخ العربي ذكر عظيم وقد اشتهر في هذه القبيلة اميرة بارعة في الجمال واللطف والفضيلة يقال لها ماء السماء وكان لها ابن يقال له النعمان وقد مرّ ذكرهما فلما شب فاق على اقرانه في الذكاء والسطوة والبسالة والغنى فسموه ملكاً وعظمت القبيلة في ايامه وامتدت شوكتها وكان بنو حمير مثل اكثر القبائل العربية يفاخرون بالانساب ولها جداول انساب مكتوبة على رقوق ليستدل منها ان نسبهم يتصل بنوح صاحب الفلك

وكان اول من رحل من تلك القبائل العربية الى لبنان الامير فوارس تنوخ بقبيلته وكانت هذه القبيلة اشرف القبائل جميعها واكثرها رجالاً واعظمها سطوة ثم رحل بنو ارسلان ثم بنو شويزان فسارت هذه القبائل في السهول المحاذية نهر العاصي حتى وصلوا بعلبك فحلوا فيها وانبثوا في سهل البقاع حتى بلغوا زحله ثم رقوا تلال الجبال الى عين دارة فرأوا ماءً غزيراً فبنى بنو فوارس وبنو ارسلان هاته القرية (١) وسكنوا فيها

---

(١) ان اسم عين دارة اقرب ان يكون عربياً وان كان له في السريانية معنى

وسار بنو شويزان يقصدون الماء فبلغوا نهر الصفا ونهر الباروك وبنوا قرية عين زحلته [1]

ولبثت تلك القبائل في اماكنها بضع سنين وكان بعد ذلك ان كثر عددهم فضاقت الارض بهم وبمواشيهم ورأوا ان البرد القارس في تلك الاماكن يؤذيهم فطلب بعضهم السواحل فسار بنو شويزان الى الكنيسة

مثل الحراب او البدل او المخاصم او غير ذلك فان للعرب امكنة كثيرة باسم الدارات وقد عد الاصمعي منها في كتابه الدارات المنشور في العدد الاول من مجلة المشرق ص ٢٥ وما يليها ست عشرة دارة وذكر ابن دريد اثنتي عشرة دارة واما ياقوت فقد ذكر في معجم البلدان نيفاً وستين دارة والدارة ما اتسع من الارض واحاطت به الجبال غلظ او سهل وذلك مثل دارة وشجى ودارة جلجل ودارة رفرف ودارة مكمن وغيرها من الدارات فلا يبعد ان الحالين من اولئك العرب بعين دارة زادوا هذه المحلة دارة على داراتهم . ولربما دير القمر اصلها دارة القمر ايضاً

(١) وهذه ايضاً لا يبعد ان تكون من اسمائهم العربية من الزحول عن المكان بمعنى التنحي عنه والتباعد كما ان اسم زحلة الواقعة الى الشمال الشرقي منها هو مشتق من هذه المادة ايضاً ورب قائل يقول كيف يعقل ان مثل هذين المحلين وغيرهما من المحلات التي حلتها تلك القبائل وعمرتها وسمتها باسماء من عندها كان خلواً من العمران مع جودة مائه وحسن موقعه وكيف لا تكون تلك الاسماء من اصل سرياني ما دام في الاوضاع السريانية ما يقرب منها فالجواب على هذا ان تلك القبائل لما حلت في تلك الانحاء من لبنان الواقعة بين دمشق وبيروت اللتين كانتا في يد الفاتحين الفتها كما قلنا سابقاً خالية من السكان بسبب فرار الذين كانوا يسكنونها الى محلات من لبنان يتوارون فيها عن وجوه الفاتحين مثل محلات شمالي لبنان وجنوبيه حيث لا تجد من اسماء القرى ما هو عربي الا اليسير وهو حديث العهد وغالب الاسماء انما هو سرياني فسمت لذلك بعض تلك المحلات باسماء من عندها وابقت البعض الآخر على القديم من اسمائه مع انها عمرته عمراناً جديداً

وراء دير القمر وهناك نشأ منهم فرع المشايخ بني عبـد الملك الذين بنوا بتاتر وسكنوها واما بنو ارسلان فساروا الى سن الفيل على مقربة من بيروت وملكوا الاراضي الممتدة هناك الى خلدة و بنو الشويفات وسكنوها وسار بنو فوارس وهم اكثر القبائل التنوخية عدداً الى المتن وسكنوا هناك بضع سنين الى ان قام منهم الامير ابو اللمع الشهير وهو رأس الامراء اللمعيين فصارت القبيلة تنسب اليه على ما سيجيء . وسار بقيـة بني تنوخ تحت قيادة ثلاثة من امرائهم وهم الامير فوارس والامير عبدالله والامير هلال الى جبل الشوف [1] و بنوا قرى كثيرة منها البنيه و كفرمتى ورمتون وتردلا وعرمون وعين كسور وعبيه وسكنوها ثم انفصل احد هؤلاء الامراء الثلاثة عن اخويه وجاء قرية سرحمور فبنى فيها حصناً منيعاً وسكنه

ولما استوطن الامراء وعشائرهم في الاماكن التي اختاروها وجهوا هممهم وصرفوا عنايتهم الى العمران ومحو اثار الهمجية والبداوة فابتنوا القرى وشادوا القصور والحصون وغرسوا الاشجار واقاموا الحدائق الغناء وسكنوا في ارضهم آمنين فبرز لبنان الجنوبي الى مقام العمران واصبح في وقت

---

(١) الشوف والشويفات يمكن الرجوع بهما الى اصل سرياني ففي الوجه الاول تكون الشوف مصدراً من شاف يراد بها الاشراف وهي من تحريف العامة لان الصحيح انما هو اشاف بمعنى اشرف لا شاف والشويفة من الشيفة والشيفة الشيفان وهي طليعة القوم الذين يشاف لهم اي شرف لهم على حركات في العدو . وفي الوجه الثاني تكون الشوف بالسريانية بمعنى التنجيم والشويفات مكان التنجيم كما ان خلدة التي بجوارها معناها بالسريانية الكهان او المنجمون ولا يبعد ان يكون الوجه الاول هو الاظهر

قصير يفاخر في الترقي والنجاح لبنان الشمالي الذي كان قد سبقه الى العمران

وبنى الامير فوارس تنوخ في عبيه قصراً منيعاً لم تزل اثاره باقية الى الان وقد اصبح هذا القصر بعد قليل مقر ولاية الامراء التنوخيين ثم انبثّ روح الحسد في نفوس بقية الامراء فجعلوا يتنافسون في بناء القصور والقلاع وانتقاء الابطال والفرسان ورشق الجريد على ظهور الخيل حنانا في نفوسهم الى ما رضعوه مع الالبان من العادات من ثدي البداوة فامتاز بذلك الامير فوارس تنوخ وبنوه الاحد عشر فاتخذوا في عبيه ميداناً فسيحاً لذلك كانت تقصده الامراء من سائر الانحاء ولم يكن بينهم من كان يستطيع ان يثبت في الميدان امام الامير فوارس وبنيه

ومن سوء الحظ ان هؤلاء القبائل التنوخيين الذين حلفوا عند المقام التنوخي على التعاون والتناصر لم يغنهم الحلف عن التحزب الموروث من اسلافهم شيئاً فاتوا لبنان حزبين قيسياً ويمنياً وكثيراً ما ادّى هذا التحزب الى اراقة الدماء بسبب العداء على امر ولم تخف وطأته وتتناس آثاره حتى حل محله الحزب المعروف بالجنبلاطي اليزبكي في لبنان عموماً والحزب الاعوري والهلالي نسبة الى عائلتين من العائلات الدرزية الوجيهة في قضاء المتن خصوصاً

وكانت اذ ذاك امتدت سلطة الدولة العربية الاسلامية فدخلت هذه الدولة بلاد الشام وافتتحت دمشق بعد خروج الروم منها وضربت سلطتها من دمشق الى بغداد والى القدس ثم استفحل امرها وعظمت

سلطتها فامتلكت كل المدن القائمة عند البحر وشادت المباني العظيمة في الاماكن التي افتتحتها

اما امراء لبنان المذكورون فلم تلهم سيوف الفاتحين بل لبثوا ساكنة نفوسهم مستقرة خواطرهم حتى قدم الافرنج للحرب الصليبية على ما سيجيء واحد هؤلاء الامراء قحطان بن عوف بن جندب قد ارتفع شأنه وولد له اذ ذاك ولد سماه تنوخاً باسم قبيلته ولما مات قحطان صارت الامارة الى ابنه تنوخ والى تنوخ هذا ينسب الامراء التنوخيون في لبنان فتنوخ ولد جمهر وجمهر ولد عيسى وعيسى ولد احمد واحمد ولد علياً وعلي ولد محمداً ومحمد ولد ابرهيم وابرهيم ولد الحسين والحسين ولد علياً وعلي ولد بحتراً وعرف الدولة وبحتر ولد كرامة

اما بحتر الذي يلقب بناهض الوكالة ويكنى بابي العشائر فانه قد اشتهر وسكن في حصن سرحمور في قضاء الشوف وسكن اخوه عرف الدولة في عرمون الغرب وفي سنة ١١٤٧ كتب السلطان مجير الدين آبق صاحب دمشق الى الامير بحتر يؤيده في الامارة على القرى التي جعلت بيده ويأمره بسياسة الناس فيها كما كانوا يساسون في عهد ابيه

وفي سنة ١١٦٠ اقطع الملك نور الدين محمود بن زنكي الذي تولى دمشق بعد مجير الدين كرامة بن بحتر الذي كان يلقب بزهر الدولة القنيطرة وثعلبايا في البقاع والظهر الاحمر في وادي التيم وبرجا وبعاصير والدامور وشارون ومجدل بعنا وكفرعمية من لبنان باربعين فارساً بنفقتهم وذلك لمحاربة الافرنج ومقاومتهم ثم مات كرامة وله اربعة اولاد فحدث ان والي

بيروت من الافرنج في تلك الايام نصب للثلاثة الكبار من هؤلاء الاولاد مكيدة فقتلهم ليلاً في قلعة بضواحي المدينة وفي صباح اليوم التالي سار بجماعة من الافرنج الى حصن سرحمور ودك الحصن واحرق القرى المجاورة له واسر من بلغت يده بهم من الناس واما الاصغر من اولئك الاولاد الاربعة جحى ولقبه جمال الدين فقد فرت به امه من وجه الافرنج الى خربة الدوير وكان عمره حينئذ سبع سنين واقام ولد عمه علي بعرمون ولما كانت سنة ١١٨٧ اتى الملك صلاح الدين يوسف الايوبي مدينة بيروت يروم فتحها واخراج الافرنج منها فلقيه الامير جحى في الطريق عند خلده وانضم معه ولما تم للملك فتح المدينة طيب الملك نفس الامير جحى واقره في مكان ابيه واخوته من الامارة جزاء له على الصدق في الموالاة وفي سنة ١١٩٣ كتب الملك نور الدين الايوبي الى الامير جحى يأمره بالمحافظة على الطاعة ويحضه على الجهاد واقطعه انحاء الغرب جميعها وفي سنة ١٢٤٦ قتل الامير نجم محمد بن جحى واخوه الامير علي في ثغرة الجوزات بكسروان وكان للامير محمد ولدان جمال الدين جحى وسعد الدين خضر فالامير جمال الدين ولد خمسة اولاد منهم الامير نجم الدين محمد فهذا عق اباه وطلع عنه الى عيناب ومن سلالته الامراء الذين كانوا في هذه القرية ولما كانت سنة ١٢٤٩ كتب الملك الصالح ايوب الى الامير زين الدين بن علي فاقطعه القماطيه وبمكين وشملال وبتاتر وكفرعميه وما يتبع هاته القرى من المزارع كل ذلك ترغيباً له في حماية الثغور الموكول اليه حمايتها في الانحاء الغربية وثبت في يده ما جرى عليه وعلى ابيه من

قبله من الاقطاعات كبيصور ومجدليا والدوير وثلث عرمون وكيفون والبيره وما يتبع هذه القرى من المزارع وفي سنة ١٢٥٦ استحصل الامير جمال الدين جحى من الملك الناصر صلاح الدين يوسف على عهد يقره في عدة اقطاعات منها عرمون وعين درافيل وطردلا وعين عنوب والدوير وفي سنة ١٢٥٨ بعث المعزايبك ملك مصر الى الامير سعد الدين خضر بن محمد عهداً في قرى من دون قرى الغرب التي كانت في يد اخيه الامير جحى فاشتمل ذلك العهد من الشوف الحيثي على المعاصر الفوقية ونيحا[1] وبعذران وعين ماطور وبتلون ومن الشوف السويجاني على عين وزيه وكفرنبرخ وبريح وغريفة ومن وادي التيم على تنورا والظهر الاحمر ومن اقليم الخروب على برجا وبعاصير وشحيم وفي هاته السنة نفسها حدثت موقعة كبيرة بين الامراء التنوخيين وبين ولاة بعلبك والبقاع الذين زحفوا الى الامراء حتى التقى الفريقان عند عيتات من قرى الغرب فاقتتلا هناك اقتتالاً شديداً كان الفوز فيه للتنوخيين فانهزم الولاة شر هزيمة ونهب ما كان معهم وفي سنة ١٢٥٩ وفد الامير جمال الدين جحى بن محمد والامير زين الدين بن علي على كتبوغا نائب هولاكو ملك التتر في دمشق بعد ان باتت هذه المدينة تحت سلطة التتر وابديا الطاعة له ولكن لما اتصل بهما نبأ قدوم الملك المظهر بالعساكر المصرية ولم يدريا لاي منهما يكون النصر اتفقا على ان احدهما الامير زين الدين ينضم الى العساكر المصرية وان الاخر الامير جمال الدين يقيم عند التتر بدمشق ولما وقعت

---

(١) نيحا هذه غير نيحا التي هي احدى قرى البقاع

بينهما الواقعة عند عين جالوت انهزم التتر فتحصن فريق كبير في ذروة الجبل فحاصرهم مماليك سلطان مصر وكان فيهم الامير زين الدين بارعاً في رماية النبال حتى اعجب المماليك اصابته فجعلوا يأنون قوسه من جعبهم ولكن لما ذاع انه سبق لهذا الامير ان وفد على التتر بدمشق امر بضرب عنقه ولم ينج الا بشهادة المماليك انه شهد معهم حصار التتر في ذروة الجبل وكانت له فيه النبال الصائبة لقلوب الاعداء وفي سنة ١٢٦٠ جدد الملك الظاهر بيبرس للامير جمال الدين جحى بن محمد العهد في قرية عاليه ومجدل بعنا وشارون وعرمون وعين درافيل وطردلا ودفون وعين كسور وقدرون وشملال ومرتغون والسباحية وسرحمور وبطلون وعيناب والدوير وبتاتر وبيصور وكفرعميه وعيتات وفي سنة ١٢٧٠ كتب نائب دمشق اقوش النجيبي الامير زين الدين علي والى الامير جمال الدين جحى يثني عليهما وايد ذلك ما كتبه اليهما الملك الظاهر بيبرس مادحاً لهما وواعداً اياهما بجزاء عن صدقهما في الخدمة غير انه لم يلبث ان تغيظ عليهما بسبب ما وشي اليه فيهما فسجن الامير زين الدين في مصر والامير جمال الدين في الكرك واخوه الامير سعد الدين في قلعة عجلون ثم ضم الثلاثة في سجن مصر فلبثوا فيه الى ان توفي الملك الظاهر وقام بعده الملك السعيد فاخرجهم من السجن وكتب الى نائب الشام كتاباً يقول فيه بعدم رضاه عما حل بالامراء من الاذى ويأمر برد المسلوب منهم اليهم اما عيناً واما قيمته ان كان المسلوب قد هلك ووجه الامير جمال الدين الى الديار الشامية ثم كتب الى نواب الديار الشامية والصفدية والاكراد والبعلبكية والحمصية

يلومهم على ما اتوه في بــلاد الامراء التنوخيين في الغرب و يأمرهم برد المسلوب و يحذرهم من المخالفة ثم عاد ارباب الفتنة فوشوا فيهم وشاية من مثل الوشاية الاولى وهي انهم متحدون سراً مع افرنج الثغور غير انه لم يفلح الوشاة اذ ظهر كذبهم بشهادة عدة من الشهود وفي سنة ١٢٨٩ وهي السنة التي فتح فيها ملك مصر طرابلس نزعت من يد اولئك الامراء اقطاعاتهم ولم ترد اليهم الاّ في ايام الملك الاشرف خليل قلاوون واخيه الملك الناصر ففي سنة ١٢٩٣ كتب الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الامير سعد الدين خضر بن محمد فاقطعه عاليه وعين الرمانه والدوير والسباحية و بعضاً من العمروسية ومن المغيثة وكتب ايضاً الى الامير زين الدين بن علي يعيده الى خدمته ٠

وفي سنة ١٢٩٥ مات الامير زين الدين صالح بن علي بن بحتر في عرمون ودفن فيها وكان مشهوراً وقد بنى الدار المجاورة للعين ودار الراس وفي سنة ١٢٩٧ مات الاميرجمال الدين الكبير جحى بن محمد بن جحى بن كرامة بن بحتر وفي سنة ١٣١٣ مات الامير سعد الدين خضر بن محمد بن جحى وفي هذه السنة نفسها كتب الامير ناصر الدين الحسين كتاباً الى نائب دمشق امير الامراء الامير تنكز يقول فيه انه هو وذوو قرباه آخذون على انفسهم وقاية بيروت و باذلون الجهد في خدمة الدولة وان غالب ما في يدهم من الاقطاعات ملك ثابت لهم بحق شرعي، وانها لهم بعدة واحد وثلثين فارساً وكانت لابائهم بثلاثة رماح ثم التمس منه الرفق بهم فكتب امير الامراء الى السلطان في مصر يخبره بذلك و يذكر له قِدم املاك الامراء

في الغرب فامر السلطان ان تبقى في ايديهم وان يزاد لهم من الجند بقدر ما زيد لهم من الاقطاعات فبلغت الزيادة النصف فضوعف عدد الجند حتى بلغ اثنين وستين فارساً واما تفصيل بيان الاقطاعات للامراء بحسب اللائحة التي كتبت في ديوان ناظر الجيش فهي ان للامير ناصر الدين الحسين ابن الامير سعد الدين خضر امير الغرب ولعشيرته وذويه عرمون وصير وبشالا وكيفون وبيصور وثلث عين عنوب وثلث عيناب وشمشوم وثلث كفرعميه وثلث بثاثر وبركة شطرا ومرتغون وثلث حصة الملك في خلده ومغدلا ومن الفريديس فدان وللامير عز الدين الحسن ابن سعد الدين امير الغرب ولذويه وخمسة خصيان نصف عاليه ونصف الحريبه وعيثا ونصف الدوير ونصف السباحية ونصف المغيثة وربع قدرون ونصف قطع ارض في قرتيه وربع طردلا وربع رمطون وربع عين كسور وللامير عز الدين حسين بن شرف الدين علي ولذويه وعشرة خصيان نصف عيتات ونصف دقون ونصف مجدليا ونصف شملال وثلث عين عنوب ونصف سرحمور ونصف عين درافيل وثلث بثاثر وثلث عيناب وقطع ارض في العمروسية وثلث كفرعميه ومن الفريديس فدان وللامير سيف الدين مفرج بن بدر الدين يوسف بن زين الدين صالح ولذويه وعشرة خصيان نصف عيثات ونصف دفون ونصف مجدليا ونصف شملال ونصف عين درافيل وثلث بثاثر ونصف سرحمور وثلث عيناب وقطع ارض في العمروسية وثلث كفرعميه وثلث حصة الملك في خلدة ومن الفريديس فدان وللامير علم الدين سليمان بن غلاب ولذويه وخمسة خصيان نصف

الخربه وعيثا ونصف الدوير ونصف السباحية ونصف درب المغيثة وربع قدرون ونصف قطع ارض في قرتيه وربع طردلا وربع رمطون وربع عين كسور وللامير سيف الدين ابرهيم بن نجم الدين محمد بن جحي ولذويه وخمسة خصيان ربع بطلون وربع الطفرانية ونصف القبي ونصف محواره ونصف معيستون وربع الدوير وربع اقطو وللامير شمس الدين عبدالله بن جمال الدين جحى ولذويه واربعة خصيان نصف قدرون ونصف رمطون ونصف طردلا ونصف عين كسور وللامير عماد الدين موسى بن مسعود بن ابي الجيش ولذويه وثلاثة خصيان له نصف دفون ونصف الفساقين ونصف شطرا ونصف دير قوبل ونصف عين حجيه

وقد اجتمع هؤلاء الامراء فاقتسموا في المحافظة على بيروت الى ثلاث فيئات لكل فيئة منهم نوبتها . وفي سنة ١٣٠٢ اتى الافرنج الدامور وكان بها الامير شمس الدين عبدالله واخوه الامير فخر الدين عبد الحميد ابنا جحى فقتلوا الامير فخر الدين واسروا اخاه الامير شمس الدين عبدالله واسروا خمسة رجال معه ولبث في اسرهم خمسة ايام فاستخلصه الامير ناصر الدين الحسين بثلاثة آلاف دينار صورية . وفي سنة ١٣٢٣ وقعت في بيروت بين الافرنج وبين واليها عز الدين اليسري وامراء عرمون معركة شديدة فجرح بعض الامراء وكان الفوز للافرنج فاستقدم تنكز امير الامراء اليه وهو بدمشق الامراء التنوخيين والتركمان من كسروان وتسخط عليهم وسجنهم فشفع لديه فيهم احدهم الامير ناصر الدين الحسين

فاطلقه ثم اطلق بقية الامراء لثبوت برآتهم لديه ثم امرهم بالاقامة ببيروت فبنى الامير ناصر الدين داراً على شاطيء البحر

وفي سنة ١٣٤٢ صدرت منشورات الى جميع الولايات قاضية بتجهيز الجنود وبعثها الى الكرك فجهز الامير ناصر الدين الحسين اخاه الامير عز الدين الى الكرك في جماعة من قومهما فلما بلغ هذا الامير الكرك امره رئيس العساكر حالاً ان يزحف برجاله على القلعة فزحف بهم وقاتل راجلاً قتالاً شديداً فولى اصحابه عنه هاربين فادركه الاعداء فقتلوه وكان شجاعاً ثابت الجأش وله بعض المباني في عبيه وفي سنة ١٣٤٥ امر الامير يلبغا الاتابكي نائب دمشق امرآء الغرب ان يسكنوا بيروت وفي سنة ١٣٥٠ مات الامير ناصر الدين الحسين بن خضر بن محمد بن حجى بن كرامة بن بحتر وله من العمر ثمانون سنة وكان مهيباً شاعراً رقيقاً سريع الخاطر وله مبان كثيرة في بيروت والغرب وقد اشتهر الامير عز الدين جواد بن علم الدين سليمان الرمطوني بجودة الخط حتى قيل عنه انه كتب آية الكرسي الشريفة على حبة الارز مرات وقد توفي هذا الامير في سنة ١٣٥٦ وله من العمر ثلث وخمسون سنة

وحدث في سنة ١٣٧٣ ان الامير يلبغا الاتابكي انفذ الى بيروت الامير بيدمر الخوارزمي فقدم الى هذا الامير تركمان كسروان واخذوا على انفسهم ان يسيروا الى قبرص في الف رجل طلباً للحرب وسألوا هذا الامير ان يزودهم بكتاب الى يلبغا فيسيروا به الى مصر ويستحصلوا اقطاعات امراء الغرب فلما احس بذلك الامير سعد الدين خضر بن الحسن

بن خضر والامير سيف الدين يحيى بن صالح سبقاهم الى مصر ثم وصل
التركمان فامر يلبغا ان يكتب لهم لوائح في اقطاعات امراء الغرب فكشف
الاميران امرهما للقاضي علاء الدين كاتب سر الامير يلبغا فقال القاضي
للامير في حضرتهما ان امراء الغرب من غرس الملوك الاوائل فحاشا لسيدي
الامير ان يقطع عنهم في ايامه السعيدة ما اولاهم اياه الملوك الاوائل من
النعم فامر اذ ذاك يلبغا بابطال تلك اللوائح واقر الامراء في اقطاعاتهم ولما
همَّ الاميران بالعود الى بيروت اوعز اليهما القاضي ان عمرا خان الحصيني
فانيط تعميره بالامير زين الدين صالح ووقف على ذلك المزرعة المعروفة
بجرن الدب غير ان الامراء اولاد الحمرا اغتصبوها لانفسهم

وحدث في سنة ١٣٨٢ ان قدم الافرنج بسفنهم الى بيروت فخرجوا
الى المدينة وحدثت فيها موقعة كان النصر فيها لهم فلما رأى الامير سيف الدين
يحيى شرذمة منهم عند خرائب القلعة القديمة هجم بجماعته عليهم واندفع
على صاحب العلم منهم فتناولوه برماحهم فكبا به جواده ثم نهض وكرَّ على
صاحب العلم فاسقط العلم من يده فلما شهد الافرنج سقوط علمهم فروا
منهزمين الى البحر يطلبون العود الى سفنهم وقد غرق بعضهم في الماء عند
الازدحام طلباً للنجاة وكان السبب في انكسارهم ذلك الامير سيف الدين
ثم وصل بيدمر نائب الشام قادماً منها فلما مثل الامير لديه اغلظ له النائب
الكلام لكراهيته له فقال انت مائل بقلبك الى الافرنج وموالٍ لهم سراً
فقدم له الامير فرسه وجواداً آخر فاقبلهما منه ولكن لم يزل متغيظاً عليه
ونزع عنه الاقطاعات فكتب الامير الى صديق له عند الملك الظاهر بمصر

يستشفعه في امره وسعى هو الى دمشق يلتمس من كبار القوم فيها
شفاعتهم فيه لدى بيدمر فلم يجده ذلك كله نفعاً وحدث في اثناء ذلك
ان قتل بيدمر فعاد الامير يلتمس من حاجب الحجاب ان يشفع فيه لدى
الملك فكتب اليه كتاباً وسيره به الى مصر فصدر الامر ان تعاد الى الامير
اقطاعاته ومات هذا الامير في سنة ١٣٨٨ وله ولد يسمى الامير فخر الدين
عثمان وحدث في هذه السنة نفسها ان الملك الظاهر برقوق قدم لحصار
دمشق فبعث الى الامراء يستقدمهم اليه وامرهم ان يأتوا مهم بنائب بيروت
وان يسوقوهم قسراً اذا امتنع فاتى دمشق الامير فخر الدين عثمان بن يحيى
والامير عماد الدين اسمعيل ابن فتح الدين والامير عز الدين حسن بن ظهير
الدين والامير سيف الدين ابو بكر والامير ناصر الدين بن جمال الدين ولما
مثلوا لدى الملك الظاهر امرهم ان يأتوه من بيروت بشيء من الرصاص
للمنجنيق فسيروا في ذلك احدهم الامير عز الدين فاتى بالمروم ثم سار
الملك الظاهر الى شقحب لمقاتلة تمر يغا فهزمت ميسرة تمر يغا ميمنة الظاهر
فانهزم بذلك الامراء فضم الملك الظاهر عساكره في الحال واندفع بها على
تمر يغا فكسره واما تمر يغا فانفذ الى بيروت من لدنه نائباً عليها اسمه ارغون
فانضم الى ارغون هذا تركمان كسروان مع الامير علي والامراء ذوي
قرباه من ولد الاعمى والتحمت معهم جماعة من المنطاشية وزحفوا جميعاً
باقوامهم على الغرب فلقيهم امراء الغرب برجالهم عند الساحل واشتبك
الفريقان مقتتلين اقتتالاً شديداً فكانت الغلبة لاصحاب تمر يغا وقتلوا من
اعدائهم تسعين رجلاً واسروا بعضاً منهم الامير شرف الدين عيسى بن

احمد والامير علاء الدين بن شمس الدين من عرمون فارسلوهما الى زوق ولد الاعمى ونهبوا ما بلت يدهم به من اموال الامراء ببيروت اما الامراء المنهزمون من شقحب فعادوا حينئذٍ وكان قد تحقق انتصار الملك الظاهر وتوجهه الى الديار المصرية فاطلق المنطاشية الاميرين من الذوق وقد تبع اولئك الامراء الملك الظاهر الى مصر فاجرى عليهم الوظائف كالعساكر اذ حسب انهم جاءوا مع عساكره الى مصر فاغتنم الامراء ولد الاعمى تلك السانحة وجمعوا التركمان من كسروان وزحفوا بهم الى الغرب وقاتلوا اهله وهزموهم وقتلوا منهم اربعين رجلاً ونهبوا عدة من قراه فهاج ذلك جماعة الملك الظاهر فدهمت العساكر الظاهرية اولئك التركمان تركمان كسروان وقاتلوهم فقتلوا الامير علياً من ولد الاعمي ونهبوا زوق تركمانه ثم تسنى لهم بعد ذلك ان قبضوا على اخيه الامير عمر وعذبوه عذاباً اليماً مات به. ولما صارت نيابة دمشق الى يلبغا الناصري استقدم يلبغا اليه الامير فخر الدين عثمان وبعضاً من ذوي قرباه ثم جرت موقعة مع منطاش قتل فيها الامير شجاع الدين عبد الرحمن بن اسمعيل وبعض من اصحاب الامير فخر الدين عثمان ثم توفي هذا الامير في سنة ٣٩٣ غير متجاوز الرابعة والعشرين من عمره وكان شاعراً مجيداً عزيز النفس بعيد الهمة ولما كانت السنة ١٤٢٤ سير الملك برسباي اسطولاً الى قبرص يريد فتحها وامر امراء الغرب ان تسير مع جماعة الاسطول فسار الامير صالح بن يحيىَ بن صالح بن الحسين بن خضر في مائة رجل فنزلت العساكر في بر الماغوصة واتت فيه ما اتت من سبي ونهب ثم حدثت مواقع بينهم وبين الافرنج في البر والبحر وكان

الفوز فيها لعساكر الملك فاسرت هذه العساكر سبعمائة اسير وغنمت شيئاً كثيراً من ادوات القتال ثم سارت الى مصر فحبا الملك الامير صالح بمائتي دينار واكرمه اكراماً كبيراً ووهبه جواداً وفروة ثم عاد الامير الى بلده وفي سنة ١٤٤٤ جهز ابن الحمراء جماعة كبيرة وسطا بها على الامير عزالدين صدقة بن عيسى بن احمد وهو في داره في بيروت فقتل بعضاً من اصحاب هذا الامير وفر الامير نفسه باثواب النوم واختبأ في مكان على شاطيء البحر وقد مر به اعداؤه مراراً ولم يدروا به وحدث بعد ذلك انه قطع راس ابن الحمراء وارسله الى دمشق فارسله نائب دمشق الى الامير عزالدين ثم اتفق في ذات يوم ان الامير عز الدين قبض على واحد من بني الحمراء كان مختبئاً بين افنان شجره الى جانب غرفة الامير وهو يحاول ان يرميه بسهم ولكنه لم يلبث ان اطلق سبيله ولم يمسه باذى . وقد توفي هذا الامير في هذه السنة نفسها وكان مهيباً وقوراً حسن السياسة شديد الحزم كبير الجاه نافذ الكلمة لدى الملوك والعمال وكانت ولايته من حد طرابلس الى حد صفد وبيده زمام خفارة بيروت وفي سنة ١٥٢٠ مات الامير شرف الدين يحيى بن ابي بكر بن زنكي وقد كان بمكانة من الشجاعة والبسالة ومن الفطنة والذكاء وفد على الملك الاشرف قانصوه الغوري بقلعة الجبل في مصر ونال منه بغيته ووفد على المغفور له السلطان سليم بدمشق فصدق له على ما بيده من المناشير وحدث ان الامير ناصر الدين محمد بن الحنش صاحب صيدا والبقاعين خرج عن طاعة السلطان سليم وفر من وجه سلطته فاتهم الامير شرف الدين بالميل الى العاصي فقبض

عليه وعلى الامير زين الدين والامير قرقماز والامير علم الدين سليمان من الامراء المعنيين وارسلوا الى قلعة صفد ثم الى قلعة دمشق ثم سار بهم السلطان سليم الى قلعة حلب ولما قتل العاصي خلى السلطان سبيلهم فقصد الامير شرف الدين الفرات ونال بغيته عند الوزير الاكبر هنالك ثم عاد الى بلده . . وحدث في سنة ١٥٨٤ ان ابراهيم باشا والي مصر قدم الى عين صوفر من لبنان لمعاقبة امرآء الجبل بما اتهموا به من نهب الخزينة السلطانية عند جون عكا فمثل بين يديه الامير محمد بن جمال الدين وابن عمه الامير منذر مستسلمين له فاقتادهما معه الى اسلامبول حيث برئت ساحتهما واطلقا واقرا على ما كانا عليه في ديارهما

وفي سنة ١٧١٢ سير الحافظ الى قرية عبيه الشيخ مظفراً في فرقة من الجند العثماني لمعاقبة الامير ناصر الدين فدهمه الامير في داره فاقتتلا فقتل عدةٌ من الفريقين واحرق الشيخ القرية ثم استسلم الامير له وصحبه الى دير القمر فطيب الحافظ نفسه وولاه الشوف وفي سنة ١٦٣٣ اتى الامير علي علم الدين والي الشوف قرية عبيه وقد كان من اليمنيين فدعاه امراء القرية وهم الامير يحيى العاقل والامير محمود والامير سيف الدين ليتناول الطعام عندهم وبينما كانوا يأكلون اذ اندفع عليهم باصحابه فقتلهم ثم قتل ابناءهم فانقرضت بهم سلالة بني تنوخ

فينيقية ولبنان

— في عهد الصليبيين —

كان من اسباب قيام ملوك الافرنج للحروب الصليبية ان ناسكا منهم يدعى بطرس كان متزوجاً وله اولاد ولاسباب ترك عائلته وترهب واخذ يسوح مع احدى العائلات الى ان وصل اخيرا معها الى بيت المقدس سنة ١٠٩٨

وبعد ان رسخت قدمه في بيت المقدس وطاف الاماكن المقدسة اخذته الحمية في استخلاص هذه الاماكن من ايدي المسلمين .

ولما رجع الى ايطاليا اجتمع مع البابا اوربانوس الثاني وكلمه بهذا الخصوص فوافقه البابا على فكره وامره ان يطوف في اقطار البلاد محركاً الشعوب المسيحية لاستخلاص تلك الاماكن فصدع بطرس بالامر واجتاز من ايطاليا الى فرنسا ثم سار الى اكثر الممالك الاوربية زارعاً هذه الافكار ومهيجاً اياهم للنهوض والبابا في الوقت نفسه عقد عدة مجامع مستنهضاً الهمم ولاجل ترغيب الناس اشهر انعامات خصوصية لكل من يشترك في هذا الامر

قال بعض المؤرخين اللاتين وفي اثناء ذلك ظهر جملة عجائب في السماء والارض منها تساقط بعض النجوم ومنها ظهور عمود ناري على شكل حربة ذات حدين بقرب الشمس ومنها انه شوهد في الجو صور مدن وعساكر وخيول واسلحة وفرسان مرسومة بالصلبان الى غير ذلك من

المناظر ألتي شددت عزائمهم وجعلتهم لا يتأخرون عن السفر وانه عند ذلك نهض احد الاساقفة طالباً ان يكون اول المجاهدين في هذا السبيل فسلمه البابا راية الصليب فتبعه جملة من روءساء الدين ومن الشعب ورسموا على صدورهم صورة الصليب بلون احمر وهكذا جعلوا هذه العلامة على الاسلحة والرايات فدعوا بالصليبيين ودعيت حروبهم بالصليبية

وكان بطرس اذ ذاك متوشحاً بثوبه الرهباني وقائداً للفرقة الاولى وبعد ان قاسوا اهوالاً شديدة وصلوا الى القسطنطينية وكان ملكها اذ ذاك الكسيوس كومينينوس فاذن لهم ان يقيموا في المدينة الى ان يحضر رفقاؤهم ثم ان الفرقة الثانية لم تلبث ان وصلت الى القسطنطينية بعد ان قاست كثيراً من المشقات

وكان عدد الفرقتين مئة الف فأمر الملك الكسيوس بنقلهم جميعاً الى سواحل اسيا على مراكبه ولما وصلوا التقتهم العساكر الاسلامية في نواحي نيقية واحاطوا بهم وقاتلوهم قتالاً شديداً واستظهروا عليهم ولما علم اهالي اوربا ما حل بابنائهم من النكال حزنوا جداً وتحركت عزائمهم على اخذ الثار فتجهز منهم جيش جرار تحت راية غودي فروا دوك برانفت وبوليون ورافقه اخواه اوستاس وبودوين وغيرهما من القواد منهم روبرتس اخو فيليب ملك فرنسا ولما وصلوا الي شطوط اسيا وقعت بينهم وبين جيوش الاسلام معارك كان النصر فيها حليف الصليبيين ثم ان الصليبيين ذهبوا بعد ذلك الى القدس فتم لهم فتحها في ١٥ تموز من تلك السنة عنوة وكان اذ ذاك افتخار الدولة مستنابا للحكم عليها من قبل ملوك مصر الفاطميين وقد

عهد الافرنج بالملك الى غودفروادوك بولون المذكور فلم تطل مدة حكمه لانه مات في السنه التالية اي سنة ١١٠٠ فانتدبوا اخاه بغدوين صاحب الرها ليخلفه في الملك فقدم من الرها ماراً في السواحل ولما وصل الى درج نهر الكلب حاول امراء بيروت وصور وصيدا وعكا صده فلم يفلحوا

وكانت مدة ملك بغدوين على القدس ثماني عشرة سنة (١١٠٠ — ١١١٨ م) قام في اثنائها بعدة فتوحات فقد استولى على طرابلس وبيروت وصيدا وقد دخلت سواحل لبنان في امان الافرنج حينئذٍ

وكانت صور آخر مدينة فتحها الافرنج وكان فتحها سنة ٥١٨ هـ الموافقة للسنة ١١٢٤ م بعد حصار خمسة اشهر وبفتح صور اصبحت فينيقية كلها بيد الافرنج

وقد تكررت حملات الصليبيين حتى سنة ١١٤٤ م واستولوا على البلاد الواقعة بين العريش جنوبي فلسطين وبين خليج الاسكندرونة واصبح لهم اربع امارات امارة الرها وكانت ممتدة شرقاً الى ما وراء الفرات ثم امارة انطاكية وحدودها من طرطوس حتى جنوبي اللاذقية عند قلعة المرقب ثم امارة طرابلس وحدّها الجنوبي جسر المعاملتين وامارة اورشليم وكانت ممتدة الى تخوم امارة دمشق والى اطراف البادية ومن عكا الى ما وراء بيروت حتى جسر المعاملتين

وكان ملك اورشليم حينئذ هو الرئس الاعلى الذي يرجع اليه في جميع الشؤون

واما دستور المملكة فقد وضعه غودي فروا واطلق عليه اسم قواعد

اورشليم واما لبنان فقد كان في ذلك العهد منقسماً الى عدة امارات افرنجية وكان المسيحيون فيه يتولون امورهم بانفسهم اذا أطلقت الحرية لامرائهم في ادارة الشؤون وقد عظم شأن الاكليروس حينئذ وعلت كلمتهم واصبح للمدن الساحليه تجارة واسعة لها صلات مع مدن ايطاليا وفرنسا على ان دولة الصليبيين هذه لم يطل زمن مجدها لما كان قد دخل على سلطتها من الضعف بمزاحمة الشرفاء والاكليروس والاعيان فادت هذه المزاحمة الى منازعات وخصومات عديدة ولا سيما وان سيبيليا والدة الملك بودوين الرابع تزوجت بعد وفاة ابنها هذا برجل ذميم الاخلاق وجعلته ملكاً فساء هذا الامر جميع الوزراء والامراء ومن جهة اخرى فان امراء المسلمين كانوا يصلونهم ناراً حامية فلم يخل يوم من ايامهم من القتال والمناوشات ففي سنة ١١٤٥ نهض على بودوين الثالث عماد الدين زنكي صاحب الموصل والشهبا وفتح الرها وما يليها وسنة ١١٥٥ اخذ نور الدين محمود زنكي دمشق وصلاح الدين الايوبي فتح الديار الشامية سنة ١١٧٥ وعمت سلطته مصر و بلاد العرب والجزيرة ومعظم سورية ولم يبق من يناوئه غير الافرنج الذين هزمهم في وقعة حطين المشهورة سنة ١١٨٨ واسر ملكهم لوزينيان واستولى على اورشليم بتسليم الملكة اياها بشروط معلومة على رجاء تخليص زوجها الذي كان وقع اسيراً ولم يبقَ من المملكة الصليبية الا بعض المدن الساحلية ثم ان المماليك الذين هم فرقة جندية جمعها سلاطين مصر من الخدمة الاتراك والمغول استبدوا بالسلطة في مصر سنة ١٢٥٠ واخذوا من الصليبيين كل ما كان باقياً لهم في سورية فزالت تلك الدولة

وكانت مدة ملكها مئة وثلاث وتسعين سنة من حين فتحهم انطاكية سنة ١٠٩٨ الى يوم اخراجهم من عكا سنة ١٢٩١ م

ويقال ان عدد من مات وقتل في الحروب الصليبية يتجاوز المليونين من النفوس

وقد اظهر صلاح الدين حينئذٍ من علو الهمة والكرم والشفقة ما لا مزيد عليه فانه اطلق سبيل ثلاثة الاف رجل بدون فدية وكان يعامل الجميع باللطف وعند مقابلة الملكة اظهر من الرقة وكرم الاخلاق ما لا يوصف وكان يعزيها بكلامه ودموعه معاً وكان يوزع الاحسان على الارامل والايتام

وقد ضرب الامراء الافرنج نقوداً باسمائهم في مدة ملكهم منها ما هو باللغة العربية بالحرف الكوفي على شبه النقود الاسلامية الا انها تحتوي على رموز نصرانية كالصليب وعلى آيات كتابية

والافرنج في اثناء وجودهم في هذه البلاد لم يجدوا بداً من الاقتداء بالشرقيين وآدابهم فلبسوا ثيابهم وجعلوا على رؤوسهم الكفيات ومنهم من تعمموا وانتعلوا بنعال عربية مروسة وقد اقتدوا بهم ايضاً بمبانيهم فرصفوا قصورهم بالفسيفساء وموهوا سقوفها بالذهب والنقوش وفرشوها بالطنافس الشرقية النفيسة (١)

وهكذا جعلوا حصونهم ومبانيهم الدينية التي منها كنيسة بيروت

---

(١) بعكس ما نحن عليه في الاونة الحاضرة فاننا اصبحنا نقتدي بالافرنج بكل اعمالنا وعوائدنا ولا تلبث لغتنا العربية ان تموت موتاً

(جامع يحيى اليوم) التي شادها الملك بغدوين سنة ١١١٠ م على اسم القديس يوحنا وهي على شكل مصلب وهي الكنيسة التي قال عنها صالح بن يحيى في تاريخ بيروت : ولما قدَّر الله بنزع بيروت من يد الافرنج ثبتت كنيستهم جامعاً

وقد اقتفى الافرنج اثر الشرقيين في مواسمهم وحفلاتهم وكان للامراء منهم جوقات لدق الات الطرب وللنوبات العسكرية

واستفادوا العرب استعمال الابرة المغناطيسية في ملاحتهم يهتدوا بها في البحر وهي المعروفة عند العرب بالحك BAUSSOL وكان العرب اخذوها من اهل الصين

وقد تعلم الافرنج من الشرقيين تربية دود الحرير ونسج الاقمشة الحريرية وصبغها وصناعة الطنافس ونقش الخزفيات بالمينا وعمل الانية الصينية واستحضار الزجاج والاوعية النحاسية المنقورة نقراً والمطعمة بالاسلاك الذهبية والفضية وكذلك الاسلحة من سيوف مجوهرة وقامات منقوشة

وفي تلك الايام قدم لبنان اسرتان كريمتان هما الامراء المعنيون والامراء الشهابيون

فينيقية ولبنان

— في عهد الامراء آل معن —



— الامير فخر الدين المعني الثاني —

ان هؤلاء الامراء ينتسبون الى الامير معن من العرب الايوبيين من ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان نبغ من بني ربيعة رجل اسمه ايوب كان فارساً مغواراً سلاباً مات وله احد عشر ذكراً وكلهم شجعان

فلما استفحل امرهم حسدهم جميع بني ربيعة وحملوهم على الرحيل فاتوا جزيرة الفرات ونزلوا بها فنموا نموا كبيراً واتخذوا نسبة الايوبية نسبة الى ايوب ورحل احدهم من تلك الجزيرة الى الديار الحلبية وتوفي بها عن ولد اسمه معن

فمعن هذا ارسله الامير غازي امير الترك في سنة ١١١٩ ب٠م لمحاربة الافرنج في انطاكية فانهزم من وجه الملك بلدوين الفرنسي وعساكره في جملة المنهزمين ولجأ الى طغتكين في الديار الحلبية وفي سنة ١١٢٠ ب٠م امره طغتكين ان يمضي بعشيرته الى البقاع ثم الى لبنان المشرف على الساحل لينزل به و يتخذه حصناً ليرصد منه الغارة على الافرنج الذين بالساحل فرحل الامير معن بعشيرته الى الشوف فنزل بصحراء بعقلين ووادٍ آل تنوخ امراء الغرب و كبيرهم يومئذٍ الامير بحتر فتحالف الاميران على الافرنج وآثر الامير معن سكن الاقبية على المضارب فأرسل اليه الامير بحتر اناساً بنوا له ولاصحابه اقبية يسكنونها ثم كثرت المباني واتسع العمران فانضم الى الامير معن خلق كثير لجأوا اليه من جميع البلاد التي استولى الافرنج عليها من حوران ودمشق وحلب ومن الاماكن المجاورة للبنان ومن اطرافه وعاش الامير معن هناك ثلاثين سنة وتوفي سنة ١١٤٩ وخلفه ولده الامير يونس وفي الايام الاخيرة من ايام الامير يونس كان قدوم الامراء الشهابيين الى وادي التيم حيث اكتسحوا الافرنج وحلوا محلهم وفي سنة ١١٧٥ ب م بعث الامير يونس الى الامير منقذ الشهابي يدعوه الى ... ان كانا قد تحالفا على المودة والاخاء فقدم اليه هو وولده الامير محمد فلقيهما الامير الى نبع

الباروك حيث مكثوا ثلاثة ايام ثم اتى بهما بعقلين وحدث ذات يوم ان الامير محمداً بينما كان في دار الامير يونس لاحت منه التفاتة فوقعت عينه على طيبة بنت الامير يونس وهي باحدى النوافذ فاستلب لبه بحسنها البديع وجمالها الباهي فوقعت حبة الحب في قلبه ولكنه كتم امره حتى خرج ذات يوم مع ابيه والامير يونس الى ضواحي القرية ترويحاً للنفوس وجلسوا الى منهل ماء من حوله ازهار فقال الامير منقذ ان المياه هذه لعذبة وقال ابنه محمد والارض لطيبة فقال الامير يونس وانت طيب يا محمد فقال الامير محمد الطيبون للطيبات مشيراً الى مرامه بان يعقد له على طيبة ابنة الامير يونس ولكن الامير يونس لم يدرك مغزاه ولما جلسوا الى الطعام اخذ الامير يونس لقمة وناولها الى الامير محمد فقال الامير محمد ان كانت طيبة اخذتها ثم تناولها من يده فاكلها ولم ينكشف هذه المرة ايضاً مقصده للامير يونس و بعد الطعام جعل الامير يونس يجاذبه اطراف الحديث والامير محمد يحوم دائماً بكلامه حول مقصده لعله ينكشف شيء منه فلما يئس محمد وخشي ان يكون يونس قد علم وتجاهل طوى كشحاً على امره واعتذر اليه عما اذا كان فرط منه اليه شيء من القول لم يعجبه فاجابه قائلاً طب نفساً فانك قد احسنت في كل ما اتيت ولكن كيف تطيب نفسه ولم يفز بالوعد بطيبة فلم يلبث ان عاد يبتغي وسيلة لابلاغ مرامه فسأل الامير يونساً كيف تفسر قوله تعالى الطيبات للطيبين فانفتح اذ ذاك على الامير يونس باب فهم المراد فتبسم وقال ازوجناك يا محمد فتم امر الخطبة بالرمز ثم سأل الامير يونس الامير محمداً أله اخت فاجاب ابوه نعم وهي اصغر

منه واسمها سعاد وقد ازوجتها من ولدك الامير يوسف فصرح الامير يوسف بالقبول وتم العقدان في ذلك المجلس ولما آب الامير منقذ وولده محمد الى حاصبيا زفت الاميرتان في وقت واحد

ولما كانت سنة ١٢٣٨ استنجد الامير عامر الشهابي الامير عبدالله ابن سيف الدين بن يوسف بن يونس المعني على ابن عم الكونت اورر الافرنجي الذي بغي ان يثأر من الشهابيين لابن عمه فنجده وزحف الاميران برجالهما الى مرج الخيام حيث التقى الفريقان وشبت بينهما نار الحرب فانهزمت الافرنج في اليوم الرابع من شبوبها ثم توفي الامير عبدالله وله الامير علي وجرت بعد ذلك امور للامراء المعنيين يتعذر علينا سردها مرتبة لان المعلومات التي وقفنا عليها في هذا الشان غير منسوقة ومجمل ما علمناه من اخبار الاعيان هو انه في الربع الاخير من القرن الرابع عشر توفي الامير يوسف المعني اخو الامير عثمان ابني الامير ملحم ابن الامير احمد ابن الامير عثمان ابن الامير سعد الدين ابن الامير محمد ابن الامير بشير ابن الامير علي فتولى الامارة بعده ابن اخيه الامير فخر الدين الاول ابن الامير عثمان وقد قال صاحب (اخبار الاعيان) عنه انه اشهر الامراء المعنيين وان قد اشرقت شمس الامارة المعنية به فغابت شمس الامارة التنوخية وهو وهو قول احر به ان يكون عن حفيده الامير فخر الدين الثاني ابن الامير قرقماس كما سيتبين ذلك . وغاية ما ذكر لنا المؤرخ من فعال الامير فخر الدين الاول هو انه في ايام الملك قانصوه الغوري وقد شبت بين هذا الملك وبين ساكن الجنان السلطان سليم نيران القتال في مرج دابق وكان الامير

فخر الدين قد استقدمه الغزالي نايب قانصوه على دمشق لنجدة الملك فر الامير مع الغزالي نفسه عند ما اشتد القتال خائني الملك متحيزين للسلطان سليم ولما دخل السلطان دمشق دخل عليه الامير فاكرمه وفوض اليه جميع امور الشام وجعله في اسمى مرتبة بين اصحاب المراتب وكان ذلك في سنة ١٥١٥ وفي سنة ١٥٤٤ توفي الامير فخر الدين هذا وخلفه ابنه الامير قرقماس وهذا توفي في مغارة عند جزين اذ لجأ اليها فراراً من وجه ابرهيم باشا والي مصر الذي امره السلطان مراد ان يبطش بآل سيفا وامراء لبنان لسلبهم اموال الخزانة السلطانية عند جون عكار وكان للامير قرقماس ابنان صغيران فخر الدين ويونس فخبأهما الحاج كيوان الديراني عند ابني سركيس الخازن ابرهيم ورباح وكانت امهما اخت الامير سيف الدين التنوخي معهما ولما سكنت الاحوال في لبنان دعا الامير سيف الدين التنوخي الامير فخر الدين واخاه الامير يونس اليه وضمهما الى عياله حتى بلغا اشدهما فدفع اليهما زمام ولايتهما على الشوف واندفع الامير فخر الدين الى ميدان الحروب منذ اول ولايته فحارب يوسف باشا والي طرابلس سنة ١٥٩٨ عند نهر الكلب وكسره وحاربه في سنة ١٦٠٦ ايضاً عند جونيه وكسره وشهد مواقع اخرى كان النصر في غالبها الى جانبه وما انهزم الا عند مناظاهر نصوح باشا في حرب اضطرمت نيرانها عند مدينة كلس وفي سنة ١٦٠٧ عاون علي باشا جانبلاط في مواقع كثيرة وكانت الغلبة فيها كلها على يده ولما كان علي باشا قد خرج من طاعة السلطان احمد وارسل السلطان الصدر الاعظم مراد باشا في فيالق من الجنود فقهرته ابدى الصدر غيظه

من الامير لما كان قد سبق له من المشايعة لعلي باشا فاضطر الامير ان يسترضي الصدر فارسل اليه ابنه الامير علي وبعث اليه معه بثلثماية الف غرش فانعم الباشا على الامير الصغير بسنجقية صيدا وبيروت وغزير ولم يكن عمره حينئذٍ متجاوزاً التاسعة من السنين ولما توفي مراد باشا في سنة ١٦١١ وارتقى الى منصب الصدارة نصوح باشا سعى اعداء الامير فيه لدى الصدر الجديد وشرع احمد باشا حافظ دمشق في اثارة الفتن وكان الامير قد اتسعت سطوته وامتدت مهابته وبلغ بطشه الاماكن القاصية مثل حوران وعجلون وغيرهما فبعث اصحاب الحافظ بدمشق يشكون للسلطان وهو يومئذٍ السلطان سليم من اتساع سطوة الامير وتعاظم امره الى حد انه حاصر دمشق وكانوا مدفوعين الى تلك الشكوى من الحافظ نفسه نحلت الشكوى لدى السلطان محل القبول فارسل من اسلامبول جيشاً كبيراً ومعه عدة من الكبراء من اصحاب الباشا وذلك للفتك ببني معن وقطع دابرهم وجعل البحث كله في امر الحافظ ولما علم بذلك الامير كتب الى الحافظ يسترضيه بالمال فلم ينل بالكتابة بغيته ولم يزل الحافظ يضيق عليه ويبعث عليه البعوث حتى دفعه الى الفرار والالتجاء الى العرب ولكن الحافظ سدّ في وجهه جميع المسالك فآل به الامر ان سافر الى بلاد ايطاليا عملاً برأي الحاج كيوان وذلك بعد ان فوض امر الولاية الى اخيه الامير ونس واوعز اليه ان ينتقل من بعقلين الى دير القمر ويتخذ الدير مقراً له اما الحافظ فبقي عاملاً على التضييق على رجال الامير ومحاربتهم في كل كان ومحاصرة من كان منهم في قلعة شقيف ارنون وقلعة بانياس وبعث

بعثاً على الامير يونس اخي الامير فخر الدين فاضطر الامير يونس ان يسترضيه بمبلغ من النقود قدره مائة الف غرش ليكفه عن المحاربة والمحاصرة ولكنه لم يلبث ان عاد الى ما كان عليه لانـه لم يستكمل قبض المبلغ المشروط فجرت بينه و بين المعنيين محاربات ادت الى فشل المعنيين بعد ان كاد يكون النصر في جانبهم فاضطر الامير يونس ، ان ينضم الى الامير علي ابن اخيه وهو محاصر في قلعة بانياس فغشي الحافظ دير القمر واكثر فيها من النهب والسلب واحرق مساكن بني معن ووجه احد اعوانه الشيخ مظفر الدين الى عبيه فاحرقها وقتل جماعة من اهلها واقتاد الامير ناصر الدين التنوخي منها اسيراً الى دير القمر حيث كان الحافظ فاكرم الحافظ هذا الامير وولاه على الشوف وما خرج الحافظ من لبنان عائداً الى دمشق الا بعد ان أجرى عدة مواقع واحرق ونهب وقتل كثيراً ولما بلغ الاميريونس خبر خروج الحافظ من لبنان عاد الى دير القمر واستقر بها ولما كانت سنة ١٦١٤ عزل احمد باشا الحافظ عن دمشق وخلفه جركس باشا وقدم من اسلامبول وال على صيدا وصفد و بيروت وغزير وعلى جميع ما كان من الاماكن داخلاً في منطقة ولاية الامير فخر الدين واستقر ذلك الوالي في صفد وكان مدبره مصطفى مدبر الامير فخر الدين وفي تلك السنة نفسها بنيت حارة الناعمه باذن الامير ناصر الدين التنوخي وفي السنة التالية اتى الامير فخر الدين من الديار الافرنجية يتنسم اخبار بلاده و يستطلع احوالها فلم يأذن له ربان السفينة بالخروج منها الى البر فعاد الى ديار الافرنج وقد كان تسنى له ان عرف شيئاً من احوال بلاده ممن لقيه من ابنائها على ظهر

السفينة الذين كان في جملتهم اخوه الامير يونس فدفع زمام الولاية الى الامير علي ابن اخيه وفي سنة ١٦١٦ هدم الامير علي حصني ارنون وشيرون وقد اتسعت الولاية في ايام الامير وساد حزب القيسيين وحارب هذا الامير يوسف باشا سيفا لعصيانه امر السلطان بالتخلي عن ولاية كسروان وبيروت والرجوع عن مساعدة الشيخ مظفر وابن الامير محمد جمال الدين وبني الصواف المقدمين وقهره وقهر اعوانه ونزع ما كان في يدهم من ازمة الولاية فجعل عمه الامير يونس على مقاطعة الشوف وبلاد بشاره ومقاطعة كسروان والامير منذراً التنوخي على بيروت والامير ناصر الدين التنوخي على مقاطعة الغرب والجرد ومقدمي كفرسلوان اللمعيين على المتن والامير علياً الشهابي على مرج عيون والحولانية وحسيناً اليازجي على بلاد صفد وبلاد الشقيف وابقى على ولاية صيدا طويل حسين بكباشي ثم اجرى بعض التغيير في امر الولاية بسبب التأخر عن دفع المطلوب من الاموال

واما الامير فخر الدين فكانت مدة غيابه عن موطنه بالديار الافرنجية خمس سنين تقريباً ولما انقضت هذه المدة خرج من البحر الى عكا عائداً من الديار الافرنجية بعد ان بلغه رضا الدولة عنه وكتب الى ابنه الامير علي يبشره بقدومه فاتاه ابنه الامير علي واخوه الامير يونس. ثم جعل الامراء والمشايخ يفدون على الامير ويتحفونه بالهدايا فتقبلها كلها الا هدية بني سيفا فانه لم يتقبلها لانه كان في صدره حزازت منهم من ايام الحافظ ولما جمع الامير فخر الدين الاموال عن مدة غيابه ومهد الامر والاحوال عاد يلتمس سبيلاً على بني سيفا للبطش بهم ففي سنة ١٦١٨ كتب الى والي طرابلس

عمر باشا الكشنجي يشكو من اعمال يوسف باشا سيفا فاجابه ان شيئت ان تحار به ا كن لك ظهيراً عليه واضمن لك غضب الدولة عليك فجهز الامير جيشاً وكتب الى مدبره الشيخ ابي نادر الخازن ان يرسل رجالاً يرابطون عند قنطرة نهر ابرهيم و يمسكون العبور على الذاهبين الى الانحاء الشمالية لئلا يدري يوسف باشا بما سيناله ثم نهض الامير برجاله من بيروت الى نهر ابرهيم ووافاه اعوانه برجالهم الى الامكنة التي كان قد عينها لهم ولبث هو سائراً حتى وصل الى قرية تولا ذاهباً اليها من قلعة بخعون في الضنية ولما احس يوسف باشا بقدومه فرّ هارباً ولجأ الى قلعة حصن وانضم اليه امراء بني سيفا و بنو الصواف مقدمو المتن فبطش بهم الامير فخر الدين قبل ان يستكمل ثوار جنوده الثورة عليه فاضطرهم الى التحصن في القلعة بعد ان قتل منهم عدداً كبيراً ثم قدم سائر عسكر الامير من بلاد عكار واحاطوا بالقلعة من كل الجوانب وضيقوا الحصار على اهلها حتى اضطر يوسف باشا ان يرسل ابنته الاميرة اليه لتشفع فيه عنده فعفا الامير من اجل ابنته عن بني سيفا على ان يؤدي اليه يوسف باشا مايتي الف غرش و يكتب ميثاقاً بالتخلي عن املاك بني عساف من انطلياس الى بيروت ورجع الامير ببعض العسكر الى عكار ونقل الامير حجارة سراي عكار الى دير القمر وما زال الامير يضيق على يوسف باشا حتى استحصل منه على مبالغ وافرة ارسلها الى الدولة محسوبة مما عليه لها فورد على الامير جواب من الدولة يدل على رضاها عنه وارتياحها الى عمله وولى الامير الشيخ ابا نادر الخازن على بلاد جبيل والمقدم يوسف الشاعر على بلاد البترون ثم ردّ الامير الى يوسف

باشا حفيده الامير محمد بن حسين باشا ووالدته بنت علي باشا جانبلاط
اللذين كان الامير قد اعتقلهما ايام زحفه لمحاربة يوسف باشا واتسع نطاق
سطوة الامير وعلا شأن نفوذه حتى كان يلجأ اليه كل من اصابه جنف
او حيف من ارباب الوجاهة من الاماكن الدانية والقاصية من مثل
الانحاء الحورانية وكان يقضي لهم حاجاتهم واذا اتفق ان احداً عصي
اوامره عزز له الاوامر بالقوة فانقاد ذلك العاصي ذليلاً صاغراً قبل ان
تدنو قوة الامير منه . واعاد الامير الشيخ مظفراً بعد ان شمله بعفوه والياً
على الجرد كما كان . وولد للامير ثلاثة من دون الامير علي وهم الامير
منصور والامير حسين والامير حسن وازوج بعضاً من بناته من امراء بني
سيفا ومن بني الحرفوش وجرت له حروب شتى اعظمها الحرب التي جرت
له مع وزير دمشق مصطفى باشا انتصر فيها الامير انتصاراً عظيماً واسر
الوزير وابقاه عنده اياماً مبالغاً في اكرامه ولما عاد الوزير الى دمشق عاهد
الامير علي المحبة والصفاء وبالجملة فان الامير فخر الدين لم يلحقه الانكسار
في مواقعه الا في بعض ما جرى له منها مع الامراء بني طرباي في انحاء
صفد فانه لم يفز هناك بمرغوبه من النصر .

وما زال الامير فخر الدين يزداد نفوذاً وسطوة ومن الدولة تقرباً حتى
انعم عليه بجميع الولايات من حدود حلب الى حدود القدس وفرض عليه
ان يدفع للدولة في كل سنة عنها مائتي الف ذهب وكان ذلك في سنة
١٦٢٤ فجعل الامير يطوف بالبلاد ويمهد لنفسه سبل الحكم ويشيد
الحصون ويرمم القلاع التي كان قد دمرها ايام كان يحاصر اعداءه فيها

وقرر لنفسه امر جباية الجزية على المسيحيين في المدن وتعقب العرب الذين
كانوا يسطون على اطراف البلاد واقصاهم عنها بسيف قوته وشديد بطشه
وجمع اموالاً غزيرة فاعتز بنفسه وزين له ان ينهج نهج السلاطين فبنى
داراً للحيوانات ولبث سالكاً على ذلك المنوال تسع سنين فبدت الريبة
من مسلكه ذلك واتفق ان الكجك احمد باشا الحافظ وقد كان بينه وبين
الامير سابقة حقد وضغينة وسار بسبب ذلك الى اسلامبول وانخرط في
سلك رجال الدولة وجعل يترقى في المراتب حتى بلغ مرتبة الوزارة فانتهز
الفرصة واوغر صدر الدولة على الامير وغرس في نفسها اعتقاد وجوب
البطش به فاشتد ذلك الاعتقاد ولا سيما بعد ان بلغها ان الامير بنى قلعة
عند حلب واخرى عند انطاكية فجهزت بعثاً كبيراً وجعلت قائده
الكجك وسيرته الى الديار السورية لمحاربة الامير والفتك في المعنيين فلما
كانت سنة ١٦٣٠ قاد الكجك احمد باشا العساكر العثمانية واخذ يحشد
الجنود من حدود بلاد الروم الى حدود مصر وفي السنة التالية سنة ١٦٣٤
قام بالعساكر الى خان سعسع واما الامير فشرع في تفريق عساكره عوضاً
عن ان يجمعها ولذلك ادركه الفشل في وقت قريب وما بلغه خبر قتل
ابنه الامير علي في احدى المواقع حتى وهن عزمه وخذله غالب جنوده
ففر الى قلعة شقيف نيرون بالقرب من نيحا ومعه عياله ومدبره الشيخ ابو
نادر الخازن واخو مدبره ابو صافي وفرّ الامير يونس اخو الامير فخر الدين
بابنيه الامير ملحم والامير حمدان الى بلاد بشاره واختبأ في برج هناك يقال
له دوبية والكجك احمد باشا اخذ يوادع اهل البلاد ويعدهم بتولية واحد

من ابناء الامير فخر الدين بدلاً من ابيه حتى دفع له المبلغ الذي اقتضاه من النقود وقدم اليه الامير حسن احد ابناء الامير وتحقق انفضاض عساكر الامير فامر عندئذٍ بالامير حسن ان يقتل فقتل وزحف الى القلعة التي كان فيها الامير فخر الدين ورجاله ولبث محيطاً بها بعسكره يحاول اخذها حتى تسنى للامير ذات ليلة انه فر هو وابناءه الثلثة ومدبره الشيخ ابو نادر ونفر من رجاله متدلين بالحبال والجأوا الى مغارة جزين وعند الصباح استولى الكجك على القلعة ثم زحف الى مغارة جزين على غير علم منه ان الامير فخر الدين فيها وبينما كان احد رجال الامير خارجاً من المغارة ليتجسس الاحوال امسك وقيد الى الكجك فاعترف بان الامير في المغارة فجدد الكجك الحصار عليها وشدده حتى اضطر الامير ان يخرج منها برجاله وسلم نفسه بعد ان سأل الامان من الكجك فاعتقلوه ثم استحضر الامير يونس وابناه الامير ملحم والامير حمدان فاطلق الكجك الامير ملحماً منهم وسجن اباه واخاه حمدان وامر بتعذيبهما حتى ماتا في السجن وسار الكجك الى دمشق بعساكره ومعه الامير فخر الدين وابناؤه الثلثة الامير منصور والامير حيدر والامير بلك واما الشيخ ابو نادر الخازن فخلى سبيله ثم ارسل الامير وابناؤه الثلثة الى اسلامبول ثم ان خليل باشا احد كبار رجال الدولة لما عاد من حلب الى اسلامبول اخذ معه الامير حسيناً احد ابناء الامير فخر الدين وعاد الى الكجك فارسل وقتل عدة من الامراء بحاصبيا وراشيا وبعث يأمر الامراء بني طرباي ان يسلموا الامير ملحماً ابن الامير يونس الذي كان قد لجأ اليهم فسلموه وبينما هو في الطريق انتهز الفرصة

وفرّ ممن كانوا يقتادونه الى الكجك وعاد فتولى الولاية وعزز شأنه فيها وجرت له مواقع مع امراء من اليمنيين كان النصر الى جانبه في غالبها غير ان ذلك كان باعثاً على ان الكجك شكا للسلطان ان ما اجراه الامير ملحم انما كان بدسيسة الامير فخر الدين فغضب السلطان وامر بقتل الامير فخر الدين وابنائه الا الامير حسيناً منهم فانه بقي حياً وترقى في خدمة الدولة الى ان صار قبوجي باشا وكان عمر الامير فخر الدين اثنتين وخمسين سنة واما الامير ملحم فتوفي مريضاً في سنة ١٦٥٨ ودفن في مدافن المعنيين بصيدا وله الامير احمد والامير قرقماس . وهذان الاميران لم يتم امرهما في الولاية لان احمد باشا الكبرلي اراد الفتك بهما فبقيا مدة متغلغلين في الانحاء الشمالية من الجبل مع بعض الامراء الشهابيين فراراً من وجه الكبرلي وولى الكبرلي في تلك المدة الشيخ سرحال العماد شيخ الباروك جبل الشوف والامير محمداً والامير منصوراً ابني الامير علي اليمني الغرب والجرد والمتن ومحمد آغا كسروان وعلي باشا الدفتردار صيدا وجعله من وزرائه ولما كانت سنة ١٦٦٢ عزل علي باشا من صيدا وتولى مكانه محمد باشا فجزع الاميران قرقماس واحمد واخطراه ان يكتب لهما ميثاق امان ثم غدر بهما عندما برزا الى مدبره بالقرب من قرية مزبود من اقليم الخروب فقتل الامير قرقماس وفر الامير احمد وبه جرح بليغ ورجع فاختبأ سنتين فدفع محمد باشا زمام الولاية الى الامير محمد علي اليمني والشيخ ابي علوان من قيسية الباروك ولما عزل محمد باشا ظهر الامير احمد وانضم اليه ابناء الحزب القيسيين فعظم شانه وحارب اليمنية وكسرهم واستبد بالولاية

ثم وشي فيه الى الدولة فبعثت عليه بعثاً لفتك به ففر الامير واختبأ عند الامير نجم الشهابي ثم عاد الى الولاية ورضيت الدولة عنه فاستقام له الامر كما كان ولبث والياً حتى توفي في الخامس عشر من ايلول سنة ١٦٩٧ وكان قد مات ابن له صغير من قبله فانقطعت بوفاة الامير السلالة المعنية

فينيقية ولبنان

— في عهد الامراء العسافيين والتركمان —

هولاء الامراء من التركمان من بقايا غزاة سالفين كانوا في ايام الملك محمد الناصر بالكورة من ديار لبنان فامرهم هذا الملك في سنة ١٣٠٧ ان ينزلوا الساحل من حد انطلياس الى مغارة الاسد ليقوا البلاد من سطو هولاء من الانحاء الجنوبية كما كان التنوخيون المعاصرون لهم عاملين على وقايتها من سطو هولاء من الانحاء الجنوبية وكانت مواطن التركمانيين الازواق [1] زوق العامرية وزوق الخراب وزوق مصبح وزوق ميكايل

---

(١) الاولى : زوق مكايل وهي قرية في الاصل تابعة لمديرية الزوق من اعمال قضاء كسروان واليوم تابعة لمحافظة كسروان سكانها من الموارنة والروم الكاثوليك وفيها بضعة اشخاص من الارمن والسريان وقد اتصلت بها طريق العربات في عهد واصا باشا من جهة بيروت وفي عهد نعوم باشا من جهة قرية عين طوره وفيها جسر واحد وحاصلاتها اهمها من الحرير وفيها حرج صغير ملك السكان

اما معاملها للمنسوجات الزوقيه فحدث عنها ولا حرج فان هذه القرية قد اشتهرت بمنسوجاتها المزركشة بالفضة والذهب بصور جميلة ونقوش بديعة ووشي اهل

الزوق بفاخر ديباج صنعاء اليمن .

وقد اكتسب اهل الزوق هذه الصناعة من حمص على انها كانت في اول امرها مقصورة على نسج العباآت وما شاكل مما هو معروف في حمص ولكن احدهم عبدالله ابو شقره اهتدى من نحو سبعين سنة الى رسم ما يريد من الاشكال على المنوال بالمحراك (المكوك) فانتشر اكتشافه واشتهرت الزوق بهذا النسج الفاخر حتى انهم اصطنعوا من الاثاث والاكسية والطنافس ونحو ذلك ما يدهش الابصار واظهروا الصور الفوتوغرافية على منسوجاتهم لجات كانها مجسمة تريد ان تنطق بشكر صانعها وكفى بما رسموه نسجاً من صورة المثلث الرحمات البابا لاون الثالث عشر والملوك والرؤساء الروحيين وغيرهم شاهداً على تفوقهم بهذه الصناعة

ومن الذين اشتهروا من اهل الزوق بهذه الصناعة راشد ابو شاكر و يوسف عبدالله ابو شقرا والياس ابو شقرا وانطون مهنا وخليل حنا شاهين وسليم انطون ملحم وبالجملة ان اكثر المشتغلين بهذه الصناعة يستحقون الشكر لاجتهادهم على اتقان العمل

وقد اشتهر منهم في امريكا فارس افندي فرزان واخوه الياس اللذين رسما صورة الملكة فكتوريا ملكة الانكليز في حال حياتها فتقاطر الناس لمشاهدتها ودفع بعضهم الفي ريال اميركي ثمنها فلم يشاءا بيعها

وهذه الصناعة منحصرة اليوم في الزوق ودمشق وبغداد وحمص ولكن اهمها ما يصنع في الزوق

وكثيرون من السياح يقصدون الزوق لشراء ما يروق لهم من منسوجاتها باثمان طيبة

وهكذا شيوخ العربان وامراء القبائل الذين لا يزالون يلبسون الثياب المقصبة واصل هذه الصنعة من الهند والعجم وقد دخلت بلادنا على ما روته مجلة المشرق

واستوطنوها تعزيزاً لاسباب المحافظة على هذا الثغر من غزوات الافرنج ولما كانت سنة ١٥١٥ وقعت واقعة بين ساكن الجنان السلطان سليم العثماني والملك قانصوه الغوري بمرج دابق عند حلب فتحيز عساف من التركمان الى السلطان سليم فكان جزاءه منه ان اقره على كسروان وبلاد جبيل واليه انتسب الامرآء العسافيون من سلالته فجعل هذا الامير مصيفه بعين شقيف ومشتاه بعين طورا وجعل اصحابه بالازواق ثم انتقل الى غزير

من اربعمائة سنة بواسطة الاعجام الذين هاجروا الى حلب

الثانية : زوق مصبح وهي قرية صغيرة الى جانبها لا شأن لها في هذه الصناعة

الثالثة زوق الخراب وهي قرية اصغر من تلك فيها نذر يسير من السكان

ولفظة زوق تركمانية معناها (مكان) والمعروف من تاريخ هذه القرى الثلاثة انه عقيب الموقعة التي استظهر بها جمال الدين اقوش الافرم نائب دمشق على اهالي الجرود اللبنانية سنة ١٣٠٧ م ارسل قوماً من التركمان الى ساحل كسروان وانزلهم ما بين انطلياس وجسر المعاملتين انتقاماً من اهل كسروان لمحاربتهم جيوش المسلمين في موقعة جبيل سنة ١٣٠٢ م وكان المقدمون على هؤلاء التركمان اربعة وهم مكايل ومصبح وعامر وخراب

فنزل كل منهم واحدة من هذه الازواق ودعاها باسمه (الا عامر فانه لم يكن له نصيب باحدى القرى وليته حل محل اخيه خراب)

وهذا هو السبب في تسمية هذه القرى كذلك

وقد شاد امراء آل عساف حكامها الاسبقون عدة بنايات فيها فظلوا الى سنة ١٥٠٥ حيث انتقلوا الى بلدة غزير

وكان الاخير منهم الامير محمد منصور الذى توفي سنة ١٥٩٠ عن غير عقب فانقرضت بموته امراء آل عساف

واتخذها موطناً له اقام به حتى مات سنة ١٥١٨ ودفن هناك وله الامير حسن والامير حسين والامير قبقاي فخلفه في الامارة الامير حسن فوقعت الفتنة بين الاخوة بسبب الامارة وادّت بهم الى ان احدهم الامير قبقاي قتل اخويه واستحيى ابن احدهما الامير منصوراً ابن الامير حسن وتولى الامارة على كسروان وسجن ابني حبيش يوسف واخاه ثم نفاهما الى مصر وذلك لانهما كانا خادمين عند اخويه بعد ان صادرهما بمالهما ولم يطل بـه عهد الامارة فمات بغزير سنـة ١٥٢٣ بلا عقب وتولى الامـارة بعده الامير منصور فاسترد الحبيشيين لخدمته ومهد امر الولاية فاتسع له نطاقها حتى بلغت من نهر الكلب الى حماه وكان ينصب عليهـا من العمال من يشاء و يقتل من يناوئه في امرهـا ففي سنة ١٥٧٩ وشي فيـه الى الدولة العثمانية فنصب السلطان يومئذ وزيراً بطرابلس خضداً من شوكة الامير واذلالاله فكان الوزير المنصوب يوسف باشا سيفا الكردي وفي سنة ١٥٨٠ توفي الامير منصور وخلفه ابنه الامير محمد وهو آخر امير من بني العساف لبثت امارته مدة عشر سنين اذ قتل في سنة ١٥٩٠ وهو سائر الى عكار لمقاتلة يوسف باشا سيفا قتله الكامنون من رجال الباشا بين البترون والمسيلحة فانقرضت بقتله سلالة العسافيين وانتقلت الامارة الى بني سيفا الاكراد

فينيقية ولبنان

— في عهد الامراء بني سيفا الاكراد —

هؤلاء الامراء استقرت لهم الامارة في مبداء الامر على عكار بمساعدة الامير منصور العساف وتعزيز الامير قرقماس المعني والي الشوف لمساعدة الامير لهم وذلك بين سنة ١٥٢٨ وسنة ١٥٧٩ وفي هذه السنة الاخيرة رقى احدهم الامير يوسف الى رتبة وزير وجعل والياً على طرابلس كما تقدم ذكر هذا في الفصل السابق ولما كانت سنة ١٥٨٤ اصدر السلطان مراد امراً بالقاء القبض على يوسف باشا سيفا بسبب ما جرى من نهب اموال الخزانة الاميرية عند جون عكار وكان المسير لانفاذ ذلك الامر جعفر باشا فجمع العساكر وزحف بها الى عكار ففر يوسف باشا من وجه الزاحفين فاحرق جعفر باشا بلاد عكار ولما كانت سنة ١٥٩٠ حدث ما تقدم ذكره من قتل الكامنين من رجال يوسف باشا للامير محمد وفي سنة ١٥٩٣ تزوج يوسف باشا زوجة الامير محمد الذي قتله واستبد بجميع امواله وقتل ابناء حبيش سليمان ومنصوراً ومهنا وانتقلت ولاية العسافيين اليه وفي سنة ١٥٩٥ وقعت بينه وبين الامير فخر الدين قرقماس المعني عند نهر الكلب موقعة بسبب ولاية كسروان فانهزم الباشا شر هزيمة وفي سنة ١٦٠٢ جرى بينه وبين الامراء بني الحرفوش وانصارهم قتال ادى الى محاصرة الباشا لقلعة بعلبك التي تحصن فيها اعداءه فتمكن من القلعة بعد حصره لها خمسين يوماً ثم جرى لهذا الباشا حروب شتى مع علي باشا

جانبلاط والي حلب وكذلك مع الامير فخر الدين المعني وقد ضايقه الامير كثيراً كما بينا ذلك في تاريخ المعنيين ولما كانت سنة ١٦١٥ نزع جركس باشا والي دمشق ولاية كسروان و بيروت من يد يوسف باشا وامره ألا يظاهر احداً على الامير يونس المعني فلم يمتثل الامر بل تصدى لقتال المعنيين مستنجداً بالامير شلهوب الحرفوش وامراء رأس نحاش الاكراد فانهزم من الناعمة الى الشويفات وقتل من رجاله عدد كبير ثم استولى الامير يونس على بلاد كسروان وفرّ الامير حسين بن يوسف باشا بعيال اخيه حسن باشا من بلاد غزير الى عكار ثم قتل حسن باشا في سنة ١٦١٦ قتله قره قوش والي حلب بالاحتيال عليه و بالجملة فان يوسف باشا كانت مدة ولايته في اضطراب شديد قضاها في الحروب والقتال ولا سيما مع الامير فخر الدين المعني بعد عودته من بلاد الافرنج وكان الامير منصوراً عليه في غالب الوقعات ويده فوق يده في كل شيء وما رأى الباشا سبيلا الى استمالة الامير الا ان يزوج بعضاً من بنيه من بنات الامير فكان ذلك ولكن ما لبثت الحال في قلق بينهما حتى توفي الباشا سنة ١٦٢٤ وهو اول باشا على طرابلس توفي وله سبعة ابناء حسين وحسن وعمر وقاسم ومحمود وعساف وكانت ولايته خمساً واربعين سنة وتولى الامارة بعده ابنه الامير قاسم الا ان هذا الامير لم يكن له شأن يذكر ولما قدم الكجك احمد لمحاربة الامير فخر الدين المعني انضم اليه الامراء بنو سيفا على الامير فولاهم الكجك على ايالة طرابلس ثم انتقلت الولاية على طرابلس من احدهم الامير قاسم الى الامير علي ابن الامير محمد ابن اخت الامير قاسم وذلك باختيار

الوجوه والاعيان فحدثت فتنة بين الامير علي والامراء ذوي قرابتـه ولا سيما الامير عساف وفي سنة ١٦٣٥ تولى مصطفى باشا نيشانجي الامر على ايالة طرابلس فجعل على بلاد جبيل والبترون والضنية الامير عليًّا وعهد بولاية عكار والحصن وصافيتا لرجل من ذوي قرابة الامير علي واذ اتفق ان سار مصطفى باشا لمحاربة شاه العجم وعهد بالمحافظة على امر الضبط والربط في البلاد الى الامير عساف مدة غيابه اوغر ذلك صدر الامير علي فحدث بينه وبين ابن عمه الامير عساف محاربة ظفر بالنصر فيها الامير عساف ثم جرت بينهما مصالحة ولكن لم يطل امرها اذ عادا الى المقاتلة وكان الغالب الامير عساف. ولما تولى شاهين باشا الامر على طرابلس من بعد احمد باشا الذي خلف مصطفى باشا كاتاجاج وشي اليه في الامير عساف فوادعه حتى تمكن منه فأمر به فخنق معلقاً على باب قلعـة الحصن وتعقب اتباعه فقتلهم وما نجا منهم الا عدد يسير وما زال بهم حتى بدد شملهم ومحا ذكرهم

فينيقية ولبنان

— في عهد مماليك مصر —

بعد ان سقطت سلطة الصليبيين في الشرق اصبح لبنان تحت حكم دولة المماليك المصريين الذين كانوا تولوا على الشام بعد الدولة الايوبية

وقد دعوا بالمماليك لانهم كانوا في الاصل من ارقاء الجركس والتركمان باعهم النخاسون في مصر فدخلوا في خدمة الملوك واعاظم الرجال ثم نمـا عددهم وازداد نفوذهم حتى صار الامر في يدهم وتولوا السلطة على مصر

والشام بعد الايوبيين

وهؤلاء المماليك دولتان بحرية وبرجية فالمماليك البحريون من التركمان وقيل لهم بحريون لانهم كانوا يأمرون اولاً على ارياف مصر البحرية وهم ٢٥ سلطاناً ملكوا ١٣٢ سنة كان اولهم الملك المعز ايبك التركماني الذي تسلطن سنة ١٢٥٠ م واخرهم الملك المنصور حاجي بن الاشرف الذي خلع سنة ١٣٨٢ م

اما المماليك البرجيون فكانوا من الجراكسة ودعوا بالبرجيين لانهم كانوا يأمرون على قلاع مصر و بروجها و كانوا ٢٢ ملكاً دامت سلطتهم ١٣٥ سنة وكان اولهم السلطان ظاهر برقوق تملك سنة ١٣٨٢ م واخرهم طومان باي الذي قتله السلطان سليم الاول سنة ١٥١٧ م

وقد تولى من المماليك البحريين تسعة في عهد الصليبيين حاربوا الافرنج وانتزعوا من ايديهم املاكهم في بر الشام واشتهر من هؤلاء السلاطين ثلاثة : الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨—٦٧٦ هـ) ثم الملك المنصور قلاوون (٦٧٨ — ٦٨٩ هـ) ثم ابنه الملك الاشرف خليل (٦٨٧=٦٩٣هـ)

وفي سنة ١٣٠٤ م توجه اسطول من مراكب الافرنج الى صيدا فاخذوها وقتلوا من اهلها جماعة واسروا جماعة ثم اتوا الى بيروت وتملكوا البلد واحرقوا دار امراء الغرب والسوق القريبة من المينا

ثم طغى اهل كسروان واشتدت شوكتهم وتطاولوا الى اذى العسكر و بلغوا الى ان امسكوا بعضاً منهم وباعوهم للافرنج

فاضطر ان يأتي نائب طرابلس بعسكره الى كسروان فاجتمع على

عسكره كثير من الخلق وحصل بينهم موقعة هائلة فهرب الاهالي بحريمهم واجتمعوا بمغارة تيبيه فوق انطلياس فامر نائب دمشق ان يهال عليهم التراب وان يبنى سد على باب المغارة فهلكوا جميعاً

فدعت هذه الاحوال الى استدراك الخلل فجعل نائب الشام اقوش الافرم سنة ١٣٠٥ بها الدين قرقوش ناظراً على بلاد بعلبك و كسروان فأمن الذين خرجوا من وطنهم

ثم اعطى بعض اشراف المسلمين اراضي في كسروان ثم انتزعوها من ايديهم واعطوها للتركمان المعروفين بتركمان كسروان وجعلوا تحت امرتهم ثلثمائة فارس وكانت المنطقة التي هي تحت حمايتهم من حدود انطلياس الى حدود معاملة طرابلس وكان سكناهم في برج جونيه وفي ذلك العهد اقيمت القنصليات وكانت البندقية اولى الدول في ذلك فكان لها منذ عهد الصليبيين بموجب معاهدة سنة ١١٢٣ قناصل في صور وجبيل وانطاكية

اما لبنان فلم يكن له ما يستحق الذكر في عهد المماليك المصريين الا انهم كانوا جعلوا لهم نواباً في المدن الساحلية المحدقة به كعكا وصيدا وطرابلس كان مرجعهم نائب دمشق وقد بقي لبنان على سكينته ولذلك توفرت فيه اسباب الراحة وقصده الناس من كل جانب

وفي ذلك العهد عرف آل عساف وهم التركمان السابق ذكرهم وقد نسبوا الى اميرهم عساف الذي اشتهر بالغنى والفروسية وكانت الازواق المار ذكرها مسكنه ومسكن اولاده الذين خدموا البلاد مثله بصدق وامانة

وقد انتقلوا بعد سكناهم في الازواق الى عين طورة والى غزير وكانت حدود ولايتهم من نهر الموت الى النهر البارد ولم تزل بعض اثارهم بادية الى اليوم

ولما صار الامر بعد المماليك البحريين الى الجراكسة البرجيين بقي امراء التركمان موالين لاسيادهم المماليك وكان زعيمهم حمد منطاش فاستولوا على بلاد الشام وحاربوا آل تنوخ وآل ارسلان ولكن السلطان ظاهر برقوق قتل زعيمهم احمد منطاش فخضعوا للدولة الجركسية وعادوا الى وظيفتهم من حراسة السواحل



ارز لبنان

الارز

لو لم يكن في تربة لبنان غير خاصة انماء هذا النبات العجيب لكفاه فخراً بذلك

فقد جهز له من المواد المغذية ما يقوم به فلو امكن ان ينطق لجاهر بما يكنه فؤاده من الاقرار بالفضل فكم انفرط عقد الاجيال وانقطع سمط الاعوام وهو قائم على روابيه قيام الشاب في عنفوان شبابه على متن القوة والنشاط

واذا ردت ارجاء لبنان رأيت من غابات الارز والصنوبر ما يجلو صدى الالباب ومن ادغاله ما يدحر جيوش الهموم ولطالما ضربت به الامثال فارجع الى مزامير داود و بعض الاسفار القديمة تجد مصداق ذلك

وحسبنا برهاناً على عظمته ان حزقيال النبي شبه بـه ملك اشور حيث قال :

« هوذا اشور ارزة بلبنان بهيجة الافنان غيباء الظل شامخة القوام وقد كانت ناصيتها بارزة بين اغصان ملتفة . المياه عظمتها والغمر رفعها انهارها جرت من حول مغرسها ومجاريها ارسلتها الى جميع اشجار السحراء فلذلك عند نشأتها ارتفع قوامها فوق جميع اشجار السحراء وامتدت فروعها من كثرة المياه وفي اغصانها عششت جميع طيور السماء وتحت فروعها ولدت جميع وحوش السحراء وفي ظلها سكنت جميع الامم الكثيرة وصارت بهيجة في عظمتها وفي طول عذباتها لان اصلها كان على

مياه غزيرة

فكل شجر في جنة الله لم يماثلها في بهجته ولذلك غارت منهــا جميع اشجار عدن التي في جنة الله »

والارز كلمة عبرانية معناها متين وهو من الفصيلة المخروطية وفريق من اللبنانيين يعتبرون الارز مقدساً

وخشب الارز صلب صقيل ذو خطوط حمراء عطر الرائحة لا تفعل فيه السنون والايام فعلها في سواه

والشعراء الاقدمون يشبهون الاعمال الخالدة بالارز ومما يشهد لهذا الشجر بطول البقاء ان العالِم لاَيرْد وجد بين عاديات اشور نمريال اخشاباً من الارز صبرت على آفات الزمان اكثر من ٢٧٠٠ سنة فاخذهــا واعاد صقلها فكانت كانها قطعت حديثاً

واستعمال الارز في البناء قديم العهد فكانوا يصفحون جدران البيوت والهياكل بالواحه وكذا فعل سليمان في هيكل اورشليم

وقيل ان سليمان شغل ثمانين الف رجل بقطع شجر الارز لان آجاماً كثيرة كانت منه في لبنان وكان داود قبل ابنه سليمان طلب من حيرام ملك صور ان يرسل له كمية من اخشاب الارز ليبني بها بلاطه في اورشليم

وكذلك صفحوا داخل الهيكل الثاني في اورشليم بخشب الارز وجعلوا سقف الهيكل الذي جدده هيرودس والابنية التي شيدتهـا الملكة هيلانة مثل قبة القبر المقدس وسقف كنيسة بيت لحم من خشب الارز

وسنحاريب ملك اورشليم يفتخر بانه صعد جبال لبنان وقطع منها

شجر الارز

وهكذا ملوك بابل وقد اتخذه الفراعنة في مصر لابنيتهم الفخمة واقتدى بهم الملوك السلوقيون في سورية اما اليوم فانه لم يبق من الارز غير غابات قليلة وهي

اولاً — الغابة الكائنة في سفح الجبل المعروف بظهر القضيب فوق قصبة بشري التي تعلو عن سطح البحر ١٩٢٥ متراً وهي التي يقصدها السياح من كل جهة لعظمتها

ويبلغ عدد اشجارها بين كبيرة وصغيرة اربعمائة اما الكبيرات منها فهي ١٢ ليس غير ومن هذه الكبيرات شجرة يبلغ محيط جذعها ١٤ متراً وشجرة اخرى تقابلها في الضخامة واكبر ارتفاع تبلغه بعض هذه الشجرات ٢٥ متراً والباقي يتراوح ارتفاعه بين ١٤ و ٢٢ متراً

وهذه الغابة لا يمكن الوصول اليها بالسيارة اليوم لانه لم يتم تمهيد الطريق اليها وعلى الغالب انه سيتم قريباً ولكن يمكن الوصول بالسيارة الى بشري ومنها يسار الى غابة الارز على الجواد والمسافة بينهما ساعة واحدة وفي عهد رستم باشا جعل لهذه الغابة سوراً وعين لها حارساً يسهر عليها على نفقة الحكومة

ثانياً — غابة حديثة العهد بين قصبتي بشري وتنورين يقدر عدد شجراتها بعشرة الاف

ثالثاً — غابة كبيرة نابتة في جبل الباروك على مسافة ساعة ونصف من الجنوب الشرقي ويدعون اشجارها بالابهل الا ان اشجارها لا تزال

فتية بالنسبة الى شجر الغابة الكائنة فوق بشري

رابعاً — غابة فوق عين زحلته قضت عليها الظروف يوماً بان يعمت لاستخراج القطران منها فحرقت عن اخرها ثم انها اخذت تتسع وعادت اليها نضارتها ولكن اشجارها واشجار غابة الباروك مهددة بالفناء اذا كانت الحكومة لا تجعل لها نظاماً يصونها من القطع لانها من املاك الاهالي ولكل واحد منهم حق ان يقطع ما يريد من اشجارها

خامساً — غابة فوق قرية معاصر الفخار تشتمل على ٢٥٠ شجرة وقد توجد اشجار منها في بعض المحال في لبنان لانها كانت في الايام الغابرة منبثة في جميع انحائه

ومن الارز شجرة كبيرة في احدى حدائق باريس العمومية نقلت فسيلة صغيرة من لبنان فنمت في تربة باريس نمواً عظيماً وامتدت بواسقها على ما بلغنا امتداد بواسق ارز لبنان

ودولة الانتداب العالية المنار جعلت العلم الفرنساوي مرسوماً على صحيفته البيضاء شجرة ارز علماً لحكومة لبنان الكبير

والارز يوجد في غير لبنان كاكريت وجبل الاطلس في افريقية وفي جبل طورس في اسيا الصغرى وفي جبال اورال في روسيا وفي قبرس ولكن النوع اللبناني افضل انواع الارز

فينيقية ولبنان

في عهد الامراء آل شهاب

في هذا الباب كثير من الشؤون والوقائع الحربية
وما كان من مظالم الجزار المشهورة

شهاب

شهاب لقب بيت من البيوتات الكريمة في جبل لبنان يتصل نسبهم الشريف بنسب الرسول محمد (صلعم) من بني قريش وذلك اخذاً عن سجل وجد محفوظاً في مدينة صيدا

اما اللقب (شهاب) فيقال انه لقب به مالك من الشهباء وهي قرية استوطنها من قرى حوران بامر من عمر بن الخطاب سنة ٦٣٦ بعد المسيح كما سيتبين ذلك ويقال ايضاً انه لقب بذلك تبركاً باحد اجداده لان امه خرجت من نسل شهاب بن عبد الله بن الحرث بن زهرة القرشي من رهط آمنة ام الرسول (صلعم) وهذا اقرب للصحة فيما يظن لانه لو كان ماخوذاً من الشهباء لكان ذلك من باب النسبة ومعلوم ان كلمة شهاب ليست في شيء منها

ان آل هذا البيت من العرب المستعربة من ذرية اسمعيل قدموا من

الحجاز وذلك ان النبي محمد[1] (صلعم) لما هاجر في سنة ٦٢٢ ب ٠ م
كان الحرث في جملة الذين امنوا به وممن صحبه وقد شهد معه وقعة حنين
وبها اكرمه بماية من الابل ولما كانت سنة ٦٢٤ شهد معه ايضاً يوم بدر
وقد آمن بالرسول ايضاً مالك بن الحرث وفي سنة ٦٣٣ وجه ابو بكر الصديق
ابا عبيدة الجراح لمحاربة النصارى بدمشق وفتحها وجعل الحرث بن هشام
اميراً على بني مخزوم تحت لواء ابي عبيدة فقهروا النصارى في اجنادين
واليرموك ومرج الصفر وفي سنة ٦٣٥ب م قتل الحرث في فتح دمشق وكان
شجاعاً وشاعراً مجيداً وفي السنة التالية ٦٣٦ ب م اقر عمر بن الخطاب
مالكاً بن الحرث اميراً بحوران لنجدة العساكر التي تجيء من صوب
الحجاز فاتخذ له الشهباء احدى قرى حوران موطناً له ولعشيرته وقام
هنالك بالمرصاد للنصارى من بني غسان ومنع عليهم حوران بعد ان جرت
له معهم مواقع عديدة ثم توفي الامير مالك في سنة ٦٦٦ ب م وولي الامارة
بعده البكر من ولده الامير سعد وخلف الامير سعداً ولده الامير قاسم وفي
سنة ٧٣٧ جهز قاسم اخاه وقاحاً بثلاثة الاف فارس ليحاربوا مع مسيلمة
بن عبد الملك الروم بالقسطنطينية وخلف الامير قاسماً ولده شهاب
وفي سنة ٧٨٠ ب م وجه شهاب اخاه سليمان مع الرشيد بن المهدي
لقتال الروم عند خليج القسطنطينية ثم توفي شهاب فخلفه ولده محمد
وتوفي محمد فخلفه ولده قيس وتوفي قيس فخلفه ولده عامر الملقب بالاذرعي

(١) لم نشاء ان ناتي على ذكر سيرة النبي محمد (صلعم) في هذا المقام من الصفحة
اجلالاً وتعظيماً بل جعلناها باباً على حدة

نسبة الى قرية يقال لها اذرعات المعروفة اليوم باذرع استوطنها بعد ان دحر العساكر التي جهزها احمد بن طولون صاحب الشام لقتال من سمع بقدومهم من عرب الحجاز الى حوران ثم توفي عامر فخلفه ولده سعيد وفي سنة ٨٩٥ ب م قاتل الامير سعيد القرامطة وهم يبغون الاستيلاء على حوران فدحرهم ومنعها عليهم وتوفي سعيد سنة ٩٣٣ وتولى الامارة بعده الامير خالد وهو البكر في اولاده وتوفي خالد سنة ٩٥٩ ب م فخلفه ولده الامير مسعود ثم توفي هذا في سنة ٩٨٧ ب م وتولى الامارة بعده ولده عمر وتوفي عمر في سنة ١٠١٠ ب م فخلفه ولده الامير مسعود وفي سنة ١٠٤١ ب م توفي مسعود وتبوأ الامارة ولده محسن وتوفي محسن في سنة ١٠٧١ فكانت الامارة لولده بشير وتوفي بشير في سنة ١١٠٥ ب م وقام على الامارة بعده ولده الحسن وتوفي هذا في سنة ١١٢٧ ب م وصار بعده ولده مسعود اميراً ثم توفي مسعود سنة ١١٥٤ ب م وتقلد الامارة بعده ولده عمرو ثم توفي عمرو في سنة ١١٧٢ وخلفه ولده منقذ وحدث في ايام هذا الامير ان وقعت نفرة بين نور الدين زنكي ملك الشام وصلاح الدين يوسف الايوبي ملك مصر فمال الامير منقذ والامراء ذوو قرباه الى صلاح الدين ولما اضرم صلاح الدين حرباً على الافرنج اعانوه كثيراً عليهم وكان يوليهم طليعة جيوشه ولما تصافى نور الدين وصلاح الدين ورجع هذا الى الديار المصرية وقعت النفرة بينهما مرة اخرى فاوجس الامير منقذ من نور الدين خيفة فجمع لديه الامراء ابناء اعمامه ووجوه عشيرته والعقلاء فيها وشاورهم في الرحيل من حوران فوافقوه فانتزحوا الى الجسر اليعقوبي

يبغون الذهاب الى الديار المصرية وكانوا عشرة امراء الامير منقذ وولده الامير نجم والامير فاتك والامير حيذر والامير عباس واخويه الامير علي والامير غالب وبني عمه الامير سعد والامير جابر والامير حمزة وبلغت عشائرهم خمسة عشر الفاً ولما علم نور الدين انهم راحلون ارسل يلاطفهم ومنحهم المنح واهدى اليهم الهدايا وسألهم البقاء في مواطنهم آمنين فأبوا فعاد وعرض عليهم المقام بدمشق فاعتذروا انهم الفوا سكنى البادية لا الحواضر فاباح لهم السكن حيثما شاؤا فنزلوا بيداء الظاهر الاحمر من الكنيسة الى الجديدة عند وادي التيم وكان وادي التيم اصبح في قبضة الافرنج الذين استوطنوا حاصبيا وجعلوها منيعة بالحصون وادوات الحرب والعساكر وكان قائد الافرنج الكونت اور فلما بلغه نزول اولئك الامراء بقومهم عند وادي التيم جمع لديه خمسين الف مقاتل وسال ذفاتر الافرنجي صاحب قلعة الشقيف ان يمده ببعث من عنده فجهز له بعثاً خمسة عشر الف مقاتل فزحف الكونت اور بعساكره يبغي قتال الشهابيين ولما التقى الفريقان لعبت النخوة براس الامير منقذ فاستل حسامه واغار على الاعداء فتبعه قومه فقتلوا منهم عدداً كبيراً ثلاثة الاف رجل واما هم فلم يقتل منهم الا ثلثمائة فارس وارسلوا الي نور الدين يبشرونه بذلك الفوز العظيم ولما اصبح صباح اليوم التالي وقف الفريقان موقف القتال فانبرى واحد من قادة الافرنج وصاح باعدائه الي باشجعكم فبرز له الامير نجم ابن الامير منقذ فاستويا في المكافحة ثم لاحت للامير نجم لايحة فاستل خنجر الافرنجي وطعنه به طعنة كانت هي القاضية فانهزمت الافرنج الى الحولانية وفر الكونت في

خمساية رجل الى حاصبيا واسر الشهابيون خمساية من الافرنج وارسلوهم الى نور الدين فاثنى عليهم واعجب بشجاعتهم ثم افتتح الشهابيون حاصبيا بحد السيف وقتلوا الكونت واصحابه و بعث الامير منقذ برؤوسهم الى نور الدين فسرّ نور الدين بذلك وجعله اميراً على البلاد التي فتحها واما ذفاتر صاحب قلعة الشقيف فلما علم بانكسار قومه بعث الى الامير منقذ برتاد الصلح وكان يومئذ الامير يونس المعني اميراً على الشوف فهنأ الامير منقذاً بانتصاره وجرت بينهما مودة ومصاهرة فتزوج محمد بن منقذ بطيبة بنت يونس وابن يونس ببنت منقذ على ما سبق البيان و يومئذ تحالف البيتان على المودة والاخاء وجرت بينهما عقود الزواج وفي سنة ١١٩٣ ب م توفي الامير منقذ فخلفه ولده الامير نجم وتوفي هذا في سنة ١٢٢٥ فتولى الامارة بعده ولده الامير عامر وجرت لهذا الامير مواقع مع ابن عم الكونت ادر في سنة ١٢٤٠ نجده فيها الامير سيف الدين المعني وافضت الى استيلاء الامير عامر على الديار القريبة من وادي التيم وخصه صلاح الدين باقطاعات من البقاع وفي سنة ١٢٥٨ ب م توفي الامير عامر وتولى الامارة بعده ولده الامير قرقماز فقتل ثلاثة من الامراء ابناء عمه الامير سلمان والامير محمداً والامير جابراً لانهم تآمروا على قتله واستحضر بين يديه بقية الامراء وقطع على مرأى منهم عشرة رؤوس من اصحاب الامراء الذين قتلهم فوقع الرعب في قلوبهم ثم حذرهم الاغترار وفي سنة ١٢٨١ ب م نجد الملك المنصور قلاون الالفي ملك مصر على جيوش المغول عندما كانت زاحفة الى الشام فانهزمت المغول فأكرم الامير وفي سنة ١٢٨٧ ب م توفي

هذا الامير وكان شجاعاً هماماً حكيماً صبوراً مستبداً عنيداً ولكن عادلاً
فخلفه ولده سعد وكانت المغول قد استفحل امرهم وبلغوا وادي التيم فارسل
الامير سعد نساءه الى جبل الشوف من لبنان مع ولده الامير علي وجمع
اخوته وابناء عمه وغلمانه وفرسانه يريد ان يرحل بهم فاحدقت بهم المغول
قبل الرحيل ونكلت بهم تنكيلاً فلما انسدت في وجه الامير سعد المسالك
وايقن انه على شفا حفرةٍ من الهلاك صاح بقومه فهجمعوا دفعةً واحدةً
واخترقوا صفوف المغول ونفذوا الى صحرا كامد بالبقاع والتتر من خلفهم
حتى عبروا نهر الغزير ودجا الليل فارتد التتر عنهم ومضى الامير بقومه الى
بطحاء نهر الصفا حيث كانت مضارب نسائهم وبعد خمسة اشهر من ذلك اليوم
رجع الامير سعد بقومه وكذلك اقرباءه الامراء الى بلادهم وكانوا جميعاً
نحواً من خمسماية فكانت بلادهم خالية خاوية فنزل الامير سعد بهم بظاهر
حاصبيا ثم شرع في ترميم مساكن هذه البلدة واما بقية قرى وادي التيم
فبقيت في حالتها من الخراب مدة خمس سنين وفي سنة ١٣٢١ ب م توفي
الامير سعد مطعوناً فخلفه في الامارة ابنه حسين وفي سنة ١٣٤٩ اغرى
الملك عماد الدين الالفي المحاربة بين مقدمي البقاع جمعة الحرباني النابلسي
ومحمد بن صبح وبين الامير حسين وذلك لنفرة وقعت في قلب الملك من
هذا الامير فقهر الامير اعداءه ورجع الى حاصبيا ظافراً بعد ان احرق
البقاع ثم توفي الامير حسين في سنة ١٣٤٩ ب م وخلفه ولده ابو بكر
وتوفي في سنة ١٣٨٠ ب م وخلفه ابنه محمد ولما غشي تيمورلنك بجيوشه
بلاد الشام انتزح سكان وادي التيم ديارهم الى لبنان فنزل الامير محمد

بعياله الشوف من هذا الجبل ثم رجع مع المتنزحين الى اماكنهم بعدان رجع تيمور عن الشام ولم يطأ ارض وادي التيم وفي سنة ١٤٠٦ ب م توفي الامير محمد فتولى الامارة من بعده ابنه الامير قاسم وفي سنة ١٤١٣ شهد هذا الامير ورجاله موقعة جرت للملك داود الجركسي مع الافرنج عند نهر الدامور فابلى مع الملك بلاء حسناً فاكرمه الملك وفي سنة ١٤٤٢ ب م توفي هذا الامير فخلفه ابنه احمد ومات هذا في سنة ١٤٧٥ ب م وخلفه ابنه علي وانتزع من علي عمه الامير بكر بن قاسم الامارة وتولاها بنفسه بعد ان قبض على علي وسجنه ولكن لم يلبث الامير علي ان خلع باب السجن فالقى خيلاً مسرجة وعندها سيف فركب جواداً منها وتقلد السيف وجعل على وجهه لثاماً من طرف عمامته حتى اذا ما خرج من القرية ارخى العنان لجواده ووجهته البقاع واذ نمي ذلك الى الامير بكر بث وراءه العيون فلم تقع عليه عين واما علي فما بلغ سفح الجبل حتى سقط جواده من تحته ميتاً فاذا برجل وامامه مهرة تحمل زبيباً فقال الامير للرجل اما المهرة ولك حلية هذا الميت بدلاً منها واما الموت قال ذلك وسيفه مسلول بيمينه فاختار الرجل الحلي ودفع المهرة الى الامير فركبها وسار حتى بلغ بعقلين عند الصباح ونزل ضيفاً على خاله الامير يونس المعني فاكرمه فلبث عنده سنة واحدة كان في اثنائها ذوو قرباه ورجال حزبه يراسلونه ويسألونه الرجوع اليهم فاجاب سؤلهم ورجع وبينما كان في الطريق لقيه ماية فارس من حزبه وساروا يحفون به واما الامير بكر فلما احس بقدومه استنهض سائر الامراء عليه فصانعوه بالوعد انهم يتبعونه فلما خرج الى لقائه ليفتك به

بلغ بطحاء الشميسة ولم ير من حوله الا غلمانه واما الامراء فاخلفوا الوعد لما اوغرت به صدورهم من الكراهية له والحقد عليه فاصطدم هنالك الاميران فطعنه الامير علي برمحه طعنة في صدره اختطفت روحه وقتل ثلاثين رجلا من جماعته وسار الى حاصبيا فتولاهـا وفي سنة ١٥٠٣ ب م توفي الامير علي وخلفه ابنه الامير منصور وقد شهد هذا الامير حرباً شبت في سنة ١٥١٥ ب م بين السلطان سليم والملك احمد قانصوه الغوري الجركسي ملك الشام ومصر وكان في الظاهر متحيزاً مع الملك ولكن في الباطن تواطاء مع الغزالى نايب الملك في الشام وخير بك نايبه في مصر ان يفروا عند السانحة الى عساكر السلطان لينضموا معها على الملك فادرك الغوري خيانة نايبه فجعلها في طليعة الجيش يبغي بذلك استهدافها للهلكة واما هما ففرا الى عساكر السلطان ومعهما الامير منصور وفريق من ارباب المناصب السامية في لبنان فقتل الغوري وكان الفوز للسلطان سليم وفي سنة ١٥٣٥ ب م توفي الامير منصور وخلفه ابنه الامير ملحم وفي سنة ١٥٦٤ ب م توفي الامير ملحم وتولى الامارة بعده ابنه الامير منصور البقري وقد جاءته هذه النسبة نسبة البقري من ام له كانت بنت الشيخ محمد البقري الدمياطي وفي سنة ١٥٩٧ توفي منصور وتولى الامارة بعده علي احمد ولديه علي واحمد ثم وقع خلاف بين الاخوين بسبب بنت علي طلبها احمد لابنه من ابيها فامتنع اذ كان قد وعد الامير علي فخر الدين المعني ان يزوجها منه فاغاظ ذلك احمد فانتقل باصحابه الى راشيا وجعل يتربص باخيه شر الوقيعة وكذلك بالمعنيين حتى كانت سنة ١٦١٢ اذ خرج احمد باشا الحافظ على

المعنيين بريد محار بتهم فكان الامير احمد بمنزلة مدبر له ولما رجع الباشا من لبنان الى دمشق ساله الامير احمد الولاية على حاصبيا والمدد بعسكر لمحاربة اخيه علي فكان له ذلك وانتشبت بينهما الحرب عند حاصبيا فانهزم الامير احمد وقتل من رجاله مائة ولم يقتل من رجال اخيه غير ثلاثين ثم عاد الامير علي الى حاصبيا الا انه لم يمكث هنالك لخوفه من الحافظ فتغيب بجماعته الى عرمتا من جبل الريحان ثم عاد الى حاصبيا ثم ضم الى ولايته مرج عيون والحولانية فاصبحتا من وادي التيم واما الامير احمد فما زال على عزمه فسار من راشيا الى دمشق وسأل واليها جركس باشا ولاية وادي التيم فمنحه ذلك وصحبه بعسكر فلما بلغ اخاه علياً ذلك فر الى مجدل شمس وسير عياله الى راشيا ثم استرد علي ولاية حاصبيا بمال دفعه الى جركس باشا واشترط الباشا عليه ان يبقى اخوه احمد على ما كان عليه في راشيا وفي سنة ١٦٢٠ استعان الامير فخر الدين المعني وكان من منذ سنتين قد قدم من ديار الافرنج بالامير علي على آل سيفا فانتصر علي في اكثر المواقع ثم حدث له بعد ذلك ان خرج مرة مع ابنيه طلباً للصيد في ضواحي قرية شويا فطلع عليه اخوه احمد من راشيا فاقتتلوا جميعاً ولما بلغ امر الاخوين الامير فخر الدين المعني سار من بيروت نحو البقاع ونزل بقرية مشغره واستقدم الاميرين اليه فاصلح بينهما وقسم وادي التيم بينهما مناصفة ولما كانت سنة ١٦٢٣ اعان محمد واخوه قاسم ابنا الامير علي وعمهما الامير احمد وابناه الامير حسين والامير فارس الامير فخر الدين المعني في محاربته مصطفى باشا والي دمشق عند وادي المجدل فهزموا عسكر دمشق واسروا الباشا

وثلاثة وثلاثين رجلاً من عسكره . ورجعوا الى وادي التيم فرحين بما نالوه من النصر الكبير وفي سنة ١٦٢٦ توفي الامير علي منصور وتولى بعده ولده الامير قاسم ثم توفي الامير احمد منصور اخو الامير علي في سنة ١٦٢٩ وله حسين وفارس فخلفه حسين وفي سنة ١٦٣٣ حدثت محاربة بين عساكر الشام وبين الامير علي ابن الامير فخر الدين المعني فانتصر له الاميران قاسم وحسين الشهابيان فانهزمت عساكر الشام وقتل الامير علي ثم تزوج الامير حسين بنت الامير ملحم المعني واعانه مع الامير قاسم في محاربة جرت بينه وبين العساكر التي سيرها بشير باشا والي الشام بقيادة الامير علي علم الدين اليمني لقتال الامير ملحم المذكور فانهزمت العساكر وفي سنة ١٦٥٢ توفي الامير قاسم علي وخلفه منصور احد ولديه منصور وناصيف وسنة ١٦٥٩ توفي الامير حسين وله علي و بشير فتولى علي وفي سنة ١٦٦٠ فرّ الامير قاسم منصور والامير علي حسين بعيالهما الى قمهز في جبل كسروان ومعهما ست مئة رجل ونزلا على المشايخ بني حمادة من حزب القيسية وذلك هرباً من احمد باشا الكبرلي والي الشام ابن محمد باشا الكبرلي الصدر الاعظم لان هذا الوالي زحف بعساكره لمحاربتهما لما نمي الى السلطان من امر اغرائهما الدمشقيين على مقاومة الوالي السلف مرتضى باشا من الدخول الى دمشق فاتى احمد باشا وادي التيم وهدم مساكن الشهابيين في حاصبيا وراشيا واحرقها بعد ان نهبها وقطع ما لهم من الاشجار في وادي التيم ومرج عيون والبقاع ثم جعل يقفو اثر الاميرين وهما يفران من وجهه حتى اضطرا اخيراً ان يختبئا في الجبل الاعلى عند

حلب ولما كانت سنة ١٦٦٧ كتب الامير احمد المعني الى الاميرين الشهابيين يبشرهما بالانتصار على اليمنية ويستقدمهما من الجبل الاعلى الى الشوف فقدما وذهب الامير منصور الى حاصبيا واقام بها والامير علي الى راشيا واقام بها وفي سنة ١٦٧١ سير الامير علي عمه الامير فارساً الملقب بالكبير الى البقاع ليفتك ببني حيمور لانه كان لهم يد في قطع اشجار الشهابيين في البقاع وكانوا في طليعة عسكر الكبرلي عند وادي التيم فابتغتهم وهزمهم الى دمشق فاستعانوا بوالي هذه المدينة فامدهم بالمقاتلين فكروا على الامير فارس وكسروه ودخلوا راشيا واحرقوا دار الامير فارس ودار الامير علي وفي سنة ١٦٨٤ توفي الامير منصور قاسم وخلفه ابنه الامير موسى فتزوج هذا الامير بنت الامير احمد المعني وفي سنة ١٦٨٠ حدثت موقعة بين الامير فارس الكبير وكان قد تولى بلاد بعلبك وبين الامير عمر الحرفوش وجماعته من بني حمادة المتاولة فقتل الامير فارس وخمسون رجلا من جماعته فاتصل ذلك بالامير موسى فزحف برجاله من حاصبيا ووافاه الامير علي نجم من راشيا يريدان ان يثأرا بالامير فارس فلما احس بهما الامير عمر الحرفوش خف من بعلبك الى الشوف يسأل الامير احمد المعني ان يتوسط في الامر ويجري المصالحة بينه وبين الشهابيين ففعل وكان من شروط الصلح ان بني حرفوش يؤدون الى بني شهاب خمسة الاف غرش في كل سنة واثنين من جياد الخيل وذلك دية الامير الذي قتل ولما كانت سنة ١٦٨٢ توفي الامير علي نجم في راشيا واذ لم يكن له الا ولد صغير خلفه اخوه الامير بشير وفي هذه السنة نفسها

ولد للامير موسى ولد هو الامير حيدر وهو جد الامراء الشهابيين في لبنان

ولما كانت سنة ١٦٩٦ توفي الامير احمد المعنى بدير القمر فانقطعت به سلالة بنى معن وانتقلت الولاية على لبنان الى الامراء الشهابيين وذلك ان كبار القوم في لبنان اتفقوا على تولية الامير بشير ابن الامير حسين الشهابي امير راشيا من زوجته اخت الامير احمد المعنى المتوفى في السنة التي ذكرت والامير بشير هذا هو اول بشير من آل شهاب ممن تولوا لبنان وقد تولى الجبل من بعده بشير الثاني وهو المعروف بالكبير ثم بشير الثالث المعروف ببشير قاسم او ابي طحين كما سيأتي بيان ذلك

قلنا ان كبار القوم اتفقوا على اختيار الامير بشير الاول

فتولى الجبل وكان الوالي على صيدا يومئذ مصطفى باشا فدفع الى يد الامير بشير بناء على التماس كبراء لبنان زمام جميع الانحاء التي كانت في يد الامراء المعنيين على ان يقوم الامير بشير باداء الضريبة المعينة مع الباقي مما سلف منها ثم رفع امر ذلك بعريضة الى السلطان واتفق حينئذ ان عزل والي صيدا مصطفى باشا وجعل مكانه ارسلان باشا المطرجي فورد امر السلطان يقضي بالولاية للامير حيذر الشهابي بعد الامراء المعنيين لانه احق بذلك من غيره لكونه ابن بنت الامير احمد المعني وكان ذلك بسعي الامير حسين ابن الامير فخر الدين المعني الباقي من سلالة المعنيين محجوراً عليه في اسلامبول فابلغ ارسلان باشا امر السلطان الى الامير بشير فسأل الامير من الباشا ان يلتمس له من السلطان ان يكون والياً بالنيابة عن الامير حيذر لان عمر حيذر لا يتجاوز الاثنتي عشرة سنة فاجيب ملتمسه

على ان يكون ذلك حتى يبلغ حيذر اشده فيتولى الجبل واذ ذاك فر الامراء اليمنيون الى دمشق لانهم تظاهروا بعدم قبول ولاية الامير بشير ولما كانت سنة ١٧٠٠ خرج صاحب بلاد بشارة من شيوخ المتاولة عن طاعة ارسلان باشا فاثار الباشا الامير بشيراً عليه واباح له الاستيلاء على صفد وانحاء جبل عامل وبلاد بشارة واقليمي الشحار والتفاح وبلاد الشقيف فزحف الامير على الشيخ بثمانية الاف مقاتل من القيسيين وامسكه وامسك اخاً له ومدبراً لهما بعد ان فتك برجالهم فتكاً ذريعاً ثم ارسل الثلثة الى الباشا فقتل الباشا المدبر وسجن الاخوين وجعل ولاية الامير من صفد الى جسر المعاملتين وفي سنة ١٧٠٦ توفي الامير بشير وقيل انه توفي مسموماً بسم دسه له الامير حيذر في بعض الحلوى فاجتمع كبراء اللبنانيين وساروا الى حاصبيا ليولوا الامير حيذر ابن الامير موسى عليهم وكان عمر هذا الامير احدى وعشرين سنة وكان له ولدان الامير ملحم والامير احمد فاتى الامير دير القمر ونهج في الولاية على طريقة اسلافه ولما تولى صيدا بشير باشا بدلاً من اخيه ارسلان باشا فصل عن ولاية الجبل الانحاء التي كان اخوه قد ضمها اليها على عهد الامير بشير ثم التمس الامير حيدر من بشير باشا الولاية على بلاد بشاره فمنحه اياها وفي سنة ١٧٠٧ حدثت بين الامير والمتاولة عند قرية النبطية وهو سائر الى بلاد بشارة للاستيلاء عليها موقعة ابلى الامير ورجاله فيها بلاء حسناً وقتل كثيراً من قومهم وجعل الامير على بلاد بشاره محمود ابي هرموش الدرزي نائباً عنه[1] ورجع الى دير

(١) لعله احد افراد عائلة هرموش من قرية السمقانية

القمر غير ان محموداً هذا تغيظ عليه الامير وفر الى صيدا ملتجئاً الى واليها بشير باشا لحماه واستحصل له على لقب باشا وجعل الامير يوسف ارسلان بدلاً من الامير حيدر على الولاية ووجهه مع محمود باشا ابي هرموش لطرد الامير حيدر ففر الامير حيدر بجماعته الى الهرمل واختبأ في مغار فاطمة هناك عند سفح الجبل ولبث هنالك نحواً من سنة وكان ذلك سنة ١٧١٠ وفي السنة التالية قدم من الهرمل الى المتن ونزل عند المقدم حسين اللمعي فاجتمع اليه الاعيان من القيسية في الشوف وغيرها من اللمعيين والعماديين والخازنيين واما محمود باشا فاستمان بوالي دمشق ووالي صيدا فامداه بالعساكر فاضطرمت نيران الحرب بين محمود باشا والامير في عين دارة ففتك رجال الامير في اعدائهم فتكاً ذريعاً وسدوا عليهم جميع المسالك وسار الامير الى الباروك ومعه اربعة من الامراء آل علم الدين اليمنية مأسورين الامير يوسف والامير علي والامير منصور والامير احمد فقطع اعناقهم بعد ان كان قد قُتل الباقون من الامراء ذوي قرباهم في الموقعة فانقطعت بهم سلالة آل علم الدين ثم امر ببتر لسان محمود باشا وابهامه وتجاوز عن الاجهاز عليه احتراماً للدولة لانه يحمل لقب باشا وصيانة لعادة البلاد ثم سار الى دير القمر وتربع في دست الولاية واباح الزواج بينه و بين اللمعيين فتزوج بنت الامير حسين اللمعي وازوج بنته من الامير عساف ابن الامير حسين واقطعه قاطع بيت شباب وبكفيا ثم تزوج من ام الامير مراد واقطعه نصف المتن وبكفيا فولد له منها الامير عمر جد الامير بشير المعروف بالكبير وازوج اخته من الامير عبدالله واحبه

لما رأى منه من شدة البأس في وقعة عين دارة (١) ونزع بعض الاقطاعات من ايدي اصحابها وسلمها الى اهل احلافه من القيسيين وفي سنة ١٧٢٣ استقدم الامير حيذر اليه الامير احمد منصور من حاصبيا وامر بقتله اغتيالاً فقتل وهو نائم في دار الامير حيذر من ولدي حيذر نفسه ملحم واحمد وسعى في قتل الامير احمد ابن عم الامير نجم امير حاصبيا على يد الامير نجم نفسه فنجا الامير سيد احمد من المكيدة فاراً الى دمشق وفي سنة ١٧٢٩ دفع الامير حيذر زمام الولاية الى يد ولده الامير ملحم وكان كفوءاً لها ولما كانت سنة ١٧٣٢ توفي الامير حيذر بسدير القمر وله من الولد تسعة الامير ملحم والامير احمد والامير منصور والامير يونس والامير علي والامير حسن والامير معن والامير بشير والامير عمر وهم من ازواج عدة ففي ايام حيذر ارتفع شأن القيسية واندرس ذكر اليمنية ولما تولى الامير ملحم التمس من اسعد باشا العظم ان يتجاوز له عن ولاية بلاد بشارة وذلك لغرض في نفسه وهو الانتقام من اصحاب هذه البلاد بني علي الصغير فولاه اياها فبطش بهم واهلك من جماعتهم عدداً كبيراً واعتقل متقدمهم نصار ورجع به الى لبنان ثم افتداه اخوته بمال دفعوه الى الامير فرضي عنه وعنهم واعادهم عمالاً على البلاد من لدنه وجعل جميع عماله من الحزب القيسي فولى على الشوف بني جنبلاط وعلى المناصف بني نكد وعلى العرقوب بني عماد وعلى الجرد بني عبد الملك وعلى المتن بني ابي اللمع بعد تأميرهم على ما سيجيء وعلى الغرب الاعلى بني تلحوق وعلى الغرب الاقصى بني ارسلان

(١) سيأتي ذكرها في الكلام على الامراء اللمعيين

وعلى كسروان بني الخازن وعلى الزاويه بني الضاهر وعلى الكوره بني العازار وعلى المنيطره بني حماده الشيعيين ومالأ مشايخ وامراء بلاد بشاره وحاصبيا وراشيا والبقاع و بعلبك والضنية و بالجملة جميع من كان لهم شأن في البلاد فمالوا اليه وكان مركزه دير القمر . وقد عظمت شوكة الامير وطفق جماعته يعتدون في البقاع فحنق والي دمشق سليمان باشا العظم على الامير ونوى الوقيعة في جماعته فاعتذر الامير لديه عنهم واسترضاه بوعد ان يدفع اليه خمسين الف غرش وجعل اخاه الامير حسين رهناً عند الباشا حتى يؤدي المبلغ فقبل الباشا ورجع بعسكره الى دمشق ولما توفي اخو الامير ملحم الامير عمر وله قاسم ضم الامير قاسماً الى عياله وتولى تربيته بنفسه حتى نما وشب فجعله مدبراً لشؤون عظيمة

وفي سنة ١٧٤٣ شاق اصحاب جبل عامل المتاولة والي صيدا سعد الدين باشا العظم واعتدوا على جزء من ولاية الامير وهو اقليم التفاح فنهض الامير اليهم وقد اوعز اليه من الباشا ان قاتلهم فقاتلهم وهزمهم شر هزيمة واسر اربعة من شيوخهم ولم يخل سبيلهم الا بفدية ستة الاف غرش تدفع اليه وفرسين من جياد الخيل في كل سنة . وفي سنة ١٧٤٨ حدثت موقعة بين الامير و بين اسعد باشا العظم عند بر الياس فانهزم الباشا وظل الامير في اثره حتى الجديدة فقتل من العسكر الدمشقي خلقاً كثيراً ثم رجع الى البقاع فاحرق قراها بعد ان نهب وسلب كثيراً ثم عاد الى مقره منصوراً ثم ارسل الى بلاد بعلبك عسكراً لنهبها وخلع عاملها الامير حيذر الحرفوش لانه تظاهر للباشا في تلك الموقعة وجعل مكانه اخا حيذر هذا الامير حسين

الحرفوش لانه تظاهر له وحدث ذلك كله واسعد باشا متغيب بالحج فلما رجع استشاط غيظاً وهم بحشد المقاتلين للوقيعة في الامير غير انه لم يلبث ان ضُرب عنقه بامر من السلطان وتولى مكانه اخوه سعد الدين باشا . ولما كان الامير قد رزح تحت اعباء نفقات كبيرة بسبب تلك الحوادث عجز عن اداء المال المضروب على بلاده الى والي صيدا عثمان باشا الذي خلف سعدالدين باشا فهمَّ الباشا بمقاتلته اذ ارسل فاحرق اقليم التفاح وقطع شجر الزيتون عند نهر صيدا وحضر الامير بعسكره الى مزبود من اقليم الخروب ووافى الباشا من دمشق واليها ليتعاونا على مقاتلة الامير الا انه عاد عثمان باشا فكفل المال المطلوب وافترقا متصالحين وفي سنة ١٧٤٩ ضمت بيروت الى ولاية الامير فتوطنها الامراء الشهابيون وبقيت الولاية عليها في يدهم الى عهد الجزار . ثم حدث في السنة التالية ان المتاولة سطوا على اقليم جزين وقتلوا اثنين من جماعة الشيخ علي جنبلاط فكبر ذلك على الامير وزحف اليهم برجاله فالتقى ببني منكر منهم بجباع الحلاوة فقتل ثلثمائة رجل منهم واتبع بعسكره الفارين منهم فاهلكهم وتناول بالوقيعة بقية تلك الديار ثم عاد ووقعت فتنة بين جماعة الامير وجماعة سليمان باشا والي دمشق ادّت الى النفرة بين الامير والباشا فاشتد غيظ الباشا وحنقه وشرع في حشد الجنود لمقاتلة الامير فتوسط الصلح بينهما مصطفى باشا القواس والي صيدا على ان الامير يدفع الى سليمان باشا خمسة وسبعين الف غرش . وحدث في سنة ١٧٥١ ان سخط الامير ملحم على بني نكد فالقى الفتنة بين كبيرين منهم الشيخ خطار والشيخ كليب فتعاديا باشد ما كانا عليه من ذي قبل

فاخرجهما الامير من البلاد فسارا الى حاصبيا فاحرق الامـير منازلهما بدير القمر ثم عاد فرضي عنهما بشفاعة شفيع لديه · وفي سنة ١٧٥٤ بلي الامير بضعف في جسمه فطمع فيه الطامعون من اهل البلاد فاتفقوا مع اخويه الامير احمد والامير منصور على خلعه فاضطر الامير ملحم اخيراً ان يتخلى لاخويه عن الامارة لاستظهارهما عليه فتوليا اما هو فنزل بعياله الى بيروت وتوطنها وعكف على درس الفقه وعاشر العلماء · وفي تلك السنة تنصر الامير علي حيذر ومن ابناء الامير ملحم الامير قاسم والامير سيد احمـد والامير حيذر ثم تنصر غالب الامراء الشهابيين ثم الامراء اللمعيون

وفي سنة ١٧٥٥ تشاقّ الاميران احمد ومنصور مع ابن اخيهما الامير قاسم واذ كان الامير ملحم واجداً على اخويه وفي صدره منهما حزازات اغرى ابن اخيه الامـير قاسماً على الذهاب الى اسلامبول واستحصال الولاية على جبل الشوف والولاية على بلاد جبيل على ان تكون الاولى للامير ملحم والثانية للامير قاسم اقطاعين لهما ولابنائهما من بعدهمـا فسار الامير قاسم الى اسلامبول ونزل الامير على مصطفى باشا القواس الذي كان قد استقدم من صيدا وجعل وزيراً للدفتردارية فاكرمه الوزير وسعى الى قضاء حاجته عملاً بكتاب شفاعة رفعه اليه الامير من عمـه الامير ملحم الذي كان الباشا يوده ولكن لم يلبث الباشا ان عزل عن منصبه بسبب تغيير في المناصب على اثر وفاة السلطان عثمان وتبوأ السلطان مصطفى مكانه في الخلافة ومع ذلك فقد ذهب مصطفى باشا بالامير الى علي باشا الحكيم قيم الدفتردارية فترحب به علي باشا وابقاه عنده مدة ثم

وجهه بكتاب منه الى والي دمشق عبدالله الشيخي ليبقى الامير عنده حتى تقضى له حاجته فكان ذلك واقام الامير بدمشق تجري عليه الوظائف من يد الباشا واليها وحدث في سنة ١٧٥٨ ان توفي علي باشا ثم عزل عبد الله الشيخي كل ذلك والامير قاسم لم تكن تقضى حاجته فضاق صدره واشتد يأسه وقنوطه فخرج من الشام واتى فالوغا ونزل ضيفاً على الامير شديد مراد اللمعي ولبث عنده حولاً وفي سنة ١٧٦١ توفي الامير ملحم في بيروت ودفن في جامع الامير منذر التنوخي وكان له ستة من الاولاد محمد ويوسف وقاسم وسيد احمد وافندي وحيدر وفي ايامه حدثت الفتنة المشهورة بذات الحزبين اليزبكي والجانبلاطي فاصحاب الحزب اليزبكي بنو عماد وجماعتهم واصحاب الحزب الجانبلاطي بنو جانبلاط واحلافهم وكتب الاميران احمد ومنصور الى ابن اخيهما الامير قاسم يريدان مصالحته فعاهدهما على المصافاة والمسالمة واقبل عليهما من فالوغا الى دير القمر ثم نزل الى حدث بيروت وتوطنها فورد عليه من اسلامبول براءة في الامارة وذلك بسعي مصطفى باشا اذ اعيد الى العاصمة وتولى الصدارة فكتب الامير في ذلك الى عميه وارسل اليهما البراءة متجوزاً لهما عن الامارة على ان يدفعا اليه نفقة الرسول بالبراءة من العاصمة سبعة آلاف غرش فامتنعا وكتبا اليه بما يشف عن امتناعهما فعزم اذ ذاك على اقرار نفسه في الولاية واستعان بوالي صيدا نعمان باشا بعد ان اطلعه على البراءة فاعانه وعززه بعسكر من عنده فزحف الامير قاسم بالعسكر الى بيروت واستولى عليها ففر عماه منها هاربين الى الجبل حيث جمعا الوجوه والاعيان فكتب هؤلاء كتاباً الى الوالي يلتمسون

منه عزل الامير قاسم واعادة الامير احمد واخيه الامير منصور الى الولاية بمبلغ قدره خمسون الف غرش يدفع اليه في جانب التماسهم فارسل وعزل الامير قاسما واعاد الولاية الى الاميرين فمضى الامير قاسم عند ما بلغه امر العزل الى البقاع ولكن توسط في الصلح بينه وبين عميه احمد ومنصور عمه الامير علي والشيخ عبد السلام العماد واتى الامير قاسم عين دارة التي كانت من اقطاعه وعقد الصلح هناك فاقام بها حولاً · وفي سنة ١٧٦٢ ازوجه عمه الامير منصور من ابنته فولد له منها الامير حسن والامير بشير الكبير · ثم انتقل الامير قاسم من عين دارة الى بشامون حيث مكث اربع سنين ثم مضى الى بيروت فلبث بها اياماً وانتقل منها الى غزير فمكث سنتين ثم توفي هنالك اما الاميران احمد ومنصور وقد مال احدهما احمد الى اليزبكية وعميدها الشيخ عبد السلام عماد والاخر منصور الى الجانبلاطية وعميدها الشيخ علي جانبلاط فحدثت بينهما فتنة افضت الى استبداد الامير منصور بالولاية من دون اخيه وانحرف عن الامير احمد رجال حزبه ومنهم الشيخ عبد السلام العماد والشيخ شاهين تلحوق[1] آتيا دير القمر خافضي جناح الطاعة للامير منصور واما الامير يوسف وقد كان متحيزاً الى عمه الامير احمد فلجأ بنفسه وباخوته الى الشيخ علي جانبلاط بالمختارة ومن ثم سار الى راشيا ومعه الشيخ كليب والشيخ خطار من بني نكد وهما كانا مشايعين للامير احمد ونزل ضيفاً على الامير منصور سيد احمد فجعل عمه الامير

---

(١) كان لهذين الشيخين شأن كبير في البلاد وكان يلقب اسم احدهما الشيخ شاهين بلسان الدروز لطلاوة حديثه وفصاحة لسانه

منصور والي لبنان يده على امواله واموال اخوته وخرب مساكن الشيخين اللذين صحباه وقطع اشجارهما ثم شفع بعض في الامير يوسف لدي عمه واسترضوه عنه فرضي ولكن لم يرفع يده عن امواله واموال اخوته فبقيت في صدر الامير يوسف حزازات وجعل مدبر هذا الامير الشيخ سعد الخوري يدس الدسائس الى كبرآء البلاد يبغي اصلاح امر الامير واستمالة النفوس اليه وقد اثرت دسائس المدبر في الشيخ علي جنبلاط خصوصاً بعد ان سأل الامير منصور ان يتجاوز عن اموال اولاد اخيه الامير يوسف واخوته لهم وابى ان يجيب سؤاله فارسل الشيخ واستقدم الشيخ كليب نكد اليه وتواثقا على الانتصار للامير يوسف والمشايعة له واستخدما شيخ عقل الدروز لانفاذ رغبتهما فجعل شيخ العقل يطوف بقومه و يواثقهم سراً على مشايعة الامير يوسف وفي الظاهر يوهم الناس انه ينظر في امر المعابد المعروفة بالخلوات . ولما تمهد للامير يوسف السبيل قصد الشام فدخل على واليها عثمان باشا الكرسي فاكرمه عثمان باشا وسامحه بكتاب الى ولده محمد باشا والي طرابلس حتى بوليه بلاد جبيل وبينما هو في الطريق وافاه الشيخ كليب والشيخ خطار من بني نكد وما بلغ انحاء جبيل حتى اجتمع عليه غالب مشايخ البلاد ولما كان والي طرابلس باللاذقية وفد الامير عليه هنالك ومعه الشيخان كليب وخطار فدفع الامير اليه كتاب ابيه عثمان باشا الكرجي فولاه انحاء جبيل والبترون فاستقر في جبيل على الولاية وكان ذلك سنة ١٧٦٣ وكان عمره حينئذ لا يتجاوز السادسة عشرة فعظم امر الامير يوسف واشتد عضده بكثرة اعوانه ونماء حزبه واستظهر على

المشايخ الحمادية ولاة تلك الانحاء في محاربات وقعت له معهم وكان الشيخ
علي جنبلاط والشيخ كليب يمدانه سرًّا بالرجال من اهل الشوف والمناصف
ولما كانت سنة ١٧٦٤ استعان والي الشام عثمان باشا بالامير يوسف على
اخذ قلعة سانور فلم يتم ذلك لان اصحاب القلعة فيما قبل من حزب
القيسيين والامير قيسي فتلكأ الامير عن المحاربة ولما اوجس الامير منصور
خفية من الامير يوسف بما رأى من تفاقم شأنه وتعاظم امره تأكد صدق
ما كان يحذره من الشيخ علي جنبلاط لكونه كان له اليد الطولى في
تعزيز مقام الامير يوسف فاتى الامير منصور الى دير القمر يريد الوقيعة في
الشيخ علي ودعا اليه اخاه الامير علياً وابن اخيه الامير قاسماً وكاشفهما
في الامر فوافقاه عليه ولكن الشيخ علياً درى بالمكيدة فارسل الى الامير
يونس حيدر يزين له الولاية ويثيره على الامير منصور اخيه وارسل اليه
مبلغاً من النقود لينفق في هذا السبيل واستقدمه الى الشوف ليوافيه برجاله
ويعينوه فقبل الامير بذلك وقدم من دير القمر الى مزرعة الشوف حيث
وفد عليه الشيخ علي واصحابه متظاهرين انهم لا يريدون والياً عليهم الاه
فاضطرب الامير منصور باله واتفق يومئذٍ ان عزل محمد باشا عن ولاية
صيدا فاظلم قلب الامير لان المعزول كان ملاذاً له فعمد الى ملافاة
الامور بتلطيفها فخبت نار الفتنة ورضي الامير عن الشيخ وجرت المصالحة
بين الامير منصور وبين اخيه الامير يونس ثم رجع الامير منصور الى
بيروت وفي صدره ما فيه من الحزازات على اخيه ولبث الامير يونس
خائفاً يترقب حتى كتب الى الامير يوسف يستوثقه على التناصر فكتب

اليه الامير يوسف ان يحضر اليه ليشاطره الولاية فشاطره على الولاية كما وعده ولكن لم يطل الحال على هذا المنوال لان الحاصل من الولاية لا يفي بالنفقة · وسنة ١٧٦٥ جرت موقعة بين الامير يوسف وبين عسكر طرابلس في اميون بسبب الحمادية الذين لاذوا بوالي طرابلس من الامير يوسف فكانت الغلبة للامير · وفي سنة ١٧٦٨ ولد للامير قاسم ولده الامير بشير ثم توفي الامير قاسم بعد بضعة شهور عنه وعن اخيه حسن واما الامير يوسف فما زال يتسع اقتداره وتتقوى شوكته حتى انخلع قلب عمه الامير منصور جزعاً منه فاراد ان يتنازل له من تلقاء نفسه عن الولاية وكتب اليه في ذلك قائلاً له ان جسمه اصبح ضعيفاً عن القيام باعباء الولاية فاجابه الامير يوسف ان ابق زمام الولاية في يدك وانا اعينك على قضاء امورها فحسب الامير منصور هذا الجواب من قبيل الخدعة واستقدم اليه امير حاصبيا الامير اسمعيل وسيره الى دير القمر حتى يقنع الامير يوسف بقبول الولاية ففعل ثم تنازل الامير منصور لابن اخيه على مشهد من جمهور غفير من امراء البلاد واعيانها ثم كتب كتاباً الى عثمان باشا والي دمشق حتى يكتب الى ابنه درويش باشا والي صيدا فيقر درويش باشا الامير يوسف على الولاية واخذ الامير منصور عهداً على الامير يوسف بان يؤدي عنه الى الدولة بقية من المال المطلوب منه وقدرها خمسه وثلاثون الف غرش فسر عثمان باشا بذلك لانه كان يحب الامير يوسف وبادر بطيبة نفس الى قضا الحاجة فلما كانت سنة ١٧٧٠ وردت على الامير يوسف خلعة من درويش باشا ايذاناً باقراره على الولاية فاستقل الامير يوسف بالولاية

على لبنان باكمله من ضواحي طرابلس الى ضواحي صيدا واما الامير منصور فاقام في بيروت حتى توفي وفي هذه السنة نفسها وفد على الامير رجل من البشناق يسمى احمد الجزار كان قد فر من وجه علي بك والي مصر فاكرم الامير وفادته وابقاه عنده في دير القمر اياماً ثم ارسله الى بيروت واجرى عليه وظيفة في كركها وفي المحافظة عليها فلبث الجزار في المدينة اياماً فسوّلت له نفسه الايقاع بسيده وطفق يحصّن مركزه ثم انه سار الى دمشق ودخل في خدمة واليها عثمان باشا وحدث في تلك الايام ان اهل جبل عامل من المتاولة خرجوا عن طاعة والي صيدا درويش باشا وجعلوا يعيثون في قرى مرج عيون والحولانية ونافروا الامير يوسف لاخذه الولاية من عمه الامير منصور وهم يميلون الى هذا الامير وكان اشدهم نفرة وهياجاً بنو علي الصغير [1] وهم بنو الاسعد الان و بنو صعب فامتلأ قلب الامير يوسف غيظاً وحنقاً عندما علم تحكك مشاقيه باهل الانحاء الداخلة في ظل حمايته من ولاية خاله الامير اسمعيل امير حاصبيا فحشد لذلك الرجال من لبنان وبعث الى خاله ان يوافيه برجاله من دير القمر وكانوا زهاء عشرين الفاً بين فرسان ومشاة وضربت خيامهم عند جسر صيدا وكانت رجال الشيخ علي جانبلاط هنالك محافظة على صيدا من المقاتلين اللبنانيين اما الامير يوسف فزحف بعسكره في اليوم التالي الى قرية جباع الحلاوة وكان يحرق جميع القرى من اقليم التفاح حتى بلغ قرية جباع هذه فالفى بني منكر

---

(١) سموا بني علي الصغير لانه وجد في العائلة اثنان باسم علي فكانوا هم ابناء اصغرهما

من اهلها قد انتزحوها وولوا هاربين الى الصفيرية والصمية مشايعة لهؤلاء مع انهم كانوا قبل ذلك من اشياع الامير واما المتاولة فخافوا واستعانوا بصاحب عكا الشيخ ظاهر العمر [٢] الزيداني فقدم اليهم بجماعته واما الشيخ علي جانبلاط عندما دري ان الامير كان محمولاً على تلك المحاربة من الشيخ عبد السلام عماد كيداً فيه اي في الشيخ علي جانبلاط لانه كان يحب بني منكر فقد اوغر صدره وارسل الى العسكر اللبناني يسرّ الى اهل حزبه منه ان اخرجوا من ساحة الحرب عند ما تلمع شرارتها وارجعوا على اعقابكم الى دياركم واوصاهم بذلك وحضهم عليه كثيراً وقد كان ذلك فان الامير بعد ان بات ليلتين بقرية جباع واتى فيها ما أتاه من تخريب ونهب وتقطيع اشجار ذهب الى صحراء نبع المأذنة حيث وفد عليه رسول خاله الامير اسمعيل بكتاب ينبيء بقدومه في رجاله ثم وفدت عليه رسل المتاولة من اهل عامل بكتاب من الشيخ ظاهر العمر يسأله فيه الصلح على مال يقوم المتاولة بادائه اليه وانه هو الكفيل بذلك ثم يسأله فيه ان يتربص في مكانه حتى هو يوافيه اليه ويشافهه بذلك فابى الامير الا ان يركب متن

(٢) ظاهر العمر كان حاكماً على صفد فتنازع مع اخوته على الحاكمية ولما لم يفز بغايته ترك صفد وجاء عكا واكتفى بولايته عليها فاستفحل امره فيها وبعد حين لما عصي الجزار على الامير يوسف الذي هو سبب نعمته على ماير بلك استنجد به وطلب منه محاصرة بيروت بحراً فاجابه الى طلبه واستأجر مركبين روسيين كانا في مياه بيروت وحاصرها بهما ولما رأى الجزار نفسه غير قادر على المدافعة سلم نفسه وخرج من بيروت فاصبحت في يد الامير يوسف اما ظاهر العمر فقد قتل بعد ذلك اغتيالاً برصاصة اطلقها عليه احد المغاربة

العناد ونهض بقومه يريد المحاربة غير منتظر قدوم خاله برجاله فاحرق قرية كفر رمان وظل سائرا حتى بلغ ضواحي النبطية فالتقت عندها طلائع الفريقين اللبنانيين والمتاولة وقد تحقق هؤلاء ان الحرب لا بد منها فانضم بعضهم الى بعض فبلغوا اربعة آلاف مقاتل وانضم اليه الشيخ ظاهر برجاله حانقاً على الامير لخذلانه منه في امر الصلح فما اصطدمت الصفوف في المعترك حتى تفلتت من صفوف اللبنانيين رجال الشيخ علي جانبلاط وولوا مدبرين عملاً بما اوعز اليهم زعيمهم الشيخ فادرك الباقين من الصفوف التي كانوا فيها الفشل فطمع بهم اعداؤهم وكسروهم وقتلوا منهم نحو الف وخمسماية رجل وما برح المكسورون ناكصين على الاعقاب حتى وصل الامير اسمعيل برجاله الى موقف المحاربة وقابل الاعداء ببأس شديد وعزم وطيد وقلب قد من حديد وظل يقاتلهم حتى لواهم فولوا ثم مضى هو والشيخ كليب الى حاصبيا واما الامير يوسف ورجاله فعادوا الى لبنان مدحورين ودرويش باشا والي صيدا غشيه الخوف من ذلك ففر الى دمشق وجعل كل الناس يلومون الامير ويعيبون عليه ما اتاه وفوض المتاولة امرهم الى الشيخ ظاهر ونفذت به عزيمتهم وعندما بلغ هذا الشيخ ان درويش باشا خرج من صيدا هارباً سولت له نفسه ان يستمر في سبيل العصيان مغتراً بالولاية على المدن والقرى فانفذ الى صيدا واحداً من حاشيته يقال له الدنكزلي واخذ المتاولة يعتدون على اهل اقليم جزين واهل اقليم الخروب من الاقاليم الداخلة في ولاية الامير يوسف فارسل الامير الشيخ كليب نكد الى اقليم الخروب ليدفع اعدائهم فالتقى الشيخ

بجاعة منهم في احدى قرى هذا الاقليم علمان ونال الانتصار عليهم ولبثت العداوة بين الامير وظاهر العمر وجماعته من المتاولة حتى امر السلطان الامير ان يزحف برجاله على الشيخ ظاهر في صيدا و يقاتله و يخرجه منها وتجاوز له عن ضريبة بلاده عن سنة وذلك بواسطة والي دمشق عثمان باشا ولما توفي عثمان هذا قعد الامير عن محاربة الشيخ وضعفت همته عن قتاله حتى اتى عثمان باشا المصري دمشق واليا عليها فكتب عثمان باشا الى الامير يستنهضه لقتال الشيخ واحزابه وبعث الى والي القدس خليل باشا ان يعاون الامير فيوافيه الى القتال وكان مع هذا الوالي الجزار والي مدينة كركوت والف من الفرسان مجهزين بالمؤونات والذخائر والسلاح فخرج الامير بقومه من دير القمر الى عين السوق عند السمقانية حيث اقبل عليه خليل باشا برجاله فتألف بذلك جيش كبير يبلغ عشرين الفاً زحف الى صيدا ونزل بظاهرها ثم حاصرها سبعة ايام ولما كان اليوم الثامن وقد هم الدنكزلي بالتسليم اذا بسفن مسكوبية حربية ظهرت في البحر لدى المدينة مرسلة من عكا ارسلها ظاهر العمر لمعونة الدنكزلي وذلك لما كان بين ظاهر والدولة المسكوبية من الاتحاد فاطلقت السفن مدافعها على المحاصرين فارتدوا الى المحلة المعروفة بالحارة عند سفح الجبل ثم ورد على الامير كتاب من الشيخ ظاهر يقول له فيه ارتد بقومك الى قنطرة نهر صيدا فاراسلك هناك في الصلح والا آتيك بعسكري ومعي علي بك المصري ومن ورائه جماعة من الغفر فاجابه الامير مغلظاً له الجواب فنهض الشيخ برجاله وكانوا عشرة الاف مقاتل وجرى الاقتتال بين

الفريقين عند سهل الصباغ شرقي صيدافكانت الغلبة للشيخ ثم اوعز الشيخ الى السفن ان تسير الى بيروت لمحاصرتها فلما اقبلت السفن على المدينة فرّ منها الامراء الشهابيون هاربين فاطلقت السفن المدافع على المدينة وخربت بعضاً من مبانيها ثم خرجت العساكر من السفن اليها ونهبت المدينة ولم تلبث ان عادت الى البحر خوفاً من المباغتة ولما اتصل امر ذلك بالامير نزل بعسكره الى الحدث وكتب الى عثمان باشا يستعين به وجرت المداولة في الصلح بين الامير وبين عمه الامير منصور فتصالحا فكتب الامير منصور الى ظاهر العمر يلتمس منه ان تقلع السفن عن بيروت فكان له ذلك بعد ان دفع الى امير السفن سنبيكو خمسة وعشرين الف غرش ثم قدم مدبر والي دمشق عثمان باشا بعسكر كبير الى بيروت ومعه الجزار فدفع الامير منصور رجلاً مغربياً الى قتل الجزار فاطلق المغربي وهو في مكمنه بظاهر المدينة الرصاص على الجزار فاصاب عنقه فجرحه ولكن شفي الجرح بعد العلاج وحدث في تلك الايام ان الحمادية اصحاب بلاد جبيل اغتالوا نائب الامير في هذه البلاد الامير بشير حيدر وهو في العاقورة لجباية الاموال ومعه شيخا بشري واهدن واقتتلوا معه نهاراً كاملاً فصدهم الامير منتصراً عليهم بعد ان قتل ثمانية منهم ولم يقتل من جماعته الا ثلاثة رجال واتى ابناء الجبة ينجدون الامير فانخلعت قلوب المتاولة خوفاً فانتزحوا بعيالهم من جبة المنيطرة ووادي علمان الى الكورة فسار اهل الجبة في اثرهم واذ بلغ الامير ذلك وهو في بيروت بعث مدبره الشيخ سعداً في عسكر المغاربة وحشد هو عسكراً وسار به الى نبع افقا اما مدبر الامير

فادرك المتاولة عند دار بعشتار فقهرهم بعد حرب لبثت من الظهر الى المساء وتعقبهم حتى القلمون واسر الشيخ ابا نصر عليا وقتل منهم مائة رجل ولم يقتل من رجاله الا اثنان ثم شفع الشيخ ميلان الخازن في الشيخ علي فاطلق سبيله وجاء مدبر الامير برجاله الى نبع افقا حيث وجد الامير مخيماً بعسكره فاخبره بما كان فارجع الامير المغاربة الى بيروت والتمس من والي دمشق عثمان باشا ولاية البقاع لاخيه الامير سيد احمد فمنحها له فاتخذ الامير سيد احمد قلعة قب الياس مقاماً لهو عمر المهدوم من بنيانها وعززها بالات الحرب ثم جعل يعيث في البقاع ولما كانت سنة ١٧٧٢ زحف الامير يوسف بعسكره الى انحاء الضنية يريد الفتك ببني رعد لما رأى منهم من الميل الى بني حمادة فنزل بعفصديق من الكورة فورد عليه بها كتاب من والي طرابلس يعرض له فيه المصالحة بينه و بين بني رعد لان احد كبراء هؤلاء التمس وساطته في المصالحة فجرت المصالحة بين الفريقين ثم رجع الامير الى بيروت بعد ما امر في عفصديق فاحرقت لانها كان صاحبها الامير احمد الكردي متحيزاً لبني حمادة ثم رأى الامير ان يجعل احمد بك الجزار على بيروت و يبقى لديه المغاربة فحذره مدبر والي دمشق من الرجل فاستلم الجزار زمام بيروت ولم يطل امره حتى خرج على الامير وحدث في خلال ذلك ان الامير سيد احمد سلب بضاعة تجار من دمشق مارة بالبقاع فكتب والي الشام الى الامير يوسف ليزجر اخاه عن الاعتداء ورد المسلوب فكتب الامير الى اخيه في ذلك فلم يجبه فادى ذلك الى نفرة الوالي من الامير يوسف اما الجزار فاخذ يحصن المدينة فتحقق الامير عزم الرجل على العصيان

فراسله في ذلك ثم اختليا في المصيطبة فتمكن الجزار من اقناع الامير انه لا يروم الخروج عن ارادته واستمهله في الخروج من المدينة اربعين يوماً فامهله الامير انقياداً لرأي البعض من اليزبكية الذين مكروا بالامير فاستمر الجزار في تحصين المدينة تلك المدة حتى اذا ما انقضت كتب الامير اليه ان اخرج من المدينة بحسب العهد فابى الجزار وارسل المغاربة الى خارج المدينة يعيثون ويقتلون من يجدونه من اهل بلاد الامير واما الأمير فحشد عسكراً وزحف به الى المدينة لمحاصرتها واتحد مع عمه الامير منصور فكتبا الى ظاهر العمر والي عكا يلتمسان منه معونة الاسطول المسكوبي لهما على استخلاص بيروت من يد الجزار وتسليمها لاحدهما الامير يوسف وذلك لان امير الاسطول كان مسيراً من الملكة كاترينا على ان يكون في طاعة ظاهر العمر المتحد معها فاستجاب ظاهر لهما واستقدم السفن اليهما من مياه قبرص فحوصرت المدينة مدة اربعة شهور حصاراً شديداً حتى اضطر الجزار بعدئذٍ ان يلتمس من ظاهر العمر النجاة لنفسه ولمن معه على انه يخرج باصحابه من المدينة ويسلمها الى الامير فمنحه ظاهر ذلك بعد مشاورة الامير فعادت بيروت الى الامير ورجع الشهابيون الى مواطنهم فيها فولى الامير والياً عليها ثم رجع الى دير القمر وكان قد كتب اليه والي دمشق وانبأه بانه بعث الى الدولة العلية يلتمس العفو لظاهر العمر · ولما كانت سنة ١٨٧٣ ظهر ما كمن في صدر والي دمشق عثمان باشا من الحزازات بسبب اعتداء اخي الامير على بعض تجار دمشق وعيثه في البقاع كما تقدم ذلك وبدت العداوة بينهما فاتى عثمان باشا بعسكره وخيم في صحراء برالياس

من البقاع واتى الامير بعسكره الى المغيثة ثم نزل من هناك الى اعدائه فاشتبك الفريقان وجرت لهما مواقع لم يفصل بينهما النصر فيها وارسل الامير الى ظاهر العمر يستنجده فارسل اليه ظاهر ابنه علياً والشيخ نصيف النصار عميد بني علي الصغير في جيش كبير من المتاولة فنزل الرجلان بجماعتهما بقرية القرعون ولما اتصل ذلك بالباشا غشيه الخوف واضطرب عسكره فولى في الحال هرباً الى دمشق وترك الخيام والمدافع والذخائر فغنمها الامير واقر اخاه الامير سيد احمد في قلعة قب الياس وجهزه بما غنمه من المدافع والذخائر اما الامير سيد احمد وقد كان عنده الامير فارس يونس فراودته نفسه عن الخروج على اخيه فاستمال اليه صاحب راشيا الامير منصوراً والشيخ عبد السلام رئيس الحزب اليزبكي والشيخ حسين تلحوق وغيرهم من الحانقين على اخيه ثم جهر بالعصيان وجعل يشدد الوطأة على القرى التابعة للشيخ علي جانبلاط في البقاع حتى اغضب اخاه الامير يوسف ودفعه الى مقاتلته ففي سنة ١٧٧٤ حاصر الامير يوسف القلعة شهراً كاملاً ولم يقض لبانته من حصارها اذ خذله كثير من جنده بدسيسة من الشيخ عبد السلام ولكنه عاد فاستقدم اليه عسكر المغاربة من دمشق وشدد الحصار على القلعة حتى اضطر الامير سيد احمد بعد ما كادت تنفذ الميرة والماء ان يكتب الى الشيخ علي جانبلاط والشيخ كليب ابي نكد ان يتوسطا في امر الصلح بينه وبين اخيه على انه يخرج من القلعة آمناً ويذرها لاخيه فوقع الصلح على ذلك وسار الامير سيد احمد الى حدث بيروت واما الامير يوسف فاخذ القلعة ورام هدمها فلم يتيسر

له هدم اكثر من جدار من جدرانها لقوة بنيانها ثم نال ولاية البقاع من والي دمشق وقتئذٍ محمد باشا العظم على ان يرد المسلوب بيد اخيه من بضاعة التجار الدمشقيين فاسترد ذلك من اخيه وارجعه الى اصحابه وعوض على اخيه من مال نفسه واستناب عنه على الولاية اخاه الامير قاسماً ولما كان في نفس الامير يوسف ما فيها من الضغينة والحقد على صاحب راشيا الامير منصور لتحيزه للامير سيد احمد جعل يلتمس سبيلاً عليه ليكيده به فادعى عليه بمال ثم اتهمه بقتل الامير حسين بسم مدسوس في الطعام فعظم ذلك على الامير منصور فكتب الامير منصور الى الشيخ سعد الخوري يسأله ان يمهد له سبيل الصلح عند الامير يوسف فاناله ذلك وجرى الصلح على مبلغ خمسة عشر الف غرش تدفع الى الامير يوسف ثم قسم الامير يوسف راشيا بين الامير منصور و بين الامير محمد اخي منصور لادعاء اخيه هذا عليه بالارث ادعاءً مدفوعاً عليه من الامير يوسف نفسه وفي تلك السنة توفي الامير منصور حيذر في بيروت وعمره ستون عاماً وله اربعة اولاد الامير موسى والامير مراد والامير حمود والامير حيذر ودفن في جامع الامير منذر التنوخي وتوفي ايضاً الامير بشير الملقب بالسمين بلا عقب فاستقل الامير يوسف بتركته ومنع اخوة المتوفى منها وفي سنة ١٧٧٥ كتب الامير يوسف الى امير البحر حسن باشا وقد كان قدم الى عكاء للتنكيل بظاهر العمر واخراجه منها فهنأه بالنصر وارسل اليه بعضاً من الخيل الجياد فتقبل ذلك بالمسرة وتلطف به في الجواب ثم كتب الباشا الى الامير يوسف يسأله ان يرسل اليه ابناء ظاهر العمر لانه نمي اليه انهم

مختفون في بلاده فاوجس الامير خيفةً من ذلك لانهم كانوا قد سالوه الاختفاء عنده فابى وكتب الى الباشا منكراً اختباءهم في بلاده انكاراً شديداً ثم عاد الباشا فكتب الى الامير يتقاضاه الاموال السلطانية الباقية عنده عن ثلاث سنين مدة ولاية ظاهر العمر فاجابه الامير وفي قلبه خوف وريبة واعتذر اليه في الجواب وارسل اليه البراءة التي كان بمقتضاها يحق له التجاوز عن مال البلاد مدة عصيان ظاهر العمر وتعهد باداء مبلغ مئة الف غرش كانت باقية عليه من الاموال الاميرية ووعد بغير ذلك فلما وقف الباشا على البراءة وبلغه الوعد اكرم رسل الامير ومن ثم جرت المحبة بينهما . وفي سنة ١٧٧٦ نصب احمد باشا الجزّار والياً على صيدا فانخلع قلب الامير خوفاً منه لما جرى بينهما من المحاربة يوم حصار بيروت ومع هذا فان الامير ستر خوفه وكتب الى الجزار يهنئه ويبارك له في الولاية واتحفه بشيء من الهدايا فلاطف له الجزار في الجواب وذكر له عهد الصداقة فلم يسكن بذلك روعه وبعث الى حسن باشا يكاشفه في امره فالباشا انعم بال الامير ووعده باهلاك خصمه ثم استعجله بانجاز ما تعهد به من دفع الضريبة فرجع الامير الى مستشاريه ومدبري اموره يسألهم فيما تعهد به كيف ينبغي ان ينجزه فاشاروا عليه ان يغتصب من مال الامراء الشهابيين ما يكفي لوفاء المال فاستصوب رايهم وصادر الامراء باموالهم فكبر ذلك عليهم فرحلوا الى البقاع وشرعوا يعيثون فيها سلباً ونهباً فنهض اليهم بعسكر يبغي زجرهم فلما احسوا بنزوله بقب الياس فرّوا من وجهه الى اقليم البلان ومن ثم الى الحولانية ثم سوّى صاحب حاصبيا

الامير اسمعيل بينهم و بين الامير يوسف فعهد هذا الامير ان يرد اليهم ما اخذه من ريع عقاراتهم فرجع الامراء الى مواطنهم الا الامير سيد احمد والامير افندي منهم فانهما بقيا ثائرين حتى استرضاهما الامير بما اعاده اليهما من اقطاعهما ثم عاد الامير فادى المال المطلوب منه الى حسن باشا فاقره على ولايته وكتب له عهداً يعصمه من تداخل والي صيدا في اموره الا ان يقبض المال الميري منه ثم غادر الباشا الديار الشامية عائداً الى الاستانة فاغتنم الجزار السانحة واندفع بعوامل حقده وضغينته الى معاداة الامير ومقاومته فزحف بعسكره من صيدا الى بيروت فاستولى عليها وجعل يده على سائر ما للشهابيين من الملك فيها ثم بعث الى الامير يوسف يتقاضاه الاموال الاميرية عن ثلاث سنين ماضية ملحا عليه الحاحاً شديداً فبدت للامير من الجزار بوادر الشر فاشتد خوفه فكتب الى حسن باشا وقد كان لم يتجاوز قبرس واخبره بما كان من امر الجزار معه فرجع الجزار الى صيدا بحراً واما عسكره فرجع اليها براً وكان عدده زهاء ستماية فارس وكلهم اشداء الباس فسير الامير بني نكد يكمنون لهم في منتصف الطريق عند مكان يقال له السعديات بين الدامور والجية فاكمنوا لهم برجالهم وكان عددهم جميعاً مايتي رجل فلما بلغ العسكر المكمن عند الصباح تعرض المكمنون لهم بالشر والوقيعة فانقض العسكر عليهم انقضاض البزاة وقتلوا كثيراً منهم وفي جملة القتلى عميدهم الشيخ ابو فاعور وقبض على الشيخ محمود ابن الشيخ ابي فاعور وعلى الشيخ واكد وتركوا الشيخ بشيراً جريحاً طريحاً بين القتلى بين حي وميت حتى اتيح له كاهن من

قرية الدبية كان ماراً من هناك ورآه صريعاً بين القتلى معرى من الاثواب يختلج بما فيه من رمق الحياة فاعتنى به واحتمله الى منزله في القرية واخذ يضمد جراحه ثم ارسل الى بني نكد في دير القمر يبشرهم بان الشيخ لا يزال حياً عنده فنقله ذوو قرباه اليهم وشكروا للكاهن اعتنائه به ووهبوه ارضاً من ملكهم جزاءً له عما صنعه بالجريح واما الامير فاراد ان يوهم الجزار ان تحكك بني نكد بعسكره كان على غير علم منه ثم سأله اخلاء سبيل الشيخين اللذين اسرهما العسكر بفدية قدرها ماية الف غرش فاجاب الجزار التماسه ولكن وقعت فتنة بسبب جمل تلك الفدية ضريبة على اهل البلاد فافضى ذلك الى تداخل عسكر الجزار اذ سار هذا العسكر الى بيروت ثم خرج منها الى قرى اللمعيين فاحرق المكلس والدكوانة والجديدة وقتل بعضاً من اهلها ثم باغت الشويفات فارتد عنها خائباً وحينئذ فقد الامير ولايته على بيروت ولما اراد عسكر الجزار ان يستولي على ما للامير و للبنانيين من الاملاك في البقاع استيفاءً لمبلغ تلك الفدية كبر ذلك منه على الامير فعاد الامير واستمال اليه الامراء اللمعيين بعد ان كان قد سخا فيهم بعسكر الجزار حتي ينتقم منهم لما بدا منهم من المقاومة في توزيع ذلك المبلغ المروم افتداء الشيخين به واصطلح معهم ثم حشد عسكراً وزحف به لمقاتلة جماعة الجزار فادركه الفشل والاندحار في جميع المواقع بينه وبينهم وقتل من اصحابه الشيخ سيد احمد العماد والشيخ ظاهر عبدالملك وزين الدين مقدم حمانا وغيرهم من رجاله · ولما كانت سنة ١٧٧٨ شاق بنو نكد الامير يوسف متحيزين لاخويه الامير سيد احمد والامير افندي

وذلك لتراخيه في امر انقاذ الشيخين النكديين من سجن الجزار وتحالف
معهم الجانبلاطية على خلع الامير اما الامير فمضى ببعض من بطانته من
دير القمر الى غزير ولبث هناك حتى وقع شقاق بين المشايخ بني علوان
وبين ابن عم لهم افضى الى قتله فاتى الامير الى الباروك يريدمعاقبة المشايخ
ففروا من وجهه لاجئين الى الجزار وزينوا للجزار انهم يمهدون له سبيل
الاستيلاء على البلاد فعززهم الجزار بعسكر من عساكره فساروا به من
صيدا الى لبنان ولما بلغوا نهر الحمام غربي القرية غريفة لقيهم الشيخ كليب
النكدي بجماعته وبطش بهم فقتل منهم كثيراً وردهم على اعقابهم ثم اعادوا
الكرة على اقليم الخروب وجرت موقعة بينهم وبين الشيخ بشير كليب
النكدي ورجاله عند البرجين فانتصروا على الشيخ وقتلوا كثيراً من قومه
ثم عادوا الى صيدا ولما كان الامير قد كثر الناقمون عليه وكان قد استحكم
في قلبه الخوف من اخويه الامير سيد احمد والامير افندي وطن نفسه على
التنازل لهما عن ولاية جبل الشوف حتى كان ان توفي زعيم الجانبلاطية
الشيخ علي جانبلاط فشهد الامير مأتمه ثم خلع نفسه من ولاية ذلك الجبل
في حضرة اعيان البلاد والقى زمام الولاية الى اخويه وكتب في ذلك الى
الجزار ثم عاد الى غزير فاقرهما الجزار على الولاية بدير القمر واما الاخوان
فاقطعا اخاهما الامير يوسف اقطاعات في كسروان لم يكلفا اليه مالاً اميرياً
عنها ولكن لم يلبث ان حدث شقاق بين الاخوين وبين اخيهما الامير
يوسف بسبب حادثة جرت له مع الامراء اللمعيين ثم تعاظم الشقاق اذ
بعث اخواه اليه يتقاضيانه المال الميري عن اقطاعه فطرد رسلهما فاتسع

الخرق بينهما وبين اخيهما وافضى ذلك الى محاربة جرت بينهما كان الجزار فيها معززاً لاخوي الامير يوسف ثم مال الى الامير يوسف بمال استرضاه الامير به ومبلغه ماية الف غرش فاستقام له الامر ثم سعى كبراء القوم الى الصلح بينه وبين اخويه فرضي عنهما وجعلهما مدبري اموره ولكنهما لم يخلصا الود له بل كانا دائماً يلتمسان سبيلاً عليه وقد هيجا الجانبلاطيين عليه لانه احدث ضريبة على اشجار التوت فأتى الجنبلاطيون ومن انضم اليهم من المشايعين عند السمقانية الى ضواحي دير القمر يريدون عزل الامير من الولاية وقتل مدبره الشيخ سعد فكانت لهم غوغاء وجلبة يتخللها صوت البارود فبعث اليهم الامير يعدهم بابطال تلك الضريبة فسكنت ثورتهم وولوا كلٌّ الى مكانه واما الاخوان فلبثا يمكران باخيهما ويتآمران مع الجانبلاطية على خلعه وقتل مدبره وكاشفا في ذلك النكدية الا ان الشيخ كلياً النكدي لم يركن اليهما فكان يبوح للامير بكل ما يتصل به من امرهما

وحدث مرة انهما بينما كانا ذاهبين الى كنيسة التلة بدير القمر للتحالف على كيد الامير اذ طلع عليهما المغاربة الذين كانوا مكمنين لهما بامر الامير يوسف فبلت يدهم بالامير افندي فامسكوه واما الامير سيد احمد فلم ينجُ الاّ بشق النفس ثم قاد المغاربة الامير افندي الى اخيه الامير يوسف فقتله الامير يوسف بيده واعتذر الى جميع اقاربه في قتله مبيناً لهم الاسباب التي دفعته الى قتله

ولما بلغ الامير سيد احمد الفارّ من اخيه الى المختاره جعل

يثير الناس على الامير يوسف ويحرضهم على الخروج عليه فانقاد له الجانبلاطية والشيخ عبد السلام العماد وانضم الثائرون متوافقين على المسير الى دير القمر لخلع الامير يوسف ونصب الامير سيد احمد في مكانه والياً عليهم فلما احس الامير يوسف بذلك خرج من دير القمر في اربعماية رجل الى عكا هرباً من اخيه فحل الامير سيد احمد محله وامر في النكدية ان تقطع اشجارهم فقطع جانب كبير منها واما الامير يوسف فلاذ بالجزار والتمس منه ان يمده بقوة من عنده على ان يدفع له ثلثماية الف غرش فاستجاب الجزار له وامده بعسكرٍ عليه مملوكه سليم باشا فخيم الامير في قرية علمان من اقليم الخروب وقد انضم اليه بنو نكد وبنو تلحوق وبنو عبد الملك واخواه الامير قاسم والامير حسن واما الامير سيد احمد فسير الامير قعدان في عسكرٍ لمقاتلة الامير يوسف فالتقى الفريقان عند عانوت من اقليم الخروب واضطرمت نار الحرب بينهما فانهزم الامير قعدان فتقدمت عساكر الامير يوسف وهدمت مساكن الجانبلاطية وجعل الامير يده على املاكهم وكتب الى خاله الامير اسمعيل بحاصبيا ان يسلب الفارين اليه من الجانبلاطية اموالهم ففعل وارسلها اليه واما هم فخلى سبيلهم واما الامير سيد احمد فالتجأ الى والي دمشق محمد باشا العظم وبعث اليه من قب الياس يلتمس منه الولاية على وادي التيم والبقاع فمنحها له وعززه بعسكر ارسله اليه وانضم اليه الجانبلاطية فاشتد بذلك عزمه وسار الى راشيا فدخلها بعد محاربة جرت له مع الامير محمد كان النصر له فيها ثم قصد حاصبيا فارسل صاحبها الامير اسمعيل الى محمد باشا يلتمس منه صد الامير سيد احمد عنها فاستجاب له

فرجع الامير سيد احمد ومعه الجانبلاطيون الى قب الياس واستناب عنه في راشيا الامير موسى من اهلها ثم كتب اليه اخوه الامير يوسف ان اعتزل الجانبلاطية فاصالحك فبدت اذ ذاك للجنبلاطية من حليفهم الامير علائم النفرة والقطيعة فتنحوا عنه وكتبوا في ذلك الى محمد باشا فبعث اليه محمد باشا ان لا يوليه البقاع الا باتحاده مع الجانبلاطية وكفالتهم له فارسل الامير سيد احمد يعتذر اليهم عما فرط منه ووثق عرى الاتحاد معهم فافضى ذلك الى محاربة بينه وبين اخيه كان الفوز في غالبها لاخيه الامير يوسف وشرع هذا الامير في التشديد على الجانبلاطية والتضييق عليهم حتى اضطرهم الى خفض جناح الطاعة واسترضائه عنهم بمبلغ ماية ألف غرش وخمسين الفاً ورضي كذلك عن اخيه الامير سيد احمد وخلى له املاكه وامره ان يقيم بالشويفات ولبث الامير سيد احمد في سكينة مع اخيه حتى حدثت فتنة بين اخيه وبين الامير اسمعيل صاحب حاصبيا وذلك في سنة ١٧٨٥ وتحرير الواقع ان الجزار غضب على الامير اسمعيل لعدم امتثاله امره في رجل قتل يهودياً امره ان يقبض على قاتله ويرسله اليه فلم يفعل فعزله من الولاية على حاصبيا وعهد بها الى الامير يوسف فاستناب الامير يوسف عنه فيها الشيخ بشير النكدي وصادر المعزول في املاكه فحضر الامير اسمعيل بين يدي ابن اخته الامير يوسف بدير القمر وجعل يتذلل له ويستعطفه حتى يتجاوز له عن اقطاعه فلم يعطف عليه فيئس عندئذ ورجع الى حاصبيا ساخطاً منه وكان الشيخ قاسم جانبلاط قد زيّن له ان اسعى لدى الجزار باستحصال الولاية على لبنان ومرج عيون بثلاثماية الف غرش وانا شريك لك في عهدك الى الجزار

فكتب الامير اسمعيل الى الجزار في ذلك فاستجاب له الجزار اذ استقدمه اليه ووعده بالولاية على ان يكون احد الامراء الشهابيين شريكاً له فيها فبعث الشيخ قاسم الى الامير سيد احمد يدعوه الى مشاركة الامير اسمعيل فقبل بطيبة نفس وكفل الشيخ قاسم للجزار المبلغ المتفق عليه اما الجزار فارسل الى الامير يوسف يخبره بذلك حتى اذا ما قبل هو ان يؤدي ذلك المبلغ ابقاه والياً فاستمثل الامير يوسف اعيان البلاد لديه وشاورهم في الامر فاشاروا عليه باداء المبلغ الا الشيخ فانه استكمالاً للمكيدة افسد رأي القوم واقنع الامير بوجوب المقاتلة فجرت بين عساكر الجزار الآخذة بنصرة الامير اسمعيل وبين عساكر الامير يوسف ومعها مدبر الامير الشيخ سعد وعليها الامير فارس يونس ومعه من امراء حاصبيا الامير اسعد والامير قاسم ابنا الامير سليمان اخي الامير اسمعيل وقائع كبيرة كان النصر فيها لعساكر الامير يوسف واما الامير اسمعيل فولى بعساكره الى صيدا ولما حضر بين يدي الجزار جعل الجزار يسأله عن الشيخ قاسم قائلاً كيف سألني من جهة ان اوليك ومن جهة اخرى كانت له في محاربة عساكري الباع الطولى فاعتذر الامير اسمعيل واستأذن الجزار ان يستحضر الامير سيد احمد على علم من الشيخ قاسم فاذن له فاستشار الامير سيد احمد الشيخ قاسماً في المثول لدى الجزار فاشار عليه به فسار الامير من الشويفات الى بيروت ومنها الى صيدا بحراً فرحب الجزار به واكرم مثواه ثم بدت خيانة الشيخ قاسم للامير يوسف اذ خرج الجانبلاطيون من عسكر الامير حتى لا يعاونوا على القتال فرجع المدبر الشيخ سعد والامراء بالعسكر الى دير القمر فغضب

الامير يوسف من الشيخ قاسم لخيانته اياه واما وجوه البلاد فنصحوا للامير يوسف ان يخفف عنه غضب الجزار فيبرح من دير القمر ولوالى ما يبعد ساعة عنها فغادر الامير الدير الى كفرقطرا ثم سار الى المتين فبعث الوجوه الى الجزار يكشفون له واقع الحال ويلتمسون منه ان يولي عليهم الامير سيد احمد والامير اسمعيل فولاهما ثم كتب الى الشيخ قاسم جانبلاطان يشد ازرهما فكان ذلك واما الامير يوسف فولى هاربا من المتين الى بسكنتا وولى الامير اسمعيل على راشيا الامير فارساً الكبير ثم عاد الاميران يتعقبان الامير يوسف بعد ان عرض عليه احدهما الامير اسمعيل ان يكون والياً في ظله على جبيل فابى واستكبر الامر فعزما على اخراجه من الجبل ففر الى جبال عكار وبعث الى الجزار يسترضيه عليه ويسأله ان يلطف به وكان الاميران قد بعثا الى الجزار يلتمسان منه ان يعززهما بعسكر من عنده ليستطيعا جباية الاموال الاميرية لان اهل البلاد تمردوا عليهما وابوا اداء الاموال فبعث الجزار الى الامير يوسف يمنحه الامان ويسترجعه الى البلاد كما كان فرجع الامير ووفد على الجزار وهو ببيروت فاكرم الوزير وفادته ثم سار الوزير ومعه الامير الى عكا بحراً واما مدبر الامير الشيخ سعد فسار بجماعة الامير اليها براً وبعث الاميران سيد احمد واسمعيل الى الجزار يزينان له قتل الامير يوسف على ان يدفعا اليه خمسماية الف غرش وكتب في ذلك اليه كتاباً سيرا به شيخاً من المغضوب عليهم عند الامير يوسف الشيخ محمد القاضي فاجابهما الجزار انه يقضي لهما حاجتهما فارتاحت نفساهما الى الوعد وسارا الى دير القمر وشرعا في جباية تلك الضريبة ولكن لما بلغ الشيخ

سعد مدبر الامير يوسف الى عكا تعهد الى الجزار ان يؤدي ضريبة قدرها الف الف غرش في مدى ثلاثة اشهر على ان ينجز الجزار ما وعد به فيرجع زمام الولاية الى يد الامير يوسف فكان له ذلك فاعيدت الولاية الى الامير وعزز بعسكر كبير من عساكر الجزار وبقي الشيخ سعد عند الوزير رهناً على المال الذي ضرب فقدم الامير يوسف في عسكره ومعه الامير اسعد والامير محمد وهما خصما الامير اسمعيل فولى احدهما اسعد على حاصبيا واوعز اليه ان يلقي القبض على الامير بشير وان يضبط ماله ومال الامير اسمعيل والاخر على راشيا وان يلقي القبض على الامير فارس الكبير ويضبط ماله اما الامير بشير ففر هارباً ونجا واما الامير فارس فوقع في يد الامير محمد وسار الامير يوسف ليل نهار حتى بلغ دير القمر فدخلها بغتة فلم تبل يده الا بالامير اسمعيل الذي تعذر عليه ما تمكن منه رفيقه الامير سيد احمد من الفرار فساقه الى السجن هو وخمسمائة من اتباعه وقتل خمسة من خدامه وامسك الامير عثمان ابن الامير فارس الكبير واستحضر اليه الشيخ محمد القاضي الذي كان قد اختبأ عند الشيخ كليب النكدي وزجه في السجن ثم سمل عينيه وقطع لسانه وبعدئذ اخلى سبيله وصادر الجانبلاطية بكثير من اموالهم وسلب كثيراً من اموال مشايعي الاميرين وشدد العقوبة على كل خصومه فانخلعت القلوب خوفاً منه وشفع الامير حسن عمر لديه للامير بشير اخي الامير يوسف لانه كان من المشايعين للامير سيد احمد فقبلت شفاعته فرضي عنه الامير يوسف وجعله من المقربين عنده وجعل الشيخ غندوراً مدبراً له في مكان ابيه الشيخ سعد وفي

سنة ١٧٨٨ قضى الامير اسمعيل وهو في السجن وقيل ان ابن اخته الامير يوسف خنقه واخفى امره ثلثة اشهر حتى لا يغضب الجزار لانه كان قد اوصاه ان يبقي عليه ولما طال بالامير سيد احمد ضيق الحال لجأ الى زوج اخيه الامير يوسف بصليما فاسترضت الامير فرضي ورد له عقاراته وامره ان يقيم بيحمدون ولما سار الجزار الى دمشق لاستلام زمام الولاية عليها اخذ معه مدبر الامير الشيخ سعداً وجعله في القلعة حتى رجع هو من الحج فالتمس منه الشيخ ان يخلي سبيله لمرض عضال اصابه فاستجاب له وبعث به الى دياره مكرماً وقد خان الامير يوسف عهده الى ابناء الشيخ علي الصغير فسخا بهم حتى قتلوا بامر الجزار كما أنه خان وعده للامير بشير نجم ايضاً اذ بعث الى هذا الامير وهو فارٌّ من وجهه الى دمشق يعده بالامان ان هو عاد الى دير القمر فلما عاد قتله وقتل مدبره وسلب اموالهما ولم يكتف بذلك بل عاد وسمل عيني اخيه الامير سيد احمد وارسله الى عبيه. ولما كانت سنة ١٧٨٨ حصلت نفرة بين الامير والجزار بسبب امتناع الامير عن اداء بقية الضريبة التي كان قد عين مقدارها الف الف غرش كما ورد ذكر ذلك في مكانه فآل الامر بينهما الى المحاربة فحشد الجزار العساكر وسيرها الى خان حاصبيا وعليها مملوكه سليم باشا فخانه هذا المملوك وانضمت اليه بقية المماليك ووافقه على الخيانة سليمان باشا مملوك الجزار ايضاً وعامله على مدينة صيدا فزينت لهما نفساهما استلاب الولاية من يد الجزار فكتبا في ذلك الى جميع العمال فكان في جملة المكتوب اليهم الامير يوسف فسر هذا الامير بذلك وبعث اليهما يعدهما بشد ازرهما

فتماديا في الامر وغشيا عكاء برجالهما يحصرانها فدهمهما الجزار بجنوده
وبدد شمل اعدائه فلجا سليمان باشا الى دير القمر عند الامير يوسف
وعاد الجزار وقد علم وجوه المكيدة الى الانتقام من الامير فجهز عسكراً
وسيره لمحاربة الامير فقابله الامير بمثل ذلك ووقعت بين الفريقين عدة
من الوقائع كان النصر فيها في غالب الاحيان للجزار فضعفت عند ذلك
عزيمة الامير وكثر خذلان القوم له وجعل الجنبلاطيون ينقمون عليه
ويشيعون ذلك بين الناس وتوفي حينئذ الامير اسمعيل اللمعي والشيخ
كليب النكدي وهما من اركان قوته فرأى الامير بعد ذلك كله ان
يتنحى عن مقام الولاية فجمع اعيان البلاد ووجوهها وكاشفهم فيما نوى
ان يأتيه من التنازل عن الولاية لمن يقع اختيارهم عليه من الامراء الشهابيين
اللبنانيين فتشاوروا في ذلك بينهم ووقع اختيارهم على الامير بشير الكبير
ابن الامير قاسم عمرو . ولا شك في ان اختيارهم هذا دل على معرفتهم
لاحوال الرجال وتقديرهم الرجوليـة حق قدرها ، فان الامير الذي
اختاروه والياً عليهم لا يقرأ احد من العارفين المحققين والناظرين المدققين
سيرته ويتأمل اخلاقه ومآتيه في الحكم الا ويمتلىء قلبـه مهابة ووقاراً
واجلالاً له ويحسبه عنواناً للفضيلة وانموذجاً للطهارة والعفاف وقدوة
للعدل والانصاف وان كان في بعض مآتيه في الحكم ما لا يوافق ذوق اهل
هذا العصر فان لكل زمان دولة ورجالاً

. . . .



الامير بشير شهاب الكبير

لبنان

في عهد الامير بشير شهاب المشار اليه

وهو عهد محفوف بالحروب والمخاصمات والقتل وشن الغارة

الامير بشير شهاب الكبير ، هو الامير بشير عمر قاسم شهاب ، ولد هذا الامير في قصبة غزير في ٦ ك ٢ سنة ١٧٦٧ م ونصره ابوه الذي

كان تنصر قبله في السنة عينها ، وبما ان والدته تزوجت بعد وفاة ابيه فنشأ كما شاءت الظروف وبقيت اخلاقه بحسب الفطرة

ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره جاء بتدين مقر ذوي قرباه الادنين واخذ يتدخل في الشؤون تدخلاً دل على ذكائه ورغماً مما كان عليه من الجفاء الفطري كان يستميل الناس بحسن ادارته وكان على تقادم الايام ينمو هذا الحب في قلوب مواطنيه ولذلك اجمع اعيان البلاد على اختياره للولاية وارتاحت نفوسهم الى القاء مقاليدزمام امرهم اليه بعد ان تنحى عمه الامير يوسف عن مقام الولاية

وقد استحضره الامير يوسف اذ ذاك لديه وقال له : سر يا ابني الى الجزار وتقلد الولاية والبس خلعتها «١» ، فاجابه الامير بشير : انني اخاف ان اسير الى عكا وانا ابنك ثم ارجع منها وانا ابن الجزار

وسار الى عكا في شهر ايلول وعمره يومئذٍ لايتجاوز احدى وعشرين سنة فرحب به الجزار ودفع اليه زمام الولاية على جبل الشوف وكسروان وخلع عليه خلعتها ثم ارجعه معززاً بجنود من عنده يبلغون الف رجل من المغاربة والارناؤوط واوصاه بطرد الامير يوسف من البلاد

اما الامير بشير فلما سار الى دير القمر لاقاه الشيخ قاسم جانبلاط زعيم الفئة الجانبلاطية والشيخ عبد السلام العماد زعيم العمادية بفريق من ذوي قرباهما والمشايخ بنو نكد وبعض الوجوه والاعيان فعندئذٍ انتقل

«١» الخلعة هي فرو ام قبا كان يهبه الحاكم لمن يكون راضياً عنه وكانت في ذلك العهد بمثابة الوسام اليوم

الامير يوسف باصحابه الى عاليه فحماها فالمتين واذ ورد على الامير بشير من الجزار امر قاض باخراج الامير يوسف من جميع نطاق البلاد بعث الامير بشير الى الامير يوسف يخبره بذلك فخرج وذهب الى العاقورة ثم الى لحفد فسار الامير بشير في اثره الى لحفد اما الامير يوسف فلما رأى من الامير بشير ضغطاً شديداً عليه عزم على المقاومة فاستمال اليه الاشياخ الحمادية واشياخ جبه بشري فانضموا برجالهم الى عسكره وسار الكل الى وادي الميحان ليصدوا الامير بشيراً وعسكره عن التقدم فكمنوا في بطن الوادي حتى بلغتهم طليعة جيش الامير بشير فانقضوا عليها انقضاض الصواعق فقتلوا منها مائة رجل وولى الباقون الادبار . اما الامير بشير فحمل ببقية الجيش على اعدائه وسيفه بيده مسلول حملة الاسود فكسرهم كسرة عظيمة وقتل من زعمائهم الشيخ ابا دعيبس جانبلاط وشيخ اهدن الشيخ يوسف بولس الدويهي وعدداً كبيراً من الرجال فولى الامير يوسف بمن بقي معه الى اهدن وظل الامير بشير سائراً في طريقه الى لحفد وبعث بالرؤوس التي احتزها من رجال الامير يوسف الى الجزار فامده بالف فارس الى البترون وسار الامير يوسف من اهدن الى انحاء بعلبك ونزل في قرية طاريا ثم اقام باحدى قرى دمشق ورجع الامير بشير الى دير القمر وعنف اصحاب الامير يوسف وصادرهم باموالهم وقتل الجزار الشيخ محمد القاضي عند ما مثل لديه ليستعطفه على الامير يوسف مدفوعاً الى ذلك من الشيخ غندور الخوري ولما كانت سنة ١٧٨٩ بعث والي دمشق ابرهيم باشا الى والي طرابلس درويش حسن باشا ان

يولي الامير يوسف بلاد جبيل ففعل فكتب الامير بشير في ذلك الى الجزار فأمره بطرد الامير يوسف من بلاد جبيل وامده لذلك بعسكر من عنده ففر الامير يوسف الى الكرك ثم الى الزبدانة وجعل فارس الشدياق مدبراً له بدلاً من الشيخ غندور الذي كان قد فرّ هارباً الى الضنية من وجه الامير بشير واختبأ في احدى قراها ثم ارسل الامير يوسف مدبره الجديد الى دمشق وكيلاً عنهُ وذهب هو الى حوران ثم كتب من هناك الى الجزار يلتمس منه الامان ويستأذنه في المثول لديه بعكاء فورد جواب الجزار وقد دعاه به الى عكا فذهب في جماعته ومعه اخوه الامير حيدر ومثل بين يدي الجزار وفي عنقه منديل الامان فاكرمه الجزار وانزله عنده خمسة اشهر ثم ترافقا على ان يكون الامير يوسف والياً على ان يؤدي الى الجزار ضريبة قدرها ستماية الف غرش كل سنة ويبقي الشيخ غندور مدبر الامير رهناً على مبلغ الضريبة فبعث الامير يوسف الى الشيخ يستقدمه اليه فلما مثل لدي الجزار كرمه ورحب به وما حلت سنة ١٧٩٠ الاّ والامير يوسف عليه خلعة الولاية فكتب الشيخ غندور الى ارباب المناصب في البلاد يخبرهم بذلك فسروا وفرح الناس بهذا الخبر لان الامير بشيراً كان ضارباً عليهم من المال ما هو فوق طاقتهم وخرج الامير بشير من دير القمر الى نيحا غير باقٍ له من الانصار الا الشيخ قاسم جانبلاط وقدم لداير الامير سيد احمد ملحم والامير قعدان محمد نائبين عن الامير يوسف وقدمها كذلك بعض ارباب المناصب يترقبون قدوم الامير يوسف اليها وبعض منهم سار الى ملاقاة هذا الامير · غير ان

الامير بشيراً تلافى الامر وسار الى الجزار قابلاً بقدر الزيادة من الضريبة التي تعهد بها الامير يوسف وعرض ذلك على الجزار فوعده بالولاية لان الجزار كان اشد ميلاً الى الامير بشير منه الى الامير يوسف فكان هذا الميل مرجحاً كفة الميزان الى جانب الامير بشير متى تساوى مقدارا الضريبة المعروضان فخلع الجزار على الامير بشير خلعة الولاية وامر بحبس الامير يوسف واخيه الامير حيدر ومن كان مع الامير يوسف من الوجوه وسلب تابعيه خيلهم وسلاحهم ثم اطلق سبيل الامير حيدر والامير حسين بناءً على شفاعة الامير بشير في امرهما واما الامير بشير فسار بالعسكر في الحال ومعه الاميران الى دير القمر فالتقى بطريقه بالآتين لملاقاة الامير يوسف فامر فيهم فاعتقلوا وسلبت منهم اسلحتهم وخيولهم

ولما احس الامير سيداحمد والامير قعدان نائبا الامير يوسف بقدوم الامير بشير فرّا من دير القمر ببعض من اهل حزب الامير يوسف ولما بلغ الامير بشير الدير القى القبض على البعض الاخر من اهل هذا الحزب وسجنهم وسير جباة يجبون الاموال زائدة عن اصلها فولى بعض الناس الى حوران فاسترجعهم الامير بالقوة والعنف ثم جمع الاموال وارسلها الى الجزار وحدث في تلك السنه ان توفي الامير محمد اللمعي فضم مأتمه الامراء من ذوي قربى الفقيد والوجوه ومن تابعهم فدار الحديث بينهم في قسوة الامير فتآمروا عليه واتفقوا على تمهيد السبيل لان يكون الامير حيدر ملحم وابن اخيه الامير قعدان على الولاية بدلاً منه وتحالفوا على ذلك وكاشفوا فيه سراة البلاد ووجوهها فوافقهم كثيرون عليه فطردوا

جباة الامير بشير فعند ذلك جمع الامير بشير من آنس منهم ميلاً اليه من ارباب المناصب وحشد رجاله ورجالهم ثم زحف بهم الى عين داره يريد ان يقهر المتنبين ارباب تلك الثورة ووجه الامير حيدر احمد في خمسين رجلاً الى كفرسلوان وامره في بني حاطوم من الدروز ان يحرق منازلهم لانهم كانوا جمرة تلك الثورة فسار هذا الامير حتى بلغ كفرسلوان فطلع عليه اهلها وقد انضم اليهم من استصرخوهم من اهل المتن فاستعرت نيران الحرب بين الفريقين فارتد الامير حيدر الى عين داره حيث تربص الامير بشير بالعسكر المتني في حمانا وانضم الامير حيدر ملحم الى ابن اخيه الامير غمدان بعبيه فاجتمع اليهما بعض من اشياخ العماديه والنكدية فلما درى الامير بذلك برح عين دارة وولى راجعاً الى دير القمر وفي قلبه خوف ان يسبقه اليها اعدائه ثم بعث الى الجزار يخبره ان تلك الثورة من ثمرات دسائس الامير يوسف ويلتمس منه ان يمده بعسكر يقوى به على قهر الثائرين اما الجزار فلما وصله كتاب الامير بشير وعلم ما به من الشكوى من دسائس الامير يوسف غضب عليه وكتب وهو بالمزاريب من طريقه الى الحج الى نائبه بعكا يامره بقتله وقتل مدبره شنقاً ولكنه ما لبث ان ندم بعد الصحو من سورة الغضب فبعث حالاً الى نائبه يبطل الامر الاول فبلغ الامر الثاني النائب قبل ان ان ينفذ الامر الاول فستره النائب مغرى على ذلك من ابن السكروج لحقد في قلب هذا على مدبر الامير الشيخ غندور الخوري وانفذ الامر الاول فقاد الاثنين الى المشنقة اما الامير فعلق ومات واما الشيخ فمات خوفاً قبل ان يعلق

مات الامير يوسف تلك الميتة وعمره اربعون سنة ومدة ولايته سبع وعشرون سنة تسع سنين منها قضاها واليًا على جبيل والمدة الباقية واليـًا بدير القمر ولما رجع الجزار اسف على الامير يوسف واذ تحقق خيانة ابن السكروج قتله وسلب امواله ثم كتب الى الثغور يامر عمـالها ان ينيلوا الامير بشيرًا حاجاته ويمنعوا عن لبنان الاقوات وبعث الى متسلم دمشق (عاملها) ان يعد عسكرًا لمساعدة الامير ووجه الامير اسعد عامل حاصبيا في عسكر الى البقاع فانضم اليه اخو الامير بشير الامير حسن منفذًا من اخيه لمساعدة الامير اسعد فلما بلغ المتنيين زحف الامير اسعد الى البقاع قاموا لمحاربته فحدثت بينهما وقائع كثيرة واتسع حينئذٍ نطاق العصيان على الامير بشير حتى شمل اهل الغرب والشحار والجرد واهل دير القمر فسطوا على المغاربة من رجال الامير وقتلوا منهم خمسة عشر رجلاً فكبر ذلك على الامير واوجس خيفةً من تفاقم العصيان فسار بالمغاربة عسكره ومعه الشيوخ الجانبلاطية الى صيداء وبعث الى الجزار يكشف له واقع الحال فارسل الجزار الى الارناؤوط النازلين بضواحي بيروت ان يرجعوا الى صيدا فرجعوا ولما بلغوا السعديات من طريقهم طلع عليهم النكدية من مكانهم هنـالك واصلوهم نارًا حامية وقتلوا منهم مايتي رجـل وغنموا اسلابهم .

ثم اتفق ارباب المناصب في البلاد ان يستسفروا الشيخ قاسم جانبلاط لدى الامير بشير في الصلح على ان يدفعوا الى الامير خمسماية الف غرش ويصرف عنهم العساكر ويعود هو الى الولاية كما كان فلم يركن

الامير الى ذلك وآثر الحرب فاثارها ودارت الدوائر على رجاله ولاسيما الارناووط منهم فقد قتل منهم اربعماية ومن اللبنانيين اثنان فقط ولما كان الجزار قد آن اوان مسيره للحج استرجع العساكر فرجع بعضها الى صيدا وبعضها الى عكا ورجع عامل حاصبيا الامير اسعد اليها واما الامير بشير فرجع من بيروت بخمسماية فارس والفي راجل الى صيدا بحراً لانه قد اتصل به ان اللبنانيين قطعوا عليه طريق البر عند الدامور فامر الجزار الامير ان يتربص بجماعته في صيدا حتى يعود من الحج وكان في جماعة الامير اخوه الامير حسن والامير اسعد يونس والامير حيدر احمد والامير مراد اللمعي والشيخ قاسم والشيخ خطار الجانبلاطيان . اما الشيخ قاسم جانبلاط فلم يلبث ان خرج من صيدا الى الجبل تلبية لدعوة من دعاه من ذوي قرباه واما ما كان من امر الامير حيدر ملحم والامير قعدان فانهما توجها الى دير القمر حيث استقدما اليهما ارباب المناصب في البلاد وتداولا معهم فاستقر راي الجمهور ان يقاوموا الجزار ان اصر على تولية الامير بشير عليهم فلما رجع الجزار كتبوا اليه وهو بدمشق انهم قوم يلتمسون رضاه عنهم ويخفضون له جناح الطاعة ولكن لا يرضون بولاية الامير بشير عليهم لظلمه اياهم ولا يقومون من الاموال الاميرية الا باداء القدر المضروب قديماً ثم يلتمسون منه ان ينعم بخلعة الولاية عليهم على الامير حيدر ملحم وابن اخيه الامير قعدان فلم يعرهم الجزار اذناً واعية وانعم بخلعة الولاية على الامير بشير وكان هذا الامير لما بلغه خبر قدومه من الحج ترك الامراء ذوي قرباه بصيداء وسار ومعه الامير مراد اللمعي

والشيخ خطار جانبلاط للقائه عند صحراء المزاريب في منزلة الرمتا وصحبه الى دمشق حيث انعم عليه بالخلعة وعززه بعسكر كبير فسار الامير بالعسكر الى حاصبيا حيث وافاه اخوه الامير حسن والامير اسعد فابقى الامير اسعد بحاصبيا وابقى له الارناووط لخفارتها والذود عنها وسار هو باخيه في بقية العسكر الى صيدا ثم انتقل منها الى علمان. ولما احس اللبنانيون بقدومه سيروا عسكراً من الشوف الى حاصبيا لاخراج الارناووط منها فلما بلغها هجم على الارناووط فاضطروهم ان يتحصنوا في السراي من البلدة فرجع العسكر عنها الى البلاد ولم يبقَ منه الا خمسماية رجل اقاموا على حصار الاعداء وقد اشتد الضيق بالمحصورين حتى انهم سالوا اللبنانيين ان يبيحوا لهم الخروج من المعقل بالسلاح والمتاع فابوا ذلك عليهم وما زالوا بهم حتى اقبل الامير بشير برجاله على حاصبيا فاضطروا عندئذٍ ان يولوا عنهم لمقاتلة الامير فاصلوه ناراً حامية وكسروا عسكره فولى منهزماً الى المحلة المعروفة بالخان فخرج المحصورون وساروا في اثر اللبنانيين والامير اختار فريقاً من فرسان عسكره المهزوم وانكفأ عليهم من جهة اخرى فانتصر عليهم بعد قتال شديد اذ فقد من الخمسماية في تلك المعركة ماية وثمانية عشر رجلاً ثم كتب الامير الى الجزار يبشره بذلك الانتصار وسار بعسكره الى البقاع فبعث اليه الجزار ان يرجع بعسكره الى صيدا حتى يسير منها الى اقليم الخروب ويفتتح محاربة الجبل من هناك لقرب موارد الامداد فرجع الامير وسار بحسب امر الجزار في العسكر الى اقليم الخروب وكان عدده اثني عشر الف مقاتل فعسكر بعض منه في عانوت ووجه

البعض الاخر الى داريا وشحيم واما الامير حيدر و الامير قعدان فعسكرا برجالهما في عين بال و بعقلين ووقعت بين الفريقين عدة وقائع في وادي نهر الحمام من الجاهلية الى عين بال كان الحرب فيها سجالاً ثم اجمع الاميران وارباب المناصب على البطش بعسكر الامير بشير البطشة الكبرى بان يهجموا عليه جميعاً دفعة واحدة ولكن حدث من الشيخ قاسم جانبلاط ما راب الاميرين من خيانة رجالهما فهما لذلك بان يفرّا ولكن النكدية دبروا لعسكر الامير بشير مكيدة على يد رجل شجاع اسمه حنا يدر من كرخا من قرى اقليم الخروب انتصروا بها انتصاراً كبيراً اذ فتك هذا الرجل ومعه خمسماية مقاتل في عسكر الامير بشحيم فتكاً ذريعاً كاد يلحق الفشل بسائر العسكر لو لم يكن الامير بشير اضطراب قومه ويثبت جاشهم فتشددت بذلك الانتصار عزايم الاميرين وعسكرهما ودامت الحرب بين الفريقين حتى وافى قوم الامير من عساكر الجزار العسكر الذي جاء شرقاً من انحاء البقاع وكان قد قتل منه عدد كبير في ما جرى له من الوقائع مع الامير جهجاه الحرفوشي واهل زحلة وكانت الغلبة في ذلك للامير جهجاه والزحليين فحينئذٍ انتصرت عساكر الامير بشير على عساكر الاميرين حيدر وقعدان فعند ذلك ارسل ارباب المناصب الى الجزار يسترضونه و يلتمسون منه ان يولي عليهم الاميرين المذكورين على انهم يقومون باداء الاموال الاميرية على حسب المعتاد اربعة الاف كيس منجمة على ست سنين فاجابهم الجزار الى طلبهم وولى الاميرين المشار اليهما وامر باعتقال الامير بشير في صيدا و اخيه الامير حسن في بيروت وابطل منع الاقوات عن

الجبل ثم مضى الحج اما الاميران فارسلا في غيابه المجموع من الاموال الاميرية الى قائمقام دمشق واستحصلا من والي طرابلس على ولاية بلاد جبيل فسارا الى جبيل لجمع الاموال الاميرية وقد زادا في القدر المضروب من المال نصفه وفي مقدار الجزية غرشين وحاسبا وكيل الامير بشير على ما بيده من المال المقبوض واخذاه منه ثم قتلاه شنقاً

وفي سنة ١٧٩٢ وقعت فتنة بين الاميرين حيدر وقعدان وبين الشيخ بشير جانبلاط وقد تشيع لهذا الشيخ بعض الامراء اللمعيين فخشي الاميران ان يكون ذلك بدسيسة من الامير بشير ليخلعهما من الولاية ويتبوأ مكانهما فتلافيا الامر بالملاينة والموادعة حتى جرت المصالحة بين الاميرين الواليين وبين خصومهما وحدث حينئذٍ ان جرجس باز مدبر ابناء الامير يوسف الامير حسين والامير سعد الدين والامير سليم وهو رجل ماروني من دير القمر كان على جانب كبير من سعة الادراك سامي المكانة نافذ الكلمة التمس من الاميرين الواليين ان يوافقاه على ان تكون ولاية بلاد جبيل للامراء ابناء الامير يوسف على ان يدفع كل عام خمسة وسبعين الف غرش فوافقاه على ذلك فبعث يلتمس من والي طرابلس خلعة ولاية بلاد جبيل لمواليه فاستجيب التماسه وجعل هذا المدبر يمهد القلوب لمحبة مواليه ويستميل الانفس الى موالاتهم بكثرة البذل والسخاء ثم استحصل لهم من الجزار على ولاية جبل الشوف وذلك برضى الاميرين حيدر ملحم وقعدان اللذين كانا يعاونانهم في اوقات الاضطراب والفتنة حتى انهما كتبا الى الجزار يخبرانه ان ما كان يقع من الاضطراب انما كان

بدسيسة من الامير بشير واخيه الامير حسن فاستحضر الجزار الامير بشيراً واخاه الى عكاء ثم وجههما الى الناصرة ومضى في سبيله للحج فاستقر الامير حسين يوسف بدير القمر واخوه الامير سعد الدين بجبيل وكان الامير سليم اخوهما لم يزل حديث السن ولكن لما آب الجزار من الحج عاد الامير بشير ففاز منه بخلع ابني الامير يوسف وتوليته عليها بدلاً منهما وقد حدث في سبيل استوائه عليها مقاومات وجرت له مواقع مع خصومه قهرهم فيها ثم عفا عن الامير حيدر ملحم وعن الامير قعدان وتعقب ابناء الامير يوسف ولكن لم يستتم له الامر في الولاية اذ وشى فيه لدى الجزار وشاية افضت الى خلعه من الولاية واسترجاع الامير حسين والياً بدير القمر والامير سعد الدين بجبيل واذ حدثت فتنة بعد عودتهما الى الولاية وعزي السبب فيها الى الامير بشير سجن الجزار الامير بشيراً واخاه بعكاء واعتقل الشيخ بشير قاسم جانبلاط وفارس ناصيف مدبر الامير وفي سنة ١٢٠٠ ه ارجع الجزار عند ايابه من الحج الولاية الى الامير بشير بعدان تعهد له ان يدفع اليه ثلثمابة الف غرش منجمة على ست عشرة سنة وكان الشيخ بشير قاسم نافذ الكلمة عند الامير مقبول الرأي فجرت للامير عدة وقائع مع ابني الامير يوسف كان النصر له فيها وقد تعقب الاميرين ابني الامير يوسف الى حد طرابلس حيث نزلا على متسلمها (عاملها) فاضل اغا رعد وقد مهد الشيخ بشير لبني الدحداح عند الامير سبيل الرضى عنهم وربما كان ذلك بسعي مدبره الشيخ بشير سلوم الدحداح فجعلهم الامير كتبة عنده وعند اخيه وقد عفى الامير عن كثير

ممن جهروا بالمناوأة له وذلك بشفاعة الشيخ بشير لديه الا المشايخ آل نكدفانه سنة ١٨٠٦ وافق آل جنبلاط وعماد على قتلهم وطلبوهم بالحيلة الى سراي دير القمر فاتى منهم الشيخ بشير واخوته واكد وسيد احمد وقاسم ومراد ولما دخلوا القاعة قتلوهم جميعاً ثم ارسلوا من نهب بيوتهم وقضى على الفارين منهم · ولما عاد والي طرابلس خليل باشا من الحج ووقف على ما جري في غيابه بين الامير بشير وابناء الامير يوسف خلع على الامير سليم خلعة ولاية بلاد جبيل وعززه بعسكر الى البترون فوقعت بينه وبين الامير بشير حروب كان النصر فيها للامير بشير وكان خليل باشا يعزز الامير سليماً بالعساكر من جيش الجزار ولكن الغلبة كانت في غالب الاحيان للامير بشير ومع ذلك كله فلم يستقر له الامر لان ابواب الفتنة كانت دائماً مفتوحة واسباب الوشاية موجودة والمنافسة بين انداد الولاية في الجبل لدى الجزار في استرضائه زيادة الضريبة جارية في مجراها فقيل للجزار عن الامير بشير انه ذو ميل الى الفرنساويين الذين كانوا حينئذٍ في مصر يتولى امرهم نابوليون بونابرت الشهير وكان في عزم ولي امرهم هذا ان يغشى الديار السورية برجاله فمال الجزار الى خلع الامير بشير وتولية ابناء الامير يوسف بدلاً منه وجهز لهؤلاء الامراء عسكراً يمكنهم من استلام زمام الولاية ولكن عاد فوقف عن انفاذ ارادته ولما كانت سنة ١٧٩٩ ظهر بونابرت بعسكره عند عكا يريد فتحها وهو واثق انها باب لسوريا فزحف اليها براً وكان عسكره لا يزيد عن ثمانية الاف مقاتل وقدمت حينئذٍ سفن الانكليز الى تلك المدينة تبغي

وقايتها من الفرنساويين فجعل الجزار يتأهب للمدافعة وبعث الى الامير يستنجده بعسكر من لبنان فاجابه ان اللبنانيين لا ينقادون له ما داموا عالمين بان الولاية عليهم قد دفعت الى يد ابناء الامير يوسف فغضب الجزار من هذا الجواب . ولكن الامير كما امتنع عن نجدة الجزار امتنع كذلك عن نجدة بونابرت اذ كتب اليه بونابرت يستنجده واهداه بندقية جميلة الصنع فلم يجبه فكتب اليه ثانية يعاتبه على الامساك عن الجواب فوقع الكتاب هذه المرة في يد متسلم صيدا فبعث به في الحال الى الجزار فلما رآه الجزار خفض من غضبه على الامير وكتب اليه ايضاً يسأله ان يرسل اليه عسكراً فاجابه ايضاً ان ذلك غير متأتٍ له . اما بونابرت فانه لم يفلح في تلك الحملة ورجع في ٢٠ ايار سنة ١٧٩٩ قائلاً لو تمكنت من فتح عكا لفتحت الدنيا ولا ريب في انه كان لانكلترة يد قوية في احباط مساعي بونابرت شأنها في كل زمان . ثم مهد الامير لنفسه سبيل المصادقة مع امير السفن الانكليزية سميث فجرت المودة بينهما ووعده سميث ان يزيل من قلب الجزار ما كمن من النفرة منه ولكن لم يتيسر له ذلك فان الجزار بعد سفر الاسطول الانكليزي من عكا عزم على تولية ابني الامير يوسف بدلاً من الامير بشير فجعل الامير يلتمس الطرق لتعزيز نفسه في الولاية وكاشف في ذلك ارباب المناصب ولاسيما صديقه الشيخ بشير جانبلاط واتفق حينئذٍ ان الصدر الاعظم يوسف باشا ضيا قدم الى الديار السورية فبذل الامير ما في وسعه لاسترضاء هذا الصدر واستمالته اليه فمال الصدر اليه وانعم عليه بخلع الولاية على جبل لبنان .

ووادي التيم و بلاد بعلبك والبقاع و بلاد المتاولة على ان يبقى واليًا بامر الدولة ابدًا وان لا يكون لاحد من الوزراء سلطة عليه وان يكون توريد الاموال الاميرية من يده الى خزانة الدولة مباشرة ولكن مع ذلك لم يستقر له الامر ومع انه كان معضدًا من الصدر الاعظم ووزراء الدولة لم يقوَ على احتمال مقاومة الجزار له على يد ابناء الامير يوسف فاضطر لذلك ان يخرج من لبنان وذهب بعد وقائع جرت بينه و بين ابناء الامير يوسف معززين من الجزار الى الاسكندرية على سفينة خصوصية بعث بها اليه سميث الانكليزي وخلا الجو حينئذٍ لابناء الامير يوسف ولما وصل الامير بشير الى الاسكندرية اكرمه سميث وخرج الامير مع سميث الى البر لمقابلة الصدر الاعظم حيث كان معسكرًا بجنوده فرحب الصدر بالامير وطيب خاطره ووعده بقضاء حاجته وكان سميث يطنب بالامير لدى الصدر و يظهر صدق خدمته للدولة و لما انعقد الصلح بين الفرنساو بين والصدر الاعظم على ان الفرنساويين يرجعون الى ديارهم غادر الامير الديار المصرية مع سميث واتى الى قبرس وقد مرّ في طريقه اليها ببيروت فعلم من قنصل الانكليز بها شيء مما جرى في لبنان في غيابه ولما وصل الى قبرس ساعده سميث بالمال و بقي الامير هناك نصف سنة وكانت ترد اليه الكتب الخطيرة الشأن وهو يطلع سميث عليها ثم رجع الامير ثانية مع سميث الى الاسكندرية ومن ثم رجع الى سوريا فخرج من البحر الى النهر البارد عند طرابلس ثم سار الى الحصن ونزل على علي بك الاسعد وجعلت الكتب ترد عليه سرًا من جميع ارباب المناصب. الا العماديين

وكان اللبنانيون قد سئمت نفوسهم من حكومة الاميرين ابني الامير يوسف وكثرة مظالمهما في استحصال الاموال استرضاء للجزار ومالوا الى الامير بشير كما كانت عادتهم في ما مضى من اتخاذ انداد للوالي عليهم كما رزحوا تحت اعباء الضرائب الفادحة والسبب في ذلك كله هو لا شك ظلم الجزار الذي لم يكن يرضيه الامن كان يشتري رضاه بثمن فاحش · وقد عتا الجزار الى حد انه قاوم وزراء الدولة ·

ولما احس الامير ان اللبنانيين مائلون اليه تغلغل في بلادهم وجعل يمهد لنفسه سبيل العود الى الولاية فبلغ مرامه بعد وقائع كثيرة جرت بين رجاله ورجال مشايعيه و بين الاميرين ابني الامير يوسف وجنودهما من عساكر الجزار ثم اتفق الامير بشير مع نديه الامير حسين والامير سعد الدين ومدبرهما جرجس باز على ان تكون الولاية العامة للامير بشير وان يكون الاميران واليين على بلاد جبيل وكتبت في ذلك وثيقة وجرت المصالحة بين الفريقين فلما علم الجزار بذلك الاتفاق امتلا قلبه غيظاً وحنقاً حتى انه لما التمس منه العماديون في سنة ١٨٠١ ان تكون الولاية للامير عباس اسعد اجاب التماسهم ولكن عارضهم في ذلك سعي الشيخ بشير ان تكون الولاية للامير سلمان ابن الامير سيد احمد واتفق مع الامير قعدان على ذلك فكتبا الى الجزار يلتمسان منه الولاية للامير سلمان على ان يدفعا اليه مائتين وخمسين ألف غرش ولكن عند ما بلغ العماديين ذلك ذهبوا بالامير عباس الى الجزار بعكاء وفازوا منه بالولاية لزعيمهم الامير عباس ثم جرت الوقائع بين هذا الامير و بين الامير سلمان والامير قعدان ولم يلبث الامير

بشير ان ظهر في مظهر القوة وقهر جمع اعدائه فلما يئس العماديون من فوز الامير عباس عادوا يلتمسون الولاية للامير سلمان سيد احمد ولكنهم لم يظفروا ببغيتهم لان الامير بشير كان قد انتصر على جميع خصومه انتصاراً بيناً واتفق جميع وجوه البلاد وارباب المناصب فيها على ان يكون الامير بشير والياً عليها دون غيره وكتبوا الى الجزار يلتمسون ذلك منه ويخبرونه ان العماديين مرادهم اضاعة الاموال الاميرية واما الامير بشير فلم يحسب ان ذلك الانتصار يغنيه عن رضا الجزار شيئاً فرأى من الحكمة استرضائه ليستقر له امر الولاية فاستشفع احد الباشاوات في امره لديه وكتب له كتاباً في ذلك فاطلع الباشا الجزار على الكتاب فلان الجزار وطلب ان يرسل الامير من يعتمد عليه من بطانته فارسل الامير كاتبه الشيخ يوسف الدحداح فلما مثل هذا الكاتب بين يدي الجزار اخذ الجزار يذكر ما عدّه على الامير من السقطات فقال اين الامير والفرنساويون واين هو وسميث الانكليزي واين هو والصدر الاعظم فقد ذهب اتكاله عليهم سدى وفاته ان سعد الجزار يغلب كل شيء ولكن لا بأس على الامير فقد تجاوزت له عن كل الامور الماضية وليكن واثقاً انه ينال مني ما يرضيه و بعد ان كتب الجزار الى الامير كتاباً يطيب به نفسه بعث اليه بخلعة الولاية على البلاد الاّ اقليم الخروب وبرجا منها ·

وفي سنة ١٨٠٤ توفي الجزار (لا رحمه الله) وقد ارّخ موته المعلم الياس اده بابيات منها :

« لله درك يامنون فقد بدت منك الحياة وطاب حكمك واعتدل »

« فاز الانام وارخوه بمقصدٍ هلك الشقي والى جهنم قد رحل »

واختلس الولاية اسمعيل باشا الذي كان قد سجنه الجزار في سجنه واما الامير بشير فلم يعترف بولاية الباشا وكتب الى نائب الجزار في دمشق يقول له انني لا انقاد الا الى اوامر من تنصبه دولتنا العلية واليًا في موضع الجزار وولاية اسمعيل باشا هذا هي بدون امر من لدنها فارسل النائب ذلك الكتاب الى اسلامبول فكان من نتيجته ان مهد للامير فيها مكانة عزيزة وحدث يومئذٍ ان وزير حلب ابراهيم باشا قدم من حلب الى دمشق وبعث الى الامير بصورة كتاب الارادة الصادرة بنصبه عوضاً عن الجزار واليًا على صيدا ودمشق وطرابلس فوجه الامير جرجس باز الى دمشق مستنابًا عنه في اداء الطاعة فاكرمه الوزير واحتفى به كثيراً واتخذه مستشاراً له في كثير من المهمات فكان جرجس نافذ الكلمة عنده وكان الامير يستقضي كثيراً من الحاجات على يده وورد على الامير حينئذٍ امر من السلطان سليم في النهوض لمساعدة ابراهيم باشا على طرد اسمعيل باشا من عكاء وكتاب من الصدر الاعظم يوسف باشا ضيا يقول له فيه علمت ان اسمعيل باشا استنهضك لمساعدته مدعيًا انه كتب الى الدولة يلتمس منصب صيدا فابيت وقد وقفت على كتابك الذي ارسلته الى نائب دمشق وعلمت منه انك لا تطيع الا من توليه الدولة العلية وانك محافظ على المدن وابناء السبيل فطب نفساً بما فزت به من رضى الدولة عنك فلسوف تنيلك ما تبغيه فسلك الامير بحسبما امر به فاستقام له الامر وقتل اسمعيل باشا وتولى عوضاً عنه سليمان باشا فكتب له الامير وهناه بالولاية . واما جرجس باز

فقد بلغ مكانة سامية من النفوذ والوجاهة حتي كثر حاسدوه من ارباب المناصب واوغرت الصدور من نفوذه ولاسيما صدر الامير حسن اخي الامير بشير فاضمر الامير حسن لجرجس ولاخيه عبد الاحد الشر والتمس سبيلاً عليهما لدى الامير اخيه متواطئاً في ذلك مع بعض اليزبكية من ارباب المناصب فانخدع الامير وقبل بالمكيدة التي دبرت لقتل الاخوين جرجس وعبد الاحد في يوم واحد مع ان جرجس كان مخلصاً للامير ساهراً عليه من كل اذى كان يضمره له اعداؤه وكان ميعاد قتلهما خامس عشر ايار سنة ١٨٠٧ اما عبد الاحد فقتل في جبيل واما جرجس فقتل في دير القمر ولم يكتف الامير بشير بذلك بل سمل عيون الامراء ابناء الامير يوسف وجعلهم تحت المراقبة والسيطرة وحظر عليهم الزواج وقد اتى ذلك كله باتفاق مع الشيخ بشير ليخلو له الجو من الانداد ولاشك انه معدود عليه من افظع الامور وفي سنة ١٨٠٨ توفي الامير حسن اخو الامير بشير بجبيل فانتقلت ولاية بلاد جبيل الى الامير قاسم ابن الامير بشير . وفي تلك السنة هجم يوسف باشا والي دمشق على مصطفى آغا بربر متسلم طرابلس وطلب من الامير بشير ان ينجده فابى ولكنه ساعده على كسر شوكة الوهابيين ثم انه ساعد الدولة على طرد يوسف باشا هذا من دمشق لانه تمنع عن تسليم الولاية . وفي سنة ١٨١٠ حدث ان اميراً من امراء العرب وهو الامير عبدالله بن مسعود الوهابي التميمي قدم برجاله من الحجاز الى حوران فخيف على دمشق منه فخرج واليها يوسف باشا الى المزاريب لصده وقد كتب الى وزير عكاء سليمان باشا يسأله النجدة وكتب

سليمان باشا الى الامير بشير يستنجده للذود عن دمشق وكلاهما ذهب برجاله اصد العربان الوهابيين فرجعوا عن تلك الديار واذ استقر بال سليمان باشا بزوال تلك النازلة خلا بالامير واسرَّ اليه امراً سلطانياً مؤذناً له بالولاية على دمشق واستشاره في ذلك وابدى له ريبته من تحقق امانيه لان يوسف باشا والي دمشق يومئذٍ كان مقتدراً بالرجال والمال فاجابه الامير انه ورجاله يقاتلون في سبيل تحقيق اماني الوزير حتى يبلغوه مرامه فاشتد عزم سليمان باشا وطلب الولاية فنالها على يد الامير بعد حرب لم يطل امرها ولما تبوأ كرسي الولاية اكرم الامير فثبت ابنه الامير قاسماً في ولاية بلاد جبيل وولى ابنه الآخر الامير خليل البقاع لان الامراء آل حرفوش اختلفوا على الولاية وبهذه المساعدة احرز مكانة عند الدولة ·

وفي سنة ١٨١١ بعث الامير بفارس الشدياق وبعث الشيخ بشير جانبلاط برجل من الدروز معه يقال له حسون ورد الى الجبل الاعلى عند حلب لانقاذ فريق من الدروز هنالك من يد اعدائهم ومن ظلم والي حلب معززين بكتب الى بعض الكبراء في تلك الانحاء ليمدوا لهم يد المساعدة فقضيت الحاجة واتي بتلك الجماعة الى لبنان وكان عددهم اربعماية بيت فاعطاهم الامير ماية الف غرش واقرهم متفرقين في مقاطعات ارباب المناصب من الدروز وفي البقاع الشمالي · وفي سنة ١٨١٣ اتخذ الامير بشير معلماً لولاده رجلاً فاضلاً من حمص يقال له بطرس كرامه وجعله بعد ذلك كاتباً اولاً ثم مدبراً له وكان الرجل عالماً نحوياً شاعراً فصيحاً وبالجملة فان الامير بشيراً كان هادئ البال في جميع المدة التي كان مرجعه فيها الى سليمان

باشا لان سليمان باشا كان يوده كثيراً ولم تتكدر كأس الامير الا في اواخر مدة هذا الوزير ولكن الكدر لم يجيء من صوب الوزير بل كان بسبب حادثة جرت بين الامراء الشهابيين انفسهم و بدا فيها من الشيخ بشير جانبلاط بعض الخيانة للامير . واما الشيخ بشير فبات في خوف من الامير بشير لان الامير عرف بدسائسه وسعى جهده ان يبرىء ساحته لديه فامنه ولكن قلبه مفعم من الحقد عليه ومن الميل الى تقوية اليزبكية للاستعانة بهم عليه وقد احس الشيخ شرف الدين القاضي الدرزي يومئذ ان الامير يكره الشيخ بشيراً و يود اتفاق النكدية (١) واليزبكية فسعى لذلك سراً ووقف بينهم على ان يكونوا مع الشيخ علي العماد زعيم اليزبكية يداً واحدة مع الامير ضد الشيخ ولكن ظروف الحال ابت ان يتم ذلك حينئذ لان المنية انشبت اظفارها في وزير عكاء سليمان باشا سند الامير وركنه الاعظم سنة ١٨١٩ فخشي الامير فيما يظهر ان يأتي امراً خطيراً مثل ذلك حينئذ وهو على ريب من عواقبه فاضطر لذلك ملافاة الامور في مجراها وتسكين الاحوال بقدر الامكان حتى يتبين ما عساه ان يكون من امره مع الوالي الجديد عبدالله باشا الخزنه دار الذي خلف سليمان باشا بعكاء ومن اجل ذلك فانه لما اطلع الشيخ بشير على دخيلة الامر وسعى عند الامير لعزل الشيخ شرف الدين عن القضاء وللضغط على اليزبكية استجاب له وولى القضاء مسلماً من برجا من اقليم الخروب يقال له احمد البزري وضايق اليزبكية حتى فروا الى البقاع ولحق

(١) النكدية حزب قائم براسه بلبنان فليسوا من الحزب الجنبلاطي ولا من الحزب النكدي

بهم الشيخ حمود والشيخ ناصيف النكديان ولبثوا مدة بين دمشق وانحائها وقد جرت لهم وقعة مع الامير امين ابن الامير بشير اذ ارسله ابوه ليبطش بهم و يقصيهم عن البلاد فبدت منهم بسالة شديدة ومع قلة عددهم كسروا عسكر الامير امين على كثرة عدده وجعلوا يترقبون الفرصة لقهر الامير حتى بدت لهم وذلك بسبب نفرة وقعت بين عبدالله باشا والامير اذ تعذر الامير عن القيام باداء كل ما كان يطلبه منه الباشا من الاموال مما اضطر الامير اخيراً الى اعتزال الولاية ولما احس آليز بكية بذلك طرقوا ابواب عكاء ففتحت لهم وسعوا لدى وزيرها ان تكون الولاية للاميرحسن علي والامير سلمان سيد احمد فكان ذلك وارسل الوزير الى الاميرين الشيخ محموداً الدسوقي ليعيدهما الى الاسلام واما الامير بشير فرحل من لبنان ولبث شهراً ونيف حتى مهد له درويش باشا وزير الشام يومئذٍ سبيل الرضى عنه من عبدالله باشا فاذن له ان يأتي الى جزين من لبنان فدخلها هو والشيخ بشير وكان الوزير قد وعده برده الى الولاية ولكن بعد ان يجمع الاميران اللذان ولاهما الباشا الاموال المطلوبة منها و يبدو منهما شيء ينفتح به السبيل الى خلعهما ولم يلبث الامير بشير ان تظاهر الناس بالميل اليه وعصوا الاميرين فعجزا عن تحصيل الاموال ثم خشي بأسه اليز بكية فالتمسوا سبيلاً الى استرضائه فجرت مصالحة واتفقت جميع الاحزاب على تولية الامير بشير واجتمعت جميع القلوب على ولائه فآل الامر الى توليته ولكن الاميرين سلمان سيد احمد وحسن علي كانا يترقبان فرصة لاثارة الفتنة حتى بدت لهما عند جمع

الاموال الاميرية فاثاروا عامة الناس في الجهة الجنوبية من لبنان على الامير ورجاله فحدثت عدة وقائع كان النصر فيها للامير بشير دائماً وهي الحادثة المعروفة بعامية انطلياس التي اجتمع فيها اهالي المتن وكسروان وتحالفوا على انهم لا يدفعون زيادة على المال المرتب لان جباة الامير كانوا يطلبون المال مضاعفاً فاضطر الامير بشير ان يترفق بالناس . ولبث على تلك الحال حتى مهد له الامر في الجبل من اقصاه الى اقصاه ونزع وزير عكاء ولاية بلاد جبيل من يد متسلمها وقلدها ابن الامير بشير ولكن لم يطل زمن السكينة واستقرار البال بالامير لان النفرة وقعت بين درويش باشا وزير دمشق وبين عبدالله باشا وزير عكاء فتحيز الامير لوزير عكا عبدالله باشا وقاسى بسبب ذلك اهوال حروب كبيرة وكان دائماً مكللاً بالفوز والنصر فازداد لذلك عند عبدالله باشا رفعة ولكن لما كانت الدولة العلية قد عضدت درويش باشا لما بدا لها من عبدالله باشا من التعدي عليه وسيرت والي حلب مصطفى باشا لنجدته واصبح عبدالله باشا مخذولاً اضطر الامير بشير ان يفر الى مصر حيث اكرمه محمد علي باشا الشهير اكراماً بليغاً وسعى حباً به لدى الباب العالي لاستحصال العفو عن وزير عكاء كل السعي حتى ناله حسب مرغوبه فاعيدت الولاية الى عبدالله باشا بعد ان كان محصوراً بعكاء . واما محمد علي فقد اغتنم من التجاء الامير اليه ان اتخذه صنيعة لينفذ على يده في المستقبل مقاصد سياسية في الديار الشامية كانت تختلج بصدره لانه آنس من الامير من شدة الحزم والعزم وصدق الولاء ما زين لعزيز مصر صلاحية التوكؤ

عليه في كبار الامور ولذلك ما برح الامير من الديار المصرية حتى كاشفه محمد علي في شيء من تلك الاغراض ثم وجهه الى الديار الشامية معززاً مكرماً واصحبه بالسلاح دار من خاصته فلما اقبل الامير على عبدالله باشا وزير عكا استقبل بالتجلة و الاحتفاء وفي مدة غياب الامير بالديار المصرية كانت ولاية لبنان في يد الامير عباس اسعد وكان الشيخ بشير متفقاً معه على كيد الامير بشير فلذلك لما عاد الامير بشير فائزاً بمرامه ودري بذلك الشيخ اضطرب باله وسعى اولاً لاسترضاء الامير عنه ولما ايقن انه يتعذر عليه العود الى المنزلة التي كانت له عند الامير فرّ من وجهه وسعى في استمالة الامير عباس اسعد اليه وغيره من الامراء فوافاه الى راشيا مع اخيه الامير حسن ثم تبعهما اخوهما الامير منصور ثم الامير حسن الاسلامبولي واستشفع الشيخ بشير صالح باشا وزير دمشق يومئذ لدى عبدالله باشا في رجوعهم الى مواطنهم آمنين وفي سنة ١٨٢٣ ذهب الامير عباس الى عكاء بنفسه واسترضى الوزير عنه فرضي ولبث عنده حتى اتفق ان وفد الامير على الوزير مشيعاً سفيراً قادماً من الاستانة العلية يقال له نجيب افندي فاصلح الباشا بينه و بين الامير عباس ولما عاد الامير بشير الى بيت الدين اتى بالامير عباس معه وخلع عليه خلعة دلالة على رضاه عنه واما الشيخ بشير فبعد ان سعى ليحالف بعضاً من الامراء على الامير بشير ورأى نفسه مخذولاً كتب الى الامير يستأذنه في المثول لديه ببيت الدين لاسترضائه عنه فاذن له فمضى ولكن قلبه غير آمن من العواقب مع ان الامير امنه وخلع عليه خلعة الرضى ووعده بان يعيده الى ما كان

عليه سابقاً من سمو المنزلة عنده واذ بقي الشيخ في ريبة خصوصاً بعد ان ورد من محمد علي على وزير دمشق امر بطرده عاد فسعى لاستمالة خصوم الامير اليه وشرع في اثارة ثورة كبيرة فامكنه ذلك وضم تحت لواء تلك الثورة الامراء الارسلانيين وكثيرين من رؤساء الاحزاب ثم زين للامراء سيد احمد واخيه الامير فارس والامير حسن اسعد ثم الامير عباس اسعد ان يكونوا يداً واحدة على الامير بشير فاتحدوا على ذلك وانضم اليهم الامير فاعور علي واخوه الامير امين والامير حسن الاسلامبولي وبعض الامراء اللمعيين وكتب الشيخ علي جنبلاط والشيخ علي العماد الى الشيخ بشير يخبرانه بذلك ويستقدمانه الى البلاد اذ كان قد انتزحها فاجتمع هؤلاء القوم في المختارة ثم ما لبثت ان دارت رحى الحرب وجرت مواقع شتى بين الامير بشير واعدائه وكان الامير معضداً من الوزراء ومن عزيز مصر نفسه الذي عندما بلغه امر تلك الحرب قال للامير امين ابن الامير بشير يوم كان عنده موفداً من ابيه حتى يبلغه ان قد جهز له عشرة الاف مقاتل من اللبنانيين بحسب رغبته ليحاربوا مع العساكر المصرية بكريد انني ان مست الحاجة اعدل عن محاربة كريد واملأ لبنان من عساكري وجهز العزيز ستة الاف مقاتل لمساعدة الامير وما وقفت عن المسير الى الديار الشامية الا لان الامير اصبح في غنى عنها فان الدوائر دارت على اعدائه ففرّ الامراء الشهابيون والارسلانيون والمشايخ الى جزين يقصدون الديار الحورانية ولما بلغوا مجدل شمس اختلفوا رأياً فبعضهم تقدم الى حوران وبعضهم لم يشاء ان يتقدم ولكن لم

يجدهم فرارهم نفعاً فقد وقعوا في يد من كانوا يتعقبوهم اما الشيخ علي العماد فكان نصيبه ان قطع بامر وزير دمشق بالسيوف تقطيعاً واما الشيخ بشير جنبلاط والشيخ امين العماد فقتلا خنقاً بعكاء بامر وزيرها بناء على طلب من الامير بشير معزز بارادة عزيز مصر وبقيت جثتاهما ثلاثة ايام معروضتين للناظرين واما الامراء الشهابيون سلمان واخوه فارس والامير عباس اسعد فسمل الامير اعينهم وقطع السنتهم واما الشيخ نجم بن علي بن بشير بن نجم فسعى الامير لتخلية سبيله من سجن عكاء وصادره بخمسة وعشرين الف قرش ثم جعل ولده الامير خليلاً على اقليم جزين واقليم التفاح وجبل الريحان وولده قاسماً على العرقوب وجعل الامير بشير ملحم على الشويفات وعهد بامور الامراء المعمين الى الامير ملحم والغرب الاسفل عدا الشويفات جعله في يد التلاحقة والشوف في يد الشيخ حمود والشيخ ناصيف النكديين واقليم الخروب في يد الشيخ حسين حماده (١) من بعقلين وخلا له الجو واستقام الامر ثم عاد الامير امين من مصر بعد ان مكث بها اكثر من سنة . وفي سنة ١٨٢٦ جمع الامير عسكراً كبيراً من لبنان لنجدة بيروت ضد السفن اليونانية التي سطت على المدينة ولكن ما لبثت تلك السفن ان اقلعت عنها على اثر احتشاد العساكر فيها فلم تقم سوق الحرب ثم انقضت مدة لم يحدث فيها شيء من الحوادث الحربية بالذكر الا رجوع بعض الامراء الفارين من البلاد خوفاً من الامير وتجاوز الامير عن الانتقام منهم

(١) ان آل حماده (قاطني بعقلين) ما زالوا حتى اليوم يتحدثون بنعمة الامير بشير

ولما كانت سنة ١٨٣٠ سار الامير بشير وابنه الامير خليل و بعض من ارباب المناصب في الفي مقاتل من اللبنانيين لفتح قلعة سانور بنابلس انفاذاً لارادة وزير عكاء فظهرت بمحاصرة تلك القلعة بسالة الامير ورجاله ولاسيما الشيخ ناصيف النكدي وعلى يدهم اخذت تلك القلعة فعاد بجماعته الى بيت الدين فائزاً منصوراً وفي السنة التالية سنة ١٨٣١ استعاد الامير باقي الذين انتزحوا لبنان الى مواطنهم فعادوا آمنين ومالت نفس الامير الى السكينة ولكن كتب لهذا الرجل الكبير ان يظل دائماً في ساحة القتال فانه في خلال تلك السنة قدم ابرهيم باشا ابن محمد علي من مصر الى الديار الشامية لانفاذ مقاصد ابيه التي كاشف فيها ابوه الامير بشيراً ايام كان هذا الامير بمصر كما تقدم ذكر ذلك فيما مضى وقد سأل ابرهيم باشا من الامير ان يجمع له الف وستمائة جندي ليكونوا في سلك العساكر المنظمة فتعذر ذلك عليه في اول الامر ثم استحصل هذا المقدار بالعنف وقد امتد ابرهيم باشا في حروبه الى حوران مع الدروز فيها وقد انضمت اليهم العربان وكانت تنجدهم دروز وادي التيم ولبنان على علم من الامير ولم يتصدَّ لمنعهم وكان مقدام هؤلاء رجلاً مشهوراً يقال له شبلي العريان اظهر بسالة في المواقع عظيمة ولم يظفر ابرهيم باشا به الا بعد ان الحق العريان بعساكره خسارة كبيرة و بالجملة فان المدة التي قضاها ابرهيم باشا في الديار الشامية قضاها في المحاربة وكان الامير مساعداً له حتى بلغ ابرهيم باشا قونية وعقد الصلح هناك و بعد ان عاد منها سنة ١٨٤٠ حين اتفقت بعض الدول الاوربية مع الدولة

العلية على استخلاص الديار الشامية من يد محمد علي وكان الامير قد نال في خلال تلك المدة من محمد علي بواسطة الرجل الفرنساوي الشهير كلوط بك الذي استقدمه محمد علي الى مصر وجعله رئيساً للقصر العيني بها وان يكون بعض من الطلبة اللبنانيين في جملة طلبة الطب في القصر العيني فارسل لذلك ثلثة من الطائفة المارونية ومملوكه سليماً الى تلك المدرسة واستمرت عادة ارسال الطلبة اللبنانيين زمناً طويلاً ولم تنقطع الا في ايام المغفور له توفيق باشا من خلفاء محمد علي

ثم لما كانت تلك السنة المتقدم ذكرها سنة ١٨٤٠ وكان سلطان العثمانيين يومئذٍ السلطان عبد المجيد اتفق معه ملك النمسا وملك المسكوب وملكة لانكليز وملك المانيا على استخلاص سورية من يد محمد علي فاشيع في لبنان بعدئذٍ ان محمد علي عازم على ادخال المسيحيين في سلك العسكر النظامي المصري فمالوا الى العصيان على ابرهيم باشا واتحدوا مع الدروز عليه واخذوا يسطون على عساكره كلما سنحت لهم السانحة وتولى قيادة تلك الثورة على العساكر المصرية بعض من اللبنانيين مثل الشيخ فرنسيس ابي نادر الخازن الغسطاوي وابي سمرا غانم البكاسيني واحمد داغر المتوالي

ولكن الامير سعى الى تسكين الثورة على يد بعض الامراء الذين استسفرهم لاقناع الثائرين بالعدول عن مسلكهم فسلك الامراء في الظاهر على حسب رغبة الامير ولكن في الباطن كانوا ينفخون في نيران الثورة ثم انضموا الى الثائرين

وجعلت الافرنج القادمة لاستخلاص البلاد من يد محمد علي تشدد عزائمهم وتمدهم ببعض من الذخيرة فاستفحل امرهم وكثر عددهم وجرت بينهم و بين العساكر المصريه والامير واعوانه عدة مواقع ولكن افضى امرهم الى الفشل والانخذال فتبدد شملهم وتفرقوا في البلاد ومنهم من لاذ بامان الامير فامنه وجمع السلاح من البلاد وكان الامير خليل هو القائم بنفسه بجمعه من كسروان وشدد عليهم في ذلك كثيراً وقد قيد عدداً من خاصة اللبنانين وعامتهم وسيقوا اسرى الى مصر فنفاهم محمد علي الى سنار وكان في خلال تلك الحوادث قد قدم من الاستانة ريجارد وود الانكليزي مفوضاً اليه تدبير تلك الامور لانه كان عارفاً باحوال البلاد و باللغة العربية فاشار على الثائرين الذين كانوا مجتمعين في ضواحي بيروت ان يرفعوا عرائض الى الدولة العثمانيـة والى سفراء الدول النمساوية والفرنساوية والانكليزية ملتمسين انقاذهم من يد الحكومة المصرية ففعلوا ودفعوها اليه فبعث بها الى الاستانة ثم قدم الاميرال نيجر الانكليزي بخمس سفن الى بيروت وارسل يبشر اللبنانيين بقدوم الاسطول العثماني معززاً باساطيل نمساوية وانكليزية وروسية والمانية لنزع السلطة المصرية عن الديار السورية فلما احس بذلك الامير ارسل ينهى اهل البلاد عن مخالطة الافرنج و يتهدد من خالف منهم بالقتل فوقع منشور نهيه هذا في يد رجل انكليزي فدفعه الرجل الى رئيس الاسطول الانكليزي والرئيس بعث به الى الحكومة الانكليزية ثم ظهرت الاساطيل الموعود بها قبالة الدامور وكانت تبلغ اربعين سفينة بين كبيرة

وصغيرة وكان فيها من الجنود العثمانية خمسة الاف وخمس مئة جندي ومن الجنود الافرنجية نحو الفين فتشددت عند ذلك عزائم الثائرين ثم اطلق بعض السفن المدافع على بيروت وخرج سر عسكر الجنود العثمانية سليم باشا بالجنود مع الامراء الافرنج الى ضواحي جونية وخيموا عند شير الباطية هناك ثم شرع في توزيع السلاح على الثائرين وحرضوا على قتال العساكر المصرية ثم ارسل السر عسكر الى الامير بشير بلاغاً يقول له فيه اذا ابديت الطاعة للدولة العلية في مدى ثمانية ايام ابقتك الدولة والياً كما كنت وكانت الولاية لك ولذريتك من بعدك والا فلا يقبل منك طاعة بعد انقضاء ذلك الاجل فاجاب الامير انه يتعذر عليه ذلك ما دام اولاده وحفدته مقيدين في سلك العساكر المصرية وربما كان الامير مغروراً بان الفرنساويين ربما يجيئون لنصرة عزيز مصر فحدثت بعد ذلك مواقع شتى وقد انتصر ابرهيم باشا في وقعة في كسروان والفتوح انتصاراً خافت منه الجنود العثمانية حتى انها كادت تلتمس الفرار الى البحر وهكذا جرى في الموقعة الحربية التي وقعت في ٢٤ حزيران سنة ١٨٣٩ بجهة نضيبين فان عسكر الدولة ولى تاركاً كثيراً من المدافع والذخائر الحربية بيد المصريين وزاد في الطين بلة توفي السلطان محمود الثاني حينئذٍ والخيانة التي ابداها احمد باشا امير الاسطول العثماني بتسليم المراكب الحربية الى محمد علي باشا انتقاماً من السلطان لانه لم يعينه صدراً اعظم ولما انقضى الاجل المضروب للامير بشير ان يبدي الطاعة فيه استقدم السر عسكر العثماني الامير

بشير ملحم واستمرت نيران الحرب مستعرة بين ابرهيم باشا واعوانه من اللبنانيين و بين عساكر الدولة واعوانها من هؤلاء ايضاً وكانت الدائرة دائرة على عساكر الدولة واما الامير بشير الكبير فلما رأى ذلك الفشل والانهزام بعث الى حفدته المحافظين في قرى المتن وكسروان ان يحضروا الى بيت الدين مسرعين وذلك لانه وطن نفسه على التسليم الى الدولة العلية بصيدا فشخص الامير اليها باولاده الثلثة وزوجه وحفيده الامير سعد وكان المتسلم في تلك المدينة يومئذٍ خالد باشا فاكرمه الباشا و بعد ايام اقلعت به السفينة الى مالطة التي اختار المقام بها عند ما خيره السر عسكر العثماني بين سائر البلدان ما عدا فرنسا وسوريا ومصر . وقد وافى الامير الى صيدا بعض من استقدمهم اليه فكان معه في السفينة زوجه واولاده وزوج ولده الامير قاسم وحفدته الخمسة اولاد الامير خليل وحفيده الامير رشيد قاسم ومدبره بطرس كرامه وسبعون رجلاً من خدمه وخزينته وقدرها ثمانية عشر الف كيس من النقود الذهبية القديمة واشياؤه الثمينة ثم تبعه الى مالطة حفيده الامير مجيد قاسم الذي بعد ان فر من بين العساكر المصرية ووقع في يد العساكر العثمانية سيره الوزير العثماني من بيروت اليها بعد ان طيب نفسه و بعد ان اقام الامير بشير الكبير احد عشر شهراً بمالطة انتقل الى الاستانة العلية وزار الكبراء والعظماء وكان مكرماً منهم واعدت لسكنه دار بارناوط كوي وفي ١٩ ك ١ سنة ١٨٥٠ توفي الامير في قاضي كوي ودفن هناك في كنيسة الارمن . واما آثار الامير بشير عمر في لبنان فكثيرة تدل على

كلفه بارتقاء اسباب الحضارة والعمران فمنها قنطرة لنهر الكلب شرع في بنائها سنة ١٨٠٣ فاجترفتها المياه قبل الانجاز ثم عاد فبناها سنة ١٨٠٩ وقنطرة لنهر الصفا عند عين زحلتة وجر المياه من نبع القاع عند عين زحلتا الى بيت الدين بقناة استغرقت من النفقة مايتي الف قرش وصلح درج نهر الكلب ورصيف المعاملتين وطريق دير القمر وبنى قناطر لنهر الدامور انفق في بنائها مئة الف قرش وانجزه في شهرين اذ شغل به مئتين وخمسين بانياً وله عدة مبان في بيت الدين ولو صفت له الايام من كدر الحروب والقتال لاتى اعمالاً كبيرة ومن قفا سيره في الولاية من اوله الى اخره وجد انه كان بعد اقرار مهابته في النفوس ساعياً لجمع الكلمة وتأليف القلوب موقناً ان ذلك انما هو السبيل الوحيد الى الارتقاء في معارج العمران .

٩



السلطان عبد الحميد

احد سلاطين الدولة العثمانية المعروف باصالة رأيه ودهائه السياسي

لبنــان

في عهد حكومة مصر

في بدء زمن الحكومة المصرية انتهز الامير بشير شهاب الكبير فرصة ما له من المكانة لدى حكومة مصر بالنظر الى المساعدات التي كان بذلها

لها واخذ يعمل على ذوي الاقطاعات ونزع العهد من اصحابها وقيد الحاكم بنصوص الشريعة الاسلامية واخذ بجمع المال جزافاً ومن الجهة الثانية فرض محمد علي على البلاد ٦٧٨٢ كيساً كان الامير يتقاضاها ضعفين وبسبب هذه المظالم بدأ الناس يشكرن · وفي سنة ١٨٣٤ ثار الناس في جهات نابلس وفلسطين واحاطوا بابرهيم باشا ابن محمد علي وكانت الثورة هائلة فاضطر محمد علي ان يأتي سورية بنفسه فقدم يافا وكتب الى الامير يأمره بجمع الرجال من اللاذقية حتى الشام و بالشخوص اليه ففعل اما النابلسيون فلم تخمد ثورتهم حتى سقطت حصونهم

وفي تشرين الاول للسنة المذكورة حدث هياج في حلب و بيروت وانطاكية وغيرها فابرهيم باشا امر الامير بشير اذ ذاك ان يجمع السلاح من جهات صفد وعكا وصور و بلاد بشاره ومن الدروز وحذراً من الهياج جاء ابرهيم باشا بعشرة الاف جندي الى دير القمر وتولى جمع اسلحة الدروز بنفسه ثم انه جمع سلاح اهل دير القمر و بعد ذلك شرع في التجنيد فطلب من الدروز ١٢٠٠ شاب ومن الضريبة اربعة الاف

و بهذا السبب ضعفت اسباب الزراعة امـا الدروز فرفعوا رايـة العصيان في وادي التيم وحوران بزعامة شبلي آغا بات العريان وتحصنوا في معاقل اللجا فلم تنل العساكر منهم بغية فاستنجد حينئذٍ ابرهيم باشا بنصارى الجبل واعطاهم اربعة الاف بندقية فاضطروا الى المساعدة فنشأ عن ذلك ضغائن واحقاد

و بعد ان قبض ابرهيم باشـا على الثائرين من الدروز عفـا عنهم

لانهم اعلنوا الطاعة له

ثم ان انكلترا بدأت بمخابرة الباب العالي في ١٦ آب سنة ١٨٣٨ بلزوم الغاء جميع الامتيازات في جميع الممالك العثمانية حتى مصر وسوريا وغايتها من ذلك هدم قوة الحكومة المصرية وكانت حينئذٍ استلمت عدن مفتاح البحر الاحمر وفي نيتها احتلال مصر

اما السلطان محمود فقد ساق ثمانين الف جندي بقيادة حافظ باشا على محمد علي وفي ٢٤ حزيران سنة ١٨٣٩ جرت موقعة بينهم وبين عسكر ابرهيم باشا في نصيبين كان النصر فيها لابرهيم باشا

ثم ان المنية ادركت السلطان محمود في اول تموز من السنة نفسها فخلفه ابنه السلطان عبد المجيد وكانت الحالة قد ساءت لان امير البحر احمد فوزي باشا كان قد خان الدولة وسلم الاسطول العثماني الى حكومة مصر

فالتزمت اوروبا ان تسوي هذه المسالة بنفسها وصار توقيع صك اتفاق من قبل الدولة العثمانية وانكلترا والنمسا وبروسيا وقد ربط هذا الاتفاق بمعاهدة لوندره المؤرخة في ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ وتضمنون هذا الصك انفاذ الانذار السلطاني لمحمد علي باشا لارجاع الاسطول العثماني واخلاء الاقاليم المغتصبة في مهلة عشرة ايام وفي ١٤ آب سنة ١٨٤٠ ارسلت الدول المتحالفة اسطولاً فضرب بيروت في ١١ ايلول من السنة نفسها واخذ جبيل والبترون وكان ابرهيم باشا حينئذٍ متحصناً في بحرصاف ثم انه تغلغل في الوديان وكان الامير بشير ملحم شهاب والشيخ فرنسيس ابي نادر الخازن مساعدين لاسطول الدول المتحالفة فالسير اود معتمد انكلترا

طلب من الباب العالي مكافاة الامير بشير ملحم بمنحه ولاية الجبل فتم له ذلك

اما الامير بشير شهاب الكبير فانه اذ بلغه ذلك اسرع بمزايلة بتدين مع عائلته الى مدينة صيدا في ١٠ تشرين الاول وسلم نفسه الى خليل باشا وكيل الدولة ثم انه ابعد الى مالطة في اول تشرين الثاني ولذلك لقب بالمالطي

وبعد احد عشر شهراً ابعد الى الاستانة ثم الى زعفران بول ثم اعيد الى الاستانة وتوفي في قاضي كوي في ٢٩ كانون الاول سنة ١٨٤٠ ودفن في كنيسة الارمن في محلة بيرا على ما سبق البيان

ثم ورد امر من محمد علي باشا لولده ابرهيم باشا باخلاء سورية وذلك بناءً على اتفاق غير رسمي جرى بين محمد علي وبين السير شارل نابير رئيس الاسطول الانكليزي مضمونه ان محمد علي يتخلى عن سورية ويعيد الاسطول العثماني على شرط ان تكون ولاية مصر وشرقي السودان مضمونة له متوارثة في عقبه

ثم ان الدول قبلت بهذا الاتفاق الذي كان تمهيداً لعقد معاهدة لوندره في ١٠ تموز سنة ١٨٤١ المؤذنة بالغاء معاهدة ١٥ تموز للسنة السابقة وبعد قليل عادت فرنسا الى موافقة الدول على ما ذكر

وبهذا السبب توطدت سلطة الباب العالي واعتز جانبه واصدر السلطان خطاً معروفاً بفرمان كلخانه في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٣٩ وسمه بالتنظيمات الخيرية وقد مر ذكره وكان هذا مبعثاً للنشأة الاصلاحية

لبنان

في عهد الامير بشير قاسم ملحم شهاب وعهد خلفه مصطفى باشا النمساوي وفي عهد القائمقامين

بعد تقلص ظل الحكومة المصرية عن سورية سنة ١٨٤٠ صار نصب الامير بشير قاسم ملحم المذكور حاكماً على لبنان وذلك في اليوم الثالث من ايلول سنة ١٨٤٠

وبعد قليل بدأت الاضطرابات بين بني لبنان لان الامير لم يكن حزوماً ولا احسن مقابلة زعماء اللبنانيين وبهذا السبب هاجت الاحقاد بين النصارى والدروز فامر الباب العالي محمد سليم باشا والي صيدا ان يجري مطاليب الزعماء المشروعة فلم يفلح فارسل الباب العالي السرعسكر مصطفى باشا معززاً بالقوة فدخل الجبل وقبض على ازمة الاعمال وبعد ثلاثة اشهر عزل الامير بشير المذكور لضعفه وسوء ادارته وارسله الى الاستانة وبه ختمت ولاية الامراء آل شهاب

وفي سنة ١٨٤٢ عين مصطفى باشا النمساوي خلفاً للامير بشير المذكور فلم تكن سياسته مستحسنة في جانب الدروز واصحاب الاقطاعات فاحتج ممثلو الدول على هذا التعيين واقترح احدهم المسيو مترنيخ مستشار امبراطور النمسا والمجر حينئذٍ تعيين قائمقام مسيحي على النصارى ومثله على الدروز فقبلت الدولة اقتراحه في ٧ كانون الاول سنة ١٨٤٣ وابلغته الى الدول فقبلته الا فرنسا فانها طلبت اعادة الامارة الى الشهابيين

واذ ذاك عين الباب العالي اسعد باشا والياً على صيدا واناط به السيطرة على لبنان وجعل لبنان قائمقاميتين مسيحية ودرزية

(القائمقاميتان)

عين اسعد باشا للقائمقامية المسيحية الامير حيدر اسمعيل ابي اللمع وللقائمقامية الدرزية الامير احمد ارسلان

وتشكيل هاتين القائمقاميتين ذكر في باب الدور الثاني للقضاء من هذا الكتاب في صفحة ١١٦

وقد كان من وظائف القائمقام تنفيذ الاحكام وقد جعل لكل قائمقام قوة اجرائية مؤلفة من مئتي خيال ومن مئتي راجل وكان رئيس كل فرقة من هاتين الفرقتين يدعى بلوك باشي (رئيس البلوك) وفرض لبنان حينئذ ٣٥٠٠ كيس خراجاً بوجه المقطوع ٢٠٠٠ كيس من قائمقامية النصارى و ١٥٠٠ كيس من قائمقامية الدروز

اما قائمقامية النصارى فكانت تمتد من طريق الشام جنوباً الى النهر البارد في عكار وكانت تشتمل على المتن وكسروان والبترون والكوره وزحلة .

واما قائمقامية الدروز فكانت تمتد من طريق الشام شمالاً الى منتهى حدود جبل الريحان جنوباً وكانت مشتملة على قضائي الشوف وجزين وقسم من البقاع الغربي وبعض قرى اقليم التفاح

واما القائمقامون الذين تولوا هاتين القائمقاميتين فهم

الامير احمد ارسلان تولى القائمقامية الدرزية سنة ١٨٤٢ وعزل سنة ١٨٤٥

وخلفه الامير امين ارسلان سنة ١٨٤٥ وتوفي سنة ١٨٥٨

وخلفه الامير محمد ارسلان سنة ١٨٥٨ وعزل ١٨٦٠

**

والامير حيدر اسمعيل ابي اللمع تولى قائمقامية النصارى سنة ١٨٤٢ وتوفي ١٨٥٤

وخلفه الامير بشير ابي اللمع سنة ١٨٥٤ وعزل سنه ١٨٥٨ ثم انه اعيد و بقي الى اوائل سنة ١٨٦٠ وعزل

وخلفه بالوكالة يوسف بك كرم بضعة شهور وعزل في اواسط سنة ١٨٦٠

وكان مركز القائمقامية الدرزية قصبة الشويفات في جميع الادوار اما مركز القائمقامية المسيحية فكان في عهد الامير حيدر في بكفيا وفي عهد الامير بشير في برمانا وفي عهد يوسف بك كرم في جونية .

اما دير القمر فانها بقيت كما سبق القول مستقلة واحيلت الى عهدة متسلم تركي ولكن لم يلبث الاضطراب ان احتدمت ناره في البلاد لان هذا الترتيب اغاظ النصارى والدروز وكان الشيخ حمود نكد هو النافخ في بوق الفتنة وقد انتشرت الفوضى في مثني قرية وتعدد الاعتداء على النصارى فارسل الباب العالي خليل باشا امير البحر معتمداً ثالثاً لسورية لمراقبة اعمال مصطفى باشا وتسوية التعويضات المقرر اعطاؤها للنصارى

وازالة المراقيل

وفي ١٥ ايلول سنة ١٨٤٤ جمع اسعد باشا زعماء النصارى والدروز واعلمهم ان ادارة دير القمر تفوضت الى وكيلين احدهما مسيحي والآخر درزي يستقل بتعيينهما قائمقاما الطائفتين الاميران السابق ذكرهما فاذعن الزعماء الى ذلك ولكن لما كانت جراح الفتنة لم تندمل بعد عادت الى ضرامها في آخر نيسان سنة ١٨٤٥ فاسرع بحري باشا متسلم بيروت وتلافى الخطب بان جعل زعماء الطائفتين يكتبون ميثاقاً بتناسي الضغائن مؤرخاً في ٢ حزيران من السنة نفسها ورغماً عن ذاك بقي الهياج مستمراً فارسل الباب العالي شكيب افندي ناظر الخارجية لاجل تقرير الامن فكان وصوله الى بيروت في ١٤ ايلول سنة ١٨٤٥ مع الاثنين من المشاة فجمع السلاح بمعاونة المشير نامق باشا ثم انه عزل القائمقامين المذكورين وارسل الشيخ حمود نكد الى الاستانة حيّاً حيث لاقى جزاء عمله

ثم انه نقح نظام لبنان واعاد القائمقامين المعزولين الامير بشير احمد والامير امين ارسلان الى مركزيهما ووضع للقائمقاميتين قوانين معروفة حتى اليوم بترتيبات شكيب افندي وهي التي بسطناها قبلاً وبقي العمل بها مستمراً حتى سنة ١٨٦٠

اما الامير بشير احمد فقد برز مزاحموه لمقاومته ولا سيما آل خازن الذين اتفقوا مع فريق من عائلته [١] على نبذ طاعته فاضطر الى السفر الى

(١) ان ابناء عائلة الامير بشير كانوا يعملون ضده برياسة احد اقربائه الادنين الامير امين منصور ابي اللمع لخصام سابق بينهما رغماً عن انه كان رئيساً لمجلس ادارة القائمقامية في عهده

الاستانة ولم يلبث ان عاد الى منصبه ظافراً واخذ يعمل على الانتقام من مناوئيه باغراء الاهالي ضدهم وقد بذل عناية مخصوصة لاسقاطهم من سلطتهم والحط من قدرهم

اما الهياج فقد بدأ في قرية زوق مكايل في كسروان على المشايخ فقد تألب الاهالي حاملين السلاح بزعامة طانيوس شاهين وتهددوا المشايخ سوء المصير على ما سيجيء

وقد كانت هذه الحوادث ضربة قاضية على الحكم الاقطاعي الذي انقضى سنة ١٨٥٩

وكانت سلطة الامراء آل حرفوش سقطت سنة ١٨٥٠ وسلطة النصيرية سنة ١٨٥٨

ثم طرأت حوادث سنة ١٨٦٠ الآتي بيانها فكانت ضغثاً على ابالة

اما الامير بشير احمد فكانت مدة حكمه محفوفة بالمشكلات والوقائع المقلقة الراحة وكثيراً ما كان يضطر الى الالتجاء الى بيروت هرباً من مناوئيه الذين كانوا يتألبون حول داره للايقاع به بايعاز بعض اقربائه ولطالما بذل العمال الاتراك العناية في سبيل اصلاح ذات البين بينه وبين انسبائه فاخفقت مساعيهم وقد اتفق مناوئوه جميعاً على عدم السماح له بالعودة من بيروت الى مقره في برمانا وانهم لا يعترفون به حاكماً عليهم

اما خورشيد باشا فقد اعاده الى مركزه في برمانا مصحوباً بقوة مسلحة فدخل الى مركزه بدون ان يلاقي مقاومة اما نسيباه الاميران امين منصور المشار اليه واخوه علي فانهما غادرا برمانا يومئذ احتجاجاً على دخوله

وقد ثار كهما قنصل روسيا حينئذ بهذا الاحتجاج

اما الباب العالي فلم يعبأ بهذا الاحتجاج ولا بالاجتماعات المتواصلة المعقودة ضد الامير بشير وقد اصدر الاوامر اللازمة لالتزام حدود السكينة الى ان يصل عطا بك المندوب لاستماع الشكايات الموجهة ضد الامير

وبعد وصول عطابك الى بيروت توالى تقديم الشكاوى له ضد الامير بشير فلم تصادف اعتباراً سوى انه كان يتظاهر باجراء التحقيق على طريقة مل منها المشتكون وانصارهم مما دلهم على ان الحكومة لم تكن راغبة في فصله على رجاء ان ذلك يدعو الى اشتباك الاهلين في حرب اهلية تدعو الحكومة الى بسط سلطتها على لبنان مباشرة

وكانت الحكومة في الوقت نفسه تغض طرفها عن الثورة القائمة ضد المشايخ آل خازن وآل حبيش انتقاماً منهم لان لهم يداً ضد الامير بشير احمد

وكان خورشيد باشا يشدد النكير على الامير بشير عساف وسائر اعضاء عائلته بسبب اشتراكهم في الشكاوي على الامير بشير احمد حتى اضطره الى الحضور امامه مع بعض انسبائه وقدموا احترامهم لديه وبينوا له عدولهم عن الشكوى فاستقبلهم بمنتهى المجاملة وقصارى القول ان الحكومة اقرت الامير بشير في منصبه ولكنه ظل لا تستقر له حال من القلق حتى منتهى مدة حكمه

اما الاعمال في دوائر الحكومة في عهده فكانت جارية مجراها القانوني وقد عرفت ذلك من المرحوم والدي (نجم افندي الاسود) الذي كان في ذلك العهد وكيلاً لطائفة الروم الارثوذكس

وكان في ذلك العهد ايضاً (الخوري يوحنا الحاج) الذي تبوأ بعد ذلك منصة البطريركية المارونيه قاضياً وكان المطران يوحنا حبيب معاونا له والمرحوم حنا بك الاسعد رئيساً للقلم

وكان الامير امين منصور كما ذكرنا قبلاً رئيساً لمجلس الادارة وباقي المراكز المهمة كان يشغلها رجال من ذوي اللياقه

والامير بشير نفسه كان من الرجال المعروفين بحسن الصفات وكرم الاخلاق وبسطة اليد

ولم يكن من سبيل لمناوئيه للقيام ضده لو لم يكن لهم غايات في نفوسهم تدفعهم الى ما اتوا من المظاهرات

طانيوس شاهين والمشايخ

طانيوس شاهين هو بيطار من قرية ريفون من اعمال قضا كسروان وهو الذي تولى زعامة الاهالي الذين تألبوا حاملي السلاح في قرية زوق مكايل ضد المشايخ كما سبقت الاشارة الى ذلك وقد كثر حينئذ الهرج واندفع الناس على المشايخ ينهبون اموالهم ويغتصبون املاكهم ولم تخل هذه الحوادث من اراقة الدماء ففر الخازنيون الى مدينة بيروت لاجئين اليها اما الحبيشيون فلبثوا في بيوتهم لا يبدون حركة ثم امتدت الثورة الى قضاء المتن وغيره ويقال ان قد كان للاكليروس يد في هذه الحركة لكسر شوكة اصحاب السلطة وبعد هذه الحركة تحول النفوذ الى زعماء العائلات من الشعب وكان في المقدمة يوسف بك كرم

وقد عقد الاهالي اجتماعات عديدة بمساعدة الامير بشير احمد لانتخاب

طانيوس شاهين مديراً لشؤونهم بصورة مستمرة بدلاً من المشايخ آل خازن اصحاب الاقطاعة وكان منذ طرد المشايخ الخازنيين يتمتع بسلطة مطلقة لم يشأ خورشيد باشا ان يضع لها حداً فكانه شارك الاهالي فيها وقد اصبح من وراء هذه الفتنة خمسماية نفس من آل خازن في حال شقاء عظيم تعوزهم الحاجات المعاشية ولذلك رفعوا عريضة الى قناصل الدول الخمس بسطوا فيها شكواهم وسألوهم ان يشفعوا فيهم لدى خورشيد باشا ليساعدهم الى الرجوع الى بيوتهم واستلام املاكهم ورغماً عن مداخلة القناصل فان الحالة بقيت على ما كانت عليه لان ارباب السلطة حينئذٍ كانوا يواصلون انتهاج سياسة الاهمال القاء لحبل امور اللبنانيين على غاربهم

ومن اعمال طانيوس شاهين الفظيعة انه دخل مع رفاق له في احدى الليالي الى احد بيوت المشائخ آل الخازن في عجلتون التابعة لقضاء كسروان وقتل امرأته وابنته وجرح ابنة اخرى له وكان الشيخ وابنه تمكنا من الفرار حين دخوله

ثم هجم مع اعوانه على بيت آخر في القرية واضرم فيه النار ومن حسن الحظ لم يكن فيه احد حينئذٍ

فكتب السير هنري بولفر كتاباً الى خورشيد باشا بذلك فارسل كوكبة من الجنود الغير النظامية الى ذلك القضاء فقسمت فرقاً وتوزعت على مثيري الفتنة وفي الوقت نفسه كتب خورشيد باشا امراً ينهى به الاهالي عن معاودة الاعتداآت على المشايخ

ولما جاء فؤاد باشا منفذاً من قبل السلطة العثمانية للنظر في حوادث

سنة ١٨٦٠ بسط المشايخ شكواهم له وانفذ كلا من المرحومين المطران
طوبيا عون وفرنقو افندي الذي كان من رجال حاشيته حينئذ والذي
تولى بعد ذلك متصرفية لبنان الى كسروان لاجراء الصلح بين المشايخ
والاهالي

حوادث سنة ١٨٦٠

بدأت حوادث سنة ١٨٦٠ في شهر ايار من السنة المذكورة بمواثبة
الدروز على النصارى بجوار بيروت وكان الخطب عظيماً وقد امتدت
هذه الاعتداآت الى غربي لبنان ومرجعيون ووادي التيم والبقاع ودمشق
وزحله ودير القمر وجرى اذ ذاك من الاعمال الفظيعة ما تقشعر له
الابدان ولا سيما في دير القمر وحاصبيا

وكنا نرغب في ان لا ننكاء الجراح المندملة بسرد تلك الحوادث
ولكن هي الواجبات التاريخية تدعونا الى سردها ومع ذلك فاننا اقتصرنا
على ذكر بعضها ملخصاً من المحررات السياسية لاننا لو ذكرناها كلها لاقتضت
كتاباً برأسه وهي

منذ بدء سنة ١٨٥٩ حتى آخر اذار وقع تسع حوادث قتل في بيت
مري وصيدا فالفت السر هنري بولفر قنصل دولة الانكليز حينئذ نظر
خورشيد باشا والي ايالة صيدا الى ذلك فلم يعره اذنا صاغية

وبعد ذلك هاجم بعض الدروز بعض النصارى وهم سائرون من
دير القمر الى جزين فقتلوا اربعة منهم بينهم كاهن ماروني

وبتاريخ ٢ ايار سنة ١٨٦٠ قدم النصارى القاطنون في الانحاء

المختلطة بينهم و بين الدروز عريضة لخورشيد باشا يشكون فيها من اعتداآت الدروز عليهم وقتل البعض منهم وخصوا بالذكر الشيخ يوسف عبد الملك الذي احرق كثيراً من بيوتهم وقتل عدداً من رجالهم فلم يعبأ بقولهم

ثم بعد ذلك حدث قتـال بجوار بيروت بين فريق من الدروز والمسيحيين فقتل درزي واحد وجرح اثنان ايضاً من المسيحيين

وفي اواسط الشهر المذكور استعرت نار الحرب بين النصارى والدروز في بعض القرى المطلة على بيروت

وفي ٢٩ منه بدأ القتال بهجوم فريق من نصارى المتن على قرى صليما وقرنايل و بتخنيه وطردوا منها الدروز

اما الدروز فاغاروا على بيت مري واحرقوا بيت احد امرائها وفي اليوم الثاني اضرموا النار في عدة قرى من المتن ومن سهل بيروت وقيل ان الجنود العثمانية ساعدت باطلاق النار على المسيحيين في الحدث و بعبدا وعاريا ووادي شحرور واحرقت بيوتها مع بعض مزارع ساحلية

و يقال ان انفاراً من الباشبزق راوا في بعبدا الامير بشير قاسم ملحم الذي تولى لبنان بضعة شهور على ما مرّ يقوده خادمه لانه بسن الخامسة والثمانين فقتلوه

و بينما كان فريق من النصارى اللاجئين الى الدامور من نواحي جزين ذاهبين ليلاً الى بيروت التقاهم جماعة من الدروز وسلبوهم امتعتهم وقتلوا منهم خمسين رجلاً

وفي ٣١ من الشهر المذكور نشب قتال عام بين المسيحيين والدروز

في المتن فدحر المسيحيون الدروز فارسل الدروز اذ ذاك من احرقوا القرى المسيحية التي كانت لم تحرق بعد

في ١ حزيران من السنة نفسها نهب قاسم يوسف دير المخلص للرهبان والراهبات

وفي ٣ منه هاجم الدروز دير القمر بقوة بقيادة بشير بك نكد فاستمر القتال النهار بطوله ووقع عدة قتلى وجرح كثيرون

وفيه حضر نحو ثلثمائة شخص الى صيدا من قرى لبنان المجاورة للاحتماء فيها فقتلهم الدروز في اثناء مرورهم عن بكرة ابيهم

وفي اليوم نفسه احرق الشيخ كنج عماد عدة قرى في البقاع

وبعد ذلك هاجم الدروز النصارى في قضاء جزين وقتلوا منهم جميع من اتصلت اليهم ايديهم وهكذا فعلوا في الشوف والمناصف والعرقوب والشحار والجرد والغرب وسهل بيروت والمتن وغربي البقاع

وقد وجد في بساتين صيدا اكثر من ثلثمائة جثة مذبوحة ذبحاً

واما مجزرتا حاصبيا ودير القمر فاليك بيانهما

مجزرة حاصبيا

في يوم الاحد الواقع في ٣ حزيران سنة ١٨٦٠ دنا الدروز من حاصبيا واحاطوا بها من كل جهة فطلب المسيحيون من عثمان بك قائمقام الجنود المرابطة في حاصبيا ان يحميهم فاجابهم ان في نيته مكالمة الدروز اولاً لاجراء صلح بينهم وانفذ واحداً لهذه الغاية على قوله ثم اخبرهم ان الرسول عاد معلناً عدم قبول الدروز بالمصالحة وصرح لهم انه لا يمكن ان

يحميهم فاضطروا الى التسلح و بعد برهة هجم الدروز عليهم ثم تراجعوا ليحملوهم على الالتحاق بهم فلم يشاء النصارى اقتفا اثرهم ولما جاء الليل اعاد الدروز الكرة وكان عددهم عظيماً فلجأ النصارى الى عثمان بك طالبين منه ان يحميهم فاوعز اليهم بالدخول الى الثكنة فدخلوا فاقفل عليهم الابواب ووضع عليها حراساً فاخذ الدروز يضرمون النار في المدينة واقتربوا كثيراً من الثكنة بحيث ان المسيحيين اصبحوا غير آمنين على نفوسهم فخرج بعضهم من الثكنة فاطلق عليهم الجنود النار فقتلوا اربعة منهم اما الدروز فقد احرقوا المدينة كلها ونهبوا ما امكنهم نهبه واحرقوا ايضاً جميع الكنائس ومزقوا ما فيها من الكتب

وصباح اليوم الثاني ذهب عثمان بك واجتمع بالسيدة نايفة شقيقة سعيد بك جنبلاط وزوجة سليم بك شمس في بيتها بحاصبيا ثم عاد محاولاً اقناع المسيحيين بلزوم تسليم سلاحهم الى الحكومة وواعداً اياهم بصيانة حياتهم فقبل المسيحيون هذا الاقتراح اذ اصبحوا في يأس وظنوا انهم اصبحوا في مأمن بناءً على وعد عثمان بك وكان ان وضعت اسلحة المسيحيين في ثكنة الحكومة وسمح لمن شاء من الدروز اختيار اجودها ولم يتركوا غير خمسمائة بارودة ارسلوها الى عين عطا لترسل الى الامير الاي في راشيا

و بعد ذلك قرروا قتل اثنين من النصارى وهم جرجس الريس وابو ملحم مرعي فاستاقهما عثمان بك وسلمهما الى الدروز فقتلوهما شر قتلة وبعد ذلك هجم الدروز على الثكنة فدخل الشيخ كنج العماد برجاله فذبحوا جميع من فيها من النصارى وكانوا يذبحون الاولاد على ركب

امهاتهم والرجال على ركب نسائهم واستمرت هذه المجزرة مدة ساعتين

وقد بلغ عدد الضحايا تسعماية عدا الـ ٧٥ مسيحياً الذين كان الدروز رأوهم في الطريق واستاقوهم مع كاهنهم الى الثكنة ثم انهم احرقوا الثكنة لانها تخص احد الامراء الذين كانوا معادين للدروز

﴿ مجزرة دير القمر ﴾

يوم الاحد في ١٥ حزيران احاط الدروز بدير القمر وقطعوا مواصلاتها من الخارج ونهبوا البيوت الواقعة على اطرافها وحرقوها وذبحوا خليل دير وعبدالله حلبي وسلبوا بعض النساء اشياءهن فشكا الاهالي الامر للحكومة فاذاعت نشرة حظرت بها الخروج من المدينة على من فيها وعند الظهر جاء المدينة سليم وشاهين بك ابو نكد بجمهور غفير من الدروز وقصدوا ثكنة الحكومة فاحسن المتسلم وقائد الجند استقبالهم وبعد بضع ساعات انتشر الدروز في شوارع المدينة وعند غروب الشمس قدم الفريق طاهر باشا من بيروت يصحبه سعيد بك جنبلاط وعلي بك حماده برجالهما شاكي السلاح ولدى وصول طاهر باشا قصده جميع اعيان المدينة فقال لهم انه علم بمزيد الاستياء بما حصل لهم فاسرع بالحضور لمساعدتهم وحمايتهم وبعد ان ضمن لهم سلامة اشخاصهم واموالهم صرفهم وذهب الى بتدين تاركاً في دير القمر مئة جندي

ومن الغد تلقى اعيان دير القمر امراً بموافاته الى بتدين ولما قابلهم جدد لهم ضمانة حياتهم فاطمأن الاهالي بالاً وعادوا آمنين الى بيوتهم ورام بعضهم الذهاب الى المختاره للاحتماء بدار سعيد بك جنبلاط فمنعهم

واستمرت الحال على هذا المنوال حتى يوم الاربعا في ١٩ حزيران وفيه اخد الدروز يلجون المدينة معلنين انهم موفدون من قبل اصحاب اقطاعاتهم لحماية الاهالي فلما شاهدهم الاهالي جددوا الشكوى للحكومة فجددت لهم الوعود بحمايتهم والحت عليهم الا يتسلحوا واذ ذاك سمع صوت النفير فعادت الجنود الى الثكنة اما الدروز فبدأوا بالنهب وعند الساعة الخامسة ليلاً قتلوا حبيب الباحوط امام الثكنة

وفي صباح الغد في ٢٠ منه وصل جمهور درزي من انحاء الجبل فلم تحرك الجنود ساكناً ولما رأى الاهالي ان الخطر داهمهم لجأوا الى الثكنة لظنهم انهم يكونون في مأمن لوجود المتسلم والجنود فيها ولجأ قسم منهم الى ثكنة بتدين

وعندما فرغ الدروز من نهب المدينة شرعوا يذبحون الرجال والاولاد وقتلوا بعض النساء ايضاً فكانت ساعة نحيب وعويل علا فيها الصراخ الى الجو وجرى الدم انهاراً ولما انتهوا من ذبح الذين كانوا في المدينة جاءوا الى الثكنة وذبحوا من فيها وعددهم لا يقل عن خمسمائة رجل عدا النساء والاطفال ولما تم خراب دير القمر ذهب الدروز الى بتدين وذبحوا من كان في ثكنتها وعددهم ١٠٩ اشخاص ثم احرقوا بتدين والمعاصر على مرأى من القائمقام وجنوده وبعد ذلك عاد الدروز الى دير القمر فذبحوا رهبان امطش سيدة التلة مع رئيسه وقطعوهم بفؤوسهم ارباً ارباً وكان نحو ٣٥٠ شخصاً مختبئين في بيت خليل الجاويش ذهب اليهم الدروز وقتلوهم جميعاً ولما فرغوا من هذه المجزرة نادى المنادي في الاسواق بامر البلشاباشي

لم يبق خوف على الباقين في دير القمر وقد كان في دير القمر حينئذٍ من
الزعماء سعيد بك جنبلاط وبعض مشايخ بني عماد ونكد وحماده

وعند الساعة ٣ بعد الظهر اطلق المشير المدافع دلالة على الاطمئنان

فلله در هذا المجير من مجير امين

وفي ٢٢ من الشهر المذكور دمّر الدروز دار الامير قاسم شهاب
الكائنة امام ثكنة بتدين حيث كان المشير الرفيع الشان

حادثة زحلة

ان زحلة كانت ماهولة في تلك السنة بنحو ١٥ الف مسيحي وقد
هاجمها الدروز مرتين فصدوهم وفي المرة الاخيرة لجأ الدروز الى حيلة نجحوا
بها وهي

انهم لما علموا ان مسيحي زحلة ينتظرون نجدة اصطنعوا اعلاماً
وصلباناً وضعوها في مقدمة جمهور قوامه الفا رجل متنكرين ولما دخلوا
زحله اخذوا يهزجون متغنين باغاني المسيحيين الوطنية فانخدع اهالي
زحله وخرجوا الى لقائهم دون حذر فقابلهم هؤلاء باطلاق البنادق
وباغتوهم بالهجوم واعملوا فيهم السيف وقتلوا عدداً كبيراً منهم على ان
مذبحة زحله كانت اقل من غيرها

واما دمشق فقد كانت المذابح فيها كثيرة وقد قدر عدد المذبوحين
فيها بالفين والخسائر بمليون ليرة انكليزية

واما الخسائر اللبنانية فقد قدرت بحسب هذا الجدول

عدد	
١٥٠	قري مسيحية محترقة
٥٠٠	مسيحيون قتلوا في الحرب
٥٥٠٠	مسيحيون ذبحوا ذبحاً
٧٥٠٠٠	مسيحيون منكوبون

اما المنكوبون فثلاثة اقسام . الاول الذين نهبت املاكهم والثاني الذين حرقت بيوتهم فوق نهب املاكهم والثالث النساء اللواتي فقدن ازواجهن والاولاد الذين يتموا وعددهم ١٥ الف

واما خسائر الدروز فهي قليلة فلم يقتل منهم اكثر من خمسمائة رجل واما عدد بيوتهم المحروقـة في المتن فقليلة جداً ولم يحرق لهم بيوت في غير المتن

ولو لم يكن لقناصل الدول المفخمة (انكلترا والنمسا وفرنسا وبروسيا وروسيا) ايدٍ كريمة في اخماد جذوة الشر لتفاقم الخطب كثيراً واتسع الخرق على الراقع وقد ساعدهم على ذلك المرحوم المطران طوبيـا عون المشهور باقدامه وغيرته الوطنية فانهم كانوا جميعاً يواصلون احتجاجاتهم على هذه الاعمال الشائنة ونخص بالذكر احدهم المستر مور قنصل انكلترا فانه كان له من السلطة المعنوية على الدروز عموماً وعلى سعيد بك جنبلاط خصوصاً بالنظر الى ما للطائفة الدرزية من علائق الولاء القديم مع دولة انكلترا ما يخوله ان ينذر زعماء الدروز بسوء المصير ويخضدا شوكتهم النافذة بتهديداته المتواصلة وقد ابلغ هؤلاء القناصل حكوماتهم ما كان من امر هذه الفظائع فقامت

وقعدت لهولها كل حكومات اوروبا وتبادلت المخابرات بشأنها بينهم وبين السلطنة العثمانية فكتب السلطان عبد المجيد الى الامبراطور نابوليون الثالث امبراطور فرنسا والى ملكة انكلترا الرسالة البرقية الآتية

عن قصر طولمه بغجه في ١٦ تموز سنة ١٨٦٠

يهمني جداً ان تتيقن جلالتكم اني تلقيت خبر كوائن سورية باسف لا مزيد عليه فثقوا باني ابذل كل ما في طاقتي لاقرار الامن واعادة الراحة اليها وانزال اشد العقاب في الجناة ايًّا كانوا

ولكي لا يبقى ريب في نيات حكومتي شئت ان اعهد بهذه المهمة الخطيرة الى ناظر خارجيتي [1] المعروفة اراؤه لدى جلالتكم

وعلى اثر ذلك انفذ الباب العالي هذه النطاقة الى سفيري فرنسا وانكلترا في الاستانة

في اول محرم سنة ١٢٧٧ و ٢٠ تموز سنة ١٨٦٠

لقد طرح على ابحاث مجلس الوزراء الرسالة البرقية التي بعث بها حضرة المسيو توفنيل فتسلمنا نسخة منها وهي تتضمن المطالب الآتية

١ً ايفاد لجنة اوربية الى سوريه لاجراء تحقيقات فيها بالاشتراك مع ماموري الباب العالي وادخال التعديلات اللازمة على نظام سنة ١٨٤٥

---

(١) هو فؤاد باشا المشهور بحكمته ودهائه السياسي وقد تولى منصب الصدارة بعد ذلك في السلطنة العثمانية فازهر فيه ازهاراً وهو الذي اشار في وصيته قبيل موته على السلطنة العثمانية ان تلتزم خطة رسمها لها في سياستها مع الدول والا فتكون العاقبة عليها وخيمة وقد تحققت نبوءته بموتها لانه لم تعمل بوصاياه

٢ انفاذ قوة الى سورية للمساعدة على اعادة مياه الراحة الى هذه الايالة

٣ عقد اتفاق مع الدول العظمى للقطع بهاتين المسألتين

٤ تفويض سفيرنا في باريس تلغرافياً الاجتماع بممثلي الدول الاول لمفاوضتهم والاتفاق معهم بوضع بنود الاتفاقية

فدقق مجلس الوزراء المشار اليه في محتويات هذه الرسالة البرقية وعليه فانني ابادر الى ايقاف سعادتكم على ما استقر عليه الرأي وصدرت الارادة السنية باجازته وهو

انه لما كانت هذه اللجنة ستقتصر على تنقيح نظامات لبنان الادارية الموضوعة في سنة ١٨٤٥ وتنحصر في شؤون الجبل دون غيرها بحسب مادية النظامات المذكورة وكانت من جهة اخرى طريقة الادارة الجاري عملها بموجبها الان في لبنان قد بحث فيها ووضعت باتفاق الدول العظمى فمن البديهي ان تجري المفاوضات في التعديلات المراد ادخالها عليها والقطع بها بمشاركة الدول ايضاً وعليه بادر الباب العالي الى القبول بارسال اللجنة المقترح ايفادها

وهذه صورة فرمان السلطان عبد المجيد لفوآد باشا المشار اليه في اواخر ذي الحجة سنة ١٢٧٧ الموافق ١ تموز سنة ١٨٦٠

الدستور المكرم المشير المفخم نظام العالم مدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأي السديد الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال

مشيد اركان السعادة والاجلال المحفوف صنوف عواطف الملك الاعلى الفخم وكلاء دولتنا العلية اعظم مشيري سلطنتنا السنية المنوطة به نظارة الامور الخارجية في دولتنا العظمى المختار من لدن ملوكيتنا مستقلاً بأمور يات خرق العادات لمصالح سورية الحامل علامتنا المجيدية والحائز باستحقاق شرف نيشان امتيازنا الملوكي والخدمة العسكرية من الرتبة الاولى الوزير الالمعي محمد فؤاد باشا ادام الله تعالى اجلاله

توقيعنا الرفيع الشأن هذا بوصوله اليك لتحط علماً انك انت ايها الوزير الهمام المشار اليه بالبنان لعالم حق اليقين بالفتنة التي اشتعل اوارها الان بين الموارنة والدروز سكان جبل لبنان الذي هو في سورية وحينما انتهى الينا ما نشب بينهم من المناقشة والجدال والمبادرة الى المجادلة والقتال كان ذلك مما تكرهه عنايتنا الرحيمة رأفة بالعباد وسطوتنا القاهرة تأبى الا النظر بالشفقة على الرعية متساوياً لدينا جميع صنوف المتسمين بتبعة دولتنا العظمى على اختلاف مللهم ليكونوا بالامن والراحة رغداً عيشهم مطمئنة قلوبهم في ظلال الامن راتعين وان لا يتجاوز بوسيلة على آخرين تلكم قصارى بغيتنا ونتيجة مآربنا

فاما ما اضطرب به جبل لبنان من الحركات الغادرة الظالمة فانها من جميع الوجوه تغاير رضانا وتعاند معدلتنا ولهذا انطنا بوزارتك الكافية النظر في ذلك وفوضنا الى فطنتك الذاتية التي اتصفت بها في الخافقين الامر في الاستقلال لتسرع باخماد هذه الثورة واستئصال جرثومة الذين ايقظوا الفتنة فلا تبق عليهم ولا تذر اولئك الذين عثوا مفسدين عدواناً وكانوا

سفاكين دماء البشر فيا ايها الوزير الواحد الاحد المستجمع غرر الصفات السابق الايماء اليها الجليل المهاب بين رجال سلطنتنا المظفرة انت انت الذي وثقت بك عظمتنا وقد عولت عليك اعتمادها لتكون من لونها بالاستقلال في الحادث الجلل مطلق الامر ماضي الاحكام وقد سيرنا نحو هاتيك الاقطار الجيش العرموم وجحافل العسكر الجرار تصرفها انى شئت حسب رأيك وتدبيرك واجتهادك في المصالح وبحول الله عز وجل تجدُّ في المسير من هنا الى تلك الناحية حتى اذا وطأتها اضحى وزراء الملك الجيش كافة اليك مرجعهم برأيك يأتمرون وعلى تدبيرك يسلكون فيما ينبغي لاضمحلال اثر هذه الفتنة في اسرع حين والجهد كل الجهد برد الامن والسكون والراحة ·

والذين تجاسروا عدواناً على سفك الدم اجعل جزاءهم بمقتضى الاحكام التي نص عليها عدلنا في قانون الجزاء ردعاً وتأديباً والهمة الهمة في محو اثر هذه الغائلة الفظيعة مستعملاً في ذلك ما استقبلت به رأياً واجتهاداً وقد فوضناه اليك وانطناه بك من تدبير مصالح السياسة وترتيب الجيش ايفاء بما يجب من حق الدراية والقيام بواجبات الوظيفة وبذل ما تصل اليه الاستطاعة وعلى ذلك صدرت لك الاوامر من ديواننا الملكي بولاية هذا العمل والذهاب لتكون منتهجاً بمقتضاه مؤتمناً به معتمداً على علامتنا الشريفة تحريراً في اواخر شهر ذي الحجه سنة ١٢٧٦

تتمه حوادث سنة ١٨٦٠

وقد احتفل بتلاوة الفرمان المشار اليه في بيروت في ١٩ تموز سنة ١٨٦٠ وكانت بطانة فؤاد باشا مؤلفة من المفتي شروان زاده محمد افندي وشوكت افندي كاتب سره الاول والقائمقام رؤوف بك والضابطين مصطفى افندي وجميل بك واسبرو افندي مدير المراسلات الفرنساوية في نظارة الخارجية وفرنقو افندي الذي سبقت الاشارة اليه رئيس قلم فصل الدعاوي ودانيس افندي وسمونستان افندي وارزومان افندي من تراجمة النظارة

وبعد ذلك اذاع فؤاد باشا نشرته الآتية المؤرخة في ٣٠ ذي الحجه سنة ١٢٧٦ و ١٩ تموز سنة ١٨٦

الى شعب سورية

ان الحرب الاهلية التي نشبت في جبل لبنان بين الموارنة والدروز واسالت انهراً من الدم قد اوجبت استياء جلالة المتبوع الاعظم الشامل برأفته جميع رعاياه على السواء دون ادنى تمييز

من الامور المخالفة لنيات جلالته اعتداء فرد على فرد او ملة على ملة لاي سبب كان وبناء عليه فجميع الذين يخالفون هذه الاوامر يعدون كمتمردين على الحكومة ومن ثم يجب محو اثار كل عداء بعد الفظائع التي اقترفها اهل لبنان

قد جئت موفداً من قبل الحضرة السلطانية بمهمة مستقلة وخارقة العادة لمعاقبة الذين ارتكبوا هذه الجنايات وقد تضمن الفرمان السلطاني

العالي الشأن الموجه الي بيان السلطة المخولة لي فساظهر عدالة الحضرة الشاهانية ملجأ المظلومين التي تصغي لشكاويهم وتقتص من الظالمين وساتمم ما عهد الي به بكل نزاهة فليرتح بال الجميع اما في ما يختص بالعيل التي طردت من بيوتها فاتكفل باعادتها وسد حاجاتها المعاشية مظهراً لها بذلك الشفقة الشاهانية الخاقانية والمعدلة السنية

ينبغي ان يقف الاقتتال حالاً فان الجنود السلطانية التي بامرنا ستعمل منذ اليوم ضد من يخالف هذه الاوامر ويبدأ بالعداء منذرين بانزال العقاب العاجل في كل من يعد كائن الراحة

وقد فوض الينا خلا السلطة لوضع حد للاقتتالات وسائل غيرعادية لمحاكمة الافراد الذين اقترفوا الجنايات فللجميع كباراً وصغاراً ان يبسطوا شكاويهم فنعيرهم آذاناً صاغية

وبعد ذلك امر فؤاد باشا بكف يد خورشيد باشا والي ايالة صيدا وعهد بادارة شؤونها بالوكالة الى مصطفى باشا امير البحر ثم سافر الى دمشق مستصحباً معه تابورين من الجنود وستة مدافع لاستعمال اقصى الشدة هنالك .

واما البعثة الاوربية التي تقرر انفاذها الى سورية فقد تم تقريرها بموجب صك في جلسة المؤتمر المعقود في باريس في ٣ آب سنة ١٨٦٠ وهذه صورته

الحاضرون ممثلو النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا وروسيا وتركيا

انه لما كان جلالة السلطان يريد ان يحقن الدماء في سورية باتخاذ اقرب الوسائل الناجعة واظهار عزمه على المحافظة على حسن النظام وبسط الامان بين الشعوب الخاضعة لسلطنته وكان اصحاب الجلالة امبراطور النمسا وامبراطور فرنسا وملكة بريطانيا العظمى وايرلنده وسمو كفيل الملك في بروسيا وجلالة امبراطور الروسية قد عرضوا على جلالة السلطان مساعدتهم الفعالة فقبلها قد اتفق بممثلوهم على المواد الآتية

المادة ١ً يبعث الى سورية جيش من العساكر الاوربية يمكن زيادة عدد رجاله الى ١٢ الفاً يعمل على توطيد الراحة فيها

المادة ٢ً ان جلالة امبراطور الفرنسيس رضي ان يجهز في الحال نصف الجيش اذا اقتضى الامر ابلاغه الى العدد المحدد في المادة السابقة فعلى الدول الاول ان تتفق دون تأخير مع الباب العالي بطريق المفاوضة الدولية العادية على تعيين الدولة التي يتوجب عليها تقديم الجنود اللازمة

المادة ٣ على قائد هذه البعثة العام ان يخابر فور وصوله مندوب الباب العالي الخارق العادة للاتفاق على اتخاذ جميع الوسائط التي تستدعيها الاحوال ولاحتلال المواقع التي يجب النزول فيها لبلوغ الغاية المقصودة

المادة ٤ ان اصحاب الجلالة امبراطور النمسا وامبراطور الفرنسيس وملكة بريطانيا العظمى وسمو كفيل الملك في بروسيا وجلالة امبراطور الممالك الروسية وعدوا بمواصلة ارسال القوات الحربية الكافية الى شواطئ سورية وايقافها فيها مساعدةً على انجاح المساعي المشتركة الآيلة الى توطيد الراحة في تلك البلاد

المادة ٥ ان الدول المتعاقدة جعلت مدة احتلال الجنود الاوربية سورية ستة اشهر لتيقنها انها كافية لاعادة الامن والراحة المبتغائين

المادة ٦ يتعهد الباب العالي ان يبذل ما في وسعه لتسهيل تموين هذه البعثة العسكرية

قد استقر الرأي على نظم المواد الست المذكورة بشكل اتفاقية يوقعها ممثلو الدول فور وصول تفويض دولهم المطلق اليهم بيد ان شروط هذا الصلح تنفذ في القريب العاجل (التواقيع)

مترنيخ · توفنيل · كولى · رس · كيسيليف · احمد رفيق

ثم ان هذه الاتفاقية وقع عليها ممثلو الدول المشار اليهم في باريس في ٥ ايلول سنة ١٨٦٠ وسفير تركيا المفوض اطلع على تصريحهم واخذ على نفسه ان يبلغ دولته ذلك

وقبل ان تسافر البعثة العسكرية من باريس وزع جلالة الامبراطور نابوليون على بعضها الوسامات والانواط وخطب فيها قائلاً

ايها الجنود

انكم مسافرون الى سورية · ففرنسا تحيي بسرور حملة غايتها الوحيدة نصر حقوق العدالة والانسانية

لستم بذاهبين لمحاربة احدى الدول بل لمساعدة السلطان على اخضاع رعايا اعماها تعصب الاجيال الغابرة

ستقومون بواجبكم في هذه الارض السحيقة الغنية بتذكارات مجيدة فتبرهنون على انكم اولاد اولئك الابطال الذين حملوا علم المسيح في تلك البلاد بعز وشرف

ان عددكم قليل انما انا واثق ان بسالتكم تغنيكم عن كثرة العدد لان الشعوب تعلم انه حيثما يجتاز علم فرنسا فهناك غاية نبيلة تتقدمه وشعب عظيم يتبعه

و بعد ذلك مرت الجنود امام جلالته هاتفة فليحيِ الامبراطور

وقد نشر المركيز دي بوفور القائد العام للحملة هذه النشرة

ان الامبراطور المحامي على كل المصالح النبيلة السامية قد امر باسم اوروبا المتمدنة باجمعها ان تذهبوا الى سورية لمساعدة جنود السلطان على الآثار للانسانية ممن جنى عليها ولطخها بالعار فهذه مهمة شريفة يحق لكم الافتخار بها وستبرهنون على انكم جديرون بها

ستجدون تذكارات وطنية مجيدة في تلك الاصقاع المشهورة وهي مهد الديانة المسيحية وقد شرفها غودفريد دي بولون والصليبيون والجنرال بونابرت وجنود الجمهورية الباسلة

ان تمنيات اوروبا باسرها ترافقكم ومهما حدث فلي وطيد الامل ان الامبراطور وفرنسا يبتهجان بسلوككم فليحيَ الامبراطور

وقد صدرت الاوامر الى جميع قواد اساطيل الدول المجتمعة في شواطئ سورية للتكاتف على حقن الدماء بوسائل عاجلة حازمة والمساعدة على منع الاعتداآت على المسيحيين

وقد اوجبت الاوامر المشار اليها على قائد البعثة الجنرال دي بوفور ان يخابر مندوب الباب العالي فور وصوله الى سورية وان هذا الجنرال ومندوب السلطان في سورية يوحدان مساعيهما و يوفقان ترتيب حركات الجنود مع السلطة المطلقة المعطاة للمندوب العثماني مع بقاء الجنرال مطلق

الحرية فيما يختص بشرف العلم الافرنسي وامان جنود البعثة

والمسيو توفنيل ابلغ سائر الدول التعليمات الآتي بيانها ملخصة التي كان اعطى نسخة منها لمندوب فرنسا فحازت قبولهن وزودت كل واحدة من مندوبيهن نسخة منها وهي

انكم تعرفون غاية المهمة الموكولة اليكم في سورية فعليكم بعد اجتماعكم بمندوبي النمسا وبريطانيا العظمى وبروسيا والروسية والسلطان ان توجهوا عنايتكم اولاً الى البحث بالاتفاق معهم في منشأ الفتنة واسبابها وبأية درجة مسئولية كل من زعماء الثورة ومأموري الحكومة وايجاب انزال القصاص في الجناة

ويفرض عليكم تقدير الخسائر التي المت بالمسيحيين وايجاد الوسائل الكافلة تخفيف شقائهم وتعيين التعويضات الواجب اداؤها الى المنكوبين وان تزنوا الكوائن الحديثة واسبابها وتستمدوا منها الانوار اللازمة لاقتراح التعديلات التي يجدر ادخالها على ادارة الحكومة الحالية ولا سيما على تنظيمات جبل لبنان الموضوعة بالاشتراك في سنتي ١٨٤٢ و ١٨٤٥ وينبغي تدوين هذه التعديلات في لائحة اجتماعية يوقعها جميع المندوبين

ان مندوبي النمسا وبريطانيا العظمى وبروسيا والروسية سيتلقون مثل هذه التعليمات فعليكم ان تكونوا معهم على اتم وفاق

ولقد اوعزت الى جميع قناصل جلالة الامبراطور في سورية ان يجيبوكم الى طلباتكم وابلغت هذه التعليمات الى حضرة سفير جلالته في الاستانة فعليكم ان ترسلوا اليه جميع الانباء التي يهمه الوقوف عليها وتمتثلوا اشارته

وبتاريخ ٨ آب سنة ١٨٦٠ نشر فؤاد باشا في الجنود التركية في دمشق النشرة الآتية :

ايها الرفقاء ان بعض الجنود الفرنسوية والانكليزية ستصل قريباً الى هذه البلاد لان دول اوروبا لرغبتهن المتواصلة في ان تستمر بلادنا متمتعة بالراحة قد شئن ان يساعدننا على قمع الاضطرابات التي حدثت في هذه البلاد فقبلت الحكومة السنية مساعدتهن اظهاراً لثقتها في حليفاتها

وغير خاف عنكم ان هذه الجنود تخص ذات الدول التي عضدتنا بكل قواها في عهد سابق فعليكم ان تقوموا بواجب الاخاء نحوها فانتم في بلادكم وهي في صيانتكم فاعملوا بواجبات الضيافة خدمةً لنيات جلالة متبوعنا الاعظم المنصرفة الى العدل وعملاً لانقيادكم العسكري واحترامكم نظام الجندية وشرفها ونرى انكم بغنى عن كل مساعدة على معاقبة سافكي دماء المسيحيين مواطنيكم مثلنا والاقتصاص من الجناة باسم الانسانية

وقد اذاع مثل هذه النشرة امير البحر مصطفى باشا وكيل ايالة صيدا

ولم تلبث بعد ذلك ان وصلت جنود البعثة الفرنساوية الى بيروت وموسيقاها صادحة امامها بلحنها الوطني وحلت بعسكرها (الحرش) القريب من بيروت ومعها كمية عظيمة من المؤن والذخائر والبغال والخيل لجر المدافع وبدأت بالاعمال الموكول اليها القيام بها

﴿ اعمال فؤاد باشا ﴾

على اثر وصول فؤاد باشا الى دمشق عزل احمد باشا والي الشام

وارسله الى الاستانة بصفة سجين وارسل ايضاً خورشيد باشا الذي كان كف يده عن ايالة صيدا اليها ولكن ليس بصفته سجيناً ثم اضطر الى استرجاعه الى سورية

والف محكمة جزائية لمحاكمة المجرمين وضاعف عدد الجنود في دمشق واوفد بعثة عسكرية الى حاصبيا وراشيا وغيرها توطيداً للراحة و بالجملة مد بساط الامن في كل مكان و بدأ بالقاء القبض على كل من تقرر ان له يداً في الحوادث الفظيعة وايداعهم محال التوقيف

وحيث ليس من شأننا البحث المسهب في كل حركة اتاهـا فؤاد باشا فاننا نكتفي ببيان الاحكام التي اصدرتها تلك المحكمة على من تحقق انهم اطلخوا ايديهم بسفك الدماء البريئة أو بالمساعدة على سفكها او بايقاظ الفتنة

الاحكام

حكم على كل من خورشيد باشا وطاهر باشا والميرالاي سليمان نوري بك بالسجن المؤبد وعلى وصفي افندي واحمد افندي بالسجن في القلعة موقتاً

وعلى كل من سعيد بك جنبلاط . والشيخ حسين تلحوق . والشيخ اسعد تلحوق . والامير محمد قاسم ارسلان . وقاسم بك نكد . والشيخ اسعد عماد . وسليم بك جنبلاط وجمال الدين حمدان . ومحيي الدين شبلي . و بشير مرعي نكد . وعلي سعيد بالاعدام

وقد وجد ٢٣ شخصاً من الدروز قد فروا الى حوران قبل اتمام

التحقيق ولذلك تقرر لزوم الحكم عليهم بالاعدام بعد القبض عليهم وهم خطار بك العماد و بشير بك العماد والشيخ كنج العماد وملحم بك العماد والشيخ محمود تلحوق والشيخ ناصيف تلحوق و بشير بك ناصيف نكد والشيخ محمود العيد والشيخ حمود منصور والشيخ منصور القاضي وعلي بك حماده ومحمود بك حماده وقاسم بك يوسف حماده وقو يدر بك حماده وملحم بك حماده وسليمان بك حماده والمشائخ مصطفى دو يك وقاسم عبد الصمد ورافع عبد الصمد و يوسف حسن عبد الصمد وقاسم بشير ابي شقرا وخطار قاسم ابي شقرا وغضبان ابي شقرا

على انه لم ينفذ حكم الاعدام في جميع المحكوم عليهم لان البعض نالوا العفو لان هذه الاحكام من قبيل الجرائم السياسية التي يصح العفو فيها

واما في دمشق فكانت الاحكام على المجرمين متفاوتة بالنسبة الى الجرائم ·

التعويضات

لقد فرض على كل درزي بلغ الخامسة عشرة من عمره ان يؤدي لمساعدة المسيحيين الذين تضرروا من اعتداء الدروز عليهم

			غرش
١٠	امداد قمح	ثمنها	٢٠٠
١٠	« شعير	«	١٢٠
١٠	ارطال زيب	«	٤٠

١	مدحمص	〃	٢٠
٣	فرش	〃	١٢٠
٣	اغطية	〃	١٠٥
٣	مخدات	〃	٦٠
٢	طنجرة	〃	١٠٠
١	دست	〃	١٥٠
٢	بلاسين	〃	١٠٠
١٠	قفف	〃	٥٠
			٧٠٥

بيان الاموال الموزعة على المنكوبين

غروش	
٣٢٣٠١٥	المدفوع في شهر آب الى لاجئي دمشق وعددهم ٥٥٣٦
١٥٧٦٦٧	〃 〃 〃 〃 دير القمر وحاصبيا وراشيا
٢٠٩٢٥١	معدل النفقات المتنوعة بما فيه المستشفى السلطاني وفيه ١٢٠٠ الى ٢٠٠٠
٦٠٠٠٠٠	معدل الاموال الموزعة على مسيحي دمشق
١٢٨٩٩٣٣	

والاب شارل لافيجري موسس جمعية المدارس الشرقية لما اتصل

به خبر المذابح افتتح أكتتاباً لاغاثة المنكوبين ثم جاء سورية بالاموال التي جاد بها المحسنون ووزعها على المنكوبين وقد بلغت مليوناً ومئة وستة آلاف فرنك و ٥١٢ فرنكاً

وفتح ميتمين يسعان الفي يتيم واما اولاد الاسر فوضعها في مدرستي عين طوره وغزير وكانت كلفة كل يتيم ٢٠٠ فرنك في السنة وكل تلميذ ٤٠٠ فرنك

ثم اخذ يتوالى ورود الاحسان من كل جهة فبلغ مبلغاً عظيماً جداً والحكومة وزعت على المنكوبين بدل بيوتهم المحترقة واشيائهم المسلوبة فاصاب كل واحد المبلغ الذي عينته اللجنة المقدرة في كل قرية بالنسبة الى ما تعرفه من حالته

(وعلى هذا الوجه انتهت هذه المأساة المحزنة)

❋ بعد حادثة سنة ١٨٦٠ ❋

بعد ان عادت السكينة الى لبنان بما قام به فؤاد باشا وممثلو الدول من التدابير عقد في بيروت مؤتمر دولي حضره فؤاد باشا وممثلو دول انكلترا وفرنسا وروسيا والنمسا و بروسيا وكانت نتيجة مفاوضاتهم تقارير قدموها الى الاستانة وعليها بني نظام لبنان الجديد في عهد السلطان عبد المجيد ورضيت به سائر الدول بتاريخ ٩ حزيران سنة ١٨٦١ و بتاريخ ٦ ايلول سنة ١٨٦٤ تقرر العمل بهذا النظام بعد تنقيحه وقد اشتركت دولة ايطاليا بقبوله مع الدول المشار اليها وهذا النظام هو الذي اشتمل على ثماني عشرة

مادة صار اثباتها وقد بقي اللبنانيون متمتعين بالراحة والرخاء في ظل هذا النظام مدة نصف جيل ومات في بدء الاحتلال مأسوفاً عليه

كيف كان لبنان في ادواره السابقة

ان لبنان في جميع ادواره السابقة كان مستقلا وكان الحكم فيه لاسر من الامراء اللبنانيين ولاهم الملوك واصحاب المقامات العالية تحت شروط اهمها دفع الضرائب والقيام بالخدمة العسكرية

وقد نبغ بين هؤلاء مع طول العهد رجال نالوا رضى اولئك الامراء باخلاصهم لهم وبمساعدة الظروف لهم لا بمجدهم العريق ولا بما اتوا من الاعمال العمومية المجيدة فاستحقوا ان يمتازوا بانعامات منهم فكانوا رؤساء لعائلات جعلت جميع افرادها بواسطتهم في مصاف الشيوخ بدون ادنى مشقة ولا مأثرة وهذه الاسر هي من النصارى آل خازن وآل حبيش وآل دحداح وآل الخوري صالح الذين منهم حبيب باشا السعد وعائلته وآل ضاهر وآل بيطار وآل عازار وآل نفاع وآل يازجي . ثم بعد ذلك لحق بهم عائلات اخرى كآل عواد وآل شدياق

ومن المسلمين آل شاعر وآل مزهر ولم يبق احد منهم في لبنان

ومن المتاولة آل حماده

ومن الدروز آل جنبلاط وآل تلحوق وآل عماد وآل عبد الملك بقسميها وآل نكد وآل مزهر المقدمون

وقد لحق بهذه العائلات آل حماده في بعقلين وآل حمدان في باتر

وبعد ان شاعت رتبة المشائخ بطلت الرتبة الشخصية التي كان يتولاها ذو المقدرة في بلدته اما بقوته الشخصية واما بقوته العلمية واما باقتداره في المال



محمد افندي الكستي

قاضي مدينة بيروت ورئيس محكمة التمييز الشرعية في لبنان الكبير

وهو نجل الشاعر المشهور ابي الحسن افندي الكستي
واحد شعراء بيروت وفقهائها المعروفين
بالعدالة وسعة الاطلاع

العناصر والمذاهب

الكنعانيون

ان بني كنعان بن سام بن حام بن نوح سكنوا فينيقية كلها ولكنهم في لبنان لم يسكنوا الا سواحله

وكانت لغتهم سامية وهي المعروفة بالفينيقية

وقد بقيت اثار الكنعانيين الى زمن السيد المسيح فقد روى الانجيل انه ابرأ ابنة كنعانية اما دينهم فهو انهم دعوا الاله الاعظم عندهم بالبعل ومعناها الرب او السيد ودعوه ادون ومعناه السيد ايضاً ولقبوه بملوك او ملوخ ومعناه الملك وبعل شمايم ومعناه رب السما

وبعد ان تعددت قبائل الكنعانيين شيدوا المدن العديدة وصارت كل مدينة تنسب البعل اليها فاكرم اهل صور البعل وملكرت وعشتروت واكرم اهل صيدون البعل واشمون (١) وعشتروت واكرم اهل بيروت عشترت وبعل وعطارد

ثم نسبوا البعول الى النار فدعوا بعل عمون والى القصف فدعوا بعل مرقد وهو الذي كانوا يكرمونــه في هيكل دير القلعة على مقربة من بيت مري حيث كانت تقام المقاصف الخلاعية

ثم ان الكنعانيين الهوا قوات الطبيعة كالحجارة البركانية والنيازك والجبال فعبدوا بعل لبنان وبعل حرمون ووجه الحجر عند الشقعة ثم انهم عملوا لالهتهم زوجات نخص بالذكر منهن عشتروت التي كانوا يدعونها بعلة

(١) لعل قرية بعل شميه في ناحية المتن الاعلى كانت مقاماً لاحد البعول

زوجة البعل والتي اقام لها اهل جبيل هيكلا في مدينتهم وقد ورد ذكرها في التوراة وفي مكاتبة العمارنة

الاراميون

ينتسب الاراميون الى ارام ابن سام ابن نوح . سكن ارام ونسله اولاً في العراق ثم انتقلوا الى جهة العرب فتوطنوا في بلاد الجزيرة التي عرفت بهم ثم ازداد عددهم فبلغوا حدود الشام و زاحموا الكنعانيين على بعض مواطنهم

و يدلنا على اثار الاراميين في فينيقية ولبنان، اعلام كثير من القرى مثل رشميا ومعناها رأس الماء وميروبا ومعناها الماء الغزير ودلبتا ومعناها الدلب وبسكنتا ومعناها بيت المساكن وبيت مرى ومعناها بيت السادة و برمانا ومعناها بيت الرمان وبكفيا ومعناها البيت الصخري وعيناتا ومعناها الينابيع وزرعايا ومعناها الزارع وعين طوره ومعناها عين الجبل وبقعاته ومعناها السهول

وذهب البعض الى ان هذه الاعلام سريانية كما اشرنا الى ذلك قبلاً في كتابنا (دليل لبنان)

وقال احد المستشرقين ان اللغة الارامية بقيت اللغة الوطنية في البلاد الى ايام العرب وقد عبد الاراميون النيرات السموية كالاستوريين فكانوا يكرمون الاله سمس اي شمس والاله سين اى القمر ومن اخص معبوداتهم اترعطى (atar gatis) المعروفة بالالهة السورية

﴿ الحثيون ﴾

الحثيون ينتسبون الى حث بن كنعان بن سام بن نوح كما ورد في سفر التكوين (١٠ : ١٥)

هاجروا في الالف الثالث قبل المسيح الى شمالي سوريا ونواحي فلسطين وقد انقسم الحثيون في الالف الثاني ق — م الى قسمين قسم منهم بسط سيطرته على كليكية وبر الاناطول وبقي القسم الاخر في نواحي حمص وكانت حاضرتهم قدس ومن مدنهم كركيش ولما قويت شوكة المصريين سار الفراعنة الى بلاد الحثيين في عهد كوتمش الثالث وساتي الاول ورعمسيس الثالث وحاربوهم وبعد ان غزاهم رعمسيس الثالث رضي بمحالفتهم في عهد ملكهم خطا سار سنة ١٣٢٧ ق — م

وكان الحثيون معروفين بشدة البأس وتعددت فتوحاتهم وجرت محاربات عديدة بينهم وبين الاشوريين في اوائل القرن الثاني عشر ق — م كان النصر فيها حليف الاشوريين واضمحل ملك الحثيين بموت اخر ملوكهم بيزيريس سنة ٧١٧ ق — م

والدولة الحثية بسطت سلطتها على القسم الشمالي من لبنان المجاور لحمص وطالما شنت الغارة على فينيقية

اما اثارهم في لبنان فلا تزال مجهولة وديانتهم غير معروفة والذي عرف من جملة الهتهم اله يدعونه تيشو بولو وجدت صورته في عاديات بابل لابساً زي الحثيين وفي يده فأس وصاعقة

﴿ الكلدان والاشوريون ﴾

تملك الكلدان ثم الاشوريون زمناً طويلاً على فينيقية قبل المصريين والكلدان هم البابليون وهم من اقدم الشعوب ثم جاء بعدهم الاشوريون وكلهم ساميون واستولوا على دجلة والفرات بعد ان كانوا دهراً للكوشيين في عهد نمرود (١) ومما عرف من دياناتهم انهم عبدوا ثلاثة (٢) من الالهة وهم آنوا اله السماء وابو الالهة وانليل آله الارض وايا او إنكي اله البحر وجعلوا لهذه الالهة ثلاث زوجات انتو لانو ونليل لانليل ونكى اودمكينا

---

(١) نمرود هو ابن كوش بن حام بن نوح كان رجلاً جباراً عاتياً ويقول العرب ان نمرود هذا القى ابرهيم الخليل في اتون النار ونمرود مضرب المثل في الظلم واليه تنسب الاصنام التي نقلها الافرنج الى بلادهم

وكانت مملكة نمرود مؤلفة من اربع مدن فقط هي بابل وارك واكد وكلنه اما بابل فكانت اعظم مدائن آسيا وارفعها علماً واوسعها ظلاً واكثرها ثروة وعمرانا وامنعها عزة تقلبت في الخصب دهراً طويلاً وبها سميت المملكة ببابل وقيل انها سميت بابل اخذاً من بلبلة الالسنة فيها على ما ورد في سفر التكوين (حس ١١) من ان بني نوح لما رحلوا من المشرق ونزلوا بشنعار اخذوا في بناء برج يبلغ الى السماء فبلبل الله السنتهم حتى صار بعضهم لا يفهم كلام بعض فكفوا عن بناء البرج ولذلك دعيت المدينة بابل وبابل كلمة عبرانية معناها البلبلة

وزعم كهنة البابليين ان بابل بناها آله من آلهتهم من زمن لا يعلم بدوه وذهب مورخو الرومان واليونان انها بنيت بعد الطوفان بقليل

وقيل ان الاتومين بنوا هيكلاً يجلسون فيه لقضاء دعاويهم فسميت المدينة بابل واصلها بناء على ذلك (باب ايل) اي باب الاله

وقيل ايضاً ان نمرود بنى هذا البرج المعروف ببرج اللغات

(٢) يظهر ان عبادة ثلاثة الهة معاً (الثالوث) كانت شائعة عند الاقدمين

لانكى

ثم انهم عبدوا القمر والشمس وعشتار التي كانوا يدعونها ملكة السماء ويزعمون انها الزهرة واقاموا لها هيكلاً في مدينة ارك تجري فيه الرتب الدينية الفاحشة ولذلك دعت ارك مدينة العواهر

وقد امتاز البابليون بين الشعوب القديمة بالحكمة والادب وعرفوا بشدة البأس والفتوحات الواسعة

﴿ المصريون ﴾

المصريون ينتسبون الى مصرائيم بن كنعان بن حام ساروا من العراق الى جنوبي جزيرة العرب ثم اجتازوا بحر القلزم واستوطنوا من افريقية الانحاء المدعوة مصراً باسمهم

ولما بلغ ملوك مصر عزهم استولوا على المدن الساحلية من بر الشام وذلك من القرن السادس عشر ق — م الى القرن العاشر

وقد استفاد هؤلاء الملوك من لبنان انهم عمروا سفنهم واساطيلهم من غاباته واستخدموا الفنيقيين لتدبير تلك السفن لحذقهم في الصناعة

واللبنانيون اقتبسوا بدورهم من المصريين شيئاً من تمدنهم الراقي

واثار المصريين وهياكلهم العظيمة تدل على انهم كانوا عريقين في الدين وانهم عرفوا الهاً عظيماً عندهم اشاروا اليه برموز شتى واتخذوا الشمس صورة له ونسبوا اليها تدبير العالم

ولما تعددت المالك المصرية اخذ اهل كل مملكة يعبدون ذلك الاله

على هيئة خاصة ولذلك تعددت اسماؤه مع وحدانيته فدعاه اهل هيلو بوليس اي مدينة عين الشمس باسم اتوم واهل منف باسم فتاح واهل هرموبوليس باسم طوت واهل ثيبة باسم عمون واهل اوفو باسم هورس واهل اليفنتين (جزيرة اصوان) باسم خنوم

ثم ان هذه الالهة تعددت ايضاً واخذ المصريون يرمزون اليها برموز مختلفة منها من عالم الجماد والنيرات والقمر والكواكب والانهار ولا سيما نهر النيل ومنها من عالم النبات كالاكاسيا ومنها من الحيوانات كالاسد والكلاب ومنها من الزحافات ومنها من الطيور والاسماك ومنها من الحشرات واقاموا لهذه المعبودات هياكل فاخرة كان يتولى خدمتها فريق من الكهنة وكانوا يغذون تلك الحيوانات واذا ماتت حنطوها

وكان المصريون يعتقدون بالاخرة وبخلود النفس وتحنيط الموتى برهان على ذلك اذ كانوا يعتقدون ان الميت في عالمه الاخير يأوي الى جسده المحنط

وقد اقاموا الاهرام التي ادهشت العقول لدفن ملوكهم وحفظ اجسادهم فيها

﴿ الفرس ﴾

الفرس عنصر آريٌّ ينتسبون كالاوربيين الى يافث بن نوح ظلوا مستقلين دهراً طويلاً في انحاء ايران العالية الى ان ذللهم ملوك الكلدان وبسطوا عليهم سلطتهم ولما شعر الفرس والماديون بضعف الدولة البابلية

نشروا راية العصيان وسار الملك كورش الى بابل وفتحها وقتل ملكها باشصر سنة ٥٣٨ ق — م

ثم ان كورش اتى لبلاد الشام لمحاربة الدولة المصرية فخضعت سورية لملكه ودخلت فينيقية تحت طاعته بدون محاربة وانجده الفينيقيون بسفنهم وظلوا موالين للفرس حتى ظهور الاسكندر وسقوط الدولة الفارسية وظهور اليونان

وقد عبد الفرس القوى الطبيعية وكانوا يقدمون القرابين لجو بيتر ويضحون للشمس والقمر والنار والهواء ثم مالوا الى عبادة الزهرة

اما المجوس الذين هم ارباب دينهم فقد قسموا الكائنات الى قسمين طاهرة فنجسة زاعمين ان للعالم آلهين آله الخير ويدعونه هرمزد وآله الشر ويدعونه اهريمان وان آله الشمس ميترا كان وسيطاً بين الاثنين ولم يزل اثر لهذه الديانة في الهند ولم يترك الفرس في فينيقية ولبنان اثراً

﴿ اليونان ﴾

اصل اليونان من عنصر آري ايضاً جاءوا في الالف الثالث قبل المسيح من شرقي العراق الى آسيا الصغرى ثم عبر قسم منهم الجزائر المعروفة بجزائر اليونان وفيها تناسلوا وتقسموا الى قبائل عديدة ثم الى امم مستقلة وفي اواسط القرن الرابع ق — م اصبحت السيطرة لملوك مكدونيا ولا سيما لفيلبس ثم لابنه اسكندر ذي القرنين

فاستولى فيلبس على جميع الدول اليونانية وهكذا الاسكندر الذي

تخطى الى الاماكن المجاورة فتصدى له داريوس ملك الفرس فكسره الاسكندر كسرة قبيحة في سهول كيليكية ومن ثم استولى على دمشق وعلى صور في اواسط سنة ٣٣٢ ق — م ثم جاء لبنان فلم يلاقِ معارضاً فقطع الجبل الشرقي ثم عادظافراً بعد ان اتم فتوحاته كلهاواصبحت الارض في قبضة يده و بعد وصوله الى بابل بعشر سنوات ادركه الموت وتقسم قواده الملك وصارت سورية حصة سلوقوس نيقاطور على ماسبق البيان

وقد عبد اليونان الجماد فنحتوا الانصاب الضخمةعلى هيئة يرون فيها المعبودات العلوية

وقد عبدوا الرجوم والنيازك والحجارة البركانية والمواليد النباتية لما وجدوا فيها من قوة النمو والتناسل وقد خصوا كل شجرة باله له فكان السنديان شجرة زفس اي المشترى والزيتونة شجرة الالهة منرفا او اثينا والغار شجرة الآله ابلون وقس على ذلك

وكانوا يعبدون الموتى و بالجملة بلغ عدد معبوداتهم الالوف وخرافاتهم اصبحت لا تحصى

وآثارهم تدل على انهم استعاروا كثيراً من الخرافات الدينية

﴿ الايطوريون ﴾

ان الايطوريين من اصل عربي يتصل نسبهم باسمعيل بن ابراهيم الخليل على ما جاء في سفر التكوين (٢٥ : ١٥)

سكن الايطوريون في جبال اللجا القريبة من تخوم الشام ثم امتدوا

الى الجبل الشرقي وانحاء البقاع وجعلوا عاصمة ملكهم كليس (عنجر) وقد اطنب المؤرخون في باسهم ومهارتهم برمي السهام ولما رأى ملوك الايطوريين الضعف الذي حف بالدولة السلوقية في اواخر القرن الثامن ق = م توغلوا في لبنان من الجهة الشمالية واستولوا على رأس الشقعة وتحصنوا فيها ولما اتى بومبيوس القائد الروماني بجيشه الى سورية انتشبت بينه وبينهم حرب كانت وخيمة العاقبة على الايطوريين

وكانوا يعبدون الشمس والكواكب ولا سيما الزهرة

﴿ الرومان ﴾

الرومان من العنصر الايطالي الذين يتصل نسبهم بيافث بن نوح كانوا في اول امرهم قبائل بادية ترعى المواشي ثم انهم مالوا الى الحضارة واخذوا يبنون القرى الى ان بنى زعيمهم رومولوس مدينة رومية ودعاها باسمه

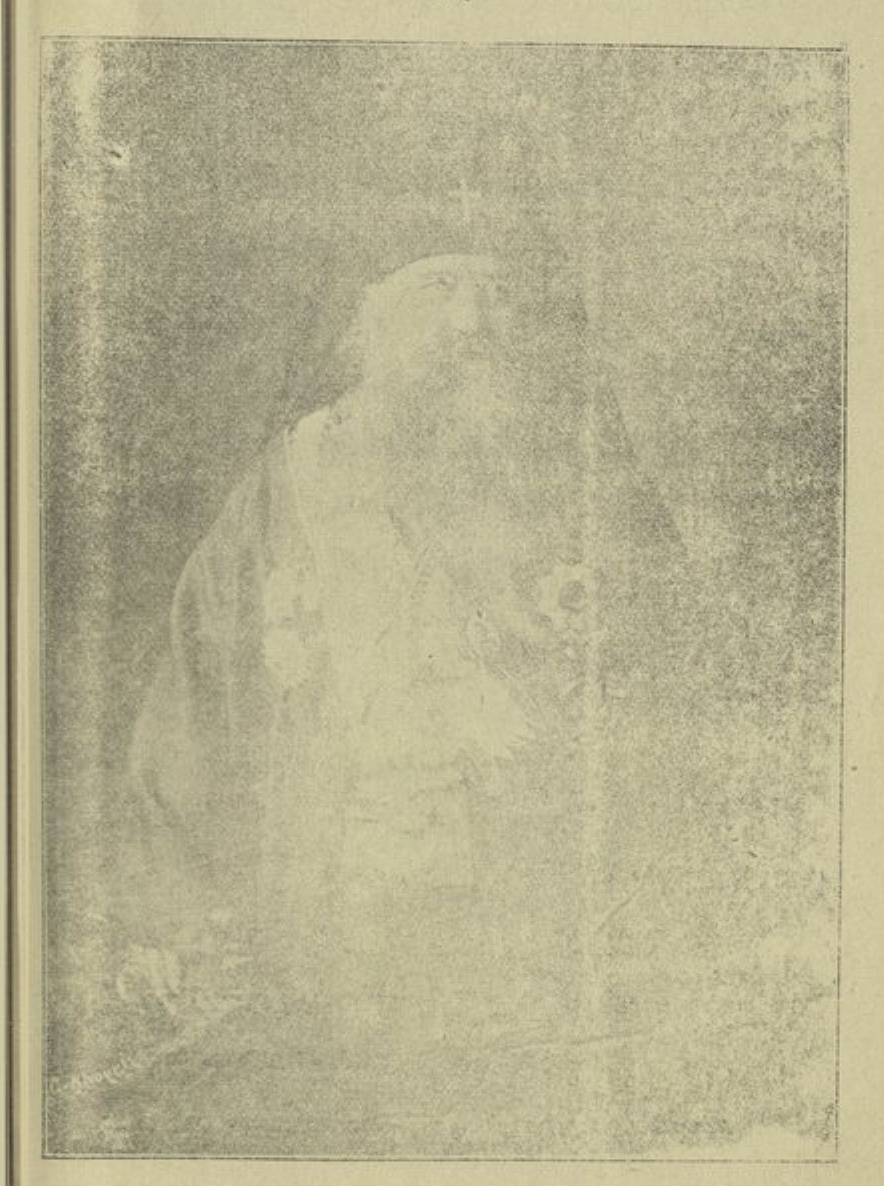
وقد دخل الرومان لبنان على عهد بمبيوس القائد الروماني الذي مر ذكره فانه بعد ان فتح ارمينيا سار الى سورية وانتزعها من يد انطيوخس الاسيوي سنة ٦٤ ق = م ثم انه حارب الايطوريين وكسرهم والحق لبنان بالاملاك الرومانية واستولوا على كل مدن فينيقية الساحلية وظل الرومان يحكمون البلاد الشامية ولبنان الى ان استولى عليهما ملوك بوزنطية الروم

وكانوا يعبدون القوى الطبيعية ويكرمون الافلاك والعناصر كالشمس والارض والنبات والينابيع

ثم اخذوا يكرمون الحيوانات والاشجار والحجارة ثم عبدوا جوبيتر ثم انهم شادوا الهياكل واعظمها هيكل الكابيتول في رومية وزعموا ان لجوبيتر زوجة هي الالهة جونون الملكة . ثم انهم عبدوا المريخ ودعوه الهاً ثم جعلوا ملوكهم في عداد الالهة ولكن لم يكن لديانتهم في لبنان تأثير رغماً عما شادوا فيه من الهياكل والمعابد الفخمة كمعبد بعلبك ودير القلعة

ثم اصبحت معبودات تلك الهياكل مشتركة بين الرومان والوطنيين ثم اضمحلت الديانتان لما تنصر قسطنطين

———



غبطة البطريرك غريغوريوس الرابع
البطريرك الانطاكي وسائر المشرق للروم الارثوذكس

هو غنطوس بن جرجس بن غنطوس الحداد ولد في غرة تموز سنة ١٨٥٩ في قصبة عبيه من ابوين فاضلين ولما ترعرع وضعه ابواه في مدرسة عبيه فورد من معين العلم زلالا و برز على اقرانه في النباهة والمعارف ومال من صبوته الى الاتشاح بالاسكيم الرهباني فايد الله نيته ودفعه الى يد معلمه المغفور له المطران غفرئيل مطران بيروت ولبنان حينئذٍ فتثقف عليه في كل بر وفضيلة وفي ٢٤ ك ١ سنة ١٨٧٥ اتخذه كاتباً فانبثقت اشعة نشاطه وسمو ارائه في اعماله المجيدة

وفي احد النسبة الواقع في ٢٩ آب سنة ١٨٧٩ سامه شماساً واناط به مهام عديدة قام باعبائها احسن قيام وكان له اليد الطولى في انشاء جريدة الهدية ورسائله فيها انفس من عقود الجمان

ولما ثار الشقاق في ابرشية طرابلس بعد وفاة مطرانها السيد صفرونيوس في سنة ١٨٨٧ واستفحل الخلاف بين ابنائها انتخب المترجم مطراناً لها ونال نعمة رياسة الكهنوت في ١٠ ايار سنة ١٨٩٠ وما دخل الابرشية حتى الف بين القلوب فانقادت له الرعية لما ابدى من سلامة النية وبرارة الصنيع ولم يلبث ان فتح مدرسة داخلية في دير كفتين المشهورة فاستمرت بضع سنوات وقد خرجت كثيراً من التلامذة النجباء

وفي سنة ١٩٠٦ انتخب بطريركاً وما جلس على اريكة البطريركية حتى كان فيها بشير السلام وعقدة الوئام وقد ابدى من الاثار الطيبة العرف ما ينطبق على مبادئه القويمة فذاع صيته وطارت شهرته بالذكاء والرصانة واصالة الرأي فاجمع رجال الملة على حبه وتنافسوا في سبيله مرضاته

وما زال حتى اليوم يواصل مآثره الغراء بهمة لا تعرف الكلل واقدام لا يمازجه الملل وقد سافر في سنة ١٩١٣ الى عاصمة الروس فنال رعاية عظيمة من لدن الامبراطور حينئذٍ وصافحه وغمره بجزيل احسانه

وله عناية مخصوصة بنشر المؤلفات الدينية والادبية وهو ضليع في اللغة العربية من صرف ونحو وبيان وعروض وخطابة وله اليد الطولى في الرياضيات من حساب وجبر ومنطق وفي العلوم الشرعية من فقه وميراث

اما ذهنه فلا يعرض عليه نسيان واما قريحته فسيالة وتصوراته من ابدع ما يعرض للمخيلة وله شعر منسجم الحواشي مبتكر المعاني

واما اعمال البر التي قام بها في ايام الحرب الكونية على ما سبق البيان فقد خلدت له اثراً مأثوراً وذكراً مشكوراً



غبطة البطريرك الياس الحويك

بطريرك الملة المارونية الكريمة

ولد في اول كانون الثاني سنة ١٨٤٣ وكان ابوه من خيرة رجال الكهنوت وامه من النساء الصالحات وقد ربياه تربية حسنة فنشأ محروساً بنقاوة الطبيعة ملحوظاً بجمال الفضيلة وقد تلقى علومه الاولية في مدرسة القديس مارون في قرية كفرحي

وفي عام سنة ١٨٥٩ انتظم في سلك تلامذة مدرسة الاباء اليسوعيين في غزير فاقتبس اللغات الافرنسية واللاتينية واليونانية وتعلم العلوم الرياضية والفلسفية وتضلع من دراسة اللغة العربية

وفي اواخر عام سنة ١٨٦٦ شخص الى رومه وقضى اربع سنوات في مدرسة البروباغنده فدرس اللاهوت الادبي والنظري والتاريخ الكنسي والحق القانوني واللغتين الايطالية والعبرانية ونال شهادة الملفنة في اللاهوت

وفي ٥ حزيران سنة ١٨٧٠ رقي الى درجة الكهنوت ثم ان المثلث الرحمات البطريرك بولس مسعد اقامه استاذاً للعلوم اللاهوتية في مدرسة القديس يوحنا مارون

وفي سنة ١٨٧٢ انتدبه الى خدمته في ديوانه البطريركي وفي ١٤ ك ١ سنة ١٨٨٩ رقاه الى مقام الاسقفية وجعله مطراناً شرفياً على عرقه ونائباً بطريركياً

ومن مآثره انه اذاع اخوية العائلة المقدسة في اغلب قرى لبنان وانشاء الجمعية المعروفة باسم العائلة المقدسة المؤلفة من راهبات فواضل يعتنين بتهذيب البنات

وهن الراهبات المعروفات براهبات عبرين اللواتي انتشرت فضائلهن

انتشار الدراري الحسان

وفي سنة ١٨٩٧ استدناه قداسة البحر الاعظم الى رومة وعهد اليه بادارة المدرسة المارونية فيها فقام بهذه المهمة خير قيام وفي يوم الجمعة الواقع فيه عيد الفطاس من سنة ١٨٩٩ نودي به بطريركاً بعد ان تم انتخابه باجماع الاراء اما ما اتاه غبطته من المآثر المأثورة والاعمال المشكورة منذ القيت اليه مقاليد البطريركية حتى اليوم لجدير بان يكتب بماء التبر في جبين الدهر واما ما قاساه في ابان الحرب الكونية من المشاق بشخوصه الى باريس وما ابداه من الدفاع عن حقوق لبنان وما بذل من الاحسان على الفقراء والمعوزين على نحو ما سبق البيان في محله فقد قابله اللبنانيون على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم بمنة عظمى فهم يذكرون لغبطته هذه الحسنات في كل نادٍ تمايلت فيه بنات الافكار

ومما يذكر له القصر الصيفي الذي شاده في اجمل موقع في الديمان فانه من القصور التي توفرت فيها اسباب الفخامة

ولم يزل غبطته حتى اليوم رغماً عن كبر سنه غير مبال بالمشاق والاتعاب اطال الله بقاءه ومتعه بالعافية وهدء البال



سيادة العلامة المطران بولس عواد

مطران ابرشية قبرس

هو بولس ابن الشيخ راجي بن رامح عواد من آل ابي سليمان عواد

ولد في قرية حصرون في ٩ شباط سنة ١٨٥٥ وامه ترزيا ابنة الشيخ يوسف الحاج رفول وكلا الابوين معروف بعراقة الحسب فترعرع الابن في حجر ابويه طموحاً الى تعزيز شرفه الموروث بالشرف المكسوب ورأى من نفسه ميلاً الى الدعوة الاكليريكية فاندمج في سلك تلامذة مدرسة ماري عبدا هرهريا في اوائل عام ١٨٦٨ وهو وقتئذ في الثالثة عشرة من عمره فانصب على اقتباس المعارف الاكليريكية وعكف على التضلع من اللغات العربية والسريانية والايطالية والافرنسية واللاتينية والعلوم الادبية والفلسفية واللاهوتية والقانونية والتاريخية فاحرز قصب السبق وفي اثناء ذلك وضع كتاباً مطولاً في الاصول النحوية لا يزال غير مطبوع

وفي ٢٩ نيسان سنة ١٨٧٧ ارتقى الى درجة الكهنوت ثم القيت اليه وظيفة تدريس النحو والبيان واللاهوت في مدرسة الحكمة ببيروت وقد الف كتاباً في البديع وطبعه وقد سماه (العقد البديع في فن البديع) فجاء كتاباً وافياً بالمقصود واعتمدت التدريس به اكثر المدارس

وقد عهد اليه النظر في عدة من الكتب الادبية واللاهوتية والفلسفية الشعرية وتدقيق كثير من الرسائل في مواضيع متعددة طبعت ونشرت في حينها وله قصائد رنانة

وفي سنة ١٨٨٢ تولى كتابة اسرار القصادة الرسولية في سورية فقام بمهامها افضل قيام و برهن على حنكة سياسية وعلى توقد ذهن واصالة رأي حتى استحق ثقة القصاد الذين تعاقبوا في القصادة الى سنة ١٨٩٦ وقد شمله البابا لاوون الثالث عشر بالتفاته العالي وقد اعجب مجمع نشر

الايمان المقدس باعماله وحباه قداسته والمجمع المقدس بالعوارف السابغة والنعم الجليلة ادبياً ومادياً وقد زار رومية مراراً وتشرف بمقابلة البابا لاوون السعيد الذكر فكان موضوع انعطاف ممتاز من لدن قداسته ومن نيافة الكرادلة الكرام وفي سنة ١٨٩٤ فوض اليه قداسته في رومية قضاء مهمة خصيصة به فقام بها احسن قيام فاعجب به واثنى على اقتداره

وفي خلال وجوده في القصادة وضع ترجمته المشهورة للخلاصة اللاهوتية للقديس توما الاكويني باشارة من قداسته فجاءت ترجمة دقيقة لا نظير لها وقد ارتاح اليها قداسته وترنحت لها معاطف العلماء اللاهوتيين وقد انفذ اليه قداسته تحريراً ملوءه الشكر وامر ان يطبع المجلدان الاولان من الترجمة المذكورة على نفقة الكرسي الرسولي

ومن شواهد الثقة بمعارفه وهو في القصادة الرسولية تعيينه من جانب الكرسي الرسولي في عداد لجنة الفاحصين لكتب فروض الطائفة السريانية ثم تعيينه في سنة ١٨٨٨ لاهوتياً في مجمع الشرفة للطائفة المشار اليها فابدى في جميع ما ندب اليه ما استوجب شكر الكرسي الرسولي وكان في مقدمة العاملين على تجديد مدرسة الموارنة الرومانية لما قرر البابا لاون الثالث عشر تجديدها وشرع في جمع المساعدات الجزيلة لها ولما رأى قداسة البابا لاون الثالث عشر ما للمترجم من المكانة السامية في الدين والعلم قرر وجوب مكافاته بترقيته الى منصة الاسقفية واوعز بذلك الى من يلزم

في ٢٤ ايلول سنة ١٨٩٦ رقاه المثلث الرحمات البطريرك يوحنا الحاج الى مقام الاسقفية وجعله رئيساً شرفياً على اساقفة الناصرة ومعاوناً له في

اشغاله فقابلت الطائفة بشرى ارتقائه بمزيد المسرة لان مآثره الغراء وضحت في جانب الدين والعلم

ولما رقي غبطة البطريرك الحالي السيد الياس الحويك الى السدة البطريركية جعله نائباً له وفوض اليه رياسة الديوان البطريركي وقلده اشغاله فقام باعبائها احسن قيام لانه من نخبة الرجال الذين يعتمد عليهم في الامور الخطيرة والمواقف الحرجة التي تقتضي الحكمة وسداد الرأي وله شغف بعضد الجمعيات الخيرية والادبية وقد سافر مراراً الى رومه للتيمن بطلعة الاب الاقدس وكان في كل مرة موضوع اكرام واحترام قداسته

وفي ١٠ شباط سنة ١٩١١ انتخب رئيساً لاساقفة ابرشية قبرس فنهض بواجبات هذه الوظيفة نهضة شريفة انالته مكانة سامية في عيون ابناء الابرشية وصرف همه في تعزيز الامور الدينية وتربية الكهنة ولذلك انشاء مدرسته الاكليريكية المجانية التي نبغ منها كثيرٌ من رجال الدين وهي تستوعب خمسين تلميذاً ومما يذكر له انه سعى لدى اولياء الامر في اثناء الحرب الكونية لحصل على ميزة مخصوصة ورعاية لم ينلها سواه في جميع مقاطعات المملكة العثمانية وهي عدم اعدام احد من ابناء ابرشيته وعدم ابعاد احد منهم

وقد اشرنا في غير هذا الموضوع من كتابنا هذا الى ما كان من اعماله المجيدة في ايام الحرب الكونية المذكورة لجهة اغاثة الملهوفين والى انه انشاء ملجأ كان يتناول فيه الطعام اربعمائة فقير في كل يوم من ايام الحرب مرتين عدا ما كان يحسن به من النقود الى بعض العائلات المستورة وبالجملة

انه كان المجلي في حلبة الفضل وقد عرفته الابرشية من اقصاها الى اقصاها بالسباق الى مواطن تعزيزها فرفعت مقامه الى درجة لم يسبقه اليها احد كيف لا وقد البسها حلة مدبجة من ناصع الفخر

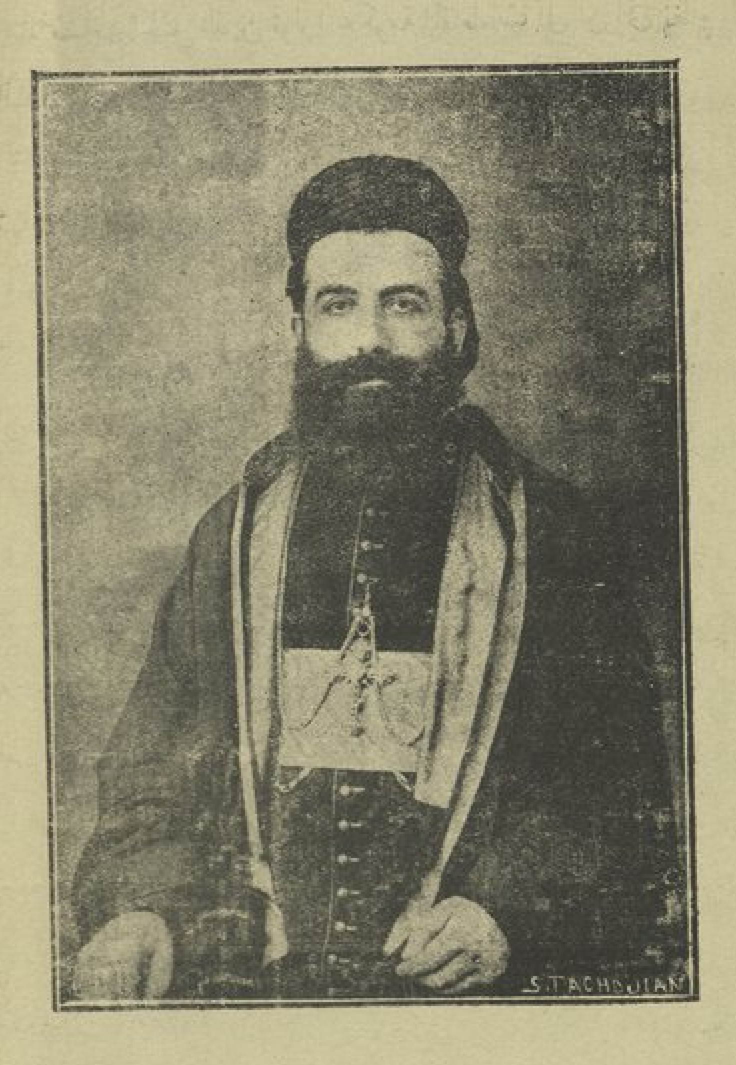
واما ما كان من جهة سعيه المجيد في تلك الايام العصيبة لدى جمال باشا حتى تمكن من حمله على صرف النظر عن ابعاد غبطة البطريرك الياس الحويك وعن استبدال ابعاده الى خارج لبنان بالترخيص له بالاقامة في كرسي مطرانية قرنة شهوان مقر سيادته الصيفي فهو اشهر من ان يذكر وقد بسطنا ذلك تفصيلاً في موضع اخر — من هذا الكتاب

واما عائلة الحبر المترجم الباسقة غصونها في دوحة الحسب فهي الارومة الطيبة المنبت التي تفرع منها بطاركة ومطارنة وعلماء اعلام ونخص بالذكر البطريرك يعقوب والبطريرك سمعان عواد والبطريرك يوحنا الحاج والمطران اسطفان عواد صاحب التآليف المشهورة

والسماعنة المشهورون بعلو طبقتهم في العلوم واخصهم العلامة السيد يوسف سمعان السمعاني حجة المحققين وعمدة المدققين وهو الذي ارسل قاصداً رسولياً الى لبنان وعقد بامر الكرسي الرسولي المجمع الطائفي الذي اصلح به شؤون الطائفة المارونية وضم اعمال هذا المجمع في سفر جليل سماه (المجمع اللبناني) وهو الدستور الذي تعتمده الملة المارونية الى اليوم

وقد قام من هذه العائلة الاثيلة في السابق رجال كرام قبضوا على ازمة الاحكام في البلاد في ايام المقدمين واخصهم المقدم رعد والمقدم خاطر ولما صارت ولاية البلاد الى مقاطعات كان فرع ابي سليمان عواد من

جملة مشايخ الجبل الذين تولوا حكومة المقاطعات الى ان اتى نظام لبنان السابق فالغى هذه الامتيازات



سيادة العلامة المطران بولس عقل

مطران اللاذقية

والنائب البطريركي

من تفرس في هذا الرسم الكريم بدت له مظاهر الحصافة والغيرة والاقدام ولاحت على محياه سمات الفضيلة والكمال . فعين تتقد ذكاء وفم يتدفق فصاحة ويد تسيل احساناً . وصدر ملوءه التضحية وقلب مفعم بالشهامة . وقدم راسخة في سبيل العزم ورأي تزينه الحكمة والحزم هذا هو المطران بولس عقل

فتى في حجر والديه يدل جمال خلقه على كمال خلقه . وطالب في المدرسة يشير زاهر ماضيه الى باهر مستقبله . وكاهن في بكركي بهرت اعماله كل عين . واسقف في البلاد طبق ذكره الخافقين ، فيا له من امرئ عجيب صغيراً وكبيراً ولله في خلقه شؤون ! من ذا الذي يطالع سيرة حياة المترجم ولا يندهش لمناقبه الزاهرة ومآتيه النادرة ولا يفتخر به نابغة كريماً ووطنياً صحيحاً وفدائياً عظيماً رفع شأن البلاد وعال العباد وخلف للاحفاد ذكر عظمة الاجداد

هو بولس بن الخوري طانيوس عقل من شامات سليل عائلة عقل العريقة في القدم يتصل نسبه بالبطريرك دانيال الشاماتي المعروف بجهاده وبالشدياق سابا سليمان الخوري الشاماتي الكاتب المشهور . ووالدته هي سعدى بنت اسطفان شديد بطرس من الراموت من عائلة ابي شديد احدى فروع اسرة رحمه البشراوية المعروفة

استقبله الوجود في شامات (جبيل) في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٨٣ فافرغت حداثته في اجمل قوالب التربية والتهذيب ونشاه قويم الاميال لطيف الاخلاق وترعرع على المبادىء الادبية والفضائل المسيحية وتلقى

دروسه الابتدائية عن المرحوم جده عقل الذي اعجب بفرط نباهته وكثيراً ما قال عنه : في بولس امل كبير

وما ادرك الرابعة عشرة حتى ظهرت عليه علامات الدعوة الاكليريكية بما كان متحلياً به من التقوى وحسن السلوك ولطف المعشر ودماثة الخلق فقيضت له العناية الالهية حظاً بدخول مدرسة عين ورقة الشهيرة ١٨٩٦ فاكب بولس على اقتباس العلم واكتساب الفضيلة بجد وجلد وكان مثال النشاط والثبات والذكاء والتقى مجلياً في مضمار السباق بين اقرانه معروفاً بتوقد الذهن وحدة الفهم وقوة الارادة وشدة الاهتمام بكل ما فيه تقدم ورقي فنال بذلك رضى رئيس المدرسة المثلث الرحمات المرحوم يوسف اسطفان واعجب به اساتذته واجمعت قلوب ارفاقه على حبه لتواضعه ووداعته وعذوبة مفاكهته حتى سار اسم بولس عقل مثلاً بين عارفيه باللطف ودماثة الاخلاق . ولدى اتمامه دروس اللغتين السريانية والعربية اولاه استاذه المرحوم يوسف الصايغ شهادة الاعجاب بمقدرته في فن الانشاء على الاسلوب العصري البليغ قائلاً له « واصل تصل » ومردداً عنه « ان بولس عقل سيرثني بقلمه ان شاء الله » . وقد تلقى مبادىء الفرنساوية واللاتينية والايطالية برغبة واجتهاد وما زال يزداد حظوة في عين رؤسائه الى ان قطعوا بثبوته وعقدوا عليه الآمال الكبيرة فاتصلت شهرته بغبطة السيد البطريرك الياس الحويك الذي انتدبه لينخرط في سلك طلاب العلوم العالية في مدرسة رومية العظمى فسافر اليها ١٩٠١

كان بولس في مدرسة رومية نبراس الفضيلة فرسخت قدمه في

التقوى وتشبع من العلوم اذ قد درس اللغات الايطالية واللاتينية واليونانية والعبرانية وتخرج في الرياضيات ونبغ في الفلسفة وحاز فيها شهادة دكتور اي ملفان باجماع آراء لجنة الامتحان سنة ١٩٠٥ ثم عكف على درس اللاهوت واذ اقترب من انجازه اعتلت صحته فقضت الحال بعوده الى لبنان انتجاعاً للعافية ١٩٠٧ و بعدان وصل تواً الى المقام البطريركي ومثل بين يدي سيده حاملاً اليه ثمرة عنايته به آداباً غضة ومؤدياً لفضله الشكر والامتنان . تلقاه الاب المحب بالرضى والانعطاف وحرص عليه في ناديه واحله محل الرعاية والاهتمام حتى نقه من مرضه وحاول ان يرجع الى رومية فضن به وابقاه عنده مدة هيأ نفسه فيها لاقتبال سر الكهنوت المقدس فاقتبله في الرابع من تشرين الثاني ١٩٠٨ . ولما رأى فيه غبطة السيد البطريرك من رجاحة العقل ورحابة الصدر وحسن الاستعداد والسلوك ما يؤهله الى المراكز السامية اختاره كاتباً لسره فاحسن القيام بهذه المهمة الخطيرة ونهج منهج الامانة والنزاهة والغيرة على ارادة مخدومه وفائدة ابناء وطنه فكان له في بكركي شأن خطير و بعد صيته في البلاد فصار يركن اليه في جميع المهات

ولما وقعت الحرب الكونية ووقع الحصار البحري والبري وعمت المجاعة وانتشر الوباء وساد الخوف واستحكمت حلقات الضيق على اللبنانيين حتى اكل الانسان الانسان وتبعثر الناس امواتاً في الطرق والبيوت والاسواق والبراري واوشك الوطن ان يقفر من اهله بعضهم بالنفي والشنق و بعضهم بالجلاء والموت وقد جفت الرحمة وسدت الطرق فكانت السماء من نحاس

والارض من حديد والقلوب من حجر وتضعضعت العقول فوقفت الناس حيارى بين مطاحنين قاسيين الظلم والجوع يتلوهما كسر الخواطر وبؤس الايتام ثم الموت الزؤام ولا ملجأ ولا رجاء لان الموت فتح فاه لكي يبتلع الخليقة واعواد المشانق منصوبة واعين الوشاة راصدة ولا رحمة ولا شفقة ولا عون اندفع هذا الفدائي الهمام مغامراً بنفسه ومخاطراً بكل عزيز لديه ينجي وينقذ اخوانه واخذ يعمل الفكرة لاستنباط وسيلة يمكنه بها رفع الضائقة الآخذة بخناق البلاد فاوحت اليه الحكمة ووفقته لان يخترق حجاب الحصار البحري ويطير الاخبار الى الحملة الفرنساوية في جزيرة ارواد بواسطة سخرها الله له فاوصل الى حاكم الجزيرة الموسيو البر ترابو تنهدات صدره وانباء مصائب قومه وسأله اذا كان بوسعه ان يتخابر معه بشؤون البلاد وحالته الحرجة فلبى الحاكم رغبته واتفقا على خطة للمواصلة ومن ثم نشط المترجم الى عقد التقارير الضافية مسهباً الوصف عن حالة الوطن وما يقاسيه السوريون عموماً واللبنانيون خصوصاً من ضروب الجور والاستبداد والانتقام والمجاعة والموت معلقاً حياة سوريا على احتلال قريب

ولما رفعت هذه التقارير الى الحكومة الفرنساوية كان لها الوقع المؤثر على جميع الاندية السياسية وتناولت بعض الجرائد الاوروباوية شيئاً منها وحرك صداها جميع السوريين في انحاء المعمور والفوا اللجان ورفعوا العرائض يسألون بها تخليص سوريا ودارت المخابرات بين الحلفاء بشأن الاحتلال وقد دوى صوتها في اقطار اميركا فوقف المهاجرون على احوال اخوانهم وما هم فيه من الشقاء واتصلت هذه الاخبار المحزنة

بقداسة البابا بناديكتوس الخامس عشر فثارت فيه عوامل الشفقة الابوية فسعى لتخفيف ويلات اولئك البائسين واهتمت الدولة الفرنساوية في الامر وهبَّ الشعب الفرنساوي نصير الانسانية وتألفت اللجان ورفعت لجنة معتبرة منها عريضة مؤثرة لعاهل الدولة الاسبانية بسطت فيها حالة منكوبي المجاعة ملحةً بالرجا ان ينعطف نحو هؤلاء البائسين المظلومين فعنى جلالته بالامر ، ونحت هذا المنحى حكومات الولايات المتحدة وخابرت الاستانة بشأن السوريين وطلبت ان تسمح للجنة الصليب الاحمر الاميركاني بحمل الاعانات والارزاق والملبوسات لمنكوبي سوريا غير ان نكد الطالع حال دون هذه المساعي ودون الاحتلال القريب فكادت هذه العراقيل تخنق المترجم الكريم فاحرج نفسه بالافتكار حتى عنت له فكرة ان يلتمس قرضاً مالياً من الحكومة الفرنساوية ففعل وبعد مخابرات كثيرة ابت طلبه وارصدت لمساعدة اللبنانيين مليوناً من الفرنكات ولم تساعدها الظروف على ارسال اكثر من ١٦ الف ليرا منه وقد وزعت هذه القيمة على المعوزين في كل انحاء الجبل بضبط ودقة وخطر ومشقة وذلك بايدٍ امينة ووسائط موثوق بها كالبطريركية

وسير الخوري بولس الى مصر للمثلث الرحمات المطران يوسف دريان كتابات يستنهضه فيها لبث اخبار الوطن التاعس في جميع اقطار اميركا واوربا ومصر وغيرها فهب ذلك الحبر الغيور وطير الاخبار بسرعة فوردت الاعانات والارساليات من جميع الجهات على سيادته وكان يرسلها عن طريق ارواد الى الخوري بولس عقل فيوزعها حالاً حسب لوائحها

بامانة وهكذا رنَّ صوت الخوري بولس عقل في آذان العالم وطبقت كتاباته آلافاق واصبحت مصر وارواد واسطة التراسل بينه وبين اوربا واميركا وبذلك تمكن من هز اريحية المهاجرين وبذل اموالهم لانقاذ ذويهم فحيا الله هذا الرجل الذي لولاه اصبحت البلاد في حالة سيئة . ومن وقف على حالة البلاد من تشديد الاوامر وانتشار الجواسيس وصرامة الاحكام عرف حراجة موقف الخوري بولس عقل في توزيع الاموال على اصحابها والمعوزين الضاربين في عرض البلاد فكم راقبته الحكومة وسامته صعوبة المواصلات ونأي المسافات نصباً وكم انهالت عليه التهديدات والوشايات حتى احاطت به الاهوال من كل جانب . ومما يؤسف له ان بعض من مدَّ اليهم يد المساعدة وانتشلهم من براثن الموت اوغروا عليه الصدور حسداً وقاموا يناصبونه العداء فصح فيهم قول القائل : « اتق شر من احسنت اليه » وزاد في الطين بلة انتباه الحكومة لمراقبته فقد بثت عليه العيون والارصاد وجعلت جنودها منتشرة على الشطوط البحرية لتقبض عليه وتنتقم منه فابى الله الا ان يتولاه بعين عنايته وقد ظل مواصلاً توزيع الاموال على المعوزين بعناية تندهش لها الابصار وضبط تام . اما المبالغ التي وردت خصوصية فان قيمتها مائة الف ليرة تقريباً وقد تلقى مرسلوها الادلة الكافية على وصولها لاصحابها واكثرهم وقفوا على حساباتها والبعض منهم اطلعوا بانفسهم على الحسابات والآخرون عرفوها بواسطة معتمديهم فاعجبوا باعمال صادرة من رجل فرد لا يقوم بها جماعة وهجوا كلهم بالثناء عليه . اما ما نشره الحاسدون من الاراجيف فقد وضحت غايتهم الذاتية فيها وكانت اراجيفهم الباطلة التي

نشروها سبباً لنشر فضائل الخوري بولس المشار اليه وقد قال الشاعر

واذا اراد الله نشر فضيلةٍ طويت اتاح لها لسان حسود

ولو شئنا ان نلم بجميع الحوادث المهمة لاقتضى لذلك سفر كبير على اننا نسأل من يعرف تفاصيل هذه الحوادث ان ينظم عقودها بتاريخ ضافي الذيل ليعرف منه الناس البطولة الحقيقية ومنهج الخدمة الوطنيه

ولما وضعت الحرب اوزارها وعادت المياه الى مجاريها اجمع غبطة السيد البطريرك والسادة الاساقفة باتفاق الآراء ان يكللوا هذا الجندي الوطني الباسل باكليل الفخر جزاء خدماته الجلّى فرقاه صاحب الغبطة الى درجة الاسقفية السامية في اليوم الثاني من اذار ١٩١٩ باحتفال عظيم فكان ذلك اليوم يوماً زاهراً اشترك فيه بالمسرة احبار الطائفة واعيانها وممثلو الحكومة الفرنساوية والقاصد الرسولي وجم غفير من الشعب فابتسم المستقبل لهذا الحبر الجديد وتوافد القوم يهنئونه ويشكرون للسيد البطريرك مكافأته لرجل المروءة بما كافاه به

وبعد ايام قليلة اخذ يرد الزيارات الخصوصية ويقابل مزوريه بما فطر عليه من لين الجانب وكرم الاخلاق وقد كان يستقبل ويشيع بمنتهى الاجلال والاكرام ولدى زيارته مسقط رأسه شامات اقبل عليه وفود المهنئين من عموم قرى بلادي جبيل والبترون ظاهرين بمظاهر الابتهاج وقد لاقى من ضروب الحفاوة والتوقير ما يعجز القلم عن وصفه وقد مدحه الشعراء والخطباء

وبعد ذلك بدأ بزيارة عائلية في بلاد جبيل بالنيابة عن غبطة

البطريرك في ابرشيته الخصوصية وقد قضى فيها مدة خمسة اشهر منتقلا من قرية الى قرية من تلك القرى الوعرة المسالك، يبذل للخراف نفس الراعي الصالح فيكرز ويعظ كل يوم ويثبت الاحداث ويناول المعترفين ويفحص دفاتر الكهنة ويهتم بالاوقاف والرعايا ويزور الجميع ويفض المشاكل ويفصل الدعاوي التي كثر عديدها في ايام الحرب فوفق بين المتخاصمين ووفر على الاهلين خسائر باهظة وانتزع من القلوب حزازات الشحناء والبغضاء . وكثيراً ما كان يصرف ليله ونهاره في اشغال الزيارة وخير الرعية حتى كان مجلسه محكمة متواصلة الاعمال تقضي بروح الحب والوئام وقد عرض عليه في هذه الزيارة حوادث قتل وشن غارات فكان فيها الحكم العادل والمصلح النافذ الكلمة وكان يلقي اليه الجميع مقاليد امورهم وعلى ارادته ينزلون فتغفر الاساءة وتضمن الحقوق وتضمد الجروح وبالجملة فانه كان مثالاً صالحاً للناس ومما يحسن ذكره ان سيادته لم يجر على قاعدة الزيارات المألوفة بقبول التقدمات بل كان يحسن الى الفقراء ويدفع من جيبه مقتضيات الزيارة وقد رسم لنفسه خطة في زياراته وهي انه لم يقبل دعوة احد تخفيفاً على الناس ومنعاً لعادات التبذير بمثل هذه الظروف وقد اتت هذه الزيارة بالثمرات الدانية القطوف وابقت اثراً حسناً في النفوس

ولم يفتر بعدئذ عن الاهتمام بكل ما فيه من قوة وغيرة لخير الدين ومصلحة الوطن ناهجاً الخطة المثلى في المقام البطريركي يحج الناس اليه من كل صوب حتى دعاه الواجب الى القيام بزيارة الاعتاب الرسولية سنة ١٩٢٤ فسافر براً عن طريق فلسطين حيث زار الاماكن المقدسة صارفاً اسبوع

الآلام في القدس الشريف ولاقى من غبطة البطريرك الاورشليمي والحكام المحليين وقنصل فرنسا والاعيان كل ترحيب وتكريم . ثم أمَّ وادي النيل فوصل القاهرة نحو نصف الليل واستقبلته على المحطة اعيان اللبنانيين وبعض الوطنيين من كل الطوائف الذين كانوا ينتظرون قدومه بشوق فساروا به بموكب حافل الى دار النيابة البطريركية وفي اليوم الثاني جاؤا افواجاً للسلام عليه وما لبث ان رد لهم الزيارة شاكراً . وقد وصلت الينا اخبار زيارة سيادته للقطر المصري ووصف انا بعضهم مجلى الحفاوة التي لقيها من كبار الجالية اللبنانية وسراة الوطنيين المصريين وبينهم الوجيه والفقيه والصحافي والشاعر من اصحاب الدين والدنيا فادركنا كيف يكرم الرجل العظيم عند اعاظم الرجال في البلدان الراقية وما برحت مصر تعدد مآثره وتحفظ له اسماً شريفاً كريماً وذكراً عاطراً عظيماً . ثم نزل الاسكندرية ومنها ابحر الى ايطاليا في اوائل ايار فوصل نابولي المدينة الرائعة في الحسن والجمال ومنها ركب القطار الى رومية مدينة العظمة والجلال وذهب تواً الى المدرسة المارونية التي ذكرته بايامه فيها فابكته الذكرى لها فكان فيها الضيف المحبوب وانزل في المعزة منزلة خاصة لانه تلميذها النابغ والاسقف الاول من طلبتها بعد تجديدها . وما شعر بوصوله حتى تناولته امهات جرائد رومية بالقاب كبيرة شريفة مثل « الاسقف البطل » « والاسقف الشهيد » « والفدائي » وعقدت عليها المقالات الضافية بوصف مناقبه ومآتيه مما نبه الخواطر واستدعى الانظار اليه خاصة في الدوائر الفاتيكانية والرومانية التي كانت تستقبله مستغنية بوصفه عن التعرف اليه وبشهرته

هذه عن الاستيضاح عنه . اما قداسة البابا بيوس الحادي عشر فقد اولاه في المقابلة الخاصة عطفاً ابوياً وارتياحاً تاماً الى ما بسط لديه من شؤون البلاد في الوطن والمهجر ومتطلبات الطائفة بالروح والزمن . وتلطف معه في مقابلات غيرها تلطفاً كريماً خاصاً يشف عن محبة وانعطاف حتى انه في مقابلته الاخيرة عانقه مودعاً ومباركاً وفي اثناء وجوده في رومية ثلاثة اشهر تردد مرات الى المجامع وزيارة الكرادلة في المراجع الرسمية وقبل مغادرته المدينة العظمى اقيمت له حفلة وداع شائقة حضرها بعض الكرادلة والاساقفة وكبار القوم خطب في خلالها بالايطالية خطبة نفيسة جاوبه عليها رئيس المجمع الشرقي الكاردينال تاتشي TACCI بكلام بليغ عن لبنان وتاريخه المجيد . ومن رومية توجه الى باريس واقام في العشرين من تموز حفلة كبيرة بمناسبة عيد غبطة السيد البطريرك حضرها جمهور غفير من الفرنسيين واللبنانيين . وفي اليوم الثاني قصد مدينة امستردام في هولندا لحضور حفلات المجمع القرباني العام ممثلاً الطائفة المارونية نيابة عن غبطة السيد البطريرك والقى في افتتاح المجمع خطاباً افرنسياً باهراً صفق له اعجاباً الجمهور المؤلف من خمسين الف نسمة من جميع اقطار العالم يرأسهم نيافة الكاردينال « فان رسوم » رئيس مجمع نشر الايمان المقدس وبينهم ثمانية كرادلة ومائة اسقف . ثم فاه في جلسة من الجلسات الخصوصية بخطاب آخر لم يقل متانةً عن الاول . وعرج في ايابه على البلجيك فاستقبل فيها احسن استقبال عند اصحاب كرام . وحظي بزيارة جلالة الملك البر الاول فلقي من عواطفه الملوكانية كل بشاشة واعتبار واهداه

رسمه الكريم مرفقاً بخطه وقابل نيافة الكاردينال مارسيه MERCIER الذائع الصيت المشهور بكونه رجل الدين والدنيا وقابل ايضاً غيره من العظماء والوجهاء وعاد الى باريس وقابل فيها مقابلة خصوصية كبار رجال الدولة باسطاً لهم حاجات وطنه وشارحاً ما كان من احوال السياسة على عهد حكومة الانتداب فاعاروا كلامه آذاناً صاغية وقلوباً واعية ولقي منهم كل تكريم . اما الجالية اللبنانية والسورية هناك فقد اورت زند الكرم بدعواتها وحفلاتها اجلالاً له . ثم اتى بوردو لزيارات معارف له ونحا لورد مهبط المعجزات الخوارق لتأدية زيارة خصوصية للسيدة العجائبية . ومن ثم يمم مرسيليا فاستقبله جمهور من كرام الجالية ومنها عاد الى رومية كما المعنا وما عتم ان ركب البحر يحمله الشرق الى لبنان وما بلغت فيه الباخرة مياه بيروت حتى اقبل الناس عليه يهنئونه بعوده سالماً فاثنى عليهم لما لقي من كرم الوفادة ووصف لهم الحفلات التي اقيمت لهم سارداً تاريخ رحلته المملوءة من التذكارات الجميلة

وقد اختص الباري سيادة المترجم بمزايا سامية منها سخاء اليد وطلاقة اللسان وسرعة الخاطر ورخامة الصوت ومعرفة وتوقيع الالحان الى غير ذلك من الصفات الممتازة وقد صدق من قال ان الزائر لا يخرج من لدنه الا ممتلئاً من الفرح لما يلاقي فيه من الهشاشة والبشاشة ورحابة الصدر ولطف العبارات الساحرة

وقد نال من الحكومة الافرنسية وسام جوقة الشرف عن جدارة واستحقاق



المطران باسيليوس قطان

مطران بيروت وجبيل للروم الكاثوليك

هو اسكندر بن جرجس قطان ولد في بيروت في ٣٠ آب سنة ١٨٧٩ من ابوين فاضلين ومن عائلة عريقة في الصلاح نبغ فيها رجال كرام خدموا الكنيسة والملة اجل خدمة اشهرهم المغفور له البطريرك اغناطيوس قطان المعروف بمآثره الحسان

تلقى المترجم دروسه الاولى في مدارس بيروت وقرنة شهوان ودخل الدير سنة ١٨٩٧ وفي سنة ١٨٩٩ ذهب الى مدرسة القديس اثناسيوس في رومه حيث انهى دروسه العالية وقد نال شهادة دكتور في الفلسفة واللاهوت سنة ١٩٠٨

وبعد ان استأثرت رحمة الله بالمأسوف عليه المطران اثناسيوس صوايا مطران ابرشية بيروت وجبيل سنة ١٩١٨ انتخب المترجم خلفاً له في ١١ ش سنة ١٩٢١ وهو في مدينة رومية العظمى حيث كان منذ سنوات عديدة وكيلاً للرهبنة الباسيلية ومدرساً لآداب اللغة العربية في الكلية الملوكيــة فكتب البطريرك ديمتريوس قاضي يدعوه الى القاهرة لسيامته فيها فلبى الدعوة وبعد ان ودع قداسة البابا بنديكتوس الخامس عشر ركب البحر من مدينة نابولي فبلغ الى الاسكندرية يوم الاحد في ٦ مارس سنة ١٩٢١ وفي اليوم التالي وصل الى القاهرة وسار تواً الى الدار البطريركية فقوبل بالتكريم وفي صباح يوم الاحــد الواقع في ١٣ من الشهر المذكور احتفل بسيامته مطراناً احتفالاً سامياً في خلال قداس حبري اقامه غبطة البطريرك في الكاتدرائية الكريمة ولما تم الاحتفال الديني خرج المدعوون من الكنيسة الى سرادق فخم كانت اعدته لجنة الاحتفال في فنا الكنيسة

تصدره البطريرك وجلس الى جانبه الاسقف الجديد واخذ يتوالى وقوف رجال الدين وكبار المدعوين امامهما مهنئين وبعد ان اتم الخطباء اقوالهم اجابهم المترجم بخطاب انيق كان غاية في البلاغة .

ومما يؤثر ذكره عنه انه من العلماء العاملين الواسعي الاطلاع فانه دكتور في اللاهوت ودكتور في الفلسفة ملمٌّ باللغات العربية والفرنسوية والايطالية عارف بالانكليزية واللاتينية واليونانية القديمة والحديثة . وله تآليف عديدة منها باللغة الفرنسوية كتاب « كنائس الشرق والغرب » وكتاب « اليونانية في التشكيل الاول للكنيسة اليونانية الملكية » . وبالايطالية غراما طيقان مختصر فمطول للغة العربية وتاريخ « حياة متى شهوان » . و « حول حياة السيد نيوفيت نصري اسقف صيدنايا » و « تاريخ كنيسة السفينة » في رومه و « مختصر تاريخ الكنيسة في الشرق » و « المرأة العربية قبل محمد وبعده » و « الكنيسة القبطية في القرن السابع عشر » . وباليونانية « الروم الملكيون واليونانية » وله عدا ذلك مؤلفات اخرى لم تطبع بعد . ومن اوصافه انه رضيُّ الخلق واسع الصدر كثير الانكباب على العمل لا يأخذه فيه تعب ولا ملل مشهود له من الجميع بالتفاني في الخدمة العامة وعمل الخير والتماس وجوه الاصلاح وطرائق التقدم مع التزام جانب الفضيلة والتمسك بتقوى الله وحب القريب . يؤيد ذلك الاعمال الكريمة التي قام بها بعد تبوئه منصة المطرانية الجليلة وقد ذهب بالابرشية شوطاً بعيدا من التقدم رغماً مما كان لحق بها من المصاعب وبعدان لعبت ايدي سبا باموالها وايدي ذوي

المطامع بممتلكاتها

وقد وفى حتى اليوم من الديون التي كانت تراكمت على الابرشية ٣٥ الف ليرة سورية ولا يمر ردح من الزمن حتى يكون اتم وفاء الديون كلها مما يدل على اقدامه وتفانيه في سبيل مصلحة الابرشية



نجيب باشا ملحمه

هو احد وزراء الدولة العثمانية الذي اكسبه طول عهده في مزاولة

الاعمال الكبيرة حنكة سياسية واختباراً فكان في مقدمة المقربين من الداهية السياسية السلطان عبد الحميد في ابان مجده وله كثير من الايادي الحسان على كثير من ابناء سورية ولبنان



المنسنيور يوسف الحايك

ابصر النور في قريته بيت شباب في التاسع من شهر شباط سنة ١٨٨٥ من والدين هما ملحم غنطوس الحايك وانجالينا بنت يوسف عطاالله الحايك

وقبل ان يبلغ الخامسة من العمر أمّ مدرسة القرية فتلقن فيها العلوم البسيطة في العربية والسريانية واذ لم تساعده صحته على متابعة الدرس خرج من المدرسة في اواخر سنة ١٨٩٧ وفي سنة ١٩٠٠ عينه الآباء اليسوعيون مدرساً في مدرسة قريته فمكث يدرس اربع سنين اكب في خلالها على مطالعته اصول اللغة العربية ثم انصرف الى معاطاة الاشغال ولما كان يشعر من نفسه بميل قوي الى قبول درجة الكهنوت المقدسة اباح بعزمه هذا الى والديه واخذ يدرس اللاهوت على المرحوم الخوري يوسف نصار الحايك وبعد ان اتقنه عرض امره لسيادة راعي الابرشية المطران بولس عواد فبين له سيادته مصاعب الكهنوت فلم تثبط هذه المصاعب عزمه وبعد امتحانات كثيرة رقاه الى درجة الكهنوت المقدسة في السادس عشر من شهر حزيران سنة ١٩١٢ وما لبث ان عينه معاوناً للمرحوم الخوري نعمة الله الحايك في خدمة الرعية وبعد مدة اخذ يستخدمه في امور كثيرة كاجراء الفحص العام في الابرشية وفحص الدعاوي وفض المشاكل والقاء مواعظ الرياضيات ولما اشتدت الضائقة في ايام الحرب الكونية اخذ يستخدمه لتوزيع الاحسانات على الفقراء في اكثر انحاء الابرشية وفي ٤ آب سنة ١٩١٨ على اثر وفاة المرحوم الخوري نعمة الله الحايك عين خادماً لرعية كنيسة سيدة الغابة وفي ٢٣ آب سنة ١٩١٩ انعم عليه السعيد الذكر البابا بنديكتوس الخامس عشر برتبة حاجب سري ممتاز مع لقب مونسنيور وقد جدد له هذا الانعام قداسة البابيوس الحادي عشر في ١٨ تموز ١٩٢٢ واذ نظر سيادة راعي الابرشية المشار اليه اجتهاده وقيامه بواجباته كما ينبغي

اصدر امره في اول حزيران ١٩٢٤ بتعيينه عضواً في ديوانه وعهد اليه في النيابة الزمنية وله بعض موءلفات نشر منها بالطبع روايتين تمثيليتين هما رواية جان درك ورواية حنة اميرة بريطانيا وقد نشرت الجرائد شيئاً من قصائده ومقالاته السياسية والادبية والاجتماعية وهو خطيب مقنع له مواقف عديدة في الوعظ والخطابة اما فضائله فهي اشهر من ان تذكر



المطران نيفون

مطران زحله للروم الارثوذكس



خليل افندي سركيس

مؤسس لسان الحال

هو خليل بن خطار سركيس ولد في عبيه احدى قرى لبنان الجنوبي

في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٧٤٢ وقدم مدينـة بيروت عام ١٨٥٠ وهو صبي في كنف عائلته والنهضة الادبية في سورية يومئذٍ لا تزال في المهد وقد انتظم في سلك طلبة المدرسة الاميركية التي كان يرأسها القس طمسن واتم كل ما تضمنته لائحتها من الدروس العلمية والادبية . ورأى بعد ذلك ان له رغبة في الصناعة فراح يختلف الى المطبعة الاميركية حباً بالوقوف على اسرار الطباعة ، والطباعة يومئذٍ في دورها الاول ، ارضاءً لما آنس في نفسه من النزوع الطبيعي الى الصناعة ودرس دقائق الطباعة واسرارها درساً كافياً . وفي عام ١٨٦٨ انشاء مطبعة المعارف مشاركاً نسيبه سليم بطرس البستاني

ثم نزعت نفسه الى الاستقلال بالعمل عام ١٨٧٥ فاستقل بانشاء المطبعة الادبية لجريدة لسان الحال وتولى رئاسة تحريرها وكان يكتب مقالاتها الاخلاقية والاجتماعية والادبية والانتقادية

وكان يشعر باديء ذي بدء بافتقار الطباعة العربيـة الى حروف جديدة ترقيها وتزيد في اتقانها فوجه عنايته الى سبك الحروف حتى توفق بمعاونة الشيخ ابرهيم اليازجي الى صنع الحرفين الاسلامبوليين الاول والثاني منها ولم تقف همته العالية عند هذا الحد فتمكن من عمل الحروف الكثيرة الاجناس والاشكال المشهورة باسمه في العالم العربي كافةً وهي المعروفة بحروف « سركيس »

وفي عام ١٨٩٣ زار الاستانة فكان موضوع اكرام واعتبار الحكومة لذلك العهد بدليل انها اهدت اليه ثلاثة اوسمة من العثماني والمجيدي وفي

ذلك العام اعلنت الدولة العثمانية اشتراكها في معرض شيكاغو فخطر لفريق من ابناء هذه البلاد انشاء « مرمح » في ذلك المعرض وتألفت من اجل ذلك شركة مساهمة رأس مالها عشرون الف ليرة ذهبية غير انه شق عليها جمع الاموال المطلوبة فسألوه تولي رئاسة ادارة الشركة ففعل وتغطت القيمة ضعفين في زمنٍ لم يتجاوز اربعاً وعشرين ساعة

وفي العام الثاني التهمت النار جانباً من مطبعته الادبية وذهبت بكثير من ادواتها وآلاتها فبلغت خسارته فيها خمسة الاف ليرة عثمانية ذهباً ولم تكن المطبعة مضمونة فوقعت الخسارة على صاحبها ولكن الخسارة المادية مهما كانت جسيمة لا تقوى على تذليل همم الرجال فاعاد اليها بوقت وجيز بهجتها ورونقها

ولما زار امبراطور المانيا غليوم الثاني سورية وفلسطين عام ١٨٩٨ كان مرافقاً موكبه وله في وصف هذه الرحلة كتاب جمع فيه سفرة ذلك العاهل

وفي عام ١٩٠٣ اجتاز اللسان العام الخامس والعشرين فرأى جمهور كبير من اعيان البلاد وادبائها وافاضلها الذين يقدرون الخدمات الوطنية حق قدرها ان يحتفلوا بيوبيل اللسان وكانت حفلة اليوبيل التي اشترك فيها الوجوه والسراة والعلماء في ٢٢ نيسان ١٩٠٤ دليلاً على المنزلة التي احرزها صاحب اللسان وقد جمعت اقوال الصحف وتهاني العلماء والشعراء في كتاب خاص وذكرت فيه الهدايا التي قدمت لصاحب اليوبيل كما هو موضح في ذلك السفر الجليل ولنا فيه خطاب في اللغة

التركية لاننا كنا من اعضاء لجنة اليوبيل

اما الخليل فقد كان معتدل القامة ، قوي البنية ، اسود العينين ، طلق المحياء ، رحب الصدر ، كبير النفس ، دمث الاخلاق وكانت تربطه بنا صداقة متينة وولاء اكيد

وقد عرف خليل افندي سركيس بالحزم والاقدام وحسن الادارة والصدق في العمل وحرية القول وكان مشهوراً بفضله واخلاقه العالية ومما اشتهر عنه الصبر على الشدائد واستقبال المصائب بثبات ورباطة جأش والخلاصة فقد كان حراً في اعماله شريفاً في معاملاته عزيزاً الوفاً حليماً واسع الصدر مخلصاً صادق الوفاء انيساً حلو المعاشرة فاضلاً في معيشته فاضلاً في بيته فاضلاً بين قومه مسالماً لم يحمل قلبه ضغينة ولا حقداً

وله في الانشاء طريقة جميلة يعرفها اكثر الادباء بما فيها من الامثال اللطيفة والنكات . وقد الف عدة كتب مفيدة وهي سلاسل القراءة في ستة اجزاء وقد نال المؤلف شهرة واسعة وهو يدرس في معظم المدارس في سورية ولبنان والمهاجر

وتاريخ القدس الشريف وهو كتاب جليل الفائدة يندر مثله في مؤلفات هذه البلاد وقد تضمن اشرف العادات والطفها . ومعجم اللسان وهو قاموس هجائي يتضمن اسماء القواد والسفن والاماكن التي ورد ذكرها في اخبار حرب الروس واليابان . ورحلة امبراطور المانيا الى الشرق ورحلة مدير لسان الحال وهو كتاب يتضمن رحلة صاحبه الى اوربا واميركا وفيه كثير من الفوائد ، ورواية سعيد وسعدى ، ونزهة الخواطر

وهو مجموعة امثال ونكات ونكاهات واصدر الروزمانة السورية وهي الاولى من نوعها في اللغة العربية ونالت رواجا عظيماً ، ومفكرة اللسان كتيب يحتاج اليه التاجر والمحامي والكاتب والصانع الخ . وقد طبع على نفقته الخاصة عدداً كبيراً من كتب الاقدمين خدمة للنشيء ومحبي المعارف والعلوم

وله في الصناعة المقام الارفع فقد استصنع الحروف الاسلامبولية والفارسية والرقعية والثلث وجمعها على انواع مختلفة من كبيرة ومتوسطة وصغيرة وقد كان الخليل عضواً في مجلس المعارف في الولاية ورئيساً لمستشفى السل وعضواً مستشاراً لجمعية تهذيب الشبيبة السورية ورئيساً للجنة التي تألفت في بيروت لاجل نصب المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي

وفي عام ١٩١٤ التأم في بيروت المجمع الملي الانجيلي وقوامه نواب من الكنائس الانجيلية في بيروت ولبنان وسوريه والقدس فانتخب الفقيد رئيساً عاماً للمجمع فقبل ذلك بالرغم من انحراف صحته عملاً بمبدأه من ان الواجب مقدس

وفي ١٩ ايار سنة ١٩١٥ داهمته الوفاة فكان الخطب فيه موجعاً والاسف عميماً واقيمت له مناحة كبيرة اشترك فيها الناس على اختلاف الملل وكان له مأتم ما رأت بيروت اعظم منه وكان عدد الذين ابنوه في الكنيسة وعلى القبر خمسة عشر اديباً وفاضلاً

الحفلة التذكارية

وقد اراد الناس ان يظهروا عواطفهم الصادقة لخليلهم الكريم بعدمماته

كما اظهروها في حياته فاقيمت له حفلة تذكارية كبرى في منتدى وست في الجامعة الاميركية السبت مساء في ١٩ حزيران سنة ١٩١٥ جمعت جلة الاقلام واهل الفضل والادب وجمهور الوجهاء والكبراء وتكلم فيها الاساتذة جبر افندي ضومط ، فيوسف افندي افتيموس ، ففليب افندي طرازي ، فجورج افندي باز ، فكامل بك حميه ، فشبلي بك ملاط ، فسعيد افندي عقل ، فانيس افندي المقدسي فالشيخ اسكندر العازار ، فبولس افندي الخولي

هذا تاريخ الرجل الصحافي المجاهد الذي كان يدعى بحق شيخ الصحافة اللبنانية والسورية التي عززها في هذه الديار وكان فيها علماً ومشكاة

وقد ترك بعد موته فراغاً في عالم الادب لم يلبث ان ملأه نجله الكريم رامز بك بعدان القيت اليه مقاليد جريدة لسان الحال على ما سيجي في محله

العلامة

مصطفى افندي نجا

« مفتي بيروت »

هو مصطفى بن محيي الدين بن مصطفى بن محمد بن عبد القادر نجا ولد في مدينة بيروت يوم الجمعة في السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وستين ومأتين والف من الهجرة النبوية وفيها نشأ وتلقى العلوم

الشرعية وآلاتها عن علمائها الاجلاء وعن غيرهم ثم اشتغل بالتجارة لعدم ميله الى المناصب على ان ذلك لم يمنعه عن السعي وراء ارتشاف العلوم فدعي لرياسة لجنة مدرسة « ثمرة الاحسان » الاسلامية التي انشئت لتعليم بنات الفقراء فلم يسعه الا القبول وبقي قائماً بشئون هذه المدرسة مدة سبع سنين الى ان انتخب لمنصب الافتاء سنة سبع وعشرين وثلاثمائة والف فقام بخدمة هذا المنصب الجليل احسن قيام وصدع بالحق في فتاواه وظهر من حسن سيرته واستقامته ما هو مشهور فقصده الناس للاستفتاء والاستفادة من جهات كثيرة ولم يزل الى الآن قائماً بوظيفة الفتوى والدعاء الى الخير محافظاً على مبادئه القويمة معرضاً عن كل ما لا يعنيه من امور السياسة وغيرها : وقد نظم لتلميذات المدرسه المذكورة ارجوزة في الاخلاق رمنا اثباتها برمتها لما فيها من الفوائد الجليلة وهي :

الحمد لله لنا رئيسه ... منها استفدنا حكماً نفيسه

وها انا انقل عنها كلما ... ابهى من الدر اذا ما نظما

قالت بقصد النفع لي يا زينب ... وقولها لمن وعاه مكسب

معرفة الله العظيم الهادي ... واجبة شرعاً على العباد

وهي بان يعتقد الانسان ... بكل ما جاء به القرآن

وكل ما قد صح عن خير الورى ... سيدنا محمد سامي الذرى

وطاعة المولى هي السعاده ... بها ينال العبد ما اراده

وبعدها اطاعة السلطان ... ذي العدل في الاحكام والاحسان

والوالدان لهما حقوق ... بها علينا يحرم العقوق

والله اوصى بهما فاتبعي — وصية الله تعالى واسمعي

واجتهدي في الدرس حتى تعلمي — ما قلته فالعلم بالتعلم

وحافظي على الفروض والسنن — في كل وقت لتفوزي بالمنن

و بالرضا عن الدنايا اعرضي — لا يغلب الايام الا من رضي

وليس يغني نسب عن ادب — فلا تقولي كان جدي وابي

فالمرء يمتاز بما يتقنه — وقيمة الانسان ما يحسنه

والرزق محتوم فلا يزيد — في رزقنا الحرص ولا يفيد

ان الغنى والعز بالقناعه — و باتباع الحق والجماعه

والفوز في الخشية والنجاة — في الصدق يا ايتها الفتاة

الصدق ركن الادب المتين — في شرعنا وهو عمود الدين

لا تكذبي فان من يكذب لا — يوصف بالفضل وان حاز الملا

قال الامام المرتضى الهمام — ان تم عقل نقص الكلام

فاقللي من الكلام واصدقي — ان البلا موكل بالمنطق

واعتصمي بالصمت فاللسان — من شره لا يسلم الانسان

وطلب العلم ولو بالصين — به امرنا خدمة للدين

فواجب ان تصرف العناية — له بفرض العين والكفاية

وكل من علمنا حرفاً وجب — له علينا الشكر حفظاً للادب

وطاعة التلميذ للمعلم — من اعظم الاسباب للتقدم

فما به تأمرك المعلمه — فاتبعيه تظفري بالمكرمه

ولا تكوني عن رضاها حائده — لانها بفضلها كالوالده

وكل من ينصحنا ياقوم　　له علينا يجب التعظيم
النصح ارشاد الى الطريق　　يقبله من فاز بالتوفيق
وشرف النساء والرجال　　بصالح الاعمال لا بالمال
لا خير في دنيا بلادين ترى　　ومن به منا اشتراها خسرا
وخير زينة الفتاة الادب　　وعلمها بما عليها يجب
والاخذ بالتمدن الجديد　　في كل امر نافع مفيد
ليس به بأس كتعليم الفتى　　ما قد نفى العلم وما قد اثبتا
وما به تقدم الامه　　كالطب والصناعة المهمه
وافتتن البعض به فحادوا　　عن منهج الحق وما استفادوا
وزعموا ان الفتاة المسلمه　　لا ترتقي ولا تنال المكرمه
الا اذا ازالت الحجابا　　ورفعت عن وجهها النقابا
وهو لعمر الحق زعم باطل　　لنفسه لا يرتضيه العاقل
وهم بما تجاسروا عليه　　كواضع العقرب في برديه
او راكب سفينة في البحر　　مخروقة وهو بها لا يدري
او ظاعن في ليلة ظلماء　　لكن على مطية عمياء
او هادم ما قد بنى آباؤه　　من شرف قد اعتلى تباؤه
او زارع شوكاً ليجني عنبا　　وما جنى الا العنا والتعبا
او كفراش حام حول النار　　فجره الطيش الى الدمار

.....

وله غير ذلك من المنظومات والمؤلفات المفيدة منها كتاب في علم التصوف سماه «كشف الاسرار لتنوير الافكار» وبه قال

عجباً لمن يعصي اوامر ربه ‏ ‏ ويقول لست بمذنب من عجبه
ويرى خلاف الشرع تحقيقاً ولا ‏ ‏ ينقاد جهلاً بالطريق لحزبه
ويقول اني مطلق من قيده ‏ ‏ فدع المقيد هائماً في حجبه
ويظن مع هذا الضلال بانه ‏ ‏ عرف الهدى ودرى نهاية دربه
فالاجرب المغرور تلتزم النهى ‏ ‏ عنه التجنب خيفة من خطبه
واخو الفطانة ليس يسلك مسلكاً ‏ ‏ حتى يميز سهله من صعبه

.....

وقد قرظ هذا الكتاب جماعة من العلماء الافاضل منهم الاستاذ الشيخ عبد الباسط فاخوري مفتي بيروت السابق وهذا خلاصة ما قاله

وبعد فقد اطلعت على هذا الكتاب الميمون الذي هو بغرر الدرر مشحون فوجدته محتوياً على فوائد النجاة والنجاح ومنطوياً على قواعد الصلاح والفلاح وقد جمع من الاقوال ماصح وحق ومن الاحوال مازهق به كل باطل وانمحق فهو كتاب لطيف في بابه شريف في ايجازه واطنابه

واليك ملخص ما قاله الاستاذ الكبير الشيخ يوسف الاسير: وبعد فقد اطلعت على هذا المؤلف المألوف فاذا هو كالروض المسلوف حيث ذكر فيه مؤلفه الفاضل من اقوال الاسلاف ما ينفي الخلاف الواقع بين كثير من الاخلاف فهو سلافة في هذا العصر مؤيد لما هو احق بالنصر

وقال الاستاذ الشيخ قاسم ابو الحسن الكستي — قد اطلعت على هذا

الكتاب المسمى كشف الاسرار وامعنت فيه نظري فوجدته جديراً بالاعتناء والاعتبار حيث اشتمل على نقل بعض اخبار احبار الامة واظهر من خبايا كنوز القوم فرائد الفوائد المهمة وقد قرظه فوق ذلك نظماً فقال :

ان كشف الاسرار ابدى خفايا — كان عنها اهل الزمان بغفله
فتح الباب للمريد ليحظى — بلوغ المراد من غير ثقله
ثم يبدو لعينه بيقين — صبح سر به ينور عقله
وله تظهر السعادة جهراً — ويرى نعمة الاله وفضله

.....

ومن مؤلفاته ايضاً رسالة في التربية والتعليم قال بها : وكما ان للوالد على ولده حقوقاً فكذلك الولد له حقوق على والده منها ان يؤدبه ويحسن ادبه وان يعلمه القرآن ومحاسن الاخلاق وما يحتاج اليه من الفرائض والسنن وغير ذلك من امور الدين والدنيا اما بنفسه واما بواسطة معلم مستقيم يكون خبيراً بطريق التربية والتعليم معترفاً بوجود الله عز وجل مقراً بوحدانيته ورسالاته .

فان المعلم او المربي هو انسان اكملته التربية يحاول ان ينقل صورته ونظام احواله الى غيره ليكون خلفاً منه والولد قبل البلوغ يكون طاهراً مطهراً على الفطرة وقلبه يكون خالياً من الشواغل فمهما شغلته به يتمكن منه ولا يعود فيه بعد ذلك متسع لقبول غيره كالاناء اذا ملئ بشيء لا يعود لشيء اخر محل فيه وهو كمرآة تترآى فيها صورة معلمه ومربيه فان كان معلمه من اهل الدين والاستقامة نشأ ديناً مستقيماً ولا يفوته نصيبه من

الدنيا فان الدين كما يأمر بالصلاة والصيام وغيرهما من العبادات يأمر بالتجارة والصناعه والزراعة وطلب العلوم النافعة وان كان معلمه بعكس ما وصفناه نشأ فاسداً وافسد امر دينه ودنياه وكان بلية على نفسه وقومه

فصلاح الولد او فساده انما يدخل عليه من باب التربيـة والتعليم بيقين وابواه هما اللذان يميلان به الى احد الجانبين المذكورين

والطبع سراق فان ير صالحاً يصلح وان الف الفساد تفسدا

فيجب على الوالد ان يصون ولده عن مخالطة قرناء السوء وان يحفظ قلبه من الشر ولا يودع فيه الا الخير الذي يوصله الى معالي الامور ويجعله محباً لدينه في الدرجة الاولى ولدنياه في الدرجة الثانية: وفي الحديث الشريف خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته:

وقد سئل عن تمثيل الروايات الغرامية في المدارس الاسلامية هل يجوز فاجاب بقوله — المدارس كالمساجد لانها انشئت للطاعة ولتعليم العلم النافع في الدارين فلا يجوز لاحد ان يمثل فيها رواية من روايات العشق والغرام اذ لاخير للولد في ذلك فعلى معلم المدرسة ان يجتنب هذا التمثيل المضر وعلى الآباء ان يمنعوا اولادهم من حضوره وان لايسلموهم الا للمعلم الذي يعلم محاسن الاخلاق والآداب الحقيقية

وفي سنة ١٩٣٠ كتب الى مدير المعارف في بيروت ما صورته — ان اكثر المعلمات يأتين الى مدارس البنات متبرجات بزينة تفتن العباد وتخلب الالباب وهن كاسيات عاريات بكشف صدورهن وزنودهن وسوقهن حتي اقتدت بهن البنات في هذا العمل وادى ذلك الي ما لا

الي ما لا خير فيه والمعلمة لاتكون على هذه الصفة لانها معلمة الاخلاق ومعلمة الآداب مصلحة غير مفسدة فيجب ان تكون كالمرأة الكاملة في حشمتها وثيابها البسيطة والا كانت من اعظم البليات على الوطن وهذا اهم ما الفت انظاركم اليه لتأمروا بالنهي عنه

وقد بلغني ان بعضهن يرغبن في التمثيل وهو ممنوع في المدارس حتى في مدارس باريس ايضاً كما افادني بعض من تعلموا فيها لأن التمثيل ليس من العلوم الضرورية واما المحاورة الادبية فلا بأس بها اذا كانت بسيطة وكان فيها حض على التحلي بالفضائل والتخلي عن الرزائل وبالجملة فان التربية النافعة هي التربية الدينية الخالصة من شوائب البدع السيئة لانها تزرع في قلب الطفل الخوف من الله تعالى وعقابه وتحمله في حال صغره وكبره على ان يعامل جميع المخلوقات بالعدل والاحسان وان يعطي كل ذي حق حقه ويحب للناس ما يحبه لنفسه وكل ذلك لا يكون الا اذا كان المعلم مستقيماً وكانت المعلمة كاملة صالحه :

ولما سئل عن القمار كتب لدولة حاكم لبنان الكبير ما نصه — ان الله تعالى نهى عباده عن القمار وامرهم بان يجتنبوه لانه من عمل الشيطان عدو للأنسان فهو محرم في جميع الاديان هادم لاركان العمران مضر بالهيئة الاجتماعية ضرراً بليغاً وهذا ظاهر لا يخفى على احد

ولكن الجاهل لا ينتهي عن هذا العمل الذي اجمعت الامم على تقبيحه ووجوب انكاره لمخالفته للشرع والعقل وقد ترتب عليه من الشرور وعظائم الامور ما لا يحصى فيجب منعه اذ بسببه فسدت الاخلاق والآداب

وخربت بيوت لا تعد واقدم كثيرون على الانتحار في بلاد كثيرة · ومع هذا فقد قرأنا في الجرائد المحلية نبأ العزم على اعطاء المقامرين رخصة بتشييد بيوت كبيرة لاجل القمار وسمعنا ان هذه البيوت تبنى في بيروت ولبنان لاجل المصطافين الى غير ذلك مما اوجب الاستياء العام والشكوى من جميع الطوائف الوطنية · ولا شك ان هذا مما لا يرضيكم كما انه لا يرضينا ايضاً لانه مخالف لرضا خالقنا عز وجل وفيه اكل اموال الناس بالباطل والاذى لعباده المأمورين شرعاً بحفظ اولادهم وحمايتهم من كل آفة ولا آفة اعظم من آفة القمار الذي يدمر الديار ويقتل الفضائل ويؤدي الى المهالك في الدنيا والآخرة ·

وبما ان هذا العاجز لا يقدر ان يتأخر عن القيام بالنصيحة الواجبة ولا عن اجابة طلب ابناء الوطن فقد اتيت بعريضتي هذه داعياً لدولتكم بالتوفيق لخير العمل راجياً ان لا تعطى هذه الرخصة للمقامرين دفعاً لمصيبة القمار التي هي من الكبائر

وهكذا كلامه كله لا يخلو من النصائح والارشادات الى الخير · ومن جملة مشائخه الاديب العالم الفاضل السيد عمر الانسي المتوفي سنة ١٢٩٣ وقد جمع شعره البديع بعد وفاته في ديوان فقرظه المترجم بقصيدة حسنا قال في مطلعها

من احرز الآداب مثلك يا عمر   في عصرنا واتى بمعنى مبتكر
فاذا نظمت نظمت ازهار الربى   واذا نثرت نثرت انواع الدرر

وجميع ابياتها عامره بالمحاسن الشعرية



عطوفة سعيد بك زين الدين

الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف الجزائية

بلبنان الكبير

وهو مشهور بطول الباع وسعة الاطلاع والنزاهة وسيجيء على بيان

تاريخ حياته في موضع آخر



نجيب بك المعلوف

هو نجل المرحوم يوسف مخايل المعلوف وجده لابيه (ابو علي المعلوف) المشهور بهذه الكنية بين رجال زحلة ذوي المكانة

تلقى نجيب بك علومه الاولية في مدارس زحلة وانحراف صحته اذ ذاك حال دون دخوله المدارس العالية وتعمقه في العلم الا ان الطبيعة منحته فكراً ثاقباً وذكاء فطريا فاحرز بين قومه مكانة واتقن فن الفروسية

ولما عين مظفر باشا متصرفاً للبنان جعله من جملة حجابه الذين اختارهم من ابناء العيال الممتازة ثم انه اخذ يترقى في سلك الجندية الى ان

بلغ اليوم الى رتبة بيكباش

واينما وجد نجيب بك يقبض على زمام ادارة العمل الذي يعهد اليه به بيد من حديد ويستمد القوة عندما تلزم القوة من رأيه اكثر منها من حسامه

ويوم جاء امبراطور المانيا الى هذه البلاد كان المترجم من جملة الفرسان الذين لعبوا امامه بالرماح فاحرز قصب السبق ونال من لدن الامبراطور المشار اليه وساماً



الامير يوسف اسماعيل ابي اللمع

هو احد افراد اسرة ابي اللمع الكريمة وحفيد المرحوم الامير حيدر اسمعيل

ابي اللمع الذي تولى قائمقامية النصارى في اول عهدها

تقلب هذا الامير الخطير في كثير من المناصب السياسية في لبنان فكان فيها مثالاً للنزاهة وحسن الادارة فاحرز الرتبة المتمايزه و بعض الوسامات العالية وقد كان ايضاً ممتازاً بمناقبه الحسان . يسترق القلوب بعذوبة الفاظه ودماثة اخلاقه فاجمعت القلوب على محبته يدلك على ذلك الاحتفال الكبير الذي اقيم له يوم استأثرت به رحمة الله في منزله في جديدة المتن ذلك الاحتفال الذي وصفته جريدتنا (لبنان) في عددها المورخ في العاشر من شهر ايار سنة ١٩١٢ حيث قالت

اشرنا في عدد سابق الى الفاجعة المؤلمة التي المت بالاسرة اللمعية الكريمة بفقد كبيرها الامير يوسف اسمعيل وحيث كان لهذا الامير منزلة سامية بين جميع مواطنيه لما له بينهم من الاعمال الطيبة والمآثر الحسان في جميع الادوار التي تولى فيها المناصب العالية التي اسندت اليه فقد كانوا في الحزن عليه واحداً وخفوا جميعاً يوم استأثرت به رحمة الله الى منزله في قصبة بكفيا تحت الصواعق والامطار وكانوا يعدون بالالوف واليك البيان

نعي ذلك الفقيد الكريم الى المقامات الدينية والمدنية العالية والى اصدقائه الاخصاء في بيروت ولبنان وبالجملة الى الخاصة والعامة بعد وفاته في الجديده على ما ذكرنا قبلا وعينت ظهيرة يوم الاربعا الواقع في ٢٤ نيسان موعداً للدفن في بكفيا وسير بالجثة نهار الثلثا السابق من الجديدة بموكب كبير تقله مئات من المركبات فلما مرت امام سراي حكومة قضاء المتن حيتها فرقة من الجند وكانت كلما تقدمت في سيرها تزداد عدداً من الخلق لان جميع

القرى الواقعة على مقربة من الطريق انضم اهلها الى ذلك الموكب الكبير حتى اذا بلغ محلة جورة الزيتون التي هي على مسافة نحو ساعتين من بكفيا وساقية المسك و بحر صاف وفي المقدمة سيادة المونسنيور يوسف داغر ولفيف من الكهنة حاملين راية الصليب المقدس ولما بلغوا قرية عين عار انضم اليهم الالافون من اهل هذه القرية وقرية قرنة شهوان وغيرهما . واذ ذاك فاه حضرة الاستاذ يوسف افندي الخوري المشعلاني بما يوافق المقام

ولدى وصول الموكب الى ظاهر بكفيا استقبله سائر اهلها بين رجال ونساء والكآبة على وجوههم

ولما بلغوا بالجثة دار الفقيد وهي السراي المعروفة بسراي المغفور له الامير حيدر فاه حضرة الاب الفاضل الخوري طوبيا عطاالله بتأبين اثار الحزن في القلوب . ثم اودعت الجثة بيعة السراي الخاصة

وفي صباح اليوم الثاني اي (الاربعاء) اخذ الناس يفدون من كل جهة حتى غصت بهم تلك السراي و باحاتها وحدائقها على اتساعها المشهور وفي الوقت المعين دخل الجمع الى البيعة واذا بالجثة مودعة في تابوت فاخر ومن حوله الاكاليل العديدة وموضوع بجانبه وسادة علقت عليها الوسامات الممنوحة للفقيد من الدولة العلية وغيرها وشارة الرتبة المتمايزة التي نالها الفقيد

ولما انتظم عقد الحاضرين قام بالصلاة كل من السادة الاجلاء المطارنة بولس عواد وعبدالله الخوري ويوسف صفر واثناسيوس صوايا و بطرس شبلي واغطون عريضه ولفيف من الكهنة الافاضل لا يقل عن مئة

وخمسين كاهناً

وبعد تلاوة الانجيل المقدس تشنفت الآذان بتلاوة الرقيم البطريركي الكريم واذا به يتضمن بيان اسف غبطته لهذا الخطب الفادح وتعزية اسرة الفقيد الكريمة وبعد ذلك فاه سيادة الحبر العلامة المطران بولس عواد مطران الابرشية بتأبين كريم

اما حضرة صاحب الدولة يوسف باشا متصرف لبنان فقد اناب عنه عزتلو انطون بك الخوري قائمقام القضاء بتعزية تلك الاسرة الكريمة

ولما ازفت الساعة سير بالجثة بذلك الموكب الفخم الى كنيسة ساقية المسك حيث دفنت فيها بالاكرام اللائق

وقد ورد على اسرة الفقيد الكريمة عدد وافر من المراثي ومن جملتها القصيدة التي نظم عقدها صاحب هذه الجريدة ونشرت في العدد ١٠٤٥ منها

حفلة الجناز

لقد اذاعت اسرة الفقيد الكريم منشورات تعلن فيها انها ستقيم جنازاً عن نفس فقيدها بل فقيد الوطن المشار اليه في كنيسة القديس يوحنا في البوشرية وعينت لذلك يوم الاحد (الماضي) وقد تكرم غبطة البطريرك الياس الحويك ببيان رغبته في تولي رياسة الصلاة حينئذٍ وما كان صباح ذلك اليوم حتى خف الناس زرافات ووحدانا وفي مقدمتهم سيادة مطران الابرشية الحبر العلامة المطران بولس عواد لشهود هذا الاحتفال من كل جانب وخصوصاً من قضاء المتن لما لاهله من التعلق باهداب محبة الفقيد

الكريم وقبل الظهر اقبل غبطة البطريرك المشار اليه بموكب كبير يتقدمه احد ضباط الجند اللبناني و بعض الفرسان و كان يحف بغبطته كل من الحبرين الجليلين المطران يوسف صقر والمطران عبدالله الخوري وسائر البطانة البطريركية الكريمة و بعد وصول غبطته الى منزل الفقيد وتعزية اسرته الكريمة وجه خطابه نحو حضرة ذات الرصانة السيدة هيفا ارملة الفقيد فوصفها بما هي اهل له من الصفات الكريمة وعزى قلبها ثم سار غبطته بموكبه الى الكنيسة المشار اليها و بعد اقامة صلاة الجناز فاه غبطته بتأبين كان غاية في البلاغة بين فيه غبطته ما كان للفقيد من المنزلة السامية لديه وفي كل مقام ايضاً و بعد ان افاض غبطته في وصف مناقبه عزى اسرته المشار اليها تعزية كانت بلسماً لجراح احزانهم و بعد ذلك عاد غبطته الى منزل الفقيد في الموكب نفسه فتناول طعام الغداء على مائدة كريمة اعدتها اسرة الفقيد على صورة نادرة المثال دلت على سخاء جزيل

و بعد ان استوى غبطته على منصته الخاصة في صدر ردهة الاستقبال وقف صاحب امتياز هذه الجريدة (مؤلف هذا التاريخ) فابن الفقيد الكريم الذي كان من اعز اصدقائه التأبين الآتي وهو

والله ما حزنت اخت لفقد اخ   حزني عليك ولا ام على ولد

دخلت الغزالة في كناسها وخيم الظلام وسكت الليل ارهاباً . ثم طلع البدر واخذ يختال في القبة الزرقاء اعجاباً . فخرجت من مكمني امتع الطرف فيه . و بمكنونات صدري اناجيه . واذا بذلك البدر قد اعتراه المحاق ورايت اذ ذاك نعشاً فخماً ينزل على مهل في حفرة عميقة حاملاً الاماني

والامال . حاملا رجلا لا كالرجال . حاملا الصلاح والفضيلة والذكاء حاملا الشهامة والمروءة والوفاء . حاملا رجلا عاش كبيراً ومات كبيراً

ها انا ذا ايها الراحل الكريم احد اصدقائك الذين عرفوا سلامة مباديك وفاخروا لدى اعاظم الناس فيك . اذكرك الان ولي كلمات فيك ابديها . وفي فمي شهادة صحيحة اؤديها

ها انا ذا انحنى امام ضريحك الكريم ناثراً العبرات ومصعداً الزفرات

هنا على هذا الضريح ايها الصديق تستقر دمعة الصديق . هنا اسكب دموعاً غزيرة لتسقي تربة تنبت فوقها زهرة الحب النضرة . زهرة الحب التي لا تذوي . زهرة الاخلاص الصافي

ساورني ايها الصديق خيالك بالامس فوقفت لديه حائراً مبهوتاً

وقعت العين على العين فتكلمنا ولكن صامتين تآمرنا ولكن على قلب اذابه فقدك التياعاً واطاره حزني عليك شعاعاً

سلام ايها الراحل الكريم ان عبير صفاتك حياة لبنيك ومثال حسن لمحبيك

سلام ايها الراحل الكريم لقد فقدنا بفقدك رجلا خدم الحكومة السنية خدمة تذكر بالشكر بل خدم وطنه بمواهبه الكريمة ومشاريعه العظيمة خدمة ابقت له خير الذكر . انت الذي ثقفت بنيك على الصلاح والآداب فكانوا من افاضل الرجال

انت الذي بعدل تبكيك ذات الرصانة والكمال عقيلتك الفاضلة وترثيك ، وبحق يشق بنوك ومحبوك عليك القلوب بدل الجيوب

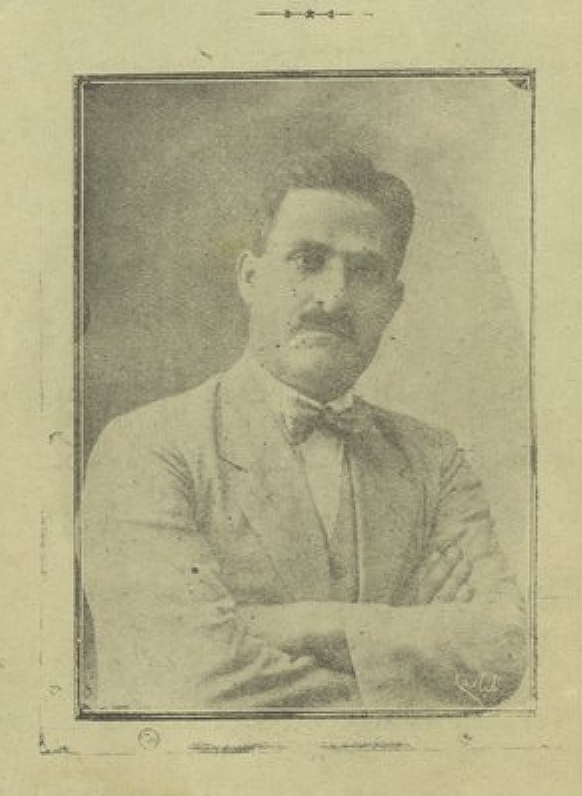
ثم توالى وقوف باقي المؤبنين الافاضل وهم كل من حضرات الدكتور سليم بك جلخ وشبلي بك ملاط والشيخ فارس نصار والشيخ سعيد افندي الشرتوني وشاهين افندي ابي علي وعساف افندي الخوري والشماس عيد نهرا والامير فؤاد محمود اسمعيل شهاب وحبيب افندي فارس فاجادوا في تآبينهم الكريمة



الدكتور نعيم افندي بشير صعب

هو احد نبهاء قرية بيت مري وقد ولد فيها سنة ١٩٠٣ وفيها تلقى

مبادىء القراءة العربية ثم دخل مدرسة الفرندز في برمانا فاتقن اللغتين العربية والانكليزية بفروعها وتعلم مبادىء اللغة الافرنسية واحرز جائزة السلوك الحسن في المدرسة وجائزة معاونة الاساتذة دون احد غيره من رفاقه وهو على اهبة السفر الى الديار الانكليزية ليتخرج من احدى كلياتها العالية



امين بك رزق

ولد في قصبة برمانا في ١٥ شباط سنة ١٨٨٢ م وتلقى دروسه

الابتدائية في مدرسة برمانا العليا التابعة لجمعية الفرندز و بعد ان مكث في المدرسة المذكورة اربع سنوات ذهب منها رأساً الى الدائرة العلمية في الجامعة الاميركية ببيروت وتخرج من الجامعة المذكورة وفي سنة ١٩٠٢ احرز لقب بكلوريوس علوم

وفي سنتي ١٩٠٢ و ١٩٠٣ اشغل مركز استاذ اول في مدرسة برمانا العليا

وفي اواخر سنة ١٩٠٣ ذهب الى مصر فعين في المحكمة المختلطة في القاهرة بوظيفة مدقق عقود في قلم الرهونات

وفي سنة ١٩٠٤ ذهب الى السودان حيث مكث مدة ١٥ سنة متقلباً في عدة وظائف وقد تخصص في السنوات العشر الاخيرة التي صرفها في السودان في سلك تسجيل الاراضي

وفي سنة ١٩١٩ استدعته حكومة فلسطين وعينته مفتشاً عاماً للطابو فبقي في مركزه هذا الى منتصف سنة ١٩٢٠ حينما استدعته حكومة العراق العربي وعينته مديراً للطابو في البلاد المذكورة ولما كان مناخ العراق غير موافق لصحته عاد بعد ثلاثة اشهر الى مركزه في فلسطين ولا يزال فيه حتى اليوم

وفي سنة ١٩٢٤ حبته الحكومة البريطانية بوسام (او) ضابط في الامبراطورية البريطانية

وفي سنة ١٩٢٥ منحته حكومة فرنسا وسام اوفيسيه داكاديميه وهو اختصاص في شرائع التسجيل وشرائع الاراضي بل هو متفرد بذلك

فوق كونه واسع الاطلاع في الشؤون العلمية والسياسية ومتحلياً بحلية الصدق والاستقامة



عيسى افندي اسكندر المعلوف

عضو المجمع العلمي الادبي في دمشق

ولد في كفرعقاب في ١١ نيسان ش سنة ١٨٦٩ م ودرس في مدارس تلك الايام القراءة والكتابة ثم انتقل الى مدرسة الانكليز في

قريته فاخذ مبادىء العلوم ودخل مدرسة الشوير المالية نحو سنة فقط وعاد الى مسقط رأسه مدرساً في مدرسة الآباء اليسوعيين التي انشئت في ذلك العهد بضع سنوات وكان يطالع بنفسه و يتوسع بمعارفه الى سنة ١٨٩١ حيث انتدبته ادارة جريدتنا لبنان للمساعدة بانشاء الجريدة وتصحيح مطبوعات المطبعة العثمانية فبقي المترجم في ادارة جريدة لبنان سنتين واتصل بهذه الاثناء بالعلامة المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي وحضر مجالسه الحافلة بالادباء وبينهم خليل بك المطران وسليم افندي سركيس ونجيب افندي الشوشاني وامثالهم

ثم عين مدرساً في مدرسة (كفتين) المشهورة فبقي فيها اربع سنوات تخرج عليه فيها عدد من الادباء بالعربية والانكليزية والرياضيات والف ثلاث روايات تمثيلية فيها

ثم عاد الى جريدة لبنان ينشئها سنة ١٨٩٧ و بعد مدة نقل الى زحلة وتعاطى فيها التجارة سنة ثم انتدبته المدرسة الشرقية فيها لتدريس العربية والانكليزية والرياضيات فبقي يدرس هذه الفروع مدة ثم تخصص بتدريس آداب اللغة العربية وانشأ فيها محاضرات وخطباً رائعة فتهذب على يده كثير من ادباء سورية ولبنان

وفي هذه الفترات اقتنى مكتبة ثمينة فيها اكثر من الف مجلد مخطوط من نوادر المواضيع العربية والفنون ونحو ثلاثة آلاف مجلد مطبوع فيها النفائس العزيزة الوجود . واخذ في تأليف كثير من الكتب التاريخية والادبية مما سيأتي ذكره . فطبع بعضها و بقي الآخر غير مطبوع وكلها

جديرة بالنشر تشهد بصحة هذا القول مقالاته الكثيرة في معظم المجلات

وقد اصبح مرجعاً لكثير من الادباء والعلماء يراسلونـه بالذات او يكاتبونه فيقفون على ما يرومون من المباحث والمؤلفات والمخطوطات الرائعة واستشهد بآرائه كثير من المؤلفين

ولقد ترأس المدارس الارثوذكسية في دمشق سنة كاملة فادارهـا بدارية . ودرس في مدرسة سوق الغرب الاميركية . وفي زمن الحرب وقبله كان يقبل الطلبة في بيته ويدرسهم ما يريدون

وبعد الاحتلال على اثر الحرب الكبرى انتخب عضواً للجنة الترجمة والتأليف في دمشق التي تحولت الى ديوان المعارف ثم الى المجمع العلمي ثم انه استقـال لاعتلال صحتـه على ان العلة لم تؤخره عن اعماله وتربية اولاده الذين منهم التاجر والشاعر والكاتب والاديب في المهجر والوطن وهو ينوي الانتقال باسرته الى البرازيل حيث ولداه الكبيران في سانباولو يتجران

اما مؤلفاته المطبوعة فهي كثيرة بين كتاب وكراس مثل (دواني القطوف) و (تاريخ زحلة) و (مجلة الآثار) و (الكتابة) و (لمحة في الشعر والعصر) و (الاخلاق مجموع عادات) و (الام والمدرسة) و (تاريخ الطب قبل العرب) و (تاريخ الطب عند العرب الى عهدنا) و (صناعات دمشق القديمة) وغيرها من المجاميع والرسائل والمقالات التي نشرت في كثير من المؤلفات مثل مقالتيه (اخلاق سكان سوريا وعاداتهم و (الاداب اللبنانية) في (تاريخ لبنان الذي طبع بالحرب العامة . وما نشر من

محاضراته في (كتاب محاضرات المجمع العلمي العربي) في دمشق

وله مؤلفات اخرى لم تطبع منها (تاريخ سورية المجوفة) وهو بديع الاسلوب و (شحذ القريحة) في الشعر وهو مجلد ضخم و (تراجم علماء القرنين التاسع عشر والعشرين) (والطرف الادبية في تاريخ اللغة العربية و (نفائس المخطوطات) و(مفكراته عن الحرب العامة) و(المكتبة التاريخية) و (الاسلوب القويم في التربية والتعليم) و (اسرار البيان) و (معجم الالفاظ العربية العامية) و (تحفة المكاتب) ومحاضراته الكثيرة ومن اهم مؤلفاته

﴿ الاخبار المروية في تاريخ الاسر الشرقية ﴾

وهو كتاب في عشرة مجلدات ضخمة اشتغل فيه نحو اربعين سنة فساح في انحاء سورية ولبنان ووقف على الخزائن المخطوطة والاوراق القديمة وكتب الانساب و (مشجرات الاسر) المحفوظة عند كثير من المسلمين والمسيحيين والاسرائيليين واقتنى كثيراً من الكتب لهذه الغاية وقد رأينا منها نفائس لا توجد في اكثر الخزائن . ووقفنا بنفسنا على الكتاب فاذا به (خزانة كتب تاريخية) ومما امتاز به الكتاب انه وضع له مقدمة في (علم الانساب) عند العرب والافرنج تقع في نحو مائتي صفحة بقطع كبير وحرف دقيق . ومنها فوائد جديرة بالمطالعة عن النسب وفائدته عند الامم القديمة والحديثة

ثم تأتي بعد ذلك انساب كل اسرة بحسب الحروف الهجائية فيذكر اصلها ثم فروعها واماكنها ومشاهيرها وحوادثها و يفرق بين ما اشترك منها

بالاسم او الصناعة ونحوهما ويجمع بين ما تعرف من الفروع في التسميات والاماكن وهم من اصل واحد

ولقد قلبنا بذاتنا صفحات كثيرة من كل مجلد ووقفنا على استقراآت غريبة في بابها وعرفنا اشياء عن اسرتنا نحن كنا نجهلها مما يدل على جلد المؤلف وكثرة تحقيقه في الابحاث وكثرة المراجعات والتحقيق مما نحن بحاجة اليه في اصلاح تواريخنا وانسابنا فتراه يروي اخبار الاسرة كما تناولها عن السنة شيوخها والواقفين على اخبارها بتفاصيل وافية

فالذي يطالع هذا التاريخ الكبير يقف دهشاً في كثير من المواقع التي تختلف فيها مظان الاخبار وتتشوش الروايات فيجد من اساليب التروي والتثبت والتصحيح ما لا زيادة بعده لمستزيد

وقدرنا ان انفق على هذا الكتاب مئات من الليرات بين مفاوضات واسفار ومراجعات ومشترى كتب واستنساخ غيرها ومراجعات كثيرة دون ان يعتريه ملل او يتناوله اقل ضجر

والمؤلف اليوم ثقة في هذه المباحث مضطلع من النقد التاريخي وواقف على اسرار التاريخ والنسب حتى انه يعرف كل شاردة ويقيد كل نادة من الاخبار

والكتاب غير مقصور على اسر سورية ولبنان بل يتناول غيرها من الاسر

ويرى المطالع في صدر الكتاب اسماء المصادر التي عوّل عليها من مؤلفات قديمة في التاريخ والانساب ومما وضع في القرون التي تلي ذلك

حتى يومنا هذا

واخذ رسوم كثير من الاوراق والمنـاشير والانساب بالتصوير الشمسي لحفره وطبعه في مظانه من الكتاب

ووضع شجرات للانساب يتسلسل فيها النسب من صفحة الى صفحة وتترجم فيها المشاهير وتذكر الوقائع

فلهذا رأينا ان هذا الكتاب هو الان المرجع الذي يعتمد عليه النسابة وهو معروض للاشتراك فنحض ارباب الاسر والمولعين بالنسب والتاريخ ان يقبلوا عليه ويشتركوا به ليتمكن من نشره وقد فسح له الاجل لان مثل هذا العمل الشاق لا يفيد نشره الا على يد مؤلفه فتنجلي له عند الطبع حقائق كثيرة مما علق بذهنه ومرن عليه طبعه وقاده اليه بحثه شأن المؤلفين الذين يطبعون مؤلفاتهم ويقفون على اصلاح مسوداتها باقلامهم فتخرج من تحت ايديهم صحيحة

وسيظهر الكتاب بحلة رائعة من جمال الحرف والورق والترتيب وجودة الطبع في جزأين كبيرين او اكثر

﴿ قيمة الاشتراك به ﴾

في سوريا ولبنان ليرة عثمانية معدل سعرها ٢٦٠ غرشاً ذهباً او مـا يعادل قيمتها ليرات سورية عند الدفع · في خارج سوريا ولبنان ليرة انكليزية ونصف معدل سعرهما ٤٥٠ غرشاً ذهباً او ما يعادل قيمتها ليرات سورية عند الدفع وثمن الجزأين بعد الطبع لغير المشتركين في سوريا ولبنان ليرة انكليزية ونصف وفي الخارج ليرتان



سعادة علي نصرت بك الاسعد

هو حفيد المرحوم علي بك الاسعد امير بلاد بشاره ورئيس عشائرها
وابن الزعيم الكبير المرحوم شبيب باشا الاسعد
وجد هذه الاسرة الكريمة هو الامير محمد هزاع الوائلي امير نجد

وقد رحل هذا الامير في عهد قديم من نجد بعشيرته الكبيرة الى بلاد جبل عامل وافتتحها بعد صلاح الدين الايوبي على عهد حاكمها بشاره ابن مقبل القحطاني التي سميت باسمه وسيجيء بيان ذلك بالتفصيل عند ذكرنا امر وعلماء جبل عامل اما المترجم فقدولد سنة ١٨٨١ في (قرية الزراريه) من اعمال صيدا ومن جملة املاكه فتلقى دروسه الابتدائية في مدارس صيدا فاظهر ذكاء نادراً بالرغم عن صغر سنه

ولما بلغ التاسعة من سنيه امّ الاستانة بطلب من المرحوم والده الذي كان يقيم فيها لاسباب سياسية ولدى وصوله اليها دخل احدى مدارسها الرشدية فالاعدادية ثم بارادة سلطانية دخل مدرسة العشائر فالمدرسة الملكية فالمدرسة الحقوقية السلطانية حيث اتم دروسه فيها ونال الشهادة النهائية منها سنة ١٩٠٧

وبعد خروجه من مدرسة الحقوق تعين في قلم تحريرات وزارة الخارجية في الباب العالي ثم عين في قلم الايالات الممتازة ثم في قلم الصدارة العظمى ثم في القلم الاميري الهمايوني ثم صدرت الارادة السنية بتعيينه عضواً لاحدى دائر شورى الدولة مع ترفيعه للرتبة الاولى من الصنف الثاني الا انه حال دون تنفيذ هذه الارادة اعلان الدستور العثماني وتقييد حرية السلطان وقلب شكل الحكومة

فبقي في الاستانة مع المرحوم والده الذي كان محظوراً عليه وعلى ولده صاحب الترجمة الخروج منها بسبب الوشاة الذين كانوا يصورون للحكومة ان برجوع شبيب باشا الاسعد وولده الى بلادهما يخشى من

ايقادهما نار الثورة في جبل عامل فظلا في الاستانة الى ان فك اسرهما في عهد السلطان محمد رشاد الخامس فرجعا الى وطنهما حيث اقام صاحب الترجمة سنة رجع بعدها الى الاستانة لقطع علاقات المرحوم والده مع بعض المصارف

وبعد رجوعه من الاستانة عين عضواً في محكمة الجزاء في بيروت ثم نقل الى دمشق ثم عين مفتشاً لعدلية حلب وفي اوائل الحرب استعفى من وظيفته ولزم بيته طول مدة الحرب ولم يشاء ان يقبل وظيفة ما

وفي سنة ١٩٢٣ عين في حكومة لبنان الكبير مستشاراً لمحكمة استئناف الحقوق والتجارة فظل فيها الى ان عين متصرفاً على لواء جبل لبنان . ثم عين عضواً لمحكمة الاستئناف ولم يزل في منصبه هذا حتى اليوم وهو يحمل النوط الحجازي ، والنيشان المجيدي العالي ، ورتبة بروسه العلمية ، والرتبة المتمايزة ، ونوط اللياقة الذهبية



محمد افندي زين الدين حمدان رشيد

ولد في قرية بيت مري في ١٥ حزيران سنة ١٨٧٥ وتلقى مبادئ العلوم العربية في مدرسة الحكومة في عهد رستم باشا فكان من التلامذة الذين ازدانوا بالنجابة والذكاء

وفي سنة ١٨٩٨ سافر الى مدينة عدليد في اوستراليا مع ولده مجيع افندي واخويه مجيد افندي وسليم افندي الذين كانوا تخرجوا جميعهم

في مدرسة قصبة برمانا الداخلية ثم في الجامعة الاميركية في بيروت وبعد ان رسخت اقدامهم في مدينة عدليد المذكورة وتمكنوا من معرفة اللغة الانكليزية انعكفوا على التجارة فاقتنوا اولاً كثيراً من الاراضي الزراعية التي تحتوي على مراعٍ خصبة للمواشي واحدهم محمد اخذ يصرف عناية مخصوصة بمساعدة ولده سجيع افندي في تربية الاغنام واما اخوه مجيد افندي وسليم افندي فمالا الى تربية الاغنام والى تربية الخيول ايضاً ولا سيما خيول السبق فبعدت شهرتهما واحرزا شهادات عالية وجوائز عديدة من الحكومة بفن تربية الخيول فكان لهما من وراء ذلك فائدة ادبية عظيمة كانت مقدمة للفائدة المادية وبناء على ما اشتهر من صدقهم في المعاملات مال اليهم الناس فنمت تجارتهم واحرزوا ثروة طائلة اصبحوا معها في عداد اصحاب الثروات الكبيرة

ومما يذكر لهم بالشكر بذل الاموال في مساعدة ذوي الفاقة في ديار الهجرة وفي وطنهم ايضاً بواسطة توفيق افندي نجل احدهم محمد افندي فانهم ارسلوا اليه مبلغاً كبيراً في ايام الحرب وزعه على المعوزين وعلى بعض الجمعيات

وفي سنة ١٩٢٤ عاد محمد افندي المترجم الى وطنه لزيارة نجله توفيق افندي وذوي قرباه فاستقبل على الرحب والسعة وقد قام في وطنه باعمال كريمة تدل على اخلاق كريمة ولا يلبث ان يعود الى مركز تجارته لمعاودة اعماله التجارية ومعاونة ولده سجيع تاركاً في منزله بيت مري ولده توفيق افندي لادارة املاكه وتوفيق افندي من الشبان الذين تحلوا بحلية العلم والادب فقد تلقى علومه في الكلية الاميركية ببيروت



الياس افندي عيد فريحه

هو الياس ابن الشيخ عيد فريحه مختار قرية رأس المتن ولد في ٢٠ تموز سنة ١٨٨٤ في القرية المذكورة ولما بلغ اشده ادخله ابوه في مدرسة عين السلام في قصبة برمانا فتلقى علومه فيها ثم دخل المدرسة الاكليريكية للمرحوم المطران غفرئيل مطران بيروت ولبنان فدرس فيها ما فاته درسه في المدرسة الاولى وكان في كلا المدرستين مرفوع اللواء بين رفاقه ثم انه أدخل في سلك معلمي مدارس الجمعية الفلسطينية ولم يلبث ان ترقى الى

درجة مدير لما اظهر من الاقتدار والتفنن في طرق التعليم

ولما كانت نفسه تطمح الى اسمى من هذه المرتبة هاجر الى الترنسفال باشارة من صديقه الحميم الخواجه فرج الله مخيبر الذي كان سبقه الى تلك المقاطعة وقد اقاما معاً مدة في مدينة كونيستدن وفي اواخر سنة ١٩٠٤ انتقل الى مدينة بلومفونتين عاصمة مستعمرة نهر الاورانج فاسس فيها محلاً تجارياً ولما عرف ان السوريين كانوا مندمجين في سلك من هنالك من الجالية اليونانية ويزعمون انهم من الاغريق في حين ان الاغريق يتبرأون منهم كان اسفه عظيماً لابتذال الاسم السوري ولم يرَ له سبيلاً لرفع شأن السوريين الا بتأليف جمعية سورية فعقد الخناصر هو وفريق من ذوي المكانة السورية واسسوا جمعية دعوها الجمعية الخيرية العثمانية في سنة ١٩٠٥ ولم يمر على تأسيسها بضعة شهور حتى اندمج في سلكها نحو مئة رجل من ادباء السوريين وذلك بسعيه المتواصل وبعد ان توفر المال في صندوقها اخذت بمساعدة الجمعيات الوطنية وبمساعدة المحتاجين ايضاً من ابناء الجالية السورية ومن ذاك الحين بدأ الناس يحترمون الاسم السوري

وفي سنة ١٩٠٩ ترك عاصمة مستعمره الاورانج وجاء مستعمرة باستولند لانه كان عرف ان التجارة فيها ذات شأن ورغماً عما هنالك من موانع الدخول الى هذه المستعمرة بحسب قوانينها الصارمة تمكن من الدخول اليها بدهائه فوجد فيها مجالاً واسعاً للارباح فاسس فيها محلاً كبيراً واتخذ الصدق رائده فنجح نجاحاً عظيماً

وفي سنة ١٩١١ لما شهرت ايطاليا الحرب على الدولة العثمانية اخذ

ينشر الفصول الطوال في بعض الجرائد الانكليزية ضد ايطاليا فكان لمقالاته وقع حسن لدى رجال الجامعة الاسلامية الهندية التي اوعزت اليه ان ينقل محله التجاري الى مدينة در بن فنسمى لجعله قنصلاً عثمانياً في مستعمرة الناتال فاعتذر مظهراً شكره للجامعة لما بدا منها من حسن العاطفة

وفي سنة ١٩١٨ بعد ان تم الاحتلال جاء مسقط رأسه فبلغه في اوائل سنة ١٩٢٠ ووجد ان الغلاء مستحكم الحلقات في البلاد والجوع لم يزل فاشياً فبذل من المساعدة للفقراء ما اطلق الالسنة بشكره ثم انه عاد الى حيث كان في الترنسفال فلم ترق له الاقامة هنالك لكساد سوق التجارة فذهب الى مدينة جوهنسبرج عاصمة الترنسفال الكبرى والف بالاشتراك مع صديقه الخواجه داود الاشقر شركة مساهمة براس مال قدره اربعون الف ليره انكليزية فلم تأت بالثمرات المطلوبة لان ايدي التجار الانكليز بالغوا في تقويض اركانها حسداً

ثم انه لما نوى السفر الى البرازيل خف السوريون لوداعه في محطة جوهنسبرغ وتوالى وقوف كثيرين منهم امامه يظهرون أسفهم لغيابه عنهم مما دل على ما له بينهم من سمو المنزلة فشكرهم شكراً جزيلاً وهو اليوم في ولاية ميناس يشتغل فيها بتجارة كبيرة في الفبركة التي انشأها لتنظيف البن والرز وفقه الله



راجي بك ابو حيدر

هو راجي بن يوسف بن ابرهيم احد فروع عائلة ابي حيدر الكريمة التي نبغ منها رجال في العلم والفضل والتجارة في الوطن والمهجر

ولد المترجم في اوائل سنة ١٨٧٣ في قصبة بسكنتا وتلقى علومه

الاولية في مدارس القصبة ولدواع صحية لم يتيسر له الدخول في المدارس الكبرى على انه رأى في نفسه نزوعاً الى اقتباس العلوم الشرعية فدرسها على اساتذة معروفين بطول الباع وسنة ١٨٩٦ م عينته حكومة لبنان عضواً لملة الروم الارثوذكس في محكمة قضاء المتن فاستمر مدة ست سنوات متوالية وفي اخرها عين رئيساً لمحكمة قضاء الكوره فبقي في منصبه هذا مدة ١٣ سنة ثم عين عضواً لمحكمة الاستئناف اللبنانية وبعد ست سنوات عين محامياً عاماً لمحكمة استئناف لبنان الكبير وبعد سنة عين مدعياً عمومياً لمحكمة استئناف لبنان الكبير فقام باعباء هذه الوظيفة مدة ثلاث سنوات وفي اخرها عين مستشاراً لمحكمة التمييز في لبنان الكبير ولم يزل حتى اليوم في منصبه هذا

ولما كان مدعياً عاماً لمحكمة استئناف لبنان الكبير جعل في الوقت نفسه محققاً للمجلس العدلي الذي شكل حينئذ بصورة استثنائية بسبب الحوادث التي جرت في قضاء الشرف في سنتي ١٩٢٢ و ١٩٢٣ وقد قام بوظيفته هذه الفرعية خير قيام وكشف كثيراً من الاسرار التي مهدت السبيل الى الوصول الى المجرمين والقاء القبض عليهم

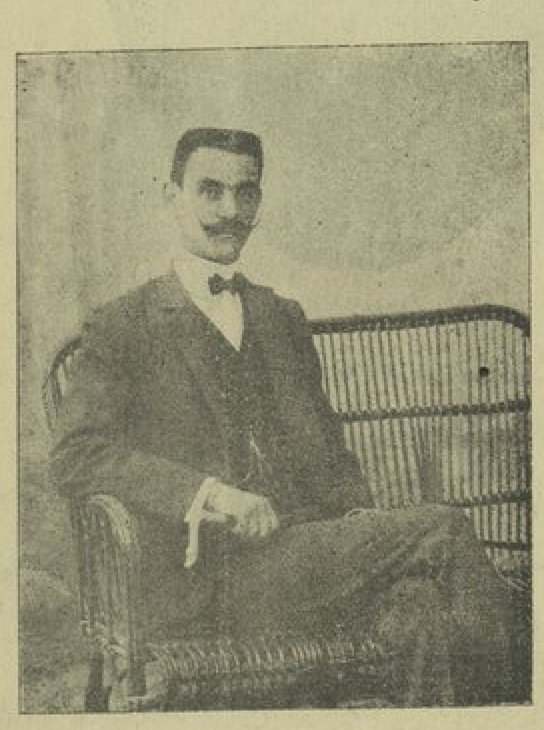
ومن جملة تلك الحوادث حادثة قتل حرس السر هربرت صموئيل المفوض السامي السابق لفلسطين في الاراضي الفلسطينية وبعد ان اهتدت حكومة فلسطين بواسطته الى محل وجود القتلة والقت القبض عليهم دعته دائرة العدلية في فلسطين الى شهود محاكمة اولئك القتلة ففضح لها اسرار الجناية وبهذه الواسطة تهيأت لها اسباب الحكم بها

وقد كتب اذ ذاك السر هربرت صموئيل كتاباً الى فخامة الجنرال ويغاند حينئذٍ ضمنه الشكر من المترجم لما بدا منه من العناية في سبيل كشف اسرار تلك الجناية الكبيرة

اما الجنرال ويغاند فانه بدوره انفذ اليه كتاباً ملؤه الشكر

ولا غرو فان راجي بك لجدير بكل ثناء كيف لا وقد مرّ على تقلده المناصب العالية عشرات من السنين بصورة متوالية ولم نسمع فيها غير صدى الثناء عليه من اولياء الامر العظام ومن رجال الفضل ذوي الاحترام

فيليب افندي زلزل



هو احد فروع اسرة زلزل الكريمة التي اشتهر منها رجال من اهل العلم والسياسة

شغل فيليب افندي مركزاً مهماً في قنصلية فرنسا وهو ممن تحلوا بحلية العلم وسداد الرأي



ذياب افندي ابو حيدر

هو احد فروع عائلة ابي حيدر السابق ذكرها ترك مسقط رأسه قصبة بسكنتا وهاجر الى البرازيل في سنة ١٨٩٢ وله من العمر ١٤ سنة ولم تمر عليه سنوات قليلة حتى فتحت امامه ابواب الرزق فشمر عن ساعد العزم واخذ يسعى وراء الربح في الطرق المشروعة فادرك امنيته في وقت



ولده ميكال افندي

قليل واقتنى املاكاً شاسعة لزراعة البن وابتنى ما يلزم لها وللقطن ايضاً من الفبارك الكبيرة الفنية فساعدته العناية ونجح نجاحاً باهراً حتى اصبحت محصولات البن عنده لا تقل عن خمسين الف كيس في السنة ولما بعد صيته اقبل عليه المواطنون من كل جهة يستمدون المساعدة منه وهو بالنظر الى ما فطر عليه من الغيرة الوطنية كان يمد كل واحد بما يلزم من المال

والمساعدة لترويج عمله وقد اتخذ بلدة مرنتي ازول مقراً له واتفق انه وجد في مكان من اراضيه في هذه البلدة ينبوع ماء صاف وكانت تلك البلدة في حاجة الى المياه فقد تبرع المترجم بتقديم هذه المياه الى البلده باسم لمدينها وتبرع ايضاً بدفع خمسة الاف ليرة برازيلية اكلاف جر تلك المياه الى حيث لزم جرها فقابل المجلس البلدي هذه الهدية الكبيرة بشكر جزيل وحفظاً لجميله قرر ان يسمى احد شوارع تلك البلدة باسمه وقد ملأت يومئذ الصحف البرازيلية اعمدتها بالثناء عليه

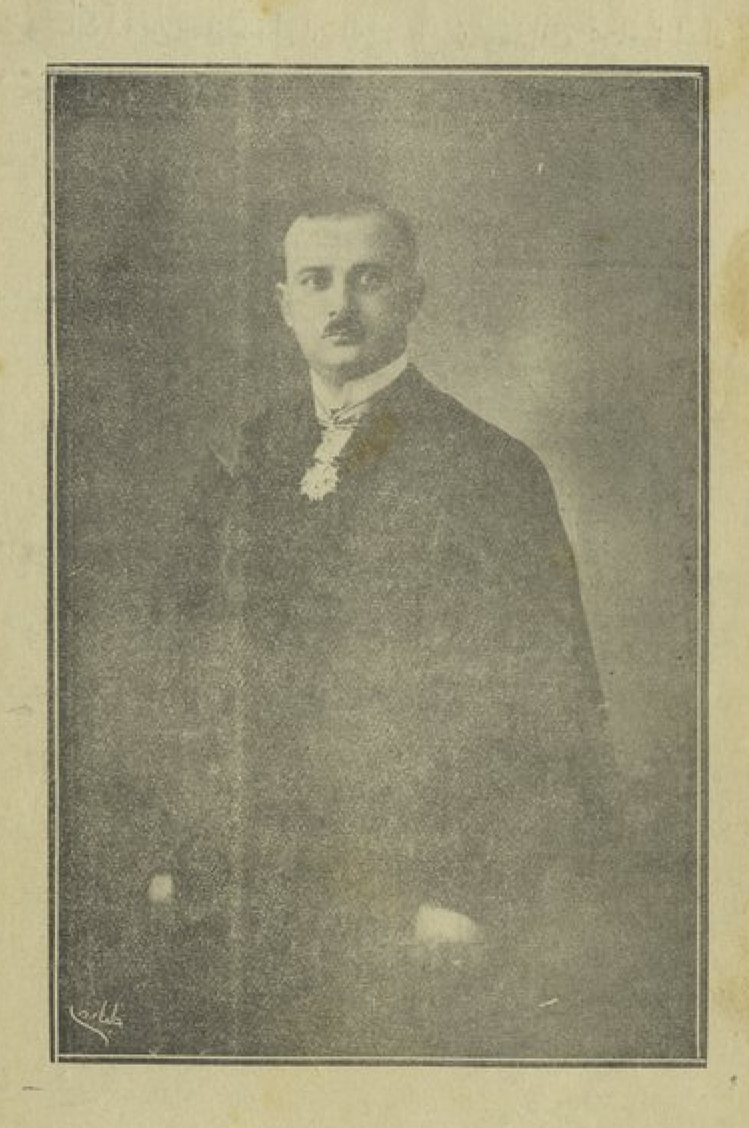
ولما جاء الوفد البرازيلي من بضعة شهور الى هذه الديار على مايذكر قراء كتابنا هذا اوعز الى نجله الكريم ميكال افندي صاحب الرسم الثاني الذي كان انفذه الى بيروت لاقتباس العلوم ان يستقبل الوفد المشار اليه باسمه وان يقيم له وليمة فاخرة فلبى اشارة والده الكريم واستقبل رجال الوفد الذين لايقل عددهم عن ١٧٠ واحداً بحفلة عظيمة اقيمت في فندق رويال بيبروت على حسابه شهدها كثيرون من سراة بيروت ولبنان وفي مقدمتهم ممثل الدولة الافرنسية اذ ذاك الجنرال سراي واركان المفوضية العليا وحضرة حاكم لبنان الكبير واركان الحكومة اللبنانية واميرال البحر المتوسط ورؤساء الاديان وقنصل دولة البرازيل وغيرهم كثيرون من الادباء والشعراء فكانت حفلة شائقة توالى فيها وقوف الخطباء والشعراء وقد فاه اذ ذاك ميكال افندي على حداثة سنه بخطاب كبير في اللغة البرازيلية دل على مكانته في عالم الادب وعلى انه يحذو حذو ابيه في تسنم ذروة المجد ثم قام احد الكهنة البرازيليين واجابه باللغة البرازيلية ايضاً على

خطابه شاكراً ومن جملة ماقال ان البرازيل بلد مضياف تحتاج الى الكل ولا تحتاج الى احد ولكنها تريد من المهاجرين اليها ان يعملوا ففي العمل نجاحها ونجاحهم

ثم بعد ذلك حضر وفد من وجوه قرية بشرى برئاسة حضرة الخوري انطونيوس جباره للاشتراك باستقبال الوفد البرازيلي وقد قدم حضرة الاب المشار اليه الى كل واحد من رجال الوفد قطعة من الارز كتب عليها بالعربية والافرنسية (تذكار من خشب ارز لبنان في ٨ تموز سنة ١٩٢٥)

وبعد الظهر سار الوفد الى الديمان لزيارة غبطة البطريرك الياس الحويك الكلي الاحترام ثم عاد الى جبيل وبعد مشاهدة اثارها ذهب الى صوفر حيث اعدت له وليمة فاخرة وبعد ان اكمل الوفد سياحته في هذه البلاد عاد الى البرازيل محفوفاً بعجابي الاقبال .

وقد قدم ميكال افندي حينئذ علماً وشعاراً برازيليين من نسيج الزوق الفاخر الى متحف سان بول من يد قنصل البرازيل في بيروت حضرة اسعد بك سجعان تذكاراً لهذه الزيارة



الامير رئيف شديد ابي اللمع

هو احد نوابغ الشرق والبكتريولوجي المشهور والاستاذ اللامع في

الجامعة الاميركية ببيروت وهي الجامعة التي تلقى علومه العالية فيها واحرز منها رتبة بكالوريوس علوم ودكتور في الطب والجراحة

وهو عدا ذلك خريج معهد باستور في باريس ومعهد كوخ في برلين ويحسن اللغات العربية والافرنسية والانكليزية والتركية

وقد كان في اثناء الحرب الكونية يوزباشي في الجيش التركي وسر طبيب مستشفيات السبيل في حلب

ونال من الدولة العثمانية مدالية اللياقة ومدالية الحرب

والمجمع العلمي الدولي في باريس عرف قدره فعينه في الاونة الاخيرة عضواً فيه وقلده وسامه الذهبي

وبالجملة ان هذا الامير قد اضاف الى تالد مجده مكانة سامية في قومه ادركها بجده واجتهاده وما زال يبني في كل يوم صرحاً من الفخر جديداً

اعلان

ان ادارة تاريخ تنوير الاذهان تعلن انها ثبتت في المجلد الثاني الحاصل الشروع بطبعه تواريخ الاسر الممتازة والوجيهة وتاريخ ورسم كل واحد من الوجهاء والاعيان وكبار التجار فعلى الراغبين في نشر تواريخهم مخابرة المؤلف بهذا العنوان (بيروت * ابرهيم بك الاسود)

والادارة تشكر لمن يتحفها بمقالة تاريخية وتنشرها باسمه اذا شاء



ناصيف بك الريس

هو السياسي المعروف باصالة الرأي

تولى رياسة القلم التركي في اخر عهد رستم باشا وقضى فيها كل مدة واصه باشا ومظفر باشا و يوسف فرنقو باشا وكان موضع ثقة المتصرفين المشار اليهم والساعد الايمن لكل واحد منهم لانه كان رجلاً ادارياً محنكاً يرجع الى رائه في صعاب الامور ومخلصاً اميناً وحراً لا يحابي بالوجوه ولا يعد وعداً يتعذر عليه قضاؤه حتى اصبح صدقه مضرباً

للامثال وقد كافأته الحكومة بالرتبة الاولى و بوساماتها العالية واحرز وسامين كريمين من لدن قداسة البابا ومن لدن دولة العجم

وقد عاش نصيف بك بين قومه منظوراً اليه بعين الاعتبار ومات عزيزاً مكرماً واقيم له يوم وفاته الموافق الثامن عشر من شهر كانون الاول سنة ١٩٢٤ مأتم حافل بالسراة والاعيان بكاه فيه ذووه ومن قدره حق قدره وابنه فريق من ذوي الفضل منهم حضرة الفاضل الشيخ يوسف زخريا حاكم الصلح في مدينة بيروت وقد ابنته بدوري ايضاً تأبيناً بينت فيه مآثره الحسان وختمته بهذه الابيات

صلاة الله فوق القبر تترى	على ذي الفضل معدوم النظير
قضى لكنه في الناس حيّ	وصورته على لوح الضمير
هو الجبل الذي ارتكزت زماناً	عليه سياسة الجبل الكبير
تقصر فيه آيات المراثى	ولو اتت المراثى من جرير
فقدنا فيه للعلياء ركناً	بنته يد الاله على الصخور
فقدنا فيه للاراء نوراً	مضيئاً يوم اشكال الامور
عليك سلام ربك كل يوم	سلام في الاصائل والبكور
وقبرك لو درى من حل فيه	لباتَ مفاخراً كل القبور

وخلف ناصيف بك في مركزه الادبي نجلاه الكريمان جورج بك المقيم في الاسكندرية وادوار بك الذي اقترن في الاونة الاخيرة بحضرة ذات الرصانة السيدة ايفا احدى كريمتي سعادة الياس بك سرسق وكلا الاخوين يشتغل بالتجارة ولها مكانة مكينة في قومها



مراد بك البارودي

هو الرجل الذي عرفه الناس بلين العريكة ودماثة الاخلاق والصدق وكفى بذلك دليلاً على علو طبقته

ان محبي مراد بك كثيرون ولم يكن حبهم له عفواً فانه كان يقدس القلوب الطاهرة وكان ذا حب صافٍ ساكن القلب رائق الذهن يعمل بجد واجتهاد لانه كان يعرف ان الزمان اغلى واثمن من كل شيء وكان من حملة الاقلام ينثر كثيراً وينظم قليلاً

وقد ربى بنيه تربية صالحة دلت على معرفته ان الادب افضل ما

يملكه الانسان

فان نجليه الكريمين بهيج بك وجميل افندي من الرجال الذين تحلوا بحلية العلم والادب ناهيك بما امتاز به مراد بك من الوفاء لاصدقائه والانفة والغيرة على العرض والحرص على الكرامة وكرم اليد

فانني عرفت وانا من العارفين بشؤونه انه في سني الحرب الاولى بذل مبلغاً وافراً في سبيل مساعدة الفقراء لا يبذله مثري كبير

ولذلك كله كثر اسف الناس عليه يوم توفاه الله في اخر شباط سنة ١٩١٨

وقد كان الخطب فيه كبيراً ومشى في جنازته سراة القوم حتى مدفن الملة الانجيلية في بيروت وبعدان واروه الثرى توالى وقوف المؤبنين على ضريحه وقد ابنته اذ ذاك تأبيناً كريماً

ويوم نقلت رفاته الى مدفن ابائه في سوق الغرب ابنه فريق من الادباء ايضاً وكنت من جملة مؤبنيه ويوم الجمعه الواقع في ١٥ اذار سنة ١٩١٨ الساعة الثالثة بعد الظهر احتفلت عمدة المدرسة الكلية الاميركية في كنيستها باقامة حفلة تذكارية له شهدها مئات من الخلق على اختلاف الطبقات وكان في مقدمتهم كبار موظفي الحكومة حينئذ وحضرة العالم الفاضل حسين كاظم بك والي حلب الذي اتفق حينئذ وجوده في بيروت ونظمت العمدة المشار اليها وقتئذ نشيداً مخصوصاً للحفلة

وقد افتتح الحفلة المرحوم هورد بلس رئيس المدرسة يومئذ بتأبين وصف به محاسن الفقيد العزيز ثم عقبه حضرة الفاضل بولس افندي

الخولي فابنه تأبيناً كبيراً ثم تلاه حضرة الدكتور وليم فنديك صديقه الحميم واخذ ينثر من درر اقواله في تأبين صديقه ما يزري بالدراري الحسان .

ثم توالى وقوف كثيرين من الادباء بعده وكان ختام الحفلة قصيدة نظمتها في رثائه ضافية الذيل ثم انني نظمت تاريخاً لضريحه وهو

ذهب المراد فكل عين قد غدت	تبكي دماً اذ غاب عنها انسه
وبكى عليه العلم والكرم الذي	بندى يديه بات يورق غرسه
وبه تجسمت الشهامة والوفا	هو هيكل وابو بهيج نفسه
كان الذي يهتز فيه يومه	طرباً ويختال افتخاراً امسه
كانت به تزهو القصور فاظلمت	من بعده واليوم ازهر رمسه
يا رمس بدر رجائنا قد غاب مذ	قال المؤرخ فيك غابت شمسه

١٩١٨

ومما يدل على سمو مكانته في بيروت خاصة ان مجالس بلديتها الموقر قرر في العام الماضي وهو العام السادس بعد وفاته تسمية الشارع الممتد من امام بيته حتى قرغول الاشرفية باسمه تكريماً له وتخليداً لذكره



رحال افندي المكرزل

هو احد نجلي ابرهيم افندي المكرزل من قصبة بيت شباب ولد فيها في سنة ١٣٠٣ واخوه ملحم وهو الاكبر ولد فيها ايضاً في سنة ١٩٠٢ واقتبس كلاهما العلوم الاولية في مدارس القصبة ثم دخلا مدرسة عين طوره المشهورة وصرفا فيها مدة سنتين ثم انهما صرفا مثل هذه المدة في مدرسة الفرر بجونيه ولما نشبت الحرب الكونية اقفلت جميع المدارس فاضطرا الى الاقامة في بيتهما اما ابوهما المشار اليه فكان يشتغل بالتجارة في مدينة مو بتي بافريقيا وبعد ان بدأ الاحتلال ارسل اليهما الف ليره افرنسيه ثم انه لم يلبث ان جاء عندهما اما هما فقد سافرا بعد مجيئه الى

موبتي لاستلام زمام تجارة ابيهما فيها

ولم يمر عليهما ردح من الزمن حتى ساعدتهما العناية وربحا نصف مليون فرنك على انهما بعد قليل خسرا هذا الربح وراس المال ايضاً لسقوط اسعار القطن حينئذٍ وهذا ما اضطرّهما الى العودة الى دار الهجرة لمساعدتها فربحا بمساعدته ارباحاً طائلة وكان الصافي بعد ايفاء جميع الديون نحو (٢٥٠) الف فرنك ثم اخذ هذا المبلغ يزداد نمواً اما ابوهما فرجع الى الوطن لانه رأى ان تجارة ولديه سائرة الى النجاح واما هما فما زالا حتى اليوم في تلك المدينة يتجران والتوفيق حليفهما



الياس افندي الراضي

ولد في مدينة بيت شباب سنة ١٨٨٩ ولما كان ابوه غير قادر على

تخريجه في المدارس العالية هاجر وهو في العشرين الى مدينة غينه الفرنساوية فكان له من نشاطه اكبر مساعدة على النجاح ومن صدقه واستقامته ما جعله محبوباً من كبار التجار وما مرّ عليه زمن حتي بلغ مبلغاً كبيراً من النجاح واصبح معدوداً في مصاف كبار تجار هذه البلاد

اميل افندي كامل



والده لبناني من اهالي بكفيا اما هو فقد ولد في الاسكندريه سنة ١٨٩٢ وتخرج في مدارسها وله تأليف منها رواية السائحين المشهورة في عالم الادب وبعد وفاة والده ترك المدرسة وذهب الى غينه الفرنساوية ثم انتقل الى مقاطعة الكولدوست وجعل مديراً لاحدى الشركات الانكليزية فقام باعبائها خير قيام وسنة ١٩٢٢ استقال من مركزه هذا ونشر جريدة اسبوعية ولما لم يجد منها فائدة حول اجتهاده الى الاتجار فاحرز قصب السبق وله اليوم منزلة سامية بين تجار هذه الديار وعمره لا يتجاوز الرابعة والثلاثين

الثورة

ان الواقف على دقائق الثورة والذي يرى ما يطرأ عليها من التطورات
يحكم لاول وهلة انها ثورة وطنية وان يدا من وراء الحجاب تمتد الى تحريكها
ولكن متى وقف على الاعمال التي قام بها رجال الثورة في جنوبي لبنان
الكبير وفي غيره يخرجها عن هذا الحد اذ تبدو له انها اعمال رجال يريدون
الاستفادة المادية باسم الثورة الوطنية مما يسلبونه من اموال وارزاق الناس
بدليل الافعال التي فعلوها في كوكبا ومرجعيون وحاصبيا وراشيا

فكم سفكوا فيها من الدماء البريئة وكم سلبوا من الاموال والارزاق
وارتكبوا من الفظائع وهل افظع من قتل زوج وزوجة في راشيا امست
شمس حياتهما على المغيب وسلب مالهما بعد ان اعدا للقتلة ولزملائهم مائدة
حافلة بانواع الطعام الفاخر ؟

فهذه الافعال تحسب افعالاً جنائية بخلاف ما جرى اولاً في حوران
فان دروز حوران ثاروا ولكن ضد السلطة بدون سلب ولا نهب وهذه
الثورة تحسب ثورة مشروعة لان اصحابها يحسبون انفسهم انهم يسعون لغاية
شريفة وبناءً عليه كانت الخطة الاخيرة مفسدة للخطة الاولى

وكانت الثقة بقمع هذه الثورة حاصلة لا محالة مهما امتد اجلها واتسع
نطاقها وعظم الخطب فيها لان العامل فيها الطمع والارباح المادية

والذي يظهر لنا ان قد بدأت جذوتها ان تخمد فان كثيرين من ذوي الشأن

والمكانة المكينة اخذوا يفدون من كل جانب لمقابلة المسيو دي جوفينل المفوض السامي وللوقوف على رغائبه والتقرب منه

اما هو فلم يشاء مقابلة احد الا بعد ترك السلاح

وكنا قبل وصوله الى بلادنا واثقين من حسن المصير لما جاء في تصريحاته الى صحف باريس على اثر اعلان تعيينه مفوضاً سامياً حيث قال لا بد من اعادة السكينة في سورية الى نصابها وحيث اننا في ثقة من انه من الرجال الذين لا يرجمون في الغيب

وهو اليوم يعمل بجد لتحقيق هذه الامنية ونحن نتوقع تحقيقها لنسجل له عمله المجيد في المجلد الثاني من تاريخنا هذا لان هذا المجلد تم طبعه على اثر وصوله الى بيروت وقبل ظهور النتيجة المنتظرة

بنو لبنان ازاء الثورة

ان جميع بني لبنان ازاء الثورة واحد ولهذا هب كثيرون منهم يقدمون انفسهم الى الحكومة طالبين التطوع للذهاب الى مقاتلة الثوار

وكان حضرة الباسل بطرس بك بشاره كرم في مقدمة الذين استهدفوا لبنادق الثوار فانه ذهب مع فريق من الشبان الى كوكبا بعد ان فتك الثوار بفريق من بنيها ثم الى مرجعيون وقام فيها باعمال مجيدة

وممن يجب ان نسجل لهم ذكراً مجيداً الطيار اللبناني جورج افندي دحدوح وهو شاب في العقد الثالث من عمره من ابناء عائلة بعقليني الكريمة في بزبدين

تلقى علومه قبل الحرب في الاسكندرية وبدأ فيها باعمال تجارية

واقترن بالآنسة غبريال عظم احدى كريمات عائلة عظم في الزوق وهي من فضليات النساء ومن اكثرهن معرفة وادباً ثم لم تلبث ان بدأت الحرب الكونية فدخل جورج افندي متطوعاً في الجندية الافرنسية وحارب مع من حارب من جنودها

وحضر مع الحملة التي احتلت سورية ودخل في فرقة الطيران في رياق فاحرز قصب السبق ورقي الى درجة ضابط

شأنه في حصار راشيا

لما اشتد الضيق على من كان في قلعة راشيا من الجنود علق قومندان الموقع رسالة في رجل حمامة من حمام الزاجل (١) اشار فيها الى الضيق الحاصل واطلقها فذهبت بالكتاب الى الجنرال غاملان في رياق فكتب الجنرال رسالة جوابية واستنسخ منها اربع نسخ ،وداها انباء قومندان موقع راشيا

---

(١) حمام الزاجل او حمام الرسائل او الحمام البطاقي هو ما كان يستخدم في الحروب والمحاصرات والتجارة لحمل الاخبار والحمامة البطاقية الاولى هي الحمامة التي ارسلها نوح من الفلك اثناء الطوفان وجاء في تاريخ الرومان ان القائد انطونيوس ارسل في سنة ٤٣ ق — م في اثناء حصار مدينة مودينه رسالة الى واليها علقها في عنق حمامة فاعادها الوالي وحملها رسالة الجواب والمسيحيون لم يعرفوا هذا الحمام الا سنة ١٠٩٨ م لما حاصروا اورشليم وكان القائد العربي في قلعة الحصار بين انطاكية واورشليم يميل الى التسليم الى الصليبين فخابر قومه بواسطة الحمام

واستعمل السلطان صلاح الدين الايوبي هذا الحمام في حصار عكا الذي استمر سنتين من سنة ١١٨٩ الى ١١٩١ فحملت اليه خبر وصول الملك لويس الى مصر واخبار حرب المنصورة التي دارت فيها الدائرة على الصليبيين

بوصول النجدات اليه بظرف بضع ساعات وسلم هذه النسخ الى جورج افندي دحدوح فطار بها الحينه الى راشيا والقاها فوق القلعة فسقط ثلاث رسائل منها داخل القلعة والرابعة سقطت في الخارج وهي التي التقطتها المرأة مريم زوجة كاهن السريان هنالك التي كانت تراها وهي ساقطة من الجو وذهبت بها تحت وابل من الرصاص الى القلعة فوصلت الى جدارها وقد اصيبت برصاصة في زندها جرحتها جرحاً غير ذي بال

ولما رآها بعض الجنود الموجودين على سطح القلعة اصعدوها اليهم بواسطة الحبال واما الطيارة التي كان يقودها جورج افندي دحدوح فقد اصيبت بكثير من رصاص بنادق الثوار ولكنها لم تضر بها

وبعد ان فاز الجنود بتلك الموقعة وتفرق الثائرون تحت كل كوكب استدعى المسيو دي جوفنيل كلا من جورج افندي دحدوح ومن تلك المرأة الباسلة التي يجب ان تدعى بحق (جاندرك لبنان) وعلق على صدر كل منهما وسام الاستحقاق اللبناني ووسام الصليب الاحمر

قال المسيو مابه الذي كان قنصلاً لفرنسا في الشرق في القرن السابع عشر ان خدمة حمام البطاق كانت جارية في ايامه في الاسكندرونه لتبليغ اهل الداخلية خبر وصول السفن التجارية

وقيل ان تاجراً اصطاد حمامة فوجد معها رسالة علم منها ان العفص قليل في انكلترا فاشترى منه كمية وافرة وربح مئة الف ريال

ولو شئنا بيان الخدمات التي قام بها حمام البطاق لاقتضى ذلك تاريخاً برأسه والبطاق واحدته بطاقة وهو مأخوذ من بتاكون باليونانية ومعناها ورقة او رسالة والزاجل مأخوذ من قولنا زجله اي ارسله على بعد

اما حضرة الكولونل بردال حاكم الطيران في الشرق فانه قد نظر الى جورج افندي دحدوح نظر المعجب يبسالته واستماتته في سبيل صدق الخدمة وكافأه بان ارسله على حساب الحكومة الى مدرسة الطيران في مدينة ايستر بفرنسا للتمرن على طرق الطيران الحديثة واحراز شهادة الطيران القانونية التي تؤهله الى الارتقاء في درجات الوظائف العالية جزاء خدماته الجليلة في لبنان الكبير عموماً وفي جبل الدروز خصوصاً

الجندرمة اللبنانية

اما الجندرمة اللبنانية فانها على حداثة تدريبها في الفنون العسكرية قد قامت بالمحافظة على الحدود مدة طويلة قياماً مذكوراً بالشكر وذلك قبل ورود النجدات الى الجيش الافرنسي

وقد اتى رجالها في معارك حاصبيا ومرجعيون وفي حصار راشيا اعمالاً استوجبت احترام ضباط الجيش الافرنسي المشار اليه

وساد التنافس بين ضباطها وبعض الافراد لاجل الذهاب الى الحدود للدفاع عن الوطن فلقي عدد منهم حتفهم في ميادين الشرف

ولما استولى الثوار على قسم من قلعة راشيا في اثناء الحصار طلب قومندان حامية تلك القلعة رجالاً فدائيين يلقون بانفسهم في تلك النار المضطرمة فاجابه الضابط الياس افندي ضاهر ابو ملهب احد افراد عائلة ابي ملهب المعروفة بالشجاعة وشدة الباس الى طلبه مع احد عشر جندياً وانضموا كلهم الى عشرين جندياً فدائياً من الجنود الافرنسية وخرجوا جميعاً الى المهاجمين من الثوار بالحراب فنكلوا بهم تنكيلاً واستعادوا ما كان

استولى المهاجمون عليه

وقد امتاز في حوادث حاصبيا ومرجعيون من رجال الجندرمة اللبنانية الضابط جرجي افندي صوايا والضابط الياس افندي المدور وامتاز ايضاً في ناحيتي بعلبك والهرمل كل من الضابطين فيليمون افندي الخوري والشيخ اميل الخازن

اما الشيخ اميل الخازن فيدلك محياه انه هو الذي اشار اليه الشاعر بقوله

خطرات النسيم تجرح خديه ولمس الحرير يومي بنانه

وتدلك افعاله انه هو الذي اشار اليه الشاعر الاخر بقوله

مردي العدو بكل ماضي الحد مطرور صقيلِ
يسري وحيداً وهو من حد العزيمة في رعيلِ
من معشر يرعى ذمام الجار فيهم والنزيلِ

ومما يذكر له انه استولى بدهائه على قلوب مئتين وخمسين شاباً من الهرمل فاصبحوا يأتمرون بامره و يقاتلون من يبغي مقاتلتهم وهم يأكلون من زادهم واجرهم على الله فلله دره من رجل يجمع بين قوة الساعد وقوة العقل

اما الضابط الباسل الذي صقلته التجارب سركيس افندي الدويهي فقد عهد اليه بتفقد احوال الجندرمة في جهات حاصبيا وراشيا فقام باعباء هذه المهمة الخطيرة مع اربعة من الجنود خير قيام وقضى مدة ١٦ يوماً يغامر العدو و يبحث عن جثث قتلى الجنود الذين سقطوا في موقعة ١٩ ت ٢ سنة ١٩٢٥ التي جرت في ارض بكيفا والعقبة كي لا يتسرب اليأس الى قلوب الجنود اذا عرفوا ان رفاقهم لا يهتمون بجمع رفات من سقط من زملائهم اثناء الدفاع عن الوطن فجمع الرفات كلها واودعها اضرحة لائقة

ابرهيم بك عقل

هو ابرهيم بن خليل عقل الخباز الذي تولى اي خليل مشيخة صلح البترون عشرين عاماً وكان مستقيماً نزيها

اما ولده ابرهيم بك فتلقى علومه في مدرسة البترون وكان منذ نعومة اظفاره يميل الى السياسة ولذلك لما وقع خلاف بين قنصلية فرنسا وواصا باشا في عهد المسيو بتفيل بسبب ميل الحكومة الى جعل المرحوم الشيخ كنعان الضاهر عضوا في مجلس الادارة على غير ما كان يبغي المرحوم المطران يوسف فريفر ترأس ابرهيم بك حزباً مهماً وانضم معه الى حزب القنصلية فاستمال اليه بهذا السبب حضرة الاب الخوري الياس الحويك الذي هو اليوم غبطة البطريرك الياس الحويك الكلي الاحترام

ومن ذاك الحين اخذت تتوثق بينهما عرى المودة حتى اصبح ابرهيم بك في مقدمة محبي غبطته ومن رافعي لوائه · وقد اتخذ المحاماة مهنة فكان له فيها منزلة سامية

وفي عهد مظفر باشا عين مديراً للبترون ولما استحكم الخلاف بين مظفر باشا و بين غبطة البطريرك عزله مظفر باشا تشفياً

وفي عهد يوسف باشا اعيد مديراً وبقي حتى عزله جمال باشا في بدء زمن الحرب وابعده الى القدس فكان فيها موضوع احترام غبطة البطريرك الاورشليمي والاباء الفرنسيكان ثم انه رخص له بالعودة فعاد فاستقبله

مواطنوه بحفاوة عظيمة وحملوه على الاكف من العربة الى بيته ثم ان جمال باشا ابعده ايضاً مع عائلته الى مدينة قير شهير ولم يلبث ان رخص له بالعودة فعاد ولما وقع الاحتلال ارادت الحكومة ان تعيده الى المديرية فابى فعينته حاكم صلح لقضاء البترون فقام باعباء الوظيفة خير قيام

وقد رشحه اهالي القضاء لعضوية المجلس النيابي فلم يقبل محافظة على صداقة صديقه الحميم لاوون بك الحويك الذي كان رشح قبله

وابرهيم بك ذو مقام سام بين قومه نافذ الكلمة رحب الصدر كريم الاخلاق واليد وقد نال من الحكومة العثمانية الرتبة "المتمايزة" ونال من قداسة البابا وسام الاراضي المقدسة من الطبقة الاولى ووسام محامي القديس بطرس ولقب الحاجب البابوي شرفاً



مخايل افندي البستاني

هو مخايل بن انطون بن عبد البستاني ولد في بلدته دير القمر في ٩ تشرين الاول سنة ١٨٦٨ وتلقى علومه الاولية من العربية والافرنسية في مدارسها واتمها في مدرسة الحكمة ببيروت ودرس اللغة التركية على نفسه واتقن الترجمة منها الى العربية

وبتاريخ ١٢ كانون الثاني سنة ١٨٨٩ دخل في خدمة العدلية فزاولها حتى الان بصورة متواصلة من وظيفة كاتب اول الى عضو في محكمة بداءة دير القمر الى رئيس في محكمة قضاء المتن الى رئيس في محكمة قضاء كسروان الى عضو في محكمة استئناف لبنان القديم وبعد الاحتلال عين حاكم صلح في قضاء المتن ثم مستشاراً في محكمة التمييز في بيروت بتاريخ ١٤ ايلول سنة ١٩٢٠ وضمت الى وظيفته هذه بتاريخ اول ايار سنة ١٩٢١ رئاسة محكمة بيرع الحرب وبتاريخ ١٨ ايار سنة ١٩٢٣ عضوية المجلس العدلي لبعض الجنايات العظمى وبتاريخ ١٢ ايار سنة ١٩٢٤ مستشارية محكمة التمييز المختلطة وبتاريخ ٢١ ايار سنة ١٩٢٤ رئاسة اللجنة العالية لقضايا الانتخابات وبتاريخ ١١ ايار سنة ١٨٢٥ تجدد تعيينه وبقاؤه مستشاراً في محكمة التمييز للبنان الكبير بعد الادغام القضائي بين القضاة الوطنيين والافرنسيين

وهو حائز وسام (اوفيسيه دكاديمي) من الحكومة الافرنسية وله كتاب (مرجع الطلاب) في الفقه الحنفي طبع سنة ١٩١٤ وله ديوان شعر لم ينشر منه الا بعض قصائد في بعض المجموعات وله محررات عدليه مطبوع بعضها في بعض المجلات، وله ايضاً مترجمات عدليه عن اللغة التركية

طبع منها قانون رسم التمغه الاخير وقانون انتقال الاموال غير المنقولة

اما معارفه الفقهية والقانونية فواسعة تدل عليها مؤلفاته العديدة واما شعره فرصين وقد تحلى بحلية النزاهة ودماثة الاخلاق



جرجس بك صفا

احد فقهاء لبنان وعلمائه المشهورين

لم نتمكن من اثبات ترجمة حاله في هذا المجلد لورودها (والملزمة الاخيرة) منه تحت الطبع ولاسيما وهي واسعة بقدر سعة معارفه ولهذا ارجأنا

اثباتها الى المجلد الثاني الجاري طبعه كما اننا ارجأنا اثبات تراجم غيره من فقهاء وعلماء وشعراء ووجهاء واطباء لبنان ونخص بالذكر المرحوم سليم افندي باز الذي ملأ المكاتب من مؤلفاته العديدة والمجلد الثاني سيكون حافلاً بالمواضيع الهامة التي تلذ مطالعتها ولا يكون اقل حجماً من هذا اما الاسر اللبنانية الكريمة فقد اثبتنا تواريخ بعضها كآل تنوخ ومعن وشهاب في هذا المجلد واعددنا تواريخ الامراء اللمعيين والارسلانيين والمشائخ الجنبلاطيين والخازنيين لاجل اثباتها في المجلد الثاني

اما باقي الاسر الكريمة التي هي من هذا القبيل والاسر الوجيهة فاننا نسألها ارسال تواريخها اذا شاءت وفي الوقت نفسه نسأل كل واحد من رجال الدين الاجلاء ومن ذوي المكانة العلمية والادبية والتجارية والصناعية ارسال ترجمة حاله مع رسمه اذا شاء



ابرهيم بك الاسود

تاريخ حياته

ان صديقنا منصور افندي الحداد طبع تاريخ حياتنا في كراس مخصوص تحت توقيعه في نيو يورك واذاعه منذ بضع عشرة سنة وها نحن نثبته الان باسمه ننو يها بفضله وهو

تلقى ابرهيم بك علومه في المدرسة الوطنية ببيروت لصاحبها المرحوم المعلم بطرس البستاني

ودرس الفقه على المرحوم الشيخ بشاره الخوري كبير فقهاء لبنان وهو جد سعادة بشاره بك الخوري رئيس محكمة استئناف الجنح لابيه

ودخل ابرهيم بك في زمن حداثة سنه ملازماً في القلم التركي بمتصرفية لبنان في اخر عهد نصرالله فرنقو باشا الذي شمله برضاه حينئذٍ رعاية لابيه نجم افندي الاسود الذي كان في ذلك العهد عضواً في مجلس ادارة لبنان ولما رأى فيه من النجابة فانه قد انشده قصيدة كانت باكورة نظامه بعد ان كان عرضها على صديقه الشيخ ابرهيم اليازجي واصلحها ومطلعها

لبنان نصرالله جاء فهلل فلقد حويت اليوم اشرف منزل

وحيث اتفق ان انشادها كان بحضور المرحوم حنا بك الاسعد الشاعر المشهور في مجلس دولته لانه كان من كبار المأمورين اوعز اليه المتصرف ان يقرظه فاخذ القلم لحينه وقرظه بهذه الابيات

لله در مراهق ابدى لنا نظماً كمثل الشهد في سمعي حلي

بلغ البلاغة وهو دون بلوغ ‏ ‏ وعلى المجرة جرّ ذيل الاخطل

واتى بمدح وزيرنا مستفتحاً ‏ ‏ فحباه نصر الله بالفخر العلي

لازال يرقى بالقريض معارجاً ‏ ‏ ويفوق قدراً من بدارة جلجل

بدر بدا من فرق نجم اسود ‏ ‏ فسما بطالعه ضياء الاكمل

وقد كان هـذا المتصرف رحمه الله عطوفاً على ابرهيم بك يدعوه احياناً لمناولة الطعام على مائدته ولقضاء اوقاته في ايام العطلة برافقـة ولده فوآد بك [1] الذي كان يضارعه في السن وقد استصنع له خاتماً ذهبياً بديع الشكل في الاستانة منقوشاً عليه اسمه

وقد استمر ابرهيم بك يتمرن في القلم التركي باللغة التركية فيما بقي من ايام حياة فرنقو باشا ولما توفى فرنقو باشا وخلفه بمنصبه رستم باشا عين ابرهيم بك كاتباً في مجلس التحقيق الذي كان حينئذٍ بمثابة دائرة جزاء وكان يعهد اليه بقضاء مهام في خارج مركز المتصرفية ولما عين واصه باشا متصرفاً للبنان جعله مدعياً عمومياً وهو اول من تولى هـذا المنصب بلبنان

وبعد سنتين انتخب باتفاق الاصوات عضواً لمجلس ادارة لبنان وبعـد انقضاء المدة القانونية التي هي ست سنوات تكرر انتخـابه بالاتفاق ايضاً

---

(١) فوآد بك المشار اليه هو الذي عين في عهد نسيبه نعوم باشا مفتشاً للجند اللبناني ومات في لبنان ودفن في ضريح قريب من ضريح ابيه فرنقو باشا في الحازمية

ولما عين نعوم باشا متصرفاً للبنان في السنة الثالثة لانتخابه للمرة الثانية لمجلس الادارة حل هذا المجلس [1]

اما ابرهيم بك فقدعين بعد حل المجلس عضواً لدائرة الجزاء ببيروت بايعاز الباب العالي وبعد سنتين انتخب عضواً لمجلس البلدية ببيروت وفي السنة الرابعة التي اتفق فيها تعيين مظفر باشا متصرفاً للبنان عينه مديراً للمعارف بلبنان وبعد سنة تقريباً الغيت هذه الوظيفة

وفي عهد يوسف فرنقو باشا عين ابرهيم بك عضواً في دائرة الحقوق الاستئنافية بلبنان وبعد ان عين اوهانس باشا متصرفاً للبنان بدلاً من يوسف باشا نصب ابرهيم بك قائمقاماً لقضاء الكوره وبعد سنة فصله من القائمقامية رعاية لخاطر قنصلية روسيا التي اجابت بطلبها فصله الى رغبة احد تراجمتها اذ ذاك المرحوم عزيز افندي الفيعاني لعداوة بينه وبين ابرهيم بك لان ابرهيم بك كان يحول دون تدخله في شؤون حكومة قضاء الكوره

وبعد قليل من زمن فصله اضطرمت نيران الحرب الكونية ولم يلبث ان سقط نفوذ اوهانس باشا ولا سيما بعد تعيين رضى باشا حاكماً عسكرياً للبنان وبالتبعية سقط مجلس الادارة الذي كان موجوداً حينئذ وامرت الحكومة بتجديد الانتخاب فكان ابرهيم بك من جملة الاعضاء الذين انتخبوا مجدداً وهي المرة الثالثة لانتخابه عضوا لهذا المجلس

---

(١) لقد صار حل المجلس لاسباب لا محل لذكرها الان ولكن سنذكرها في محلها في المجلد الثاني

وقد بقي يشتغل فيه وفي مديرية المعارف التي كان عهد اليه بها ايضاً الى ان حل المتصرف منيف بك ذلك المجلس لانه لم يوافقه على النظام الذي كان سنه لبيع القمح في تلك الايام العصيبة وشكل مجلساً جديداً انتخب اعضاءه هو وحده من المأمورين كالمحاسبجي وكاتب التحريرات وغيرهما ممن كانوا طوع لبنانه فعلا صياح اللبنانيين اذ ذاك لان القمح كان يعطى لغير من شرع لهم

ولما وقع الاحتلال قام ابرهيم بك بعمل (بروبغنده) كبيرة لدولة فرنسا في جنوبي لبنان الكبير وفي جبال العلويين على ما سبق البيان فكان لعمله تأثيره لدى اللجنة الموفدة من لدن جمعية الامم

تؤيد ذلك اولاً (الدوسيه) التي تدل على اعمال ابرهيم بك المحفوظة في قلم اوراق دولة لبنان الكبير

ثانياً ما كتبه الكونت ده بيرون في تاريخه الافرنسي العبارة الذي عنوانه (كيف استقرت فرنسا في سورية ولبنان) والذي ترجمه الى العربية حضرة الكاتب المتفنن نجيب افندي ليان ونشره في اعداد جريدته صدى الاحوال تباعاً بين سنتي ١٩٢٢ و ١٩٢٣

ويشهد به كل من المسيو كوبان الذي كان حاكم بيروت حينئذ والمسيو مرسيه الذي خلف المسيو دام بركزه

ولما عزم الامبراطور غليوم الثاني امبراطور المانيا السابق والامبراطورة زوجته الاولى على الحضور الى فلسطين وسورية في شهر تشرين الاول سنة ١٨٩٨ سأل الدكتور شرودر قنصل المانيا في بيروت اذ ذاك ابرهيم

بك لانه كان صديقاً له عما اذا كان يبغي ان يرافق الموكب الامبراطوري في رحلته وان يؤرخ هذه الرحلة فاجابه الى طلبه فكتب القنصل اذ ذاك الى سفارة المانيا في الاستانة طالباً منها مخابرة نظارة الخارجية في المانيا ومخابرة الباب العالي في الاستانة بهذا الخصوص ولم يمر زمن طويل حتى اصدر مجلس الرشستاغ الالماني قراراً مؤذناً بمرافقة ابرهيم بك للموكب الامبراطوري في رحلته السورية و بوضع تاريخ لها و بناء على ذلك اصدر المابين الهمايوني امراً بهذا الشأن وقد نشرت ذلك جرائد المانيا والاستانة ولما وصل الموكب الامبراطوري الى حيفا تقدم ابرهيم بك للامبراطور كمؤرخ لرحلته بواسطة (المهندار) ناظم باشا والي سورية حينئذٍ الذي كان مأموراً بمرافقة الموكب الامبراطوري في سورية وفلسطين مع غيره من الوزراء فصافح الامبراطور ابرهيم بك واخذ من ذاك الحين يسير مع الموكب الامبراطوري الى كل مكان وكان احياناً يتناول الطعام على المائدة الامبراطورية ولما بلغ الموكب الامبراطوري محطة معلقة زحلة وقف ابرهيم بك لدى الامبراطور خطيباً مرحباً به عملاً بالقرار الذي كان وضعه ناظم باشا وكاتب اسرار الامبراطورية والخطاب مثبت في الصفحة ١٦٢ من تاريخ الرحلة الذي وضعه ابرهيم بك بعد اتمام السياحة ودعاه (الرحلة الامبراطورية في البلاد العثمانية) وسيجيء وصف هذه الرحلة في المجلد الثاني وبعد وصول الامبراطور والامبراطورة الى برلين قدم ابرهيم بك لكل منهما نسخة من تاريخ رحلتهما فورد عليه الجواب من القنصلية الالمانية متضمناً شكره بلسان الامبراطور والامبراطورة وانباه بانهما امرا

بوضع النسختين في المكتبة الامبراطورية تذكاراً حسناً له

ولما جاء الملك ميلان ملك الصرب الى لبنان قادماً من دمشق وبعلبك اتفق وصوله اولاً الى قرية ريفون فانفذت الحكومة اذ ذاك ابرهيم بك وكان عضواً في مجلس الادارة لاستقباله فحياه باسم الحكومة فدعاه لمناولة طعام العشا معه ليلتئذٍ وفي اليوم الثاني رافقه الى بكركي التي جاءها ليقوم بزيارة للبطركية المارونية الكريمة وكانت لم تزل في دائرتها القديمة وتناول معه طعام الغداء على المائدة التي اعدتها البطريركية المشار اليها له ومن ثم رافقه الى جونيه فزار المرحوم الامير يوسف اسمعيل الذي كان اذ ذاك قائمقاماً لكسروان ثم الى الزوق لمشاهدة منسوجاتها ثم الى بيروت

وقد نال ابرهيم بك من لدن الدولة العثمانية الرتبة الثانية والوسام العثماني الثالث والمجيدي الرابع ومدالية اللياقة ومدالية التأسيسات العسكرية والمدالية الحجازية

ومؤخراً عينه المجمع العلمي الدولي بباريس عضواً فيه ومنحه وسامه الذهبي من الدرجة الاولى

وقد خدم ابرهيم بك المعارف بلبنان بجريدته (لبنان) التي نشرت فيه نحو ربع جيل ولم تحجب الا قبيل زمن الحرب وبمطبعتها وبمطبوعاتها العديدة وبتآليفه وهي هذا التاريخ وكتاب ذخائر لبنان وكتاب دليل لبنان الذي احرز منزلة سامية لدى قرائه الكرام وكتاب التحفة[1] اللبنانية

---

(١) هذا الكتاب الفه ابرهيم بك بالاشتراك مع صديقه المرحوم الشيخ اسد حبيش

وكتاب الرحلة الامبراطورية المحكي عنه وجميعها مطبوعة وبرسائله المطبوعة ايضاً وهي تبحث في الاخلاق والعوائد وفي واجبات المأمور وله ديوان شعر سيشرع بطبعه

وابرهيم بك يعرف اللغة العربية باّدابها واللغة التركية وله المام باللغة الافرنسية

وكان يحرر بنفسه اكثر المقالات السياسية التي كانت تنشر في صدر جريدته المذكورة والتي نالت استحسان جريدة الطان اذ اشارت الى ذلك في احد اعدادها وله مواقف في الخطابة مذكورة

اما شعره فتدل على منزلته القصيدة (اللبنانية) المثبتة في هذا المجلد وما انشر منه في باقي صفحاته وقصائده العديدة التي طبعت ونشرت في حينها

فهرست الكتاب

المجلد الثاني

سيكون حافلاً بالمواد الهامة ونخص بالذكر تواريخ العائلات الكريمة وتواريخ رجال الدين والعلم والبطولة والسياسة والتجارة والصناعة

وبيان اسماء المؤلفين والذين خدموا العلم والمعارف بانشاء المدارس والمطابع والمعاهد الادبية وبنشر الصحف

واسماء المهاجرين الكرام الذين تصل بنا اسماؤهم وبيان ما لكل منهم من الشأن في مكان هجرته

ووصف مصائف لبنان وذكر مدنه وقراه وما من المسافة بين كل قرية واختها وما يلزم لاراضيه من الري

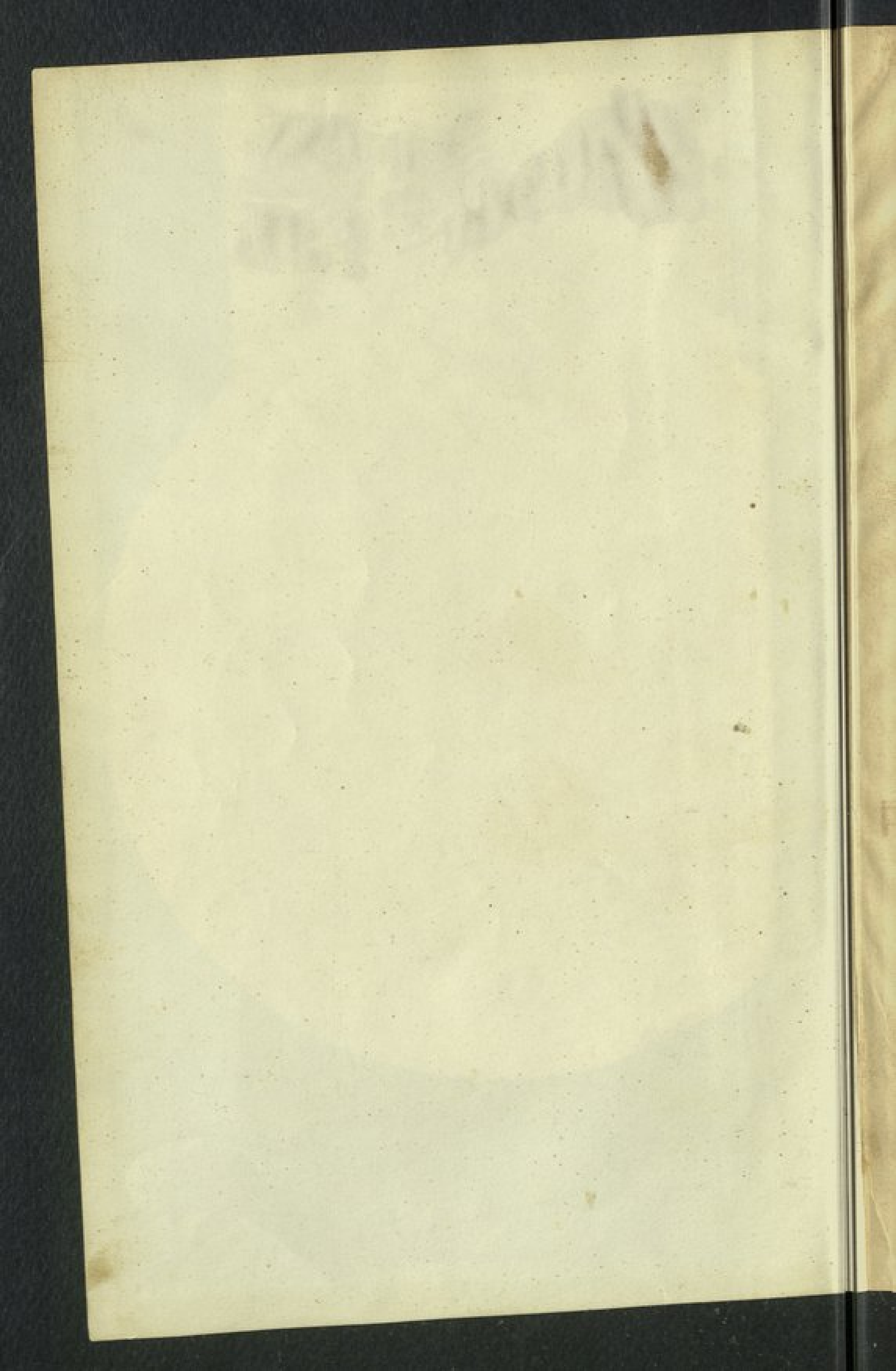
وذكر معامله الحريرية وغيرها وبيان اسماء اصحابها ووصف ما فيه من الاخلاق والعوائد

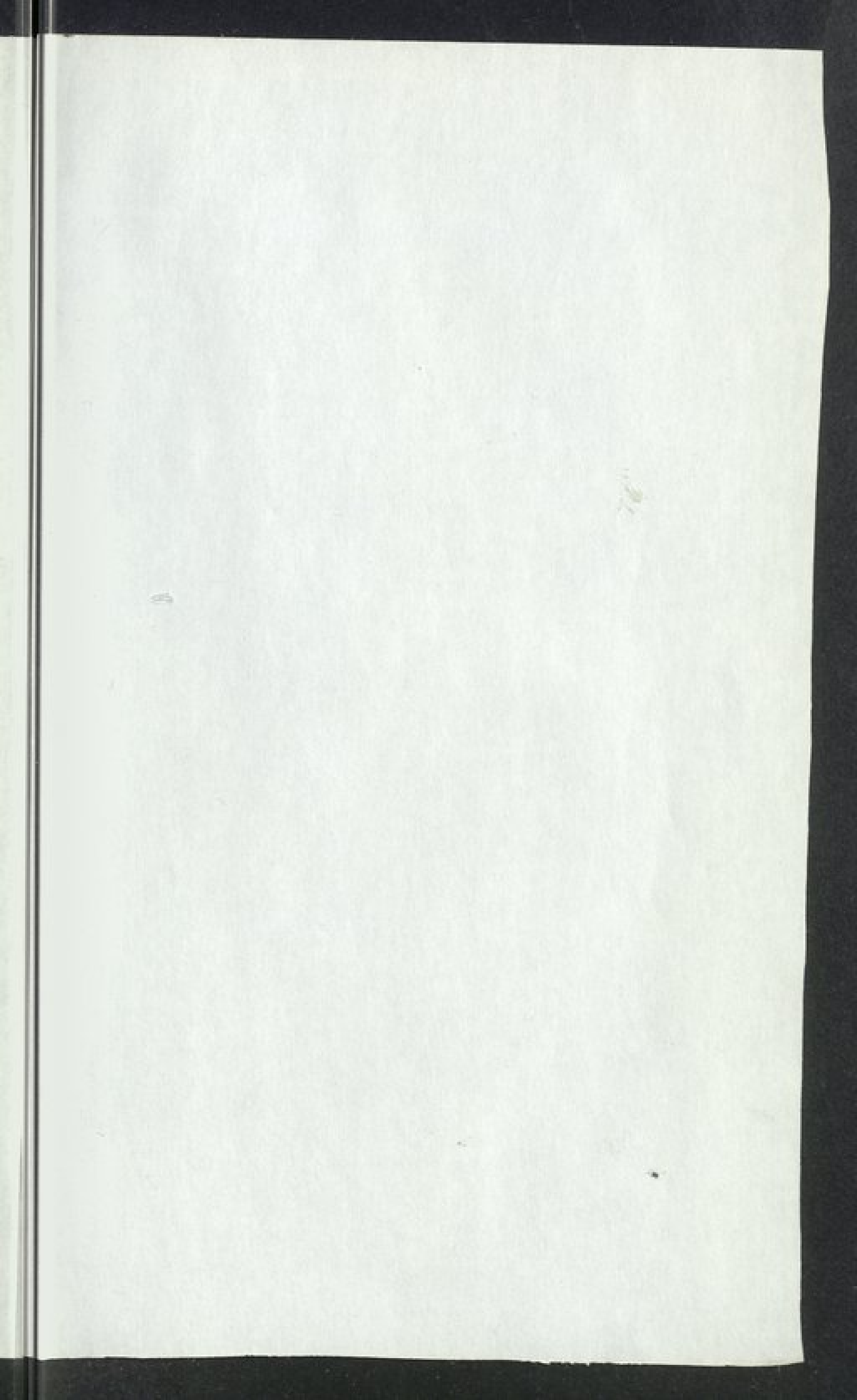
وسنأتي فيه على تاريخ الحرب الكونية ونذكر مقدار ما اقتضت من النفقات العمومية وما وقع فيها من الخسائر البشرية وما كان بعدها من احتلال دولة فرنسا في سورية ولبنان ومن مآتيها الكريمة فيهما الى غير ذلك مما يتعذر بيانه كله في هذه العجالة

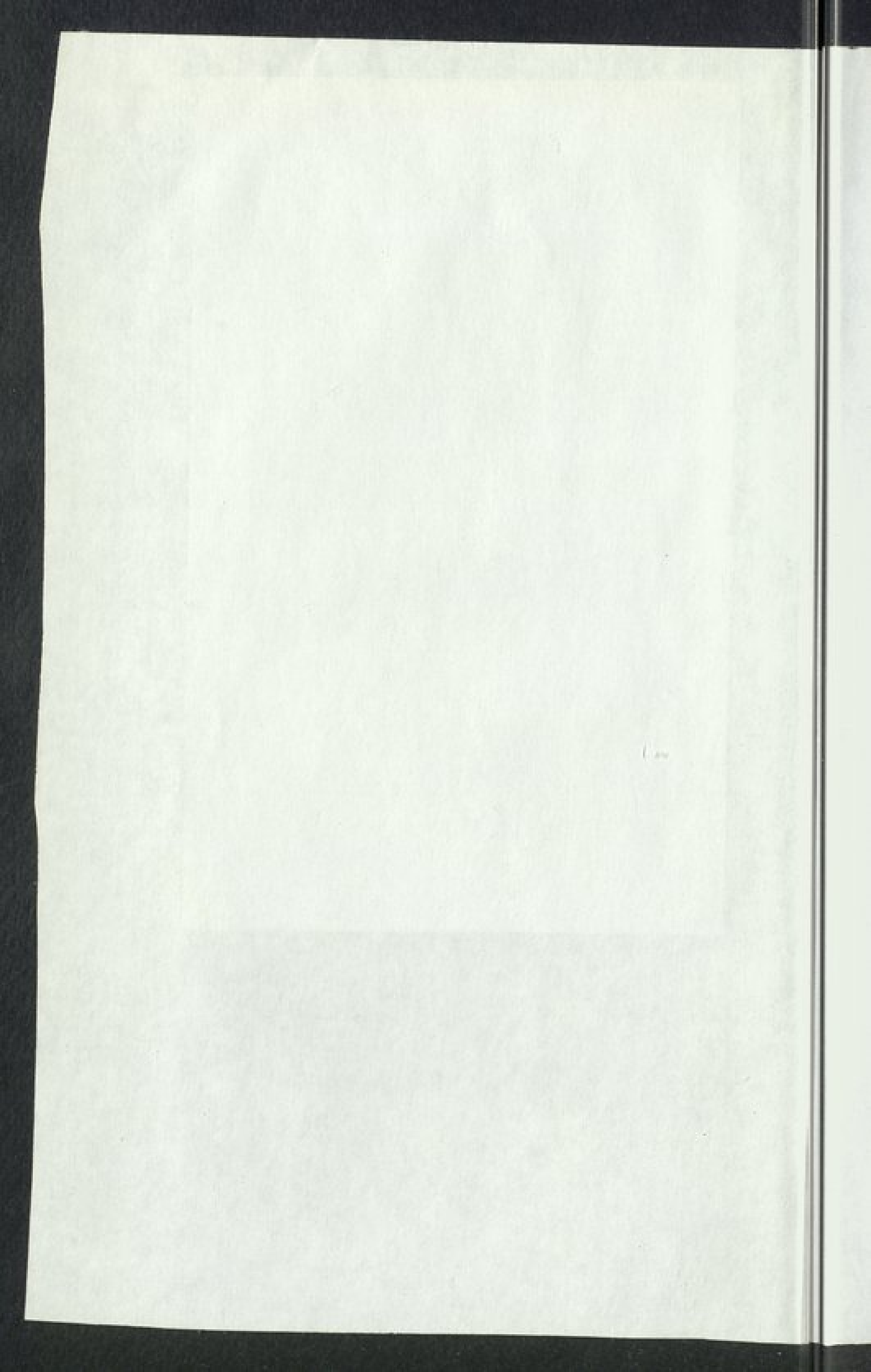
فالى اللبنانيين الكرام نسوق الرجاء اينما وجدوا ليتحفونا بما لديهم من الشؤون الحرية بالنشر فننشرها باسمائهم اذا شاءوا ومن يريد من ذوي الشأن اثبات ترجمة حاله فليتكرم بارسالها الينا مع صورته بهذا العنوان

بيروت

ابرهيم بك الاسود







DATE DUE

